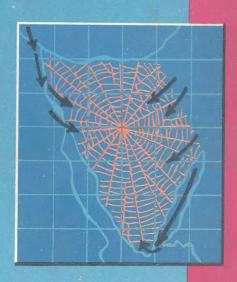
# فخ السّويين

تالیت هـ تری اً زو



رجة. محمود حسن إبراهيم المية الدكفورأحد كمال زكي

## فكخ السّويين

بقـــلم ھنریحــــے اُزو

ترجمة: مجودحسن ابراهيم

مراجعة:الدكتوراحَدكالزك

ينساير ١٩٦٦

## بشما تتدالرحمن الرحيم

#### مقدمة المراجع

من الصعب على المعلقين والكتاب أن يفسروا جميع الألغاز وكل التدبيرات المتعارضة التى صحبت أزمة السويس • والأصعب أن الجزء الاكبر من مستندات هذا الحديث التاريخي زيفه المعتملون ـ عن قصمد ـ ومن ثم اختلفت الروايات عن هذا الحدث ، ولسكن يمكن أن تبرز منها روايتان : احداهما حقيقية لم يعترف بها كثيرون والأخرى باطلة ظل المتسدون يروجونها حتى صدقها نفر من كباد العسكريين في الدول المعتدية نفسها • ولقد كانت عملية تضليل الراى المام في الدول المعتدية مؤامرة اشتركت فيها الأجهزة الرسمية وغير الرسمية وأصبحت هذه العملية فريدة في نوعها ، واتخذ منها موضوع لعديد من الدراسات كما كانت محودا لرسائل جامعية لدرجة الدكتوراه •

ان حصلة السويس الفاشلة - التي اثارت الكثير من الجلل في الدوائر السياسية وفي مجلس العموم البريطاني بصفة خاصة - لا تزال ماثلة امامنا فيما يصدر من كتب عنها برغم مرور نحو عشر سنوات عليها . والكتاب الذي نقدمه اليوم من بين الكتب التي ظهرت، وقد وضع بناسبة الذكرى العاشرة لانتصار بورسعيد واقعا في أكثر من خسمائة صفحة زودت بكثير من الصور عن أحداث العلوان وشخصياته والجدير بالذكر أن المؤلف لم يسمح لنفسه بأن تخدعه حملة التزييف

التى عملت الدوائر المتدية على شنها ، فنقب بنفسه عن الحقائق ومفى يفسرها على نعو معقول ، وينقسم الكتاب الى جزئين : الآول دراسة قصيرة فى تاريخ مصر وتاديخ قناة السويس ، والثانى دراسة مطولة عن احداث الازمة الحقيقية التى بدأت بتاميم شركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ ، وانتهت فى الاسبوع الأخير من ديسمبر من السنة نفسها بجالا، قوات الغزو عن بور ساعيد واعلان انتصار مصر على قوات العدوان .

ق الجنرة الاول يبين المؤلف كيف عقدت فرنسا مع عصر اتفاقا في عام ١٩٨٥ يسمح لها بالمرور عبر الأراضي المصرية الى الشرق الاقصى بقصسه التجارة ، وكيف بدأت الدراسات منذ ذلك أخين حول الموضوع وفي احتمالاتربط البحرين المتوسط والاحمر ببعضهما البعض ، وكيف استطاع فردناند ديلسبس في النهاية شق الطريق المائي باعثا الى الوجود شركة قناة السويس حيث ببعت بعث الاورق المائة في فرنسا بعد ذلك عن اسهمها للفرنسيين ، ثم كيف تخلت الجمهورية الثالثة في فرنسا بعد ذلك عن ادارة القناة لبريطانيا مكتفية بالحصول على نصيبها من دخلها ، ويمغي المؤلف في سرد الاحداث التاريخية حتى الثورة العرابية في عام ١٨٨٧ وتدخيل بريطانيا عسكريا تحت ستار حماية الاوروبيين من الاخطار التي زعمت انهم يتعرضون لها من جراء ثورة عرابي ، مخفية الحقيقة التي لا تختفي وهي انها تريد ضمان سيطرتها على القناة ، وقد اصاب « هنرى آزو » الهدف عندما قال أن المناورات المائية ورعونة حكام مصر في ذلك اخبن مما هيا لبريطانيا ان تفرض سيطرتها الكاملة على القناة بتنازل من فرنسا ،

ولم ينس الوَّلف كفاح مصر الطويل للتحسور من السيطرة البريطانيسة ، فعرض له حتى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وفي رايه أن هذه اخرب بدرت بدور الثورة في الشرق الأوسط واسهمت في اسقاط الملكية في مصر عام ١٩٥٧ . وهو يرى ان تلك السنة كانت بداية لدخول دولة جديدة ـ هى امريكا ـ على مسرح الشرق الأوسط ، غير أن مصالحها اصطدمت مع مصالح الدول الأخرى التى ثبتت اقدامها منذ قديم فى المنطقة وأول هذه الدول بريطانيا ، وما أسرع ما تضادبت المصالح الاقتصادية ـ تحت رغبة كل طرف في الحصول على بترول الشرق الأوسط ـ حتى لينشب صراع سياسي رهيب كانت ازمة السويس التي انفجرت في عام ١٩٥٦ قمته ، ويقرد المؤلف أن الخصومة الفعلية لم تكن بين الرئيس جمال عبد الناصر وبن جوريون بقدر ما كانت بين سياسيي لندن وواشنطن ، ولم تلبث الازمة أن اجتذبت الى الميدان دولتين قويتين أخريين همسا فرنسا والاتحساد السويسيتي ، ومن هنا شبه المؤلف الوقف فى السويس بالمصيدة التى اجتذبت اليها عددا من المخدوعين طمعا فى الحصول على ما بداخلها ،

والمؤلف يشبه دور فرنسا فى هذا كله بعور « ممثل الكومبارس » الذى اخفق فى اداء دوره برغم علم اهميته • اما الاتحاد السوفييتى ففى رايه أنه كان يلعب دور الوسيط الذى قسرر أن ينتهز الفرصسة للسيطرة على ميسان المركة وجع الاسلاب والفنائم بعد هدوء الميدان •

ان فرنسا عندما زجت بنفسها في هذه المغامرة ادتكبت حماقة الوقوع في المصيدة ، وكلفتها المغامرة كثيرا ، ولكن كيف وقعت ؟ ان هنرى آزو يجيب عن السيوال في بساطة لم تعوزها الشيجاعة ، لأنه لا شك يثير عليه أغلب المسئولون عن اقحام الحيش الفرنسي في المغامرة الفاشلة •

ان هناك روايات معينة تلقى الفوء عل كثير من الاحداث التى تبدو غامضة والاشارة الى هذه الروايات يجدى نفعا من غير شك ، وقد فعل المؤلف بادئا باشتراك اسرئيل فى المفامرة ، يقول ان هذه الدولة ظلت قابعة فى جعرها فترة طويلة الى أن قامت قوات بن جوربون بدلك الهجوم المفاجى، على سينا، و ويذكر أن خطة الهجوم اعدتها لجان سرية للغاية عقدت فى وزارة الخارجية الفرنسية دون تقدير ما لمصلحة الاسرائيلين انفسهم، ولم تكن المبردات المختلفة التى اذجيت أمام الرأى العام العالى الا ستارا يغفى الفرض الحقيقى وهو التخلص من ناصر وكسر شوكة العرب والقيام بعملة صليبية جديدة ضد الاسسلام فى الشرق ، بغاصة بعد أن ساد الاعتقاد بأن الشرق العربي هو الذى يفلى ناد الثورة فى الجزائر ، ويقول الكاتب ان ثمة لجانا سرية تابعت انعقادها فى فرنسا وفى الجزائر ، لكى تدبر حملة السويس التى قصدت أن تجعلها مذبحة شبيهة بمذبحة الجزائر ، ولهذا يبدو أن الجزائر من هنا كانت سر وقوع فرنسا فى المصيدة ،

ويضيف هنرى آزو أن حملة التسميم الهائلة عملت الى تصوير الرئيس عبد الناصر بانه ركيزة الثورة ، وذلك بقصد اثارة الذعر بين اليمين الفرنسي وحث ضباط ادكان الحرب الفرنسيين على الاشتراك في الحملة ، وكان من بين رسل هذه الحرب الصليبية افراد من أعضاء الحزب الاشتراكي الفرنسي وآخرون من اعضاء الحركة الشعبية الجمهورية ، ولكن عددا من اليمينيين بعيدى النظر اشتموا رائحة المفامرة فرفضوا الاشتراك فيها لانهم ادركوا ما قد تثيره من آثار ، ويستنتج المؤلف من تشابك تلك الاحداث أن الحراسيا استفلت اسرائيسل أسوا استغلال عندما أغرتها بغوض حرب لم تكن هي تفكر فيها ،

 وق الوقت الذى أبرز فيه المؤلف هذا التخلفل التكتيكي في موقف قوات الغزو أشاد بالمقاومة الشعبية العنيفة التي واجه بها الشعب المصرى تلك القوات . ويقول أن الجيش الفرنسي عندما احس بالارتباك لما كان يتلقاه من أوامر متعارضة أدرك أنه لعبة صغيرة في مؤامرة رسم خطوطها المدنيون ، وأحس بثقل الخسارة بعد ذلك في الجزائر .

ولما كانت خطة الغزو غير سليمة تهاما ولم يكن القائمون عليها قد درسوا ما يمكن أن يعترض سبيلها ، فان الطائرات لم تكد تلقى بالظليين على أدض بورسعيد حتى ثارت ثائرة الامم المتحدة ، ووجه بولجانين انداره الشديد الى كل من باديس ولندن وتل أبيب ، وفي نفس الوقت ضربت الولايات المتحدة ضربتها، فوجه فوستر دالاس \_ وذير خارجية الولايات المتحدة في ذلك الحين ـ الى حلفاء الاس احتجاجات تنطوى على نفمة التهديد ، وواجه الجنيه الاسترليني مفسادبة عنيفة من جانب الدولار الامريكي ، وأصبحت باديس امام فضيحة توزيع البنزين بالبطاقات ، ولم يكد جي موليه وايدن يفيقان من المواجهة العنيفة من جانب كل من موسكو وواشنطن حتى قطعت دول الشرق العربي علاقاتها بكل من بريطانيا

اما عن نتائج هذه الحملة فيقول المؤلف انها آكدت انتصار مصر وسيطرتها على القناة ، واظهرت أن الشرق العربي يتمتع بقوة اقتصادية كبيرة ولا سيما فيما يتملق بالبترول ، كذلك دعمت هيبة العرب ومهدت لتحطيم حلف بغداد الذي كان يحبحب صوت الفرات عن بقية أجزاء الوطن العربي ، كما آكدت انتصاد الدولتين اللتداتين كانتا تكنان خلف بغداد أشد العداء وهما مصر والاتحاد السوفييتي .

وفى الصفحات الاخيرة من الكتاب، يقول هثرى آزو أن السويس ستخلد فى التربخ الدبلوماسية المعاصرة كدرس للذين قد يساورهم الشك مرة اخرى فى أن السياسة ليست كعلم الحساب، وأنها مليثة بالحيل • واذا كانت تغفر كثيرا من الاخطاء فانها لا تغفر قصر النظر، فضلا عن أن الدبلوماسية الامريكية ليست ساذجة كما يشاع عنها وأن قدرتها على المناورة هائلة •

الراجع

« ليس هناك أي احتمال لأن تهاجم دولة غربية بلادكم »

سير انطوني ايدن الى الرئيس عبد الناصر في ربيع عام ١٩٥٥

\* \* \*

« هيا بنا ال بورسعيد ، فحينها نصل الى مدخل قناة السويس نعسبح مسادة الموقف »

الأميرال بارجو ٬ قائد عام القوات الفرنسية في الشرق الى الجنرال بوفر قائد القوة « l »

#### مقدمة المؤلف

لن يصدق الرئيس عبد الناصر اذنيه اذا قيل له أن أول من هبط مع جنود المظلات الفرنسيين فوق بور سعيد صباح يوم ٥ من نوفمبر ١٩٥٦ كان صحفيا عمره ثلاث وخمسون سنة ، رشيق وطروب ، وله أبناء وأحفاد ، وليس معه من سلاح سوى القلم ٠

لقد لازمه هذا القلم في معارك كثيرة ، اذ خاض به حملة ايطاليا في شتاء المدالة لازمه هذا القلم في الحالت بروفانس ، وذهب معه الى عوريا ، ورافقه في مهالك ديان ــ بيان ــ فو ، وسجل به احداث انقلاب يوم ١٣ مايو ، انه قلم المراسل الصحفى « شادل فافريل » الذي لم يتردد قسط في الاشتراك في اية حرب تقع ، والذي هرع الى بور سعيد لكى يكتب القصة الوحيدة الصحيحة للمعارك الأولى التي وقعت فوق ارض مصر ،

كان فافريل قد وصل الى قبرص قبل غزو بورسميد بيومين النين وهو والق من أنه سيكون على نحو ما تعود في طليعة قوات الغزو ، وفي خط النسار مستمعا الى أولى طلقات العدو ، ومشاهدا مصرع القتل الأواثل ، وقد تعرف هناك على زملائه الجدد من جنود المظالت الذين سيهبطون فوق بورسعيد ، فوجد أن ثلثي أفراد الكتيبة من الجنود الحديثي المهسد بالخدمة ولم يروا خط الئار مطلقا من قبل ، وتقرد أن يهبط مع جنود اللوج الاول الذي يقوده الكابتن انجلز من السكتيبة الثانية مظلات من جنود المستعمرات التي يرامسها السكولونيل شساتو جوبر ،

اكتشف فافريل بين جنود الفوج الأول « عصفورا نادرا » في شخص مدير مكتب حاكم ولاية تيزى – اوژو الجزائرية ، وهو شاب كاثوليكي مثقف اسسمه لوى بيللو • وقد حصل على اذن مؤقت بالاشتراك في الحملة ، وكان قد سبق له الاشتراك في معادك الجزائر . وتوطعت الصداقة بين الرجلين ، وكان يلد لهما الانهماك في مناقشة المسائل الفلسفية وسط ضوضاء الجنود وجلبتهم ، ولسكن ما كان يثير حيرة فافريل هو الباعث الذي يدفع موظفا شابا مرموقا ، مثل بيللو وقد حاز على ليسانس القانون ودبلوم المعلوم السياسية ، ودبلوم مدرسة الادادة الوطنية – على التطوع في قوة المظلات برتبة رقيب ( جاويش ) وقد فسر له بيللو ذلك بقوله « انه يجب على الرء أن يضحى وأن يدفع الثمن من ذات نفسه لسكى يبرهن على اقتناعه بما يؤمن به » •

وكان يطيب لجنود المظلات الفرنسسين الموجودين في معسكرات قبرص 

- تمهيدا لتقلهم بالطائرات الى بور سعيد - ان ينشروا على بعضهم بعضا مختلف 
المعلود ، وذلك بدافع السخرية من خطاب القاه الرئيس عبد النامر بقصد 
الدعاية ووصفهم فيه بانهم « چنود صفار معطرون » × وقد استفلت القيادة 
الفرنسية هذا الخطاب لتثير ثائرة الجنود وتهلا نفوسهم حنقا ضد العدو الذى وجه 
اليهم مثل هذه الاهانة ، ولهذا لم يجد الجنود وسيلة للتهكم من هذه الاهانة سوى 
نثر العطور على بعضهم بعضا ، وكانوا اذا افتقدوا العطور نثروا المياه ، ولم 
ينسوا أن ينشروا العطور ايضا على المدافع الرشاشة وعلى رصاصها الذى اصبح 
يعجل تبعا لذلك اسم « الموت المعطر » ،

وفى الساعة السادسة مساء شهد فافريل مؤتمر الفساط الذى وزعت فى خلاله عليهم التعليمات واقرائط اقاصة بعملية الفزو التى كان مقررا القيام بها فى اليوم التالى ، وكانت ساعة التجمع هى منتصف الليل ،

<sup>×</sup> لم يحدث أن قال الرئيس هذا الكلام في أي خطبة من خطبه · ( الراجع )

فى ذلك الوقت اذبع فى طلائع الجنود بيان الجنرال بوفر قائد القدوة « i » الذى كان حتى ذلك الوقت فى البحر فى طريقه الى قبرس ، وكان مقررا أن يصل اليها فى اليوم التالى ، وكان البيان يتضمن عشل هذه الكلمات :

« الايمان • • القلب • • العظمة • • الانسانية • • الوطن • • »

وفى الساعة الثانية عشرة والتصفيعة منتصف الليل ركب الجنود سيادات النقل • وفى الساعة الثانية صباحا وصلوا الى مطاد « تيميو » حيث حضروا طابور انتقيش وادتدوا ملاسى القفز بالمظلات • وفى الساعة الرابعة والدقيقة المشرين صباحا ، اقلعت بهم الطائرة في طريقهما الى مصر •

#### القفز من الطائرات :

وصلت الطائرات الى المنطقة المتاخمة لشرق بورسعيد فوق الاراضى التى يحتلها الاسرائيليون ثم تغلغلت داخل شبه جزيرة سينا، ، وبعد ذلك انحرفت الى الفرب لتجتاز قناة السويس ، ثم اتجبت شمالا وبدات طائرات « نور – اطلس » تقلف جنود المقلات الى الارض بمعدل فوجين ، قوام كل منهما ١٥ رجلا من كل طائرة ، وفي كل ثانية كان يقفز من الطائرات ستة جنود ، اى بمعدل ٩٠ جنديا كن ١٥ ثانية ، وفي خلال دقيقتين كان قد قفز من الطائرات ما يزيد عل خمسمالة حزى ، وقد هبطوا على قطمة أرض خالية مربعة الشكل يتراوح طول ضلع كل جندي ، وقد هبطوا على قطمة أرض خالية مربعة الشكل يتراوح طول ضلع كل منها بين ثلاثمائة واربعمائة متر ، وكانت تستقبلهم بالطبع على محيط هذا المربع « لجنة استقبال » من المدافع الرشاشة ومدافع الهاون التي بدا المصريون يطلقونها على معيط م

ووجد فافريل نفسه فوق الارض على مسافة ٣٠٠ متر من مدفع رسساس مصرى ، ولكن الارض كانت لحسن الحظ مليئة بالحفر والاخاديد التي تصلح لحماية من يستتر بها • واجال فافريل النظر حوله ليتحقق مما اذا كان جميع الجنسود الذين هبطوا معه من طائرة القسامة قسد وصلوا الى أماكنهم • وشساهد فسلا

الكابتن انجلز ، كما شاهد الجاويش بيللو الذى لم يلبث أن وجهت اليه طلقات مدفع رشاش فلقى مصرعه ، وكان بهذا أول فرنسى يقتل فى بورسعيد ، وعندما شاهد زملاؤه هـ لما المنظر صوبوا مدافعهم الرشاشـة نحو المصرى الذى قتله وأحكموا التصويب ، أنها لم تعد حربا وانما أصبحت ثارا ، وهم الآن يريدون الانتقام مين قتل زميلهم ،

وقد أحرق المصريون بنيران مدافعهم بعض مظالات الفرنسيين في اثناء هبوطها واستولوا على بعضها ، وكانت تحمل مهمات واسلحة ، ولكنامكن استعادة جانب من هذه المهمات ، ومن بينها أجهزة خاصة بجهاز الارسسال الذي استخدم فيما بعد في الاتصال بالقيادة العامة التابعة للجنرال « جيل » حيث كانت تراقب سبر المعركة وهي محلقة بالطائرات في السماء ،

وكان في الجو ست طائرات مهيأة للفرب ولمساعدة قوات المظلات على الأرضى اذا طلب منها ذلك .

ونهض الكابتن انجاز وفي يده منديل ازدق ــ وكانت هــده هي اشادة لتجمع ــ واصدر امره الى قواته بالتقدم نحو كوبرى الجميل ، فزحف الجنود وهم يقفزون القفزة التقليدية لرجال المقالات • وهــاجمت الطائرات المواقع المصرية فاسكتتها واحدا بعد الآخر • واستمر تقــدم الجنود وهم يطلقون النار حينا ويحتمون بالأرض لتفادى نيران المصريين ، ولم تمض ساعة ونصف ساعة حتى استولوا على كوبرى الجميل •

واطلقت الطائرات الفرنسية نيرانها على كوبرى الجميسل بحسب وصول التعليمات اليها متاخرة ، في الوقت اللي وصلت فيه القوات الفرنسية الى طرف الكوبرى الذي انهاد ودمر بتاثير قنابل الطائرات ، وكان الفحوج الرابع من قدوة المظلات يوشك أن يعبره ، وفي وسط القوات الزاحفة كانت الفصيلة الحادية

عشرة لقوات الصاعقة تتقدم نحو « وابور » المياه • وكان اثنان من جنود المقالات قد هبطا بعيدا أكثر مما ينبغى فى وسط الاشتجار التى تحيط به فقتلهما المصريون بحد السلاح •

وعقب أن استولى الجنود على « وابور » المياه بادر الكولونيل شاتو جوبير قائد الكتيبة الثانية مظلات الى اقامة مركز قيادته فى فيلا المدير ، وقد انضم اليه المراسل الصحفى فافريل ، وتم ينقطع التليفون عن الرنين ، وفى البسلاية كان المتكلمون هم بعض اللذين يريدون الانضمام الى موظفى « وابور » المياه ، وبعسد ذلك بدا غير المصريين يتكلمون ويعرضون وساطتهم لاجراء معادثات بينالفرنسيين وبين السلطات المصرية ، ولكن الكولونيل شاتور جوبير أجساب بأنه يطالب بأن يعلن المصريون التسليم على الفور ،

واتصل فافريل عن طريق التليفون باصدقائه في القاهرة مستفسرا عن انباء العاصمة ، وأبلغهم أنه سيصل اليهم في وقت قريب ، ثم طلب منهم أن يضعوا زجاجات الويسكي في الفريجيدين استعدادا لوصوله .

واستأنف الطّيران الفرنسي هجماته على الضفة الأخرى من قنساة السويس جنوبي بود فؤاد ، وكان الفرنسيون يعرفون أن هذا يمني أن الطائرات تستعمد لانزال فوجن آخرين من جنود كتيبة المغلات .

وجلس في طائرة المقدمة الكولونيل فوسى فرانسسوا الذي كان أول من هبط ألى الارض ، ثم هبط بعده المصور الصحفى دانييل كامو وتقاطر بعد ذلك هبوط رجال المقالات من الجو الى الارض الخالية تحتهم برغم أنها كانت عاطة من كل جانب بمواقع المصريين الذين بدأوا يطلقون منها نيران مدافعهم الرشاشة ومدافع المهاون و ولكن الجنود المصريين وجدوا انفسهم في ماؤق ، فعل الرغم من أنهم كانوا يعتمون بضفة القناة المائلة ولا تظهر سوى خوذاتهم فقد تبينوا أنهم حوصروا بين يحتمون بضفة الكولونيل فوسى فرانسوا من الامام وبين قوات الكولونيل فوسى فرانسوا من الامام وبين قوات الكولونيل شاتو جوبير

التى تقدمت خلفهم على الضفة الاخرى وراحت تحصدهم حصدا بنيرانها ، ولم ينج منهم أحد غير بعض من كان حظهم حسنا ، وهؤلاء أصيبوا فقط بجراح ، ولكن عدد هؤلاء كان قليلا •

ووصل الجنرال بتلر بعد الظهر الى « وابور » المياه بطائرة هيليكوبتر ، وبدا يعد مع الكولونيسل شاتو جوبير شروط التسليم التي سنتوجسه الى المصرين •

وفى الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر وصل فعلا الى « وابور » المياه وفد مصرى يتكون من اللواء الموجى قائد قطاع بور سعيد القنطرة ، واللواء حسن البنا قائد الشرطة ، والبسكباشي انور قائد التحصينسات ، والبسكباشي رشدى رئيس المباحث الجنائية ، وطلب منهم الانتظار ، فظهر عليهم دلائل القلق ونفاذ الصير ،

وفى هذا الوقت بعثت القيادة العامة بشروط التسليم التى كتبها الجنرال ستوكويل بالاتفاق مع الجنرال بوفر ، الذى يرأس الحملة الفرنسسية ، وقال الوفد أنه يثبغى عليهم الرجوع الى دأى السلطات في القاهرة ، فغادروا ، وابور » المياه بعد أن أعطيت لهم مهلة تبدأ من الساعة ١٧٧٧٠ حتى الساعة ١٧٣٧٠ ، وقد تحدثوا بالتليفون فيها بعد وقالوا أن القاهرة ترفض هذه الشروط .

واستؤنف اطّلاق الثار في بور قؤاد ٠ ولكن القوات المرية انسحبت في خلال الليل من المدينة مرتدة الى بورسعيد ٠ واستسلمت السلطات المعلية في بور فؤاد للقائد الفرنسي فوسي فرانسوا ٠

وَنَامَ فَافْرِيلِ وَالْفَسِاطُ فَى فَيللا مَدِيرِ وَابُورِهِ اللهُ التَّى استخدمت كمركز للقادة الصامة ، واستيقفوا في الصباح على أصوات المدافع ، وصاح الجميع : ياللوغاد ! فقد اتضح أن اللوانات والبكباشية المصرين الذين جانوا الى « وابور » المياه بالأمس أرسلوا دبابة الى الضفة الاخرى من القنساة وبدات في اطلاق نيان مدافعها على الفيلا التى كان الضباط المرتسيون مجتمعين فيها ، وكانت مدائد التي كان الضباط الريابات ، وكانت تتقدم وتطلق هذه الدبابة تحدث ضبعة عقليمة حتى كانها اربع دبابات ، وكانت تتقدم وتطلق

مدافعها ثم تحتمى بعد ذلك بالفيلات المجاورة ، وبعد لحظات تظهر مرة آخرى على مسافة ابعد من مكانها الأول وتطلق النار من جديد لتعود الى الاختفاء مرة آخرى . واتصلت القيادة بالطائرات الفرنسية التى كانت تحمى عمليات نزول القوات من السفن في بود فواد فجات وأخلت تهاجم الدبابة ، ولكن بمجرد ان تبتعلد الطائرات تظهر الدبابة اللعينة مرة آخرى وتطلق النار من جديد .

وحينند نجات الطائرات الى الحل الذي لا مناص منه للتخلص من هذه الدبابة فاطلقت مدافعها والقت القنابل على مجموعة الفيلات التي تحتمي بها هي وربما غيرها من الدبابات فسنتت نيران العدو • وفي خلال هده العملية نسلت صهاريج البنزين الموجودة قرب ضفة القناة وارتفع لهيبها الى عنان السماء •

ووردت الأنباء بأن عمليات انزال القوات من السفن الى الارض فى الصباح تمت بنجاح ، وأن الخسائر كانت طفيفة •

وفي القيادة العامة للجنرال شاتو جوبير كان الفرنسيون ينتظرون وصول الجنرال ماسو ، وبخاصة دباباته ، ولكن هذه الدبابات لم تصل بود فؤاد ، والخا أنزلت على الضفة الغربية لقناة السويس ثم ثم تلبث أن صادرها الانجليز ، أما الجنرال ماسو فقد طلب ممهم برقة ولطف النزول على الضفة الشرقية للقناة ، وان ينتظروا في تعقل وحكمة وصول باقي قواتهم ،

واصطفت دبابات سنتوريون الانجليزية الى جنوبى مواقع قوات المظلات الفرنسية وكان الموقف حرجا لأن المصريين لديهم أيقسا دبابات من طراز سنتوريون ، والهجوم الذى حدث فى الصباح يدل على أنهم يريدون استخدام دباباتهم .

واتخلت دبابات سنتوديون الانجليزية مواقعها على طول القناة عند طريق المعاصدة استعدادا للتقدم في اليوم التال نحو الاسماعيلية • ووصل بعد الظهر الى « وابور » المياه الجنرال بوفر والجنرال ماسو وجميع ضباط اركان حرب الفرقة العاشرة مقالات الذين يعملون مع الجنرال شاتو جوبير ، ووراءهم جمع غفير من مراسلي الصحف الحربيين الذين جاوا من طريق البحسر ، وقد احاط هؤلاء بزميلهم فافريل وكان هو المراسل الوحيد الذي سبقهم واشترك في العمليات منذ صباح اليوم السابق .

وانهمك الضباط والصعفيون فى التفكير فى العملية الكبيرة التى ستحدث فى اليسوم التسالى ، وهى الزحف الى الاسماعيليسة عن طريق البر وعن طريق الفناة (حيث وجد أنه يمكن تسمير الزوارق والصنادل فيها على الرغم مما فيهسا من عقبات) •

واختفى فافريل فجاة ، ثم تبين انه عاد الى قبرص لكى يرافق كتيبة اخرى من جنود المظلات الفرنسيين الذين سيهبطون فى خلال ٤٨ ساعة على هدف سرى للغاية ، فى ضواحى القاهرة •

على أن ما يفكر فيه الإنسان شي. وما يفعله القدر شي. آخر ، ففي خــلال ٤٨ ساغة لم يصل فافريل الى القاهرة ، وانما ذهب الى باريس .

#### تساؤل:

وفى باريس وجد فافريل الناس يتساطون قائلين : لماذا توقفت الحملة فى 
بور سميد بعد أن وضح للعيان أن كل شى، يسير على ما يرام ؟ وهسل جرت كل 
هذه الاستعدادات العسكرية الضخمة لكى تظل القوات عند الساحل ؟ وهل نجح 
عبد الناصر فى أن ينفذ أغراضه بالقوة بطريقته المشهورة وهى فسرض سياسسة 
الأمر الواقع ؟ وهل يجوز السماح له بتاميم قناة السويس ونهب أموال مائة الف 
مساهم فرنسى ، ثم تركه بعد ذلك يفوذ بالفنيمة ؟

ثم اليس هو الذي يشجع ويسلح ويدير « التمرد الجزائري » ؟

وأليس هو زعيم الفلاجة « المتمردين الجزائريين » ؟

واضـــذ الفرنسيون يقسولون : من الواضح أنه لو لم يسحب جون فوستر دالاس فجاة وعده بتقديم قرض لمصر لانشاء السد العالى لما اصبح هناك علر أمام عبد الناصر لكى يفعل ما يفعل ٢٠ باللامريكيين !

لقد تقرر مصير الحملة في خلال الاربع والعشرين ساعة التي بدأت في الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم ه نوفمبر ١٩٥٦ ، في الوقت الذي كان فيسه الرئيس الامريكي ايزنهاور يواصل ضغطه على المسئولين البريطانيين والفرنسيين لحملهم على وقف مغامرتهم العسكرية والنكوص على اعقابهم •

ولكن الاقتصاد على سرد احداث هداه الساعات الاربع والعشرين لا يكفى لتفهم اسراد حملة السويس ، فما أكثر القرادات الفربية التى اتتخلت فى ذلك الوقت ، والتصريحات المفاجئة وغير المنتظرة ، والتدابير التى استبدل بها غيرها بصورة تدعو الى اللمول ، وكل هذه يمكن أن نجد لها تفسيرا اذا رجعنا الى المافى وتلمسنا لها الأسباب من بطن التاريخ ، ان تصرفات عبد الناصر مثلا يمكن تفسيرها اذا أخذنا فى الاعتبدار السبعين عاما الاثخيرة التى عاشتها مصر فى ظل العبودية ، وان الروح الهجومية التى عرفت عن بن جوديون يمكن تفسيرها بالآلام الطويلة التى عائما اليهود ، وبالمارك التى دادت فى فلسطين ، ونحن على حال لن نفهم تصرف الانجليز والفرنسين اذا لم ندرك أسرار المراع ونحن على دال فى المافى حول قناة السويس ،

### 

حينها اقتراح البعض على نابليسون بونابرت حفر قناة في برزخ السويس ، الله يقع بين البحرين الاحمسر والمتوسسط ، قال : « انها لمفامرة كبسيرة » وظل ها الاقتراح ، وكان يقصد بذلك الرد تعاشى التورط في مثل هذه المفامرة .

وربما بنا تنفيذ هذا المشروع اكثر سهولة فى الاترمنة القديمة ، فقد كان للنبل فرع يصل الى بلدة « بيلوز » التى تقوم مكانها مدينة بور سعيب الان ، وساعلت هذه الميزة الجغرافية «نخاو» فرعون مصر على أن يبدأ فى حفر قناة ... قبل ميلاد المسيح بستمائة عام ، واتمها من بعده داريوسملك الفرس اللى غزا مصر ... تصل بين بلدة بوبسط ( الزقازيق الآن ) وبين البحسيرة الوسطى فى برزخ السويس ، وبهذا أصبح فى امكان السفن القادمة من النيل أن تمر فى هذه القناة وتعبرها حتى تصل الى البحر الاحمر .

وفي القرن الثالث بعد الميلاد قام بطليموس فيلادلف باستكمال هذه القناة واصبحت في صورتها النهائيسة ممتدة من النيل حتى بلدة ارسناو ( السويس الآن ) • ولكن البيزنطين اهملوها فطمرتها الرمال • ثم اعيد اصلاحها في عهد الخليفة عمر ، ولكنها رحمت بعد مائتي سنة على يد خليفة آخر آراد منع وصسول المياه الى مدينة كانت قد تمردت عليه • ومن ثم أغلق الطريق البحرى الى الهند ، واصبحت البضائع تنقل الى الشرق عبر الصحراء بواسطة القوافل •

وفي عام ١٤٩٨ اكتشف فاسبكو دى جاما البرتضالي طريق دأس الرجاء الصالح الذى يوصل الى الهند ، وهذا الطريق وان كان اكشر طولا من طريق الصالح الذى يوصل الى الهند ، وهذا الطريق واذا كانت الدول البحرية . واذا كانت الدول البحرية . وبخاصة بريطانيا واسبانيا ـ قد اغتبطت بهذا الطريق الجديد الذى آتاح لها الفرصة لكى تجوب المحيطات ، فان البلدان التجارية في البحر المتسوسط مثل البندقية ومارسيليا ظلت تعاول اعادة فتح طريق السويس الى الهند بطريقة أو بأخرى ، وقد اخذت الدبلوماسية الفرنسية تعاول صابرة مدى قرنين من الزمان استغلال وضع مرسيليا التجادى مع الشرق الى أن نجحت أخيرا في ابرام معاهدة عام ١٧٨٠ تعطيها حق احتكاد نقل تجادة أوروبا عبر مصر من الهند واليها ،

ولسكن هذا الجهه ذهب عبثا ، فإن الثورة الفرنسيسة لم تلبث أن نشبت وضغلت فرنسا عن مشروعاتها التجارية • ولكن الوكالات التجارية الفرنسية لم تهتم قط بهذه الشروعات ، ولما حانت أول فرصة نظمت حكومة الديركتوار حملة مصر بقيادة نابليون بونابرت وكلفته بأن « يقطع طريق السبويس » عل بريطانيا من غير أن تعرف بعد ما أذا كانت ستحتل هذه المنطقة عسكريا أو ستقوم بحفس من غير أن تعرف بعد ما أذا كانت ستحتل هذه المنطقة عسكريا أو ستقوم بحفس قناة فيها ، وربما كان هدفها أبماد نابليون للتخلص من طموحه الخطر ه

وكانت فكرة حفر هذه القناة تسيطر على أذهان المهنسسين الذين رافقوى الحملة الفرنسية الى مصر و ولكن التقرير الذي قدموه في هذا الشان كان ينطوى على خطا كبير ، فقد ذكروا فيه أن هناك فرقا بين مستوى سطح البحس الاحمس وسطح البحر المتوسط قدره تسعة أمتار واقترحوا .. في سبيل التغلب على هذه الشكلة .. وصل النيل ببحيرات برنخ السويس عن طريق قناة ذات اهوسة ، ولكن تنفيذ هذا المشروع كان يتطلب نفقات طائلة وأرباحه غير مضمونة ، ولهذا وكن تنفيذ هذا المشروع كان يتطلب نفقات طائلة وأرباحه غير مضمونة ، ولهذا صرف النظر عنه وتبخرت لفترة من الزمن أوهام الذين حلموا بأمكان اخراجه الى حيز الوجود ،

#### تزاوج العناصر:

على أن أنصار مذهب سان \_ سيمون x في فرنسا تبنوا فيما بعد هذه الاوهام ، فقد كان حفر «قناة مصر» كما كانوا يسمونها احدى الوسائل الرئيسية في برنامجهم الذي كانوا يهدفون من ورائه الى تغيير العالم عن طريق تنمية وسائل الانتاج والنقل \* وكان من رايهم أن شق هذه القناة سيؤدى الى تزاوج القوى بين الغرب \_ وهو العنصر اللاكر في زعمهم \_ وبين الشرق العنصر الاثنى ا

لقد فسكر زعيم انصار مذهب سان .. سيمون في فرنسا الآب « بروسبار انفاتنان » وهو في السجن ، في القيام برحلة الى مصر للبحث في هذا الشروع • فلما أطلق سراحه استقل من ميناه مرسيليا السيفينة « ولى العهد » التي ترفع علم سان .. سيمون • ولما وصل الى الاسكندرية قابل فيها نائب القنصل الفرنسي الشاب فردينان ديلسبس ، الذي حاول أن يثني الآب « انفانسان » عن عزمه في التحدث مع والى مصر في مشروع حضر قناة السويس ، ولسكنه ما كان ليدعن بسهولة لمثل هذه النصيحة ، فقد كان يؤمن بانه يستطيع الخناع اي انسان بارائه • ولكنه تبين فيما بعد أن نصيحه ديلسبس كانت في موضعها ، لان الوائي لم يتحمس للمشروع ، وانما فضل عليه مشروعا آخر هو انشاء خزان

ولكن انصار مذهب سان ... سيمون لم يساورهم الياس وظلوا يواصلون دراسة هذا الشروع ، وان كانوا قد حيلوا حفر قناة داخلية تمتــد من القــاهرة مسافة اربعمائة كيلو متر الى الاسكندرية •

<sup>×</sup> سان سیمون فیلسوف فرنسی کان که مذهب سیاسی واجتماعی یقفی بان تشرف اکنولة عل اقسل والانتاج ، وان یاخد کل شخص حسب حاجته ، وکان یطالب بالفاء نظام الادث ، ویتبه انصار کثیرون ، ولکن اخکومة الفرنسیة حظرت عام ۱۸۲۰ تداول مبادی، هـــدا المذهبی وحاکمت من ینادی بها .

وامضى انفانتان ادبع سنوات فى مصر عاد بعدها الى فرنسا • ولكن فكرة حفر قناة السويس ظلت تراود انصار المذهب الذين عرف عثهم أنهم لا يستسلمون لليأس بسهولة ، فلم تهف ثمانى سنوات حتى انشساوا « جمعية ابحاث قناة السويس » لقيت صعابا حتى فى مواصلة اعمالها بسبب تأثير الانجليز على حاشية والى مصر •

وجديو باللاكر أن دياسبس كان يتمتع بميزة فريدة في مصر ، فقه كان ابن « ماتيسو ديلسبس » القومسيير الاول لجيش بونابرت ، وقعد كان له بعض الفضيل في مساعدة محميد على حين تولى عرش مصر ٠ واتاحت هيده البيزة لفردينان ديلسيس فرصة دخول البلاط وتوثيق علاقات الصداقة مع ولي العهد سعيد ، وفي عام ١٨٤٩ عاد ديلسبس الى فرنسا بعد أن أحالته وزارة الخارجية الفرنسية الى الاستيداع من غير مرتب وهو لا يزال في شرخ شبابه ، فاقام في قصره ببلدة «لاشسناي» حيث ظل يتابع باهتمام جهود « انفانتان » بعد أن اصبح دئيسا لهيئة سكة حديد باريس - ليون - البحر التوسط ، وادرك ديلسبس ان جماعة سان سيمون قوم بارعون في ميدان الأعمال على الرغم من مئات الأوهام التي يخيل لبعض الناس أنهم يعيشون فيها ، ورأى أن كل ما ستحققه فرنسا في ميدان العلم والتكنولوجيا سيحمل طابعهم ، وايقن أنه أذا حفرت قناة السويس ديلسبس على أنه ينضم الى ذهرتهم بطريقة أو باخرى ، فهم يملكون رصيبدين عظيمين : هما التكنولوجيا والمال • ولكنه هو ايضا كان يملك رصيسدا لا ينبغي التقليل من شأنه وهو نفوذه على الأمير سعيد ولى العهد الذي ينتظر أن يصسبح يوما ما واليا على مصر ، ومن ثم يجب أن يحصل منه على امتياز يتيح له حفر قناة السويس • وكان ديلسبس غير راض عن الشروع الضغم الذيوضعه « تالابوث » بحفر قناة تمتد من القاهرة الى الاسكندرية ، وكان يفضل عليه الشروع الذي صممه الهندس الغرنسي « لينان » بشق قناة في برزخ السويس ، وهو الشروع الذي زعم « انفانتان » انه صمم على أساس البحوث والاعمال التي قام بها ثلاثة مهندسين من انصاره وهم : لاميير ، وهوار ، وبرونو .

ولما تولى سعيد باشا حكم مصر صمم ديلسبس على أن يبادر بالسفر الى القاهرة لكى يتحدث معه فى مشروع حفر القناة • ولكنه كان يعلم أن تنفيذ هذا المشروع يحتاج الى شيء أهم من صداقته لوائى مصر ، آلا وهو المال • ولهذا عقد قبل أن يسافر الى مصر اتفاقية مائية مع « أدليه ديفور » وهو أحد رجال البنوك الفرنسيين ومن جماعة سان – سيمون ، ومع ايزاك برير • وطلب من «انفانتان» أن ينفم الى هذه الاتفاقية التى تتضمن ضمانات مالية تلمشروع ، وكان يعلم أن انضمامه سيضمن له مساعدة شريكى انفانتان الجديدين فى هيئة سكة حديد باريس – ليون ، وهما «لافيت» و مروتشيلك» من كبار رجال البنوك الفرنسيين • ولكن انفانتان رفض لأنه كان يريد أن يصبح رئيس الشروع ، ومح ذلك سلمه تصميمات المهندس « بولان تالابوت » •

ومن ثم فان ديلسبس حينما وصل الى القاهرة لم يكن مجرد قنصل سابق مغامر ، وانما كان يحمل معه خططا مرسومة وضعها اعظم المهندسين في عصره ، ' كما يعمل ضمانات مالية من اكبر رجال المال في اوروبا ، ولهذا لم يجد صعوبة كبيرة في اقناع سعيد باشا ، فقد احضر له التكنولوجيا والمال ، وقدم له المشروع يوم ١٥ نوفمسبر عام ١٨٥٤ ، وفي يوم ٣٠ نوفمسبر اعلن نبسا منحسه امتيال حفر قناة السويس ،

#### صك الامتياز:

ومند ذلك الوقت تغير الوقف ، فقد أصبح ديلسبس فجأة مالكا « باسمه » لامتياز حفر قناة السويس ، وقد كان هـــــدا أهم نصر حققـه حتى ذلك الوقت ، فالمهنسون موجودون ، والمال موجود ، ولكنهدين العنصرين القيمة لهما بالنسبة للمشروع من غير موافقة السلطات المصرية ، أى من غير صك الامتياز ، وكا وضع ديلسبس الصك في جيبه تنكر لأصدقائه من جماعة ســان ــ سيمــون وتعاهل مهندسيهم ، بل أنه لم يرد حتى على خطاباتهم ، ودفض عروضهم المالية ، وانشا « شركة للابحاث » خاصة به ، وبنا يبحث عن دؤوس أموال تخصه أيضا ، فقد

عول على أن يصبح هو رئيس الشروع • والواقع أنه لم يكن هناك في ماضي حياته شيء ينبيء بأنه سيصبح « مؤسس » مثل هذا الشروع ، ولكن ظروف هذا العصر، والسحر الذي أضغاه عليه الشرق ، كانا من العوامل التي مكنتسه من أن يصبسح ما يريد أن يكون •

وقد وضع المهندسان «لينان دى بيلفون » و «موچل » التصميمات النهائية للمشروع ، وفحصته بعد ذلك لجنة دولية من المهندسين ووافقت عليسه . وكان المشروع يقوم على اساس فكرة حفر قناة عرضها ثمانون مترا وعمقها ثمانية امتار وتتكلف ١٦٣ مليون فرنك من الذهب •

ولسكن ديلسبس وجهد أن الارصه المالية التى فى حورة لا تكفى للوفاء بالتزاماته تجاه المشروع لا سيما بعد أن تغل عنه جهاعة سان بسيمون وبعهد الدياد النسكوك حول جهدية المشروع بغاصة فى الخارج ، ولهذا قرر تغفيض نفقت المشروع ، وراى أولا أن المهم هو أن يبدأ العمل لكى يغمد أصوات الشك المرتفعة من كل مكان ، ولكى يعصل على الثقة التى ينشسهها من الدوائر الماليسة استقر رايه على الاكتفاء بأن يكون عرض القناة عند السطح ١٨٥ مترا وعند القاح ٢٢ مترا وهذا هو الحد الادنى الفروري لمرور السفن فى ذلك المهد ، وقهم تقريرا مؤقتا فى هذا الشأن فى صورة مجلد ضخم بالى سعيد باشا فى اليوم الاول من يناير عام ١٨٥٦ ووافق عليه بعد أربعة أيام أى يوم ٥ يتاير ١٨٥٨ مصدقا بذلك على الفرمان الذى اعطاء لديلسبس عام ١٨٥٤ ،

#### معارضة بريطانيا:

واجه ديلسبس فى الفترة الاخيرة عقبات متزايدة تعترض تنفيسد المشروع وتبين له أنها ترجع فى اصلها الى معارضة الديلوماسية الانتجليزية التى اخسلت تقاوم المشروع مقاومة وحشية ولم يستطع ديلسبس أن يفسر هسدا المسوقف ، وداح يتسامل : اليس من مصلحة بريطانيا ان تساهم فى حفر القناة وبهذا تضمن لنفسها جانبا من السيطرة عليها ، أو تضمن على أقل تقدير حيادها ؟

كان ديلسبس في ذلك الوقت أضعف من أن يستطيع الاستفناء بسهولة عن مساعدة دولة لها نفوذها البحرى والاقتصادى العظيم مثل بريطانيا ، ولكنه لم يجد في لندن من يؤيد فكرة حفر القناة ، باستثناء بعض الدوائرالبحرية ـ وئيس كلها ـ مثل شركة الهند القوية ، والاقتصادى البريطاني ديتشارد كويدن .

وفى ذلك الوقت أخل بالمرستون ــ رئيس الوزارة الانجليزية ــ على الرغم من تعاونه مع فرنسا فيحرب جزيرة كريبه ، يبللقصارى جهده لاحباط الشروع . وكان يبنى معارضته على اساس فنى هو آنقناة السويس اذا حفرت ستكون معرضة لان تطمرها الرمال مرة اخرى ، لان مستوى البحرين الاحمر والتوسط متساو ، ولهذا فلن يكون هناك تبار من الماء ينحدر في القناة وهذا يجعلها عرضة للردم .

ولكن بريطانيا لديها وسائل اكثر فاعلية من هذه الحجة ، فقد كان الاسطول البريطاني حيثلد يسيط على البحر التسوسط وعلى البحر الاسود مها يجعلها تفرض نفوذها على سلطان تركيا ، فطلبت منه ان يستخلص وعلا من نائبه والى مصر بالا يصدق على امتياز حفى قناة السويس أو على أى امتياز آخر من غير أن يحصل على موافقة الحكومة التركية أولا ، وهكذا قبل ديلسبس أن يتضمن الامتياز الذي منحمه له سعيمد باشما يوم ه يناير عام ١٨٥٦ شرطا ينص على ضرورة تصديق السلطان على الامتياز ، وبهذه المناورة تحاشت بريطانيا اغضاب فرنسا حليفتها في حرب كريميه ، ولكن الحكومة الانجليزية كانت تعتزم في واقع الأمر الاستفادة من هذا الشرط ،

ومن ناحية اخرى فان الدبلوماسية الاتجليزية لم تهمل استخدام سلاحها المفضل ، وهو التاثير على الاسواق المالية • ان ديلسبس لن يستطيع اذن الحصول على رؤوس الاموال اللازمة لمسروعه ، فالبنسوك لن تفامر باموالها في مثل هـاا المسروع الذي تحيط به الشكوك والذي يقابل في الوقت نفسه بمعارضة شديدة في دوائر لندن المالية • واذا فرض أنها قبلت تزويده بالمال ، فلا شمك أنها ستفرض عليه فوائد عالية تثقال كاهله وتجعال الاستمراد في تنفيذ المشروع متعددا •

#### الالتجاء الى الشعب:

ولما وجد ديلسبس أن الطرق أمامه مغلقة في دوائر المال إلى السلاح النهائي الذي يستطيع ان ينقده ، والذي يستطيع مع ذلك أن يورده موارد الهلاك اذا فشل ، أن وهو الاتجاه مباشرة نحو الرأى العام • فانشَّا عام ١٨٥٦ صحيفة تصدر مرتن في كل شهر اطلق عليها اسم « برزخ السويس ووصل البحرين » وقد لقيت الصحيفة اقبالا كبيرا • والواقع أن الدوائر الاوروبية المالية في ذلك العهد كانت مستعدة لتقبل أي مشروع يعرض عليها بيراءة ، وقد استقبلت بورصة باريس بصفة خاصة الصحيفة استقبالا طبيسا ، وانهالت على ديلسيس رسسائل التشجيع من جميع انحساء اوروبا ، حتى من لئدن نفسها حيث بدأت الهمسات ترتفع معلنة استنكارها لمعارضة الحكومة البريطانية للمشروع ، وتعدد العواقب الوخيمة التي يمكن أن تترتب على هذه العارضة العنيدة ، وتشير على سبيل المثال ال أن تمرد قبائل « سيباى » في الهند يتطلب وجود طريق سريع لارسال الامدادات الى الهند • ولكن العجيب أن هذه الآراء الجديدة التي تفصح عن تأييدها للمشروع زادت الحكومة البريطانية عنادا ، فيدات تهدد سعيد باشها مباشرة ، وذهب القنصل العام البريطاني في القاهرة اليه وأبلغه أن العروض التي لا تقبلها بریطانیا تکون معرضة دائما للانهیسار ، وضرب له مثلا بـ « بای » طرابلس الذي فقد عرشه بسبب وقوفه ضد رغبات بريطانيا ٠ وكان لهذا التهديد أثره في نفس سعيد باشا فبادر الى الابتعاد عن ديلسبس ورفض أن يقابله علنا • واصاب الهزال الوالي السمين سعيد باشا ، ولكنه مع ذلك أسر الي ديلسبس بأنه لن يتخل عنه مهما تكن تهديدات الانجليز بالغة • وابتهجت لندن بنتاثج مناوراتها واعتقلت أن الخطر قد زال ولكنها كانت مخطئة ، وقد ارتكبت في هسذا السبسل غلطتين : الاولى أنها عززت اعتقاد سعيد باشا بان القناة ستكون مفيدة لمصر والا لما قاومت بریطانیا حفرها بهاه الصورة التی تنظوی علی العناد الشدید ، والأخری انها استخدمت سلاح الدولة فی مقاومتها خصمها دیلسبس ــ وهــو مجرد فرد عادی ــ مما دفعه الی آن یحاول استخدام السلاح نفسه فقد أحسن استخدامه كما سنری فیما بعد ،

ونجحت مناورات بريطانيا في القسطنطينية اكثر مما نجحت في القاهرة ، فقد انضم السلطان الى صفها ولم يتقاهر بتاييدها كما فعل سعيد ، وبادر ديلسبس فحلا حلو روبرت ستفنسون الانجليزي الذي بدا عام ١٨٥٥ في انشاء خط سكة حديد القاهرة ـ الاسكندرية بموجب اتفاق عادي مع والى مصر ومن غير تصديق من السلطان ، فانشا هـو ايفسا عام ١٨٥٨ « الشركة العالمية لقناة السويس البحرية » .

#### الاكتتباب:

لقد ساهم سعيد باشا بنصيب في نفقات الابحاث الخاصة بالقياة ، وحصل لهذا الفرض على قروض كثيرة من بنوك باديس ، وساهمت « جمعية الدراسات التمهيدية » التي تضم ديلسبس واصدقاء بنصيب آخر ، ولكن الشيء اللدي كان يبحث عنه ديلسبس هـو رؤوس الأموال التي كان في حاجة ال قلار ضخم منها ، وبا لهذا الفرض الى دوائر البنوك التي طلبت منه فوائد ذات نسبة عالية : خمسة في المائة وأحيانا عشرة في المائة من حساب المـزايا الانخرى التي تعطى عادة للمؤسسين ، واستبلت الحـيرة به ، ثم استقـر زايه على أن يمرف النظر عن الانتجاء الى البنوك ، ووجد أن من الفطنة أن يبحث اشركته عن شخصية كبيرة تكفل لها الحماية السياسية اذا تعرضت لمناورات خصومها ، فاختار حاميا» لها الامير نابليون ، ابن عم الامبراطور نابليون الثالث امبراطور فرنسا ، كما اختار للنصب نائب رئيس الشركة الدوق سيشيـه ابن مارشال الامبراطـورية الدوق البوليدا ،

ثم افتتح في ميدان فاندوم بباديس مكتبا لبيع أسسهم الشركة للجمهود ، واقبل الجمهود على الشراء اقبالا عظيما ، فباع ٢٠/١/١١ سهما اشتراها ٢١٢٣٦ مساهما أي بمعدل عشرة أسسهم لكل شغص ، وقد دفع هـلما النجاح الصحف الانجليزية إلى السخرية والتهكم على أصحاب الحوانيت والخياطين وصانعي الاحلدية الذين دفعا القدودهم إلى « هـلما الملحو مسيو ديلسبس » ، وعقبت صحيفة التابمس على ذلك فقالت أن المساهمين هم جرسونات المقاهي والبقالون وصغار الموظفين الذين خدعتهم صحف بلادهم ، وقالت « أن المسالة كلها لا تعدو أن تكون سرقة علنية راح ضحيتها البسطة ، من الناس الذين تعرضوا للفش والتعليس » ،

وراى ديلسبس ـ لكى يعطى للشركة طابعا «عالميا » ويفل سلاح معارضيه وخصومه ـ ان يخصص كميات معينة من الاسهم للمشترين من مختلف الاسواق المالية في العالم • وكان راس المال • • • مليون فرنك ذهب وعدد الاسسهم • • • كان وقيمة كل سهم • • • في ذلك وقد خصص من هذم الاسهم ١ • • ١٠ الى اكثر من النصف قليلا ـ للمساهمين الفرنسيين و ١ • ١ • ١ • سهما للمساهمين الفرنسيين و ١ • ١ • ١ • سهما للمساهمين الفرنسيين و ١ • ١ • ١ • سهما للمساهمين الفرنسيين و ١ • ١ • ١ • الله في الإمبراطورية العثمانية ( اشترى الخديو الجانب الاكبر منها وهو ١ • ١ • الله • الله • الله • الله والسهم التي خصصت للجمهور في بريطانيا والولايات المتحدة والنمسا وروسيا لها الاسهم التي خصصت للجمهور في بريطانيا والولايات المتحدة والنمسا وروسيا لهذه المندات يعني فشل وعدد • وصدم ديلسبس الماروع واستحالة حفر القناة تعدم توافر المال الملازم الذي تقرر جمعه بناء على تقديرات دقيقة •

وهنا تدخل سعيد باشا مرة اخرى لانقاذ ديلسبس فاشترى الاسهم التى لم يتم بيعها وعندها ٨٥٥٠٦ اسهم ، فاذا أضيفت الى الاسهم التى اشتراها من قبل وعددها ٣٢١٣٦ سهما فان مجموع ما اشتراه يصبح ٢٧٧٦٤٢ سهما قيمة كل منها ٥٠٠ فرنك ، وهذا يعنى ان سعيد باشا ملزم بدفع مبلغ ٨٨ مليونا و ٨٢١ الف فرنك ذهب ٠

#### الوصول الى حل:

ان ما كان يفتقر اليه سعيد باشا لم يكن النية الحسنة ، فقد كانت لديه ، ولكنه المال ، وراى ديلسبس الذى استخدم نفوذه عند سعيد باشا لكى يحمله على شراء الاسهم المتبقية انه ليس من الضرورى أن يدفع الباشا أموالا سائلة ، وانه يمكن أن يوقع بافونات على اخزانة المصرية ، واعرب بنكان من بنوك الاسكندرية عن استعدادهما للقيام بعملية بيعها في اسواق باريس المالية ، ولكن بنوك باريس على شراء هذه الافونات الا بفوائد مرتفعة جدا وصلت الى ١٨ في المائة من قميتها ،

وهكذا توافرت لديلسبس الاموال التي كان في حاجة اليها ، وتم انشساء الشركة ، وحصل على الحماية الامبراطودية، وحينتذ بادد الشراء الادوات والمهمات اللازمة لبدء العمل .

وفى يوم الاثنين ٢٥ ابريل ١٨٥٩ ضرب اول ضربة بالفاس على الساحل قرب بلدة بلوز التى سرعان ما اطلق عليها اسم بور سعيد اعترافا بفضل سعيد باشا ٠

#### الأسطول لانجليزي يتدخل:

كان ديلسبس يتسوهم أنه يستطيع الاستفناء عن تصديق السلطان على الاتفاقية التي عقدها مع سعيد باشا بشأن القناة ، ولكن لندن بادرت الى العمل لازالة هذا الوهم • واسرع اسطول انجليزى الى الاسكندرية حيث القي مراسيه أمامها ، في حين أخذ المثلون الدبلوماسيون الانجليز في مصر يشددون ضغطهم على سعيد باشا الذي استبد به الخوف والفزع ، وأمر يوم ٩ يونية ١٨٥٩ بوقف العمل في القناة • ولكن ديلسبس رفض هذا الامر ، واحتج بائه يلقي مصاملة

تغتلف عن العاملة التي يتمتع بها دجال الاعمال الانجليز الذين يقومون بانشاء خط السكة الحديد بين القاهرة والاسكندرية • واذعن سعيد باشا ، ولكن بعد مفى ثلاثة شهور تدخل سلطان تركيا بنفسه بتعريض من الانجليز وأمر بوقف العمل في قناة السويس على الفود • والعجيب أن القنصل العام لفرنسا في الاسكندرية نصح سعيد باشا بان يعترم أمر السلطان وأن يوقف العمل في الفاة •

وادرك ديلسبس اللى كان في باديس حينتذ انه سيتعرض لكادثة اذا استمر يكافح وحده وبصفته الشخصية المؤامرات التي تقوم بها عصبة من الدول، وراى أن الوقت قد حان لكى يختبر «الحماية» الامبراطورية التي وعده بها نابليون الثالث، فاذا لم يتدخل الامبراطور فان هذا يعنى ضياع القناة وضياعه هو نفسه أما اذا تدخل الامبراطور فان الامور يمكن أن تدخل مرحلة جديدة وتصبح مسالة حفر القناة مسالة وطنية فرنسية ترتبط بها فرنسا ويمكن أيضا أن تقودها الله الحرب ضد بريطانيا ه

وفى يوم ٣٣ اكتـوبر ١٨٥٩ استقبل نابليون الثالث ديلسبس وقال له بطريقة يفهم منها انه يعنى ما يقول : « كن مطمئنا ٥٠ وتستطيع ان تعتمد على تاييدى وحمايتى » ٠

في هذا اليوم جنت الحكومة الانجليزية ثمرات طبشها ونزقها واخطائها التى دفعتها الى تاليب الدول ضد فرد واحد، ثم ساقتها اخيرا الى اثارة دولة كبرى مثل فرنسا لها مركزها الدولى البارز وماضيها المسكرى الحافل، وان الانتصارات التى حققتها في معادك مارنجو وسولفريتو على يد الامبراطود نابليون الاول خير شاهد على ذلك ، وحينتُذ خففت الحكومة الانجليزية من حدة عدائها ، وان كانت لم تقلل من سوء نيتها ، وفضلت \_ والحقد ياكل صدرها \_ ان تترك ديلسبس بفعل ما يشعل ما يشعل ما يشعل ما يشعل ما يشعا، ،

وتقدمت عمليات الخبر بغطى حثيثة ، وقد بدى، يعفر قناة ضيقة تمهيدية تمتد من البحر حتى مشادف بحرة التمساح ، كما بدى، في الوقت نفسه يحفر قناة للمياه العدية تمتد من النيل الى المكان الذى اطلق عليه فيما بعد اسم مدينة الاسماعيلية ، وانشئت أرصفة بحرية في بلدة بيلوز كما أقيمت منازة لارشاد السفن ، وفي شسهر نوفمبر ١٨٦٧ وصلت مياه البحر المتوسط الى بحدية التمساح ،

#### مناورة لتأخير العمل:

ولم تمض بضمة شهور حتى توق سعيد وخلفه في الحكم اسماعيل الذي ، اعلن ترحيبه بالمضى في حفر القناة ، ولكنيه كان محاطا بحاشية متاثرة بوجهات النقل الإنجليزية ، وتعارض الإستوراد في هذا العمل • وقامت لندن بضغط جديد على السلطان الذي طلب تمسديل الاتفاقيسة المقودة عام ١٨٥٦ بين ديلسبس وبين سعيد باشا بحيث ترد شركة القناة الارض التي تبلغ مساحتها ستين الف مكتار والتي كان سعيد قد تنازل لها عنها وشرعت الشركة في تزويدها بالمياه ، كما طالب بان تكف الشركة عن استخدام العمال المصريين • ولم تخف المسحف البريطانية الفرض من مطالب السلطان ، وهبو اثقال كاهل الشركة بالنفقات الباهظة حتى يؤدى ذلك ال افلاسها وتوقفها عن العمل • والواقع أن وقف استخدام العمال المصريين يغالف نص اتفاق عام ١٨٥٦ على أنه من حق شركة القنساة أن تستخدم اربعة أخماس عمالها من المعريين ، وتعديل هبذا النص يعني ارغام ديليسبس على أن يستقدم من اوروبا عمالا أجورهم مرتفعة • وحتى هؤلاء العمال يمكن تثبيط همتهم ومنعهم من السفر عن طريق الحمالات المسحفية المغرضة التي يصور لهم العمل في مصر بأنه مقامرة غير مامونة العواقب •

#### الفرع والأصل:

ولكن هذه المناورة تمخضت عن نتائج طيبة بالنسبة الى ديلسبس ، ذلك ان مطالب السلطان قد انصبت على الفرع – وهو تعديل اتفاقية عام ١٨٥٦ – وليس على الاصل الذى هو الاتفاقية ذاتها ، وهدا يعنى انه اعترف بها اعترافا ضمنيا ، وعلى هذا فانه لن يستطيع أن يرفض التصديق على الامتياز اذا أجيبت مطالبه المتعلقة بنقاط فرعية ، ثم أن المطالبة بالكف عن استخدام العمال المصرين ادى في النهاية إلى استخدام الآلات الحديثة في عمليات الحفر ، وتفادى سوء استفلال العمال وهو أمر كان من المتعلد تحقيقه في الفروف التي كانت سائدة في ذلك العهد ،

وجدير بالذكر أن الوطنين المصرين كانوا قد اتهموا ديلسبس بأنه تسبب في موت ١٩٥٠ الف عامل في خلال ادبعة عشر عاما • ومهما يكن من سوء أحوال العمل \_ وبخاصة في البداية \_ فان هذا الرقم يبدو مبالفا فيه • وفي خلال الشهور الاولى من العمل في حفر القناة كانت الاحوال سيئة جدا ، فالهمات والادوات كانت قليلة ، ومعظم الإعمال كانت تؤدى بوساطة الفاس والجادوف والمقطف • وقد مات من العمال كثيرون بسبب الحمى وضربة الشمس والعطش ، وهما يذكر في هــذا الصدد أن ماء الشرب كان يوزع عليهم على أساس ثلاث جرعات في اليوم ؛

ويبدو أن العمال المصرين الذين كان سعيد باشا يقدمهم الى ديلسبس من عمسال السبخرة ، وهدا الامر ما كان ليشير دهشسة أحسد فى الشرق الاوسط حيث كان الرق حتى ذلك الوقت سائدا فيه ، ولا حتى فى غرب أوروبا حيث كانت مصانع النسيج ـ ولا سيما فى مدينة لانكستر الانجليزية \_ تستخدم أطفالا لا يتجاوز اعمارهم ثمانى سنوات أربع عشرة ساعة فى اليوم \* وكان من أول الانتصارات الاجتماعية فى ذلك المهد تحديد ساعات العمل بعشر ساعات فى المصانع التى يعمل فيها اطفال يقل عمرهم عن ١٤ سنة \*

وعلى اى حال فان الاحتجاجات التى نشرت فى الصحف الأوروبية ضد الورال العمل فى قناة السويس كان لها نتائج طبية ، فقد بدا العمال يلقون معاملة حسنة ، وآخلت الشركة تدفع لهم اجورا تصل الى ثلاثة قروش فى اليوم ( وهذا الاجر يعتبر مرتفعا فى مصر فى ذلك العهد ) ، فضلا عن وجبة الطعام ومصاديف العلاج من المرض ، والمسكن • وأدى وصول المهمات والآلات الحديثة التى تعاقدت الشركة عليها الى التعجيل فى عمليات الحفر • ومن ثم انتهت الحملة الكيدية التى وجهت ضد الشركة ، وانتهى معها أيضا الشروع الذى نفذ برغم انف المعارضين الدين توهموا أنه يمكن سحب الامتياز من شركة ديلسبس ومنحه لشركة أخرى يسيطر عليها الانجليز •

وفيما يتعلق « باخلاف » القائم بين ديلسبس وبين السلطان طلب هدا تعكيم الامبراطور نابليون الثالث فيه ، وقد حكم نابليون بأن يرد ديلسبس الارض التى وضع يده عليها وتبلغ مساحتها ستين الف هكتار ، وأن يتغلى عن استخدام السخرة فيما يتعلق بالعمال المصريين ، وأن يقنع بعق الانتفاع بقناة المياه المدنة التى حفرتها الشركة ، وأن تقلل ملكيتها لمصر • وفي مقابل هدا تدفع الحكومة المصرية للشركة تعويضا يبلغ ١٤ مليون فرنك ذهب قيمة النفقات التى تكبدتها الشركة في حفر قناة المياه المدنة ( ومن الواضح أن هذا التقرير يبدو اكبر مها تستحقه الشركة فعلا ) ولم يلبث السلطان أن صدق على الامتياز الذي البرم عام ١٨٥٠ •

 وفى يوم ١٤ مارس ١٨٦٩ وصلت مياه البحر المتوسط الى البحرات المرة • وفى ١٥ أغسطس ١٨٦٩ اتصلت مياه البحر المتوسسط بمياه البحر ١

وأخيرا جات الى مصر الامبراطورة اوجينى ، زوجة الامبراطور نابليون الثالث لكى تتوج انتصار ديلسبس ، وتفتتح يوم ١٧ من نوفمبر ١٨٦٩ ــ ومعها عدد كبير من ملوك وامراء أوروبا ــ أجمل حفرة فى العالم .

# أجمل حفرة في العالم:

كانت الامبراطورة أوجينى تضع ثياب الصيف على الرغم من أنها جات الى مصر في فصل الخريف ، فقد كانت ترتدى فستانا من الحرير الرمادى الفاتح الموج بلون الورد ، والمطرز بالدانتللا البيضاء • ولم تكن تتحلى بمجوهرات ولا بادوات زيئة ، وانما اكتفت بالتزين بريشتى نعام جميلتين سوداوين • والواقع أن الجو في مصر كان رائعا في ذلك الفصل من السئة • ولما وصلت السفينة «النسر» التي تقلها ألى شاطى و بود سعيد في الساعة السادسة صباحا كان ظلام الليل لم ينقشع بعد • وكان ديلسبس. في انتظاد الامبراطورة في ذورق قرب الشاطى و مصعد اللي السفينة ، وقد بزغ ضوء النهاد • وأطلقت السفن الراسية على مقربة من الساحل مدافعها تحية للامبراطورة 0 • اليغت المحروسة وهو من سفن الخديو ، وفرقاطة المبراطور النمسيا ، وفرقاطة أمير بروسييا ، والفرقاطة الروسيية ، والفرقاطة الانجليزية • واستمعت الامبراطورة أوجيتي الى طلقات المدافع وهي في والفرقاطة الانجليزية ، واستمعت الامبراطورة أوجيتي الى طلقات المدافع وهي في الفرقاطة الانجليزية ، واستمعت الامبراطورة أوجيتي الى طلقات المدافع وهي في الفرقاطة الانجليزية ، واستمعت الامبراطورة أوجيتي الى طلقات المدافع وهي في الفرقاطة الانجليزية ، واستمعت الامبراطورة أوجيتي الى طلقات المدافع وهي في المدينة مههورة مدهوشة ، وكان بجانبها ديلسبس يتلوق طعم انتصاره ،

ثم بدأت الامبراطورة تستقبل كباد ذوادها : الخديو اسماعيل ، وامبراطور النمسا ، وولى عهد بروسيا والامير هنرى الهولندي ومعه الاميرة قرينته ، وكل من سفير بريطانيا وروسيا لدى سلطان تركيا ، ثم اميرالات السفن الحربية ، وفي هذا الصباح أخذ الملوك والامراء يتبادلون الزيادات على السفن ، وفي كل زيارة تطلق السفن المدافع تكريما للضيف الكبير ، وقد مال أحد أفراد حاشية الامبراطورة القربين وهمس لها قائلا : لقد أطلق اليوم من القنابل اكثر مما أطلق في أية ممركة بحرية حدثت من قبل ! فردت عليسه الامبراطورة التي كانت ذكية القلب محبة للدعاية : ومع ذلك فلم يقتل احد !

## حفل تدشين القناة:

في السباعة الثالثة بعد الظهر بدأ حفل تدشين القناة ، وقد أقيم لهذا الغرض على السباعة الثالثة بمرادقات فغمة خصص السرادق الرئيسي المواجه للبحر للملوك والامراء وكباد الدول ، أما السرادقان الآخران فكانا متواضعين ، وخصصا لرجال الدين الذين وجهت اليهم الدعوة لحضور الحفل ، وقد وضع فوق احداهما الهلال ، وقو الآخر الصليب ،

وكان السرادق الرئيسي يزينه تاج كبير يعلو ( هلبين ) متقاطعين كرمز لوحدة الاساطيل البحرية ·

واخل المتعوون يصاون تباعا ، فوصل آولا الرسميون وممثلو الدول ، ثم جاء مطران الاسكندرية المؤسنيور شيوكسا ، والاب باور راعى كنيسة مادلين بباديس ، ورجال الدين السيحين واليهود والسلمون ، ثم وصل الامراء وتبعهم الملوك وفي مقدمتهم الحديو اسماعيل يسبقه ثلاثون من حملة الاعلام ، وكان يرافق الامبراطورة أوجينى التى أعظت ذراعها لامبراطور النهسا ، وكان معهم الامي عبد القدد الجزائرى الملنى كان يرتدى « البرنس » الابيض المزين بالاوسسمة ، وساد فى آخر الموكب بطل السياعة ، فردينان ديلسبس مع ثميله المهشدس والى ،

وجلس الملوك في السرادق الكبير يعف بهم الامراء • وجلس الامير عبد القادر الجُرَّائري خلف الامبراطورة مباشرة بين الوصيفات وبين نجل اتحديو ، واخلا علماء الدين السلمون يرتلون آيات من القرآن ، ثم القى الاب باور كلمة مناسبة للمقام، وكانت السفن تطلق في خلال ذلك منافعها • وانتهى الحفل في الساعة الرابعة والنصف ، فانصرف المستعوون الى سفنهم استعدادا لسهرة المساء حيث أقامت الامبراطورة أوجيني حفل عشاء كبير على السفينة أيجل ( النسر ) •

#### الرحلة:

وفي اليوم التسائل ـ وكان يوافق الاربعاء ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ ـ استيقظت مدينة بور سعيد التي كانت حتى ذلك الوقت بلدة صغيرة يسكنها نحو عشرة آلاف نسمة ، على أصوات مدافع السيفن التي بدأت ترفع مراسيها استعدادا لعبور قناة السويس • وكانت اولى السفن التي شقت مياه القناة هي السفيئة « النسر » التي تقل الامبراطورة أوجيني ، واعقبها اليخت الحروسة الذي يقل الخديو ، ثم سفن الملوك والامراء ، وأخيا السفن التي تحمل السفراء وممثلي الدول • اما بقية ضيوف الخديو فقد استقلوا الباخرة « بلوز » وكانت أكبر سفينة تعبر القناة ضيوف الخديو فقد صادفت صعابا في عبورها •

وتقدم موكب السفن في هيبة وجلال نعو القنطرة، يعرسه على كلا الشاطئين البدو الذين امتطوا ظهور الجمال وهم يرتدون ثيابهم البراقة اللامعة ، وكلما وصل موكب السفن الى مركز منمراكز تجمعات الممال عنف عؤلاء هنافات مدوية تشبق عنان السماء .

وكان من القرر أن يصل الموكب في الساء الى مدينة الاسماعيلية ، التي أطلق عليها هذا الاسم تكريما للخديو اسماعيل ، وكان الفييوف يستعدون لحفسور مهرجانات أخرى فيها ،

ولكن الرحلة لا يمكن أن تتم من غير حدوث بعض المضايقات • فعند بلدة الجسر اصطلمت السفينة « النسر » بباخرة صغيرة من بواخر شركة قناة السويس وحطمت « دفاص » الباخرة • ولم تصب سفينة الإمبراطورة بخسائر تذكر ولكنها

توقفت عن اخركة ، فما كان من الخديو .. الذي كان يبدى اهتماما بالفا بضيوفه ..
الا أن اخذ يسحب حبال السفينة كانه مجرد ملاح بسيط ، فبرهن بذلك على انه
من طراز مواطنيه الذين يعبون اداء الاعمال اليلوية ، ثم لم تلبث السفيئة «بلوز»
حتى جنعت عند مدخل بعيرة التمساحق الوقت الذي كانت فيه مدينة الاسماعيلية
تبدو في الافق وقد غمرتها أضواء الزينات ،

## مهرجان في الصحراء:

مدينة الاسماعيلية اصبحت عاصمة قناة السويس ومقر الشركة، وقاانشئت في منتصف السافة بين البحرين الاحمر والمتوسط كانما قصد بذلك انها لا تلقمل واحدا منهما على الآخر وان هدفها الوحيد هو الجمع بينهما و وقد خرجت هده المدينة الى حيز الوجود في فترة قصيرة من الزمن ، مثلها في ذلك مثل بور سعيد والقنطرة والفردان والجسر ، واصبحت مدينة عصرية لها طابع أوروبي ، وقد أنفق الحديو من أجلها أموالا طائلة لكى يستقبل فيها ضيوفه ، وأقام في ضواحيها مدينة كاملة من الخيام تضم الف خبمة فخمة فيها جميع وسائل الراحة المصرية وأقيمت في وسطها قاعة كبية تعوى ثلاث موائد كبيرة تسع الف مدعو ، وكانت نفقات الفيونين من الفرنكات اللحبية ـ وليس على حساب المدينة التي كانت قد السبيل مليونين من الفرنكات اللحبية ـ وليس على حساب الشركة التي كانت قد اصبحت صفر المدين بعد الاموال الطائلة التي انفقتها في حفر القناة ، ولم تحصل من ورائها فرنكا واحدا بعد ، وقد اعترق الجميع بأن الخديو أحسن استقبال ضيوفه وغمرهم بكرمه ،

وفى يوم الخميس ١٨ نوفمبر ١٨٦٩ استراح ضيوف الخديو ، وزاروا قصره، وقاموا بنزهة على ظهور الجمال ، وفى السناء رقصوا ، كما فعلوا بالامس ، على نفهات موسيقى أوفنباخ التي كانت مودة العصر ، وأخلت أرشق سيدات أوروبا واكثرهن أثاقة يهززن خصورهن في الصحراء ،

وفى مساء يوم الجمعة رست السفن جنوبى شسواطىء البحيرات الرة حيث قابلت اول قافلة قادمة من السويس • وقى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم السبت وصـل موكب السفن الى البحر الاحمر والقى مراسيه المام السويس ، وانهمكت مكاتب التلفراف فى اذاعة هــلا النبأ المعشى على العـالم كله : لقــد عبر أسسطول بحرى برذخ السويس !

#### الانتصار:

انهالت التهانى على فردينان ديلسبس من جميع انتحاء الدنيا ، وبعث اليه جميع اللوك بالأوسمة والنياشين و ولكن لم تمس شغاف قلبه تهنئة مثل تلك التى تلقاها من الملكة فيكتوريا ومن جلادستون دئيس وذراء بريطانيا في برقية بمث بها اليه اللورد كلارندون وزير خارجية بريطانيا و فهو لم يلس بعد كيف حاولت بريطانيا بمناد احباط مشروعه ووضع العراقيل امامه لمنعه من المفى في عاصمة بريطانيا استقبلته الملكة ، والامير الذي اصبح فيمسا بعد الملك ادوارد السابع ، والوذراء وراس جلادستون حفلة اقيمت تكريما للرجل الفرنسي الذي اصبح اشهر شخصية في تلك الأيام و واطلقت الصواريخ في سماء لندن راسمة امبح السويس كما رسمت بحروف حمراء ضخمة اسم ديلسبس و

ولكن كل هذا التكريم لم يجعل ديلسبس يتصور أن لندن متحمسة حقا ، فهو لم بلق منها من قبل غير العداء السافر واقصومة العنيدة واقديعة المرة والغدر السياسى • ان انشاء فنساة السويس يعتبر بالنسبة له قصة كفاح طويل ضبط طروف كثيرة قاسية، كان عداء بريطانيا احدها • واذا كان قد حقق اليوم انتصاده فان هذا لا يعنى نهاية الكفاح ، فقد كانت امامه معارك كبيرة اخرى عليسه ان بخوضها •

# الفضل الثاني معادك أخرى من أجل القناة

تم حفر قناة السويس وافتتحت ، واصبحت صافحة للملاحة ، وبدا صادت حقيقة واقعة ، لقد تعقفت الأمنيسة المزيزة وتم شق برذخ السويس ، وهكذا « تزاوج » الشرق والغرب ، وظن ديلسبس انه يستطيع أن يوجه جهوده لل مشروعات آخرى كانت غلا رأسه من بينها انشساء سكة حديد بين موسكو وبكين ، وحفر نهر داخل في الصحراء الكبرى ينشر فيها الخصب والنماء ، ومن يعدى أية مشروعات آخرى كان من المكن أن يقدم عليها ، فالنجاح يولد النجاح ، اله يفكر أيضا في حفر قناة بناها !

ولكن اتمام انشاء قناة السويس لم يكن يعنى كما قلنا التهاء كفاحه من اجلها ، فقد كان ينبغى عليه ان يدافع عنها ، لأن هؤلاء الذين حاولوا احباط هذا المشروع عادوا من جديد يحاولون انتزاع ملكيتها والاستيلاء عليها ،

نعم ، لقد اصبحت قناة السويس حقيقة واقعة ، واصبحت طريقا مائيا يبلغ طوله ١٦٤ كيلو مترا ويسع اضخم السفن في ذلك العصر وكان عرضها عشرين مترا وعمقها ثمانية امتار و ولكنها كانت تعانى متاعب جمة من الوجهة المائية - فقد تطلب حفرها رفع ٧٤ مليون متر مكعب من الرمال ، وبلغت جملة النفقات ٤٣٧ مليون فرنك ذهب اى مثل التقدير المبدئى ــ وهو ١٦٠ مليون فرنك ذهب اى مثل التقدير المبدئى ــ وهو ١٦٠ مليون فرنك دهب اى مثل التقدير المبدئى ــ وهو ١٦٠ مليون فرنك حاصة فرنك الموائد المرور لم تحقق لها بعد ارباحا

تذكر ، لأن السفن لم تكن قد تعودت بعد على هسذا الطريق الجسديد الذي كان الكثيرون يعتقدون أنه خطر تجنح فيه السفن كثيرا • وكان مقدرا أن تمر في القناة عام ١٨٧٠ سفن تبلغ حمولتها ستة ملايين طن ، ولكن نشوب الحرب الفرنسسية الألانية ادى ال تقليل الرود فيها فلم يعبرها في ذلك العام غير سفن بلغت جمولتها المحدد ١٩٧٤ اطنان فقط •

## على حافة الإفلاس:

في عام ۱۸۷۲ لم يكن المساهمون قد تسلموا بعد اية حصة في الأدباح التى استحقت الدفع ثلاث مرات من غير أن تفعل الشركة شيئا للوفاء بالتزاماتها نحو المساهمين ، مما جعل مركزها يتحرج واصبحت على حافة الافلاس • وبلغ الأمر حدا دفع بعض مديريها انفسهم — الذين افزعهم تطور الموقف — الى المطالبة بتصفية الشركة • ومما زاد الطين بلة أن المضاربات ادت الى خفشى قيمة الاسهم ، حتى لم يعد السهم الذي تبلغ قيمته الاسمية • • • فرنك يساوى ثلث هذه القيمة واخذ ديلسبس يبدل اقصى ما يستطيع من جهد لعلاج هذا الحال وتهدئة ثائرة المتلمرين حتى أمكنه في النهاية أن ينقد الموقف في آخر خفقة • ولكنه لم يسكد يخرج من هذه الأزمة حتى صادفته ازمة آخرى، فقد أعلن اصحاب السفن تلمرهم من القرار الذي اتخذته الشركة بزيادة الرسوم على السفن التي تعبر القشاة ، ومن تحصيل هذه الرسوم على المعوقة القائمة للسفن وليس على الحمولة العمافية . وعرضت الشركة — وقد ادادت أن تبدو كانها شركة مصرية — هذا النزاع على سلطان تركيا بوصفه الرئيس الأعلى خديو مصر ، فادانها وحكم لصالح خصومها ، ولم رفضت الأدغان خكمه ، ارسل الى السويس اسطولا قوامه عشرة آلاف رجل ، فاضطر ديلسبسي عام ٤٧٨٤ الى التسليم بوجهة نظر السلطان •

وموجز القول أن الشركة العالمية لقناة السويس البحرية ظلت خمس سنوات تعانى العسر والضيق ، وتواجه عجزا في ايراداتها وتحتال على الظروف لكي تميش ولم يعد أحد أذ ذاك يعتقد أن أسهمها شيء مضمون • واذا كانت اسسمار هسده الأسهم قد بدأت بعد ذلك تتحسن حتى أصبحت تصادل قيمتها الاسمية عام ١٨٧٥ ، فإن الأمل في تحصيل آية أرباح من هذه القيمة لم يكن له وجود على الاطلاق في ذلك الوقت ،

#### متاعب الخديو:

لم يكن اقتتاح قناة السويس يعنى انتهاء تضحيات الخديو المالية ، بل ان الأمر كان على العكس ، فقد بدا منذ ذلك العهد يبدل تضحيات جديدة بسببها ، وكان ديلسبس قد رأى قبل الانتهاء من حفر القناة انه من الفرودي مطالبة الحديو بتعديل الاتفاق المبدئي للامتياز ، وكانت الشركة قد تخلت لمصر يوم ٣٣ من ابريل سنة ١٩٦٩ عن المنشئات التي انشاتها للعمال في منطقة القناة وعن بعض المستودعات والمخازن ، كما تنازلت عن الحق الذي منح لها لاستغلال كاجر المكومة ، ووافقت على اتدفع للخزانة العامة نصف ثمن ١٩٣٤ عكتارا من الاراضي كان قد سبق لها شراؤها ولم تدفع ثمنها بعد ، واخيرا تنازلت عن الامتيازات المالية التي منحت لها في اتفاقية عام ١٩٥٦ ، الا أن كل هذه التنازلات لم تكن بلا مقابل ، فقد تعهد الحديو اذاء ذلك بان يدفع للشركة مبلغ ٣٠ مليون فرنك ذهب ،

وبالطبع ثم يكن لدى الخديو الذى كان يعيش على القروض فرنك واحد يدفعه للشركة . ولكن ماذا يهم ؟ فان الشركة أبدت استعدادها لتقديم التسهيلات اللاؤمة التي تتبيح له الوفاء بالتزاماته • فليس على الخديو الا أن يقدم للشركة كوبونات الأسهم التي يملكها والمستحقة الدفع كل ثلاثة شهور ، لدفع مبلغ الثلاثين مليون فرنك ذهب الذي تعهد به وكذلك دفع فوائده بواقع ١٠ في المائة في السنة ـ مع العلم بأن الأسهم لم تكن قد حققت حتى ذلك الوقت أى ربع على الاطلاق ـ وكان هذا الاتفاق يعنى أن يتنازل الخديو للشركة عن نصيبه في حصص الأرباح مدة ٢٥ عاما ، من أول يناير سنة ١٨٥٠ حتى أول يوليه سنة ١٨٩٤ .

وليس هذا فحسب ، فبعد مفى عامين قررت الجمعية العامة للمساهمين أنه لا يعق للحائزين على أسهم ليس لها كوبونات الاشتراك في اجتماعات الجمعية العامة - وهكذا فان خديو مصر - الذي يملك نحو نصف راس مال الشركة التي تدين له بغضل وجودها ذاته ، والتي دفع لها بموجب اعذار وحجج مختلفة مبلغ المدين فرنك ذهب لكى يستعيد شراء حقوق سبق له أن منحها لها لله يحرم فقط من حق الحصول على نصيبه في أدباح اسهمه لمدة ٢٥ عاما ، وانها لم يعد له أيضا حق الاشتراك في ادارة الشركة ، ولما احتج الخديو على ذلك وافقت الشركة ، تحاشيا للنزاع ، على أن تعطيه حق تصدويت نظرى ، وقد وكل الى درسيس ممارسة هذا الحق ،

#### خلب القط:

ان الأموال التى دفعها الخديو اسماعيل لشركة قناة السويس لم تكن أموال المواله ، وكان ديلسبس يستطيع أن ينبهه الى هذه الحقيقة ، فقد كانت أموال صفاد الساهمين من الرجال البسطاء في باريس ، حصل عليها الخديو على هيئة قروض ، وكان كل عمله أنه ادى دور القمامن لهذه القروض التى كانت بنوك باريس تخصم منها لحسابها « عمولة » تتراوح قيمتها بين ١٥ و ١٨ في المائة ، أما باقى المبلغ فكان الخديو يسدد به التزاماته في مشروع قناة السويس وغيرها من المشروعات « المدهشة » التى كان يقوم بها ، ومعنى هذا أنه لا الخديو ، ولا مصر قد قبضا هذه الأموال أو رأيا حتى « لونها » ، وأنما خرجت من جيوب عدد كبير من صفاد المساهمين في باديس لتدخل جيوب عدد قليل من كبار دجسال الأعمال والبنوك في باديس أيضا ،

ولم تستفد باريس وحدها من هذه الوسيلة « الفنية » في الاثراء السريع وانما شاركتها في ذلك أيضا لندن وغيرها من العواصم الأوروبيسة • وقد كان اسماعيل مثل سعيد ، ضحية لا حابيل بعض رجال المال ذوى الوسائل الملتوية المنطوية على الغش والحداع ، وقد قال آحد الكتاب فيما بعد في هذا الصدد انه : « كثيرا ما حدث أن بعض الدول الأوروبية التى كان يمثلها أشخاص متا مرون ابدت تساهلا غريبا فى نهب خزانة دولة الرجل الذى فتح بلاده على مصراعيها المشروعاتها ، وتسليمها للافاقين المفامرين ذوى المكر والخداع ورجال البنوك الجشعين ، واستخدمت معه القش المفلف فى اقنعة من الاتفاقات القانونية ٠٠ »

أما فيما يتعلق بجشم البنوك فالواقع أن هذا الاتهام مبالغ فيه • أنه لا ينبغى اظهار « الخديو اسماعيل للسكن » بعظهر الشحية لها ، فقد كان - مثل سميد باشا - شريكا في مؤمراتها • ومن أمثلة ذلك أن اسماعيل وافق بتحريض بعض المحيطين به على أن يشترى من السلطان - بثمن غال جدا - لقب «أقديو» الكدى يعطيه الحق في عقد القروض بعرية من غير الرجوع الى الباب العالى • ومنذ ذلك الوقت بدا سسيل القروض لا ينقطم ، واخذ الخديو يقترض من كل مكان يستطيع أن يجد فيه لمال في أوروبا • وكان يعتقد أنه يضبعك على الأوروبيين ويقرر بهم باخذ أموالهم ، ولم يدرك أنه لم يكن يتسم ببراعة رجل الدولة أو بعد نظره ، أن مثل هذا التصرف يمكن أن يؤدى الى ضباعه والى القاء بلاده في هاو المهودية !

وفى عام ١٨٧٥ بلغت قيمة السندات المصرية الطروحة في اسواق باديس المالية نصف ملياد فرنك ذهب و ولا وقع اسماعيل في هاوية الافلاس كان مجموع الاموال التي « اقترضها » من اوروبا والتي لم يصل منها الى مصر غير اليسسيريد على ملياد ونصف ملياد فرنك ذهب و وكان اكثر ما ضايقه وهو في ذروة خرابه وافلاسه ليس ضياع هذه الاموال كلها .. اذ أنها على اى حال ليستأمواله .. وانما عجزه عن الاستمراد في الاقتراض ، بانتهاء اوهامه التي كانت تصود له انه رجل « إعمال » •

## فكرة اعادة شراء أسهم الخديو:

ولدت هذه الفكرة في راس رجل يعيش في باريس اسمه « ادوارد درفيو » وقد امضي من قبل فترة طويلة من الزمن في القاهرة حيث كان يعمل في البنوك ،

وكان يعرف جيدا الحالة السيئة التي آل اليها موقف الحديو المالي ، لأنه كان هو نفسه احد افراد الخاشية التي أحاطت باسماعيل باشا ، وأحد الذين كأنوا يعملون لحسابه في الشركات ودوائر الأعمال ، واستطاع في النهاية أن ينشىء بنكا في الاسكندرية مع اخبه اندريه الذي ظل مقيما في مصر • وكان ادوار درفيو يعرف أيضًا أنه في نهاية شهر ديسمبر سنة ١٨٧٥ سيحل موعد سداد فوائد الديون التي اقترضها الخديو ، وقيمة علم الفوائد وحدها تتراوح بن ٨٠ مليون و ١٠٠ مليون فرنك ذهب ، وكان يعلم أن الخديو لن يستطيع أن يدفع شيئًا من فوائد هذه الديون حينما يحل موعد السداد • وقد ابلغ درفيو من باريس أخاه الذي يقيم في مصر أن هذا المبلغ يمكن أيجاده اذا وأفق أخديو على رهن أسهمه أخاصة بشركة قناة السويس ، وأن يدفع فوائد عن رأس المال الذي تمثله هذه الأسهم في خلال التسمع عشرة سنة التي ستؤول فيها ارباح كويونات هذه الأسهم اليّ الشركة • وهكذا فان الأمر لن يقتصر على أن الخديو لا يقبض حصته من الأرباح المحتملة للأسهم التي يمتلكها ، ولكن ينبغي عليه ايضا ان يدفع فوائد عنها • وطلب درفيو أنْ تكونْ نسبة الفوائد ١٢ في المائة في السنة ، وأن تضمنها إيرادات جرك بور سعيد ، أو تضمنها حصة الخديو في أرباح شركة قناة السويس بصفته احد مؤسسيها وتبلغ ١٥ في المائة من جملة الأرباح • واعرب الحديو عن استعداده لدفع ٨ في المائة بدلا من ١٢ في المائة التي طالب بها درفيو ، وهذه الثمانية في المائة تدفع فوائد لمبلغ ٩٢ مليون فرنك فيخلال ١٩ عاما ، وان يكون ضمان الدفع ايرادات جمرك بور سعيد ٠ وفي ١٧ نوفمبر سنة ١٨٧٥ توصل الطرفان ال حل وسط ، فقد وافق الخديو على أن يدفع الفوائد بنسبة ١١ في المائة ، واعطى درفيو مهلة حتى يوم ١٦ نوفمبر ليعلن موافقته النهائية على هذا الحل ، واصبح لزاماً على درفيو أن يبحث عن مبلغ ال ٩٢ مليون فرنك الذي سيستخدم في دفع فوائد ديون الخديو ، والذي لم يكن معه منه شيء بالطبع .

وانتشرت الشائعات عن هذه الصفقة ، وتسربت انباؤها عن طريق حاشية الخديو الى البنك الانجليزي المصرى في القاهرة ، فاخطر اصدقاءه في باريس وهم

مديرو بنك الانتمان المقادى الفرنسى الذى كان يعتبر قلعة العمليات المالية الفرنسية الانجليزية ، وكان خاضعا لنفوذ أسرة روتشيلد الغنية وصاحبة المصالح الكبير في دوائر المال والأعمال • وعن هذه الطريق علمت لندن بنبا تلك الصفقة •

واتصل درفيو من جانبه ايضا ببنك الائتمان العقارى في باريس . واهتمت جميع البنوك الكبرى في العاصمة الفرنسية بنبا الصفقة المصرية ، واعربت عن استعدادها لقبول عملية رهن أسهم الخديو على أساس ٥٠ في المائة من قيمتها ، ولكنها كانت متحفظة في الوقت نفسه بسبب الظروف الدقيقة التي تحيط بالعملية وارادت الا تعمل الا متضامنة ٠ وكان لبنك الانتمان العقارى الفرنسي كلمة مسموعة وراى نافذ في كل ما يتعلق بشئون مصر المائية لأنه يمثل في باريس مصالح البنك الإنجليزى المصرى في القاهرة ، وهذا كان يملك من النفوذ والقوة ما يملكه المبعوثون شبه الرسمين خكومة صاحب الجلالة المريطانية ٠

ولكن بنك الانتمان المعقدى الفرنسى رفض مع ذلك الدخول في هذه العملية لأنه كان يرى ان الخزانة المصرية لن تتخلص من العسر المالي الذي تعانيه الا اذا عوجّت من داء القروض المستمرة التي يمارسها الحديو ، وهذا يقتفي قبل كل شيء حرمان الحديو المفامر من الحق في الافتراض ، وثانيا توحيد الديون وضمائها بالأسهم التي لا تزال متبقية لديه ، ومن وجهة النظر المصرفية الخالصة يعتبر هذا الحل صحيحا ، وقد فرض بعدافره تقريبا على الحديو بعد سنوات قليلة ،

ولم يتضايق ددفيو من موقف بنك الائتمان العقارى الفرنسي ، فهو يعرف أن الخديو لن يوافق مطلقا على حرمانه من حق اقتراض المال ما دامت هناك بارقة امل في ذلك ، لأن الاقتراض هو خطيئته للحببة ، ورذيلته التي لا يتردد في سبيلها في أن يرهن مصر كلها . واقترح بنك الانتمان العقادى على درفيو ادماج مشروعه في مشروع البنك ، ولكنه رفض على الرغم من أن البنك الانجليزى المصرى ودجل المال « أوبنهايم » قد انضما الى مشروع بنك الانتمان العقادى • ولما ذهب درفيو الى ديلسبس ليستشيره في الموضوع نصحه بأن يطلب مهلة ثلاثة ايام للبت في العرض المقام اليه ، وكانت هذه المهلة تنتهى يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٨٥٧ •

#### آل روتشيلد:

ولكن في يوم الأحد ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥ جا، عرض من دزرائيلي رئيس الحكومة البريطانية ـ في الوقت الذي كانت فيه البنوك الفرنسية لا تزال مترددة ــ « بشراء » اسهم الخديو ، وكيس فيه تقديم قرض من أي نوع تضمنه هذه الأسهم ،

وكان من راى درّدائيل ودأى صديقه الجميم ومستشاره المالى وسنده السياسي القوى ليونيل دوتشيلك ، أنه يجب عمل كل شيء للبنوك الفرنسية من ضمان اسهم المسديو ، وذلك حتى يجهد الحديو نفسه في موقف مالى حرج لا مخرج منه الا في قبول عرض لندن وبيع اسهمه لها بالمبلغ الذي قدرته له وقيمته مانة مليون فرنك ذهب •

وقد اختاد دؤرائيلي التعاون مع روتشبيلد في هذه السائة لعدة اسباب: اولها ان دؤرائيلي يعتبر « احد رجال روتشبيلد » وثانيا لأن شرط السرية والسرعة في العمل يجب ان يتغلب على كل اعتباد آخر ، فقد كان من المتعدد على دؤرائيل ان يطلب من مجلس العموم اعتماد المال اللازم لهذه الصفقة لأن المجلس كان في عطلة فضلا عنانه قد يضيع وقتا طويلا في مناقشه هذه المسائة اذا اجتمع لبحثها ، كما وجد أنه من الصعب أن يطلب اموالا من بنوك لندن لهذا الغرض لأن هسدا سيؤدى الى اضاعة الوقت في المشاورات في مسائة تعتبر أيضا سرية • وأخيرا فان فرع اسرة روتشبيلد في لندن كان وثيق الصسلة بغروع الاسرة الاخرى في باقي المواصم الأوروبية ، ومن بينها باريس ، وكانت هذه الفروع كلها تتعاون معا في المسائل المالية التي تعرض عليها •

وجدير بالذكر أن الاتفاق المبدئي الذي توصل الله درفيو مع الحديو لم يكن من المكن اقراره الا بعد حصول درفيو على تأييد رجال المال والبنوك في باريس ، وهؤلاء لا يستطيعون أيضا الاقدام على خطوة في مثل هذه المسألة الهامة الدقيقة الا بعد مشاورة الحكومة الفرنسية والحصول على موافقتها - وكان هناك اثنان في الحكومة الفرنسية يستطيعان وحدهما اعطاء هذه الموافقة وهما ليون ساى وذير المالية ، والدوق ديكاز وذير الحارجية - وكانت باريس لم توافق بعد على عرض درفيو ، وهكذا ظل الميدان خاليا أمام عرض لندن .

وقد بدا ليون ساى وزير المالية الفرنسي حياته العملية في بنوك روتشيلد في باريس ، وقد ظلوا يدفعونه حتى وضعوه في مجلس ادارة سكك حديد الشمال الفرنسية قبل أن يعني وزيرا للمالية الما اللوق ديكاز وزير الخارجية فكان شريكا لرئيس بنك الاقتمان العقارى الفرنسي ، وكان يشغل في الوقت نفسه منصب مدير هيئة سكك حديد الشمال ، وكان بنك الائتمان العقارى يقسم عددا من المدنين يعملون في الوقت نفسه في هيئة سكك حديد الشمال ، وكان المعروف أن المديرين المشتركين هم من رجال روتشيلد ، كما كان من المروف أن بنك الائتمان العقارى وهيئة سكك حديد الشمال ، وكان المعروف أن بنك

ونجح الانجليز – بفضل تدخل روتشيلد – في اتمام المصفقة وشراء أسهم الخديو ، وثار الرأى العام الفرنسي حينما رأى أسهم شركة قناة السويس – التي كان الفرنسيون يعتبرونها مشروعا وطنيا فرنسيا – تتسرب الى أيدى الانجليز • واصدرت الحكومة الفرنسية ، كتابا أصفر » لهتدئة ثائرة الرأى العام وشرحت فيه تطورات صفقة الأسهم وقالت ان بريطانيا هددت باعلان الحرب على فرنسيا ما ثم تحصل على هذه المصفقة •

ومن الطريف أن الدوق ديكاز وزير الخارجية الفرنسي كان قد شسوهد في اثناء سماعه بنبا الصفقة الانجليزية ، وقد تظاهر بالدهشة البالفة وبدت عليه علامات الحنق والغضب ، مع انه كان قد أمضى الأسبوع السابق في جهود متصلة لاحباط معاولات مسيو درفيو وديلسبس بسّان شراء أسهم اتخديو •

اما فيما يتعلق بتهديد بريطانيا باعلان اخرب على فرنسا بسبب هذه الصفقة فان الراسلات التي نشرت في هذا الشان تثبت أن التهديد جاء عقب التوقيع على الاتفاقية الانجليزية المصرية بشان شراء اسهم الخديو ، وأن بريطانيا لم تقدم على توقيم هذه الاتفاقية الا بعد أن تثبتت من احجام الفرنسيين عن اتمام الصفقة •

ويبدو أن اخكومة الفرنسية أشارت الى مسالة « التهديد » الانجليزى في كتابها الأصفر بقصد اخفاء ضعفها فيما يتعلق بدورها في هذه الصفقة ، أو بالأحرى اخفاء معالم الجريمة التي اشتركت فيها •

# علاج الخزانة المصرية:

لما باع اسماعيل اسهمه في قناة السويس تمكن من الوفاء بالتزاماته حينما حل موعد دفع فوائد ديونه ، ولكن رصيده للسائي لم يتحسن ، بل على العكس ازداد سوءا • والواقع أنه بعد أن تخلى عن جزء مهم من ثروته تتيجة لبيع الاسهم ارضاء لدائنيه ... أصبح في نظر هؤلاء الدائني انفسهم أقل مقدرة على الوفاء بالتزاماته في المستقبل • كما أن رجال المال الأوروبيين الذين ترددوا فيما مشى في التعاقد معه حينما كان يمتلك نصف شركة قناة السويس سيكونون أقل دغبة في ذلك بعد أن ضاعت منه هذه الاثروة •

 هشروع لاصلاح شئون مصر المالية ، وتم الاتفاق على تنفيذه في اول فرصة يعجز فيها اتقديو عن صداد فوائد الديون المستحقة الدفع •

ولم يدم الانتظار طويلا • فبعد مفى ثلاثة شهور فقط ، عجز اسماعيل عن سداد الاقساط الجديدة من فوائد الديون ، وكان ذلك فى شهر ابريل سنة ١٨٧٦ وسنتحت الفرصة المرتقبة لتنفيذ المخطط الذى وضعه رجال المسأل من الانجليز والفرنسيين ، وعين مراقبان للخزانة الصرية احدهما انجليزى والآخر فرنسى وخصص لكل منهما مرتب خيالى •

## شركة فرنسية انجليزية:

لم يكن الخديو وحده هو الذي غبن في صفقة الأسهم ، فقد فق بالحكومة الانجليزية غبن مماثل ، لأن الأسهم لم تكن لها اية قيمة حقيقية في ذلك الوقت ، وظلت مدى عشرين عاما لا تربح سنتيما واحدا ، ولا تعطى اى حق بالتصويت في مجلس ادارة شركة قناة السويس ، بل اننا اذا اخذنا بحرفية الانفاقيات التي انتزع بها ديلسبس اسهم الخديو المنكود ، نجد أن ديلسبس وصده هو الذي ينبغى أن يحرز في مجلس الادارة الأصوات التي تمثلها هذه الأسهم التي أصبحت انحليز بة .

ولكن الحق الذى كان مسسلوبا بالنسبة لحاكم كاقسديوى لا يمكن أن يكون كذلك بالنسبة للملكة فكتوريا التى برهنت على أنها تستطيع بسبط نفوذها على وزيرى المالية والخارجية الفرنسسيين فيما يتملق بمصالحها ، فقساتم على الفور تعيين ثلاثة مديرين بريطانيين في مجلس ادارة شركة قناة السويس وهكذا وضعت بريطانيا قدمها في الشركة ولكنها لم تكن تملك الفسالبية ، ولا السيطرة على ادارة العمل في القناة ، ومن ثم لم يكن لها ذلك النوع من الاشراف الاستراتيجي الذي تملكه الشركة المفرسية بسبب وجودها في منطقة القناة ذاتها وسبطرتها عليها من الوجهة العملية ، أما فيما يتعلق بالسيطرة على ادارة العمل

فى القناة فان هذا الحق لم تحصل عليه بريطانيا قط ، وانصا كان من نصيب الفرنسيين منذ افتتاح القناة حتى تأميمها • ومع هذا فان مركز بريطانيا الجديد في الشركة آتاح لها الفرصة لكى تطلع على سير العمل فيها اطلاعا شاملا ، وأن تمارس الضغط على المديرين الآخرين للشركة في الاتجاء الذى يطابق مصالحها ، فضلا عن أنه جلب اليها أموالا طائلة ، لأن الشركة كانت قد بدأت تربح ، وقد الزدادت هذه الادباح فيما بعد زيادة ضغمة •

وعلى هذا فان مركز بريطانيا فى الشركة كان طيبا من الناحية التجادية ، ولكنها لم تكن دافسية عنه من الوجهة الامبريائية او بالأحرى من الوجهة الاستعمادية ، فهى تريد أن تسيطر على القناة من غير منازع ولا شريك ، ولم تتأخر الفرصة طويلا ، أذ عرف مجلس الوزداء البريطاني كيف ينتهزها حين لاحت ،

#### الإفلاس:

حيثما أعلن الخديو افلاسه بادر دائنوه الاوروبيون - لاول مرة - الى التدخل وقد وافق نتيجة لاصرارهم على أنشاء صندوق للدين يتكفل بالاشراف على الميزانية المصرية لكى يدفع من ايراداتها فوائد الديون الباهظة التى لا تزال مستحقة الدفع وقد ادخل اسماعيل لهذا الفرض في حكومته مراقبين أوروبيين ، أحدهما انجليزى هو ريفرد - ولسون اللى أصبح وزيرا للمالية ، والآخر فرنسي هسو بلينير اللى أصبح وزيرا للاشغال العامة ، وخصص لكل منهما مرتب خيسالى يبلغ ٧٠٠ ألف فرنك ذهب في السنة و وهكذا نشسا ما أطلق عليه اسم « لجنة الوابع النجليزية الفرنسية » التى يمكن تلخيص مهمتها بأنها عملية تدخل أوروبي كبير بحجة ضمان الرهونات عن طريق الحجز التحفظي ،

كان الأمر اذن يتعلق بد « ادغام مصر على الدفع » وهذا يقتفى اصدالاح ماليتها وزيادة ايراداتها وتخفيض مصروفاتها • ان معظم الدخل المصرى يأتى من صادرات القطن الطويل التيلة الذى لزدهرت زراعته فى مصر عقب نسوب الحرب الأهلية الأمريكية وانخفاض صادرات القطن الأمريكى • وقد وجدت مصانع المنزل الانجليزية فى الانكستر فى القطن المصرى ضالتها المنشودة ، فاخلت تستورده بكميات كبيرة وباسعار تناسبها ، وكان من حسن طالعها أن وزير مالية حكومة الحديد وجل انجليزى •

ولتتغيض المصروفات فيمصر وضع رجال البنوك الأوروبيون خطة للحد من نشاط الدولة والاستغناء عن الموظفين ، وفرض نظام التقشف • وهكذا وقعت على كاهل المصريين الأعباء التي ترتبت على اسراف الخديو ، وهي الأعباء التيظلت تروح تحتها حتى ذلك الوقت الدوائر المالية في لندن وباريس •

وقد ادت هذه التغییرات الی اشاعة التذمر بین المصریین ، وقد ظهر الرها سریعا حینما تقرر خفض قوات الجیش المصری من ۳۰ الف جندی ال ۱۸ الف والاستغناء عن ۲۰۰۰ ضابط لم یکونوا قد تسلموا مرتباتهم منذ عدة شهور ۰

وقد نشات حينئد معارضة وطنية حقيقية طالبت بطرد الاجانب والعساء الرقابة الاوروبية التي ترتب عليها دفع مرتبات ضغمة للوذيرين الاجنبين ولمساعديهما ، في الوقت اللي يجرى فيه تسريح الموظفين الوطنيين وطردهم من اعمالهم بالجملة ، كما أن الفباط المصريين الذين رقوا من تعت السلاح - بسبب النقص الذي ترتب على الاستفناء عن الفباط الأصليين - أعربوا عن استيائهم للمحاباة التي يعامل بها الفباط الأجانب والشراكسسة والأتراك وغيرهم من الجنسيات ( وقد كان بينهم امريكي ) ،

وكان الضباط المتلمرون يسيطرون على الجيش ويتمتمون بتاييد جماهير الشعب، وقد اضطر الخديو .. تعت ضغطهم .. الى عزل دئيس الوزدا، وهو أدمني، ووزير الحربية وهو تركى ، وتشكيل حكومة مصرية خالصة دعت الى عقد جمية وطنية ، وشرعت فى قصير اوجه الحياة فى المجتمع • ولكن من سوء حظ هذا الحزب الوطنى انه لم يجد له ذعيما غير ضابط ودع ينعى عرابى كان يتصف بالشجاعة اكثر مما يتصف بالحنكة السياسية •

## التدخل:

وصلت الى الدوائر الاوروبية أنباء تشير الى أن اسسماعيل يتواطأ مع الفناط المتمردين المسكريين ، وإنه يؤيد سرا مطالب بلاده ، وحينثل عملت على خلعه من العرش واحلال ابنه توفيق مكانه ، وحاول توفيق القبض على عرابى وأصدقائه ، ولكن الجنود الدين كلفوا باعتقاله خلصوه وهو في قاعة المجلس العسكرى الذي اجتمع لمحاكمته ،

ولم يكن ثمة مناص من الالتجاء الى وسائل حاسمة غل هده المشكلة بوقد حدث فى الاستخدرية يوم ١١ يونيه سسنة ١٨٨٧ شسف انتهى بملبعة داح ضعيتها عدد من الاوروبين و واخلات الدول الكبرى تتشاور فى الامر ، ولكن بريطانيا بادرت الى التدخل ، ففى الحادى عشر من يوليه ظهر اسعلول انجليزى امام الاستخدارية واطلق عليها قنابله ، وفى ٢٠ اغسطس ظهرت قوة عسسكرية بريطانية بقيادة « ولسل » فى بور سعيد ، وتقدم الجيش البريطاني نحو التسل الكبير حيث سسحق الجيش الممرى ، وفى القامس عشر من سبتمبر سنة ١٨٨٧ ـ وهو تاريخ يجب تذكره جيدا لأن آثاره ظلت قائمة مدى اربعة وسبعين عاما ـ دخلت القوات البريطانية القاهرة ،

كان ديلسبس قد طلب من قادة القسوات المصرية – قبسل نزول الجيش البريطاني في بود سعيد – احترام حياد قناة السويس ، وقد وافق عرابي على هذا الطلب بشرط أن يحترم « ولسلى » أيضا حيادها ، ولكن الجنرال الانجليزي رفض ذلك وانزل قواته في بود سعيد ، والواقع أن « ولسل » ثم يكن يهمه حياد القناة في شيء ، فقد كان يريد الاستيلاء عليها بالذات ، بل أنه بادر ألى منع الملاحة في الفتاة ، ويبدو أن اغلاقها كان فكرة داسخة في للدن ، ولكن احتجاجات ديلسبس كان لها بعض الصدى في العالم ، وأدركت لندن أن هذه الفكرة لن تجد من يؤيدها ، وأصدرت أوامرها إلى « ولسلى » باعادة فتحها للملاحة ، ولم يستمر اغلاقها غير أدبعة إيام ،

وثم تتحمس فرنسا لفكرة القيام بعمل عسكرى مضاد لبريطانيا في مصر م ورفضت الجمعية الفرنسية بالاجماع \_ باستثناء ٧٦ صوتا \_ مشروع قراد باعتماد الاموال اللازمة لارسال حملة عسكرية الى مصر و ولكن التدخل الذي قامت به بريطانيا من جانب واحد في مصر الخار في فرنسا رد فعل سيئا وادى الى تسميم العلاقات الفرنسية الانجليزية مدى التنتين وعشرين عاما الى ان عقدتا الاتفاق الودى عام ١٩٠٤.

## الشركة في خطر:

تازم الموقف المام شركة قناة السويس والمام ديلسبس نفسه في موقف حرج فقد اصبحا واقعين تعت سيطرة دولة اجنبية تستطيع أن تعتمد في فرنسا نفسها على نفوذ جماعة من رجال المال لتبسط سلطانها على عدد من الوزراء الفرنسيين ، وجانب من اعضاء البرلمان الفرنسي ، لا يرفضون لها طلبا • لقد مفى العهد المدى كان فيسه ديلسبس يعكم مصر عن طريق الخديو ، أما اليوم فان شركة القناة اصبحت مهددة حتى في فرنسا ذاتها !

وقد تحققت مضاوف ديلسبس باسرع مما تصوره ، فلم تكد الطلائع البريطانية تحتل منطقة قناة السويس حتى بدات لندن تمارس ضغطا قويا على الشركة ، فطالبتها بأن يضم مجلس ادارتها عددا من البريطانيين يتناسب مع حصتها في رأس مالها ، وهددت في الوقت نفسه بانها منطلب من الخديو د اللي اصبح اسبرها فعلا . أن يعطيها امتياز حفر قناة بحرية آخرى اذا لم تلعن لهذا الطلب •

وادرك ديلسيس أنه يجب عليه أن يدعن قهو لم يعد يستطيع أن يعتصد على تأييد نابليون الثالث كما كان يغعل فيما مفى والجمهورية الثالثة التى تتولى الحكم في فر نسا أصبحت نظاما يسيطر عليه المال • وفي امكان خصومه أن يعبئوا ضده الخزانة البريطانية التى كانت تعتبر في ذلك العهد أغنى خزانة في المالم • وهكذا بدا مفاوضاته اعتى خزانة في المالم • بموقعة « ترافلجار » التى هزم فيها الانجليز نابليون الأول ، وتم تعيين سبعة من أصحاب السفن والتجار البريطانين أعضاء في مجلس ادارة شركة القناة ، وألفيت دسوم ارشاد السفن في القناة ، وخففت رسوم الترانسيت ، كما أجرى تخفيض جديد على دسوم السفن التي تعبر القناة وهي خالية منالبضائع ، وتعهدت الشركة بعدد الملاطالبة بنفقات تعويم السفن الجانحة في القناة •

وهكذا انتصر البريطانيون الذين وجدوا أن مضامرتهم في مصر تستحق ما بذل فيها من عناء ، وبداوا يفرضون سيطرتهم على الشركة التي اصبحوا اهم عملائها ، واصحاب معظم اسهمها • واصبحت الشركة تعمل في منطقة موضوعة تحت السيادة البريطانية فعلا •

وهذه الاتفاقية التى وقعت بين الشركة وبين الانجليز يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٨٣ أطلق عليها بحق اسم « برنامج لندن » ومنذ ذلك اليوم حتى فترة طويلة من الزمن امتدت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت شركة قنداة السويس تبدو للعالم في صورة شركة مصرية ذات ادارة فرنسية وتمثل حلفا للمصالح الخاصة الفرنسية والبريطانية تشرف عليه السلطات العامة البريطانية اشرافا فعالا ،

وقد ظل الفرنسيون على أى حال يتمتعون بمركز طيب في النهر نة ، وكانوا يقولون كلمتهم كلما أدادوها ، ولكن الكلمة الأخيرة كانت للانجليز طوال فترة الاحتلال البريطاني للقناة ٠

#### معاهدة القسطنطينية:

كانت قمة السلطة في الشركة تبدو في القاهر دائما فرنسية ، كما كان وتسبها داغا فرنسية ، كما كان وتسبها داغا فرنسيا ، كذلك كان الفرنسيون يشرفون دائما على شئونها التجادية وعلى ادارتها ، ولكن كل هذه المظاهر الرئاسية ظلت داغا خاضعة لما يسمى سيادة اللحولة الاجنبية • وكانت الحكومة البريطانية تجد من مصلحتها اخفاء سيطرتها الحقيقية على القناة بستار فرنسى ، وترى أن ظهورها بمظهر المتحكمة في القناة قد يؤلب عليها باقى اللول ، ويجعلها في حالة عزلة دولية • وكان عهد دزرائيل قد واتفى وجاء الى الحكم رئيس وزراء اقل تعصبا في آرائه هو جلادستون ، الذي كان مستعدا لمناقشة مسالة حياد القناة وعقد اتفاقية بهذا الشكان مع باقى الدول الكبرى •

وكانت قناة السويس قد اكتسبت في ذلك الوقت اهمية كبيرة بسبب نهو التبادل التجارى في العالم في نهاية القرن التساسم عشر وما صحبه من نهفسة صناعية ضحفه ، ولهذا وجلت اللول الكبرى أنه من الفرورى ايجساد ضمانات عامة وفعالة لتحقيق حرية لللاحة في هذا الطريق للائي الدول واصبح كل ما يهم بريطانيا سبعد أن اطمانت الفائدة هذا الطريق فيما يتعلق بتجارتها مع الهند ... الا تقم القناة في ابدى دولة معادية .

وفي الحادى والعشرين من اكتوبر ١٨٨٨ عقدت « معاهدة القسطنطينية » وقد وقعتها بريطانيا وفرنسا والنهسا والمانيا وروسسيا واسبانيا وإيطاليا وهولندا ، وهى الدول الاوروبية الكبرى في ذلك الوقت • وكانت هذه المعاهدة التى تعتبر وثيقة رسمية بعياد القناة تنص على أن تظل القناة مفتوحة للسلفن التجاوية في وقت الحرب ووقت السلم ، من غير أى تمييز ، كما نصت على ضرورة المحافظة على سلامة القناة ، وعلى أنه اذا تعرضت لأى خطر فان اخكومة المصرية

تتكفل بالمحافظة عليها بناء على نصوص معاهدة القسطنطينية التي جاء بالفقرة الرابعة عشرة منها أن التمهدات والارتباطات المتعلقة بالمعاهدة ليست محددة بمدة امتماز شركة قناة السويس •

وقد ترتب على حياد القناة ـ اللذى نصت عليه مصاهدة القسطنطينية ـ نتيجة سياسة مباشرة هى قطع آخر علاقة سيادة تربط الخديو بشركة قناة السويس ، بعد أن أصبحت القناة خارج نفوذ مصر من جهة الأمر الواقع وصارت لها صبغة دولية ، وبعد أنقرت الدول الكبرى حينئذ أنه لم يعد لمصر أية سيطرة حقيقية على المفريق المائي الذي يمر في أداضيها .

ومن العريف أن الخدو الذي كان يستطيع قبل عقد هذه المعاهدة منح المتياز جديد بعفر قناة أخرى تنافسها ، اصبح مسئولا \_ بعد عقدها \_ عن الدفاع عن قناة السويس التي ثم يعد له حق السيطرة عليها .

ومنذ ذلك الوقت حتى عهد عبد الناصر اصبح تاريخ قناة السويس وتاريخ مصر يسيران في خطين متواذيين ، أى انهما لم يلتقيا قط • والرة الوحيدة التي تذكرت فيها الدول اخكومة المصرية كان عام ١٩١٤ حينما اريد ارغامها على قبول مد امتياز الشركة فترة اخرى من الزمن •

#### تحسين القناة:

دأب السئولون في شركة قناة السويس على تحسين القناة منذ انشائها • وذلك بتوسيعها وتعميقها ، ومسايرة تطورات النقل البحرى ولا سيما بعد ان كبرت أحجام السفن وازدادت سرعتها •

وفي سنة ۱۸۷۰ كانت السفن التي يبلغ غاطسها ۱۷٫۰ متر تستطيع عبور القناة ، ومع عمليات تعميق القناة المستمر تعوّر عمق هذا الفاطس فاصبح ۸ امتاد ثم ۲۲٫۳ متر و ۲۰۵۸ متر واصبح ۸۸۲۶ متر عام ۱۹۱۶ ، وبصد الحرب العالمية الاولى كانت السيفن التي يبلغ عمق غاطسها ١٥٥٥ متر تستطيع عبور القناة ، ثم أصبح هذا الرقم ٢٠٠٠ عام ١٩٣٠ و ٢٠٣٦ عام ١٩٣٦ وكان عمق القناة ذاتها حينثذ ١٧٠٠ مترا واتساعها عند القاع ٦٠ مترا واتساعها عند السطح ١٢٠ مترا ٠

وكل عمليات التعميق هذه كانت تنفذ طبقا «البرامج» تهدف الى مسابرة ـ واحيانا الى سبق \_ التطورات الفنية للملاحة البحرية واحتياجات اصحاب السفن من عملاء القناة ، وقد اقتضت هذه العمليات ازالة ما يبلغ حجمه ١٩٥٣ مليونا و ٢٠٠٠ الف متر مكعب من الرمال من القناة ، اى نحو ضعف حجم الرمال التى ازيلت منها حتى اتمام انشائها عام ١٨٦٩ ، وبلغت نفقات عمليات التطهير هذه ١٩٥٩ مليون فرنك مع أن حفر القناة ذاتها لم يتكلف غير ٢٩٧ مليونا و ١٩٥٧ الف فنط ،

ولم تعدث خسائر كبيرة لقناة السويس في خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية ، ولكن هذه الخسائر لحقت بالشركة بسبب نقص حركة الملاحة في القناة . إذ ثم تعد تمر فيها غير سفن الخلفاء التجارية والحربية •

#### مشكلات ما بعد الحرب:

ولكن عقب انتهاء الحرب العسائية الثانية بدأت الشركة تواجه مسكلتين خطيرتين قلبنا التوازن الذي كانت تنعم به من قبل ، وادتا في النهاية الى تاميم القناة ، أما المشكلة الاولى فهى ازدياد مرود ناقلات البترول في القناة زيادة ضحفه ، فبعد أن كانت جملة حمولة السفن التي تعبر القناة قبل الحرب لا تجاوز خمسة ملايين طن في العام أصبحت ٣٧ مليون طن عام ١٩٥٥ وهو آخر عام سيق التاميم ، وقد مرت من هذه الكمية الاخيرة ٢٠ مليون طن من شمال القناة الى جنوبها في حين مر ٨٧ مليون عن المشمال القناة مرجوبها في حين مر ٨٧ مليون عن الخنوب الى الشمال منها ٧٢ مليون طن من

البترول • وأما المشكلة الثانية فهي انتشار حركة التأميم في دول الشرق الاوسط. ـ وبخاصة في مصر ـ وقد تطورت هذه المشكلة تطورا ادى في النهاية الى الانفجار .

وازدياد حركة مرور ناقلات البترول في القناة يرجع الى أن رسوم نقل العن من البترول تقل كلما ازداد حجم ناقلة البترول ، مما حدا بشركات الملاحة الى بناء ناقلات ضخمة للاستفادة من هذه الميزة ، ونظرا لازدياد استهلاك البترول في المالم زيادة ضخمة ، ولان جزءا كبيرا من هذا البترول يأتى من الخليج العربى ويذهب الى اسواق أوروبا الغربية عن طريق قناة السويس ، فقد وجدت شركة القناة نفسها مضطرة الى القيام بعمليات مستمرة لتوسيع مجرى القناة لكى يتسع لمرور ناقلات البترول الفضخمة ، ولكن سرعة مرور السفن في القناة ظلت معدودة لاسباب تتعلق بتأمين سلامتها في العبور ، وقد وضعت الشركة نظاما السفينة التى تعبر القناة فيما مفى ترسو على الفضفة حتى قر سفينة آخرى تكون جديدا لمرور كل سفينة آخرى تكون بأملها في الطريق المضاد ، ولكن نظام القوافل جعل من المستطاع عبور قافلة قاممة في الطريق المضاد ، ولكن نظام القوافل جعل من المستطاع عبور قافلة بأكملها في الوقت الذي ترسو فيه قافلة آخرى مقابلة الى الضفة ريثما غر القافلة الأولى ، وقد ساهم هذا النظام في تحقيق سرعة مرور السفن بالقناة وفي توفير الوقت والجهد ،

وقد أدخل على هذا النظام تحسين جديد بانشاء قناة جانبية يبلغ طولها عشرة كيلو مترات في اتساع القناة الاصلية وتحول القافلة الصاعدة الى القناة الجانبية فيحين تستمر القافلة الهابطة فيسيرها في القناة الاصلية ، وهكذا تستطيع القافلتان أن تواصلا السير من غير أن تضطر احداهما الى الرسو على الضفة فترة من الوقت حتى تمر القافلة الاخرى .

والشكلة الخطرة حقا التى واجهتها شركة قناة السويس هى ازدياد مطالب المناصر الوطنية فى البلاد باستمراد ، واؤدياد حركة التلمر اللى كانت تبديه هذه المناصر تجاهها • وتاريخ قناة السويس يعطى لكل حركة من هذه الحركات

مبررا معقولا • ففي البداية انتزع من الخديو حق التصويت في اجتماعات الجمعية العامة للشركة ، وبعد ذلك حرم من حصته في القنساة ، وفي سسنة ١٨٧٥ باع \_ والسكين فوق عنقه \_ نصيبه في أسهم القناة وهي تبلغ ٤٤ في المائة من المجموع بسعر حدده المسترون الاجانب • ولم يبق له بعد ذلك غير حصة التأسيس التي يؤول الى مصر بموجبها ما نسبته ١٥ في المائة من جملة أرباح الشركة • وفي مارس عام ١٨٨٠ أرغم الخديو على بيم هذه الحصة الى شركة الائتمان العقاري الفرنسي بمبلغ ٢٢ مليون فرنك ذهب ، وهذه الشركة هي ذاتها التيقامت بالدور الرئيسي في بيع أسهم الخديو لبريطانيا وفي تنظيم لجنة الرقابة الله نسبية الانجليزية التي شكلت لاصلاح مالية مصر لضمان استرداد أموال الدائنين الاجانب . وهذه الحصة التي بيعت ، كما ذكر من قبل بمبلغ ٢٢ مليون فرنك، حققت لمن اشتروها أرباحا خيالية في الفترة من عام ١٨٨١ الى عام ١٩٢٧ قدرها ٧٣٤ مليونا و ١٩٢٤م١٤٨٨ ألف فرنك ذهب • كما حققت في الفترة من عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٥٣ أرباحا آخری قدرها عشرة ملیارات و ۹۰۹ ملاین و ۲۰۰ر۸۳۲ فرنکا عملة ورقیة ایان هذه الحصة ذاتها حققت من الارباح مبلغا اكبر عنة مرات من نفقات حفر قناة السويس بما في ذلك عمليات تعميقها وتوسيعها • ولما كانت هذه الارقام الخيالية لا تمثل غر ١٥ في المائة من الارباح التي وزعت بصفة رسمية ، فان هذا يعطينا فكرة عن منجم الذهب الذي يتمثل في أرباح شركة قناة السويس خلال حياتها التي استمرت زهاء تسعين عاما كما يعطينا فكرة عن راس المال الفسخم من الكراهية والضغينة الذي تجمع لدى الوطنيين المصريين ضد شركة تستغل قطعة من بلادهم الصلحة الاجانب وحدهم •

وحرمان مصر الكامل من أرباح قناة السويس استمر لفترة طويلة من الزمن حتى عام ١٩٣٦ . وفي ذلك العام أدادت بريطانيا أن تقاوم الدعاية الموجهة ضدها من المانيا وايطاليا بشان سياستها في الشرق الاوسيط وأن تهدىء من ثائرة المصريين ، فوقعت مع مصر معاهدة اعترفت فيها باستقلال مصر استقلالا تاما بشرط بقاء القوات المريطانية في منطقة قناة السويس ، ووقعت شركة قناة

السويس اتفاقية مع الحكومة المعرية تمهدت فيها بأن تدفع لها كل سنة مبلغ و ١٩٤٩ اتفاقية اخرى معها اعادت بها اليها حقه كثير الشب جنيه مصرى ثم عقدت عام ١٩٤٩ اتفاقية اخرى معها اعادت بها اليها حقها كثيريك في الشركة وتعهدت بأن تدفع لها سبعة في الماقة من الارباح الصافية للشركة في كل عام ، وقد دفعت عام ١٩٤٩ للحكومة المصرية اربعة ملايين و ١٩٧٥ الف جنيه ، ولكن اهم نتيجة تمخضت عنها هذه الاتفاقية ليست في دفع هذا المبلغ – الذي يعتبر ضئيلا بالنسبة الى جملة الارباح – وانما في اتاحة المؤسسة للمصريين لدخول مجلس ادارة الشركة ( وكان هذا للجلس يضم خمسة مدين مصريين حينما تقرر تاميمها ) فكانوا بحكم مراكزهم يطلعون على كل تفاصيل الادارة في الشركة •

غير أنه ينبغى القدول بأن مصر جنت بعض المزايا من الشركة ، فقد كانت هذه تدفع للحكومة ضرائب ، وهى وان تكن غير مرتفعة ... أذ أنها كانت تمثل الثين في المائة فقط من چملة ايرادات الميزانية .. فلا يمكن اغفالها ، وعلاوة على ذلك فان الاتفاقيات الجديدة التي عقدت بين مصر وبين الشركة ادت الى عملية « تمسير » مستمرة في وظافف الشركة ، وقد اتاح ذلك القرصة فيما بعد حكومة عبد الناصر لأن يكون لديها نواة من الموظفين الصريين المدين الذين كانوا على استعداد لكى يحلوا في العمل محل الموظفين الاودوبيين ، ومما يذكر في هدا الشان أنه كان يممل في الشركة قبيل التأميم ، ٤٧ مصريا بين موظفين واداديين ومرشدين ، ونحو يممل في الشركة قبيل التأميم ، ٤٧ مصريا بين موظفين واداديين ومرشدين ، ونحو ... بأقل تقدير ... كانت تكسب قوتها من الشركة .

وعقب الحرب العالمية الثانية عقسات اتفاقية يوم ٧ مارس سسنة ١٩٤٩ عززت حركة تمصير الوظائف في الشركة ونصت على أن يكون للمصريين الاولوية في التعين في وظائفها الحالية .

وفضلا عن ذلك فان الشركة عقدت اتفاقيات كثيرة مع مؤسسات مصرية لتنفيذ بعض الاعمال في النطاق المعلى ، كما أن حركة الملاحة البحرية في القشاة

ادت الى تنفيذ مشروعات تجاوبة كثيرة تعتمد على هذا النشاط، مثل شركات ايداع البضائع ، وشركات ربط السفن ، وغير ذلك • وقد كان هناك في منطقة قناة السويس ـ قبل عام ١٩٥٦ ـ اكثر من ١٠٠٠ مؤسسة تجارية وآكثر من ٢٨٠٠ مؤسسة تجارية وآكثر من ٢٨٠٠ مؤسسة الدهار الاقتصاد المحل الزدهارا ملحوظا •

ولكن كل هذه العناصر العامة لم تمنع المصريين من التدمر بسبب ضالة نصيبهم في ارباح شركة القناة وشعورهم بأنهم لا يجنون منها القدد الذي يستحقونه ٠

## سيدة عجوز واسعة الثراء:

لقد كسبت شركة قناة السويس أموالا طائلة عوضتها بسخاء عن الجهود التي بدلتها ، وقد انتهى بها الامر الى أن أصبحت سيدة عجوزا واسعة الثراء ، وأصبح المساهمون فيها من المحظوظين السعداء ، وأصبحت المشكلة بعد ذلك هي البهاء والاستمرار ، أذ أن عقد امتياز القناة ينتهى يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ، وجميع الدلائل تشير الى أنه لن يجدد ، وقد حاولت الشركة عام ١٩١٤ أن تهد أجل العقد الى ما بعد عام ٢٠٥٠ ، ولكن محاولاتها اصطدمت بمعارضة اجماعية من جانب المصريين وبعض أصدقائهم الاجانب ،

فهاذا كان حال الشركة العالمية لقناة السويس البحرية عشية التأميم ؟ لقد كانت تنعم بالرخاء والازدهار الى اقصى الحدود • ففى الميزانية السنوية التى نشرتها الشركة نفسها عام ١٩٥٥ بلغت قيمة الأوجودات المنقولة والعقارية اكثر من ٢٧ مليار فرنك (قديم) وبلغت جملة الموجودات ( الأصول ) والاستثمارات المتداولة ٣٩ مليار فرنك (قديم) • ومن هذا المبلغ كان مودعا في البنوك ٣٨٠٠ مليون فرنك ، و ١٩ مليار فرنك قيمة استثمارات قصيرة الأجل خصص جزء منها لدفع الارباح القابلة للتوزيع ، وأكثر من ١٦ مليار فرنك قيمة استثمارات طوبلة الأحل •

ولم تكن شركة قناة السويس أشبه بسخص غنى فقط ، ولكنه غنى ويكسب مليونا و ٧٠١ ألف فرنك قديم ، بزيادة قدرها ملياران من الفرنكات على ايرادات العام السابق ، أما المصروفات فلم تزد على ١٨ مليارا و ٣٠٤ ملايين و ٢٤٤٦٥، فرنكا وكان هذا المبلغ يشمل إيضا متاخرات ضرائب عن سنوات سابقة تمثل مبلغا كبيرا من المال ، كانت الحكومة للصرية قد طالبت الشركة بها .

وقد بلغت قيمة الأدباح الصافية \_ التي اعلنتها الشركة نفسها في ذلك العمال \_ ١٦ مليار فرنك قديم ، خصمت منها الشركة ثلاثة مليارات فرنك للاعمال الجديدة ، ومليارا ونصف مليار فرنك المؤسسات التامين والمصروفات الطارئة و ٥٠٠ مليون فرنك للاستثمارات واستهلاك المهمات ، وبعد كل هذه الخصومات يتبقى من الادباح مبلغ عشرة مليارات و ٥٠٠ مليون فرنك قرر مجلس ادارة الشركة أن يوزع منها على المساهمين مبلغ عشرة مليارات و ٢٥٣٥ ٢٧٤٤ ٢٧٤ فرنكا ، وهذا يعنى أن المبلغ الذي سيوزع على اصحاب الاسهم يوازى نحو ثلث ايرادات الشركة ، ولا شك أن هناك عندا قليلا من الشركات في العالم يستطيع أن يفعل ذلك ، وان يحقق مثل هذا الرخاء والازدهار ،

ولكن أصحاب ناقلات البترول كانوا يعضون على نواجدهم غضبا وحسدا بسبب هذه الارباح الطائلة التي تجنيها الشركة والتي يعود جزء كبير منها الى الرسوم التي تغرضها على مرود الناقلات في القناة ، وكانوا يعتبرون انفسسهم بمثابة « بقرة حلوب » تعد للشركة اللبن الوفير ، ومع ذلك فان العداء الذي كان يضمره أصحاب ناقلات البترول لا يمكن مقارنته بالعداء المرير الذي كان يضمره الوطنيون المديون الذين طلوا عدى لهانين عاما يعانون الغبن ، ويشعرون بانهم يعاملون كانهم قاصرون ، وأن خرات بالاهم تستقل لمصلحة المستعمرين .

واذا كان تاريخ قناة السويس في خلال هذه الفترة يزخر بالهناء والثراء والنعيم ، فان تاريخ مصر في خلال هذه المدة نفسها كان يسير في طريق التعاسة والعبودية .

# الفصل الثالث

## رحلة في طريق نهاية العبودية

اقتضى الامر من الانجليز عشر سنوات القرار النظام في مصر ، سواه في الشارع أو في الشيئون المالية • وبعد أن انتهوا من اقراره ، ظلوا فيها ستين عاما للمحافظة عليه •

وكانت السنوات الاولى للوجود البريطانى في مصر نموذجا للتعمير • فقد اصلحت الشئون المالية ، وانشئت ادارة قوية ، ووضعت الاسس اللازمة لتكوين جيش وطنى قيادته انجليزية ، واقيمت المدارس ، ووجه اهتمام خاص لاعمال الرى التى ساعدت على نشر القطن الطويل التيلة الذى كانت تستورده مصانع الغزل البريطانية في لانكشاير مستعيضة به عن القطن الامريكي •

كان كل شيء يسير على ما يرام حتى لقد تخيل الانجليز أن مصر مستعمرة عاقلة فمنعوما جمعية تشريعية و فظلت مصر تابعة ... من حيث البدأ ... لسلطان القسطنطينية ، ولكن نشـوب الحرب عام ١٩١٤ ادى ال قطع آخر علاقات مصر بالامبراطورية العثمانية بعبد انضمامها الى المسكر الالماني ، وفرض الحماية البريطانية عليها آخر الامر •

وقد كان للعرب العالمية الاولى بالطبع رد فعل هام على الحياة في مصر وعلى تطور شعوب الشرق الاوسط • وادت من الوجهة الاقتصادية ــ كما فعلت في جميع البلاد المتأخرة ــ الى نمو الصناعات المحلية وزيادة الطلب على المنتجات الزراعبة وكذلك زيادة الطلب على العرض في جميع فروع الانتاج الاخرى ، مما ادى الى ارتفاع الاسعار واثراء بعض الناس ثراء فاحشا في حين تردى كثيرون غيرهم في هوة الملقر •

ووجلت البورجوازية المرية في هذه الاموال الجديدة ـ التي تدفقت عليها ـ فرصة طيبة لكي تنعم سياسيا قواها الاقتصادية • وكانت هذه الطبقة قد استمعت في نشوة الى الشعارات الجمهورية المتصاعدة من معسكرات الحلفاء والى نقاط الرئيس الامريكي ولسون الاربع عشرة ، كما قابلت بحماس وابتهاج التصريح الذي أصدرته الحكومتان الفرنسية والبريطانية في شهر نوفمبر ١٩١٨ ووعدتا فيه بتحرير الشعوب التي كانت واقعة تحت نبر الحكم التركي •

ولكن لندن كانت تدخر فتوى قانونية في هذا الشان ، فقد كان من رابها ان مصر قد تحررت من الحكم التركى قبل حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ برّمن طويل ، وأن هذا التحرد تم من وجهة الامر الواقع عسام ١٩٨٧ حينما نزل فيهسا الجنود البريطانيون وتم قانونا عام ١٩١٤ حينما بسسطت بريطانيا حمايتها على مصر وأصبحت بدلك محمية بريطانية ، وعلى هذا فان لندن لم يكن فينيتها تحرير مصر مرة أخرى ، وكانت ترى أن التحرير الذي وعسدت به ينصب فقط على الشعوب التي تشملها الحماية البريطانية ، وكانت المسالة سكما هو واضح سموركة الفاظ وكلمات ، ومهما تكن نتيجة هذه المركة فلم تكن هناك اية نية لتحرير اي شعب ،

ولكن المصرين ، الذين عاشوا عدة قرون تعت السيطرة التركية صدقوا ، أو تظاهروا بتصديق الوعد الفرنسي البريطاني ، وداوا أنه ينبغي طرق الحديد وهو ساخن ، وأن يمسكوا بتلابيب بريطانيا بمجرد آن وعدتهم بالقمر ، فتوجه وفد مصرى يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ـ أي بعدومين من عقدالهدنة ـ الى دار المتهد

البريطانى فى القاهرة برئاسة سعد زغلول الذى كان الانجليز قد عينوه فيما قبل وزيرا للمعارف واثار مسالة الوعد البريطانى بتحرير الشعوب التى كانت ترزخ تعت الحكم التركى ، وطالب بعنح مصر الاسستقلال • وابلغ المعتمد البريطانى حكومته بمطالب الوقد، ولكن لندن كان لديها افكار اخرى بشان الشرق الاوسط، وكان من الواضع انها لا تنوى فى الوقت الذى اعتزمت فيه وضع يدها على معظم المتلكات التركية التى آلت اليها فى هذه المنطقة من العالم أن تمنح مصر استقلالا يمكن أن يبن عداوة الى بقية شعوب الشرق الاوسط التى ستضعها بريطانيا تعت حمانتها •

#### وعود متناقضة:

لقد تمخضت اخربالعالمية الاولى عن نتائج كثيرة، منها أن بريطانيا أصبعت دولة عربية ، وكذلك دولة يهودية !

امبحت بريطانيا دولة عربية حينما وضعت يدها على معظم معتلكات الإمبراطورية العثمانية من البلاد العربية في الشرق الاوسط ، وكانت الاداضى التى استولت عليها في هذه المنطقة من الاتساع بحيث لم يكن أى دئيس وذداء بريطاني في أى وقت مضى يجرؤ على أن يحلم بالاستبلاء عليها .

ولكن بريطانيا لم تكن تستطيع ان ترسل قوات كافية للاستيلاء على هده الاراضي لان معظم قواتها كانت مشفولة بالقتال في اوروبا • ولهذا اشركت السكان المحليين في الحرب معها ضد الاتراك • واثارت ما عرف باسم « ثورة الصحواء » ضد الحكم التركي ، ثم أغرقت العرب بالوعود الرئانة التي ادارت رؤوسهم • ولكن بماذا وعدت العرب ؟ لقد وعدتهم بتحريرهم من حكم الاتراك ، ووفت بهذا الوعد، ولكن استمراد بقائها في الاراضي العربية التي طردت منها الاتراك خلق مشكلة جديدة يمكن أن يطلق عليها اسم المشكلة الانجليزية العربية ، أضيقت الى المشكلة الانجليزية العربية المربية التي كانت قائمة حتى ذلك الوقت •

ولم تكن الوعود التى بدلتها بريطانيا للعرب هى الوعود الوحيسة التى بدلتها في الشرق الاوسط ، اذ أصدرت يوم ٢ نوفمبر ١٩١٧ وعدا جديدا لليهود . هو وعد بلغور تعهنت فيه بأن « تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومى لليهود في فلسطين ، وأن تبدل كل جهودها تسمهيل تحقيق هذه الغاية » .

واذا كانت بريطانيا قد حققت جزئيا بعض وعودها للعرب فمنحهم استقلالا نظريا ـ وان ظلت تفرض عليهم وصايتهاكاملة فيما عدا المملكة العربية السعودية ـ فان وعودها لليهود لم يتحقق منها أى شيء والحق يقال أنها مع ذلك كانت تبلى كثيرا من التسامح الودى تجاه مسألة انشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ، وكان من المكن لولا هذا التسامح الا يقام لهم وطن قومي على الاطلاق و وبفضل الثقة التي كانت توليها بريطانيا لشخصية « بن جوديون » بصفة خاصة نشا نوع من التعاون الودي بين لندن وبين الستعمرات اليهودية في فلسطين وظل هسدا التعاون قائما في خلال السنوات الصعبة التالية .

## الهجرة اليهودية :

ولكن اليهود لم يكونوا في انتظار وعد بلفور لكى - يعودوا يم الى فلسطين ، هذا بصرف النظر عن اليهود الذين كانوا يقيمون فيها ولم يغادرها قط • وفي سنة ١٨٧٨ أنششت أول مستعمرة اسرائيلية في فلسطين وهي مستعمرة «بيطاش تكفاه» ، ولكن عدد اليهود في فلسطين في الفترة بين عامي ١٨٧٨ و ١٩١٧ لم يتجاوز الني عشر الله • وفي السنوات الاربع عشرة التاليسة ظلت هجرة اليهود الى فلسطين ضعيفة ، ولم تزد على عشرة آلاف شخص تقريبا في السنة ، حتى أنه في عام ١٩٣١ لم يكن عدد اليهود في فلسطين يتجاوز ١٧٧ الف شخص • وهؤلاء اليهود الذين كانوا يقيمون في المستعمرات الاسرائيلية لم يكونوا منظمين تنظيما عسكريا ولم يكونوا يماكون غير أسلحتهم الشخصية للدفاع بها عن سلامتهم ، وكانوا يغفونها عبد لا يراها الناس • وكان بعض الجماعات اليهودية يدفع مبالغ من المال لبعض

قعماء العصابات العربية لكى يدافعوا عنهم • وكان الستوطنون اليهود في فلسطين يتلقون اوامرهم من النظمات اليهودية القيمة في بريطانيا ، كما كانوا يعتمدون عليها من الوجهة الاقتصادية الى حد كبير •

وشرح بن جوريون في مذكراته مدى فضل بريطانيا في توظين اليهود في فلسطين ، وكان من بين ما رواه في هذا الصدد أنه حينما كانت تمر بوايزمان للدى حصل من الانجليز على وعد بلفور عام ١٩١٧ لـ خظات صعبة يستولى فيها عليه الياس ، كان بلفور يقول له : « تشبعع يا دكتور وايزمان ٥٠ كن على ثقة من الكي ستحصل على الوطن القومي لليهود » ٥

ولى سسنة ١٩٣٧ طرا على الموقف عاملان جديدان اولهما أن هتلر أصبح مستشادا للرابغ الالماني ، ويقال أن البنوك اليهودية الامريكية كان لها ضلع في مساعدة حزب النازى في تولى الحكم ، طبقها لما جاء في مذكرات سيدنى وادبرج أحد رجال البنوك الامريكيين ، وأما العامل الآخر فهو أن المستوطنين اليهود في فلسطين بداوا يفرضون سيطرتهم على المنظمات اليهودية الانجليزية ، التي كانوا في يمتهدون عليها ويتلقون منها الاوامر فيما مفي ، وبدات افواج اليهود المشطهدين في المانيا الشرقية تصلى الى فلسطين ، وأصبح جليا أن الهدف المباشر لليهود هو انشاء دولة اسرائيل المشردة ، وبلغ عدد المهجرين الجدد من اليهود الذين وصلوا عام ١٩٣٣ وصلى ١٩٣٩ وصلى ١٩٣٩ عماجرا بديدا ، وفي سنة ١٩٣٤ وصل ١٩٣٩ عماجرا اليهود في ثلاث سحنوات بلغ نحو ١٩٣٥ الله شسخص ، وأصبح عدد اليهود في فلان المستوت بلغ نحو ١٩٣٥ الله شسخص ، وأصبح عدد اليهود في فلات سحنوات بلغ نحو ١٩٣٥ الله شدينا عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٣٩ ٠

وترتب على ازدياد عند المهاجرين اليهود الى فلسطين أن بنا العرب يشعرون بالقلق • وفى شهر ابريل ١٩٣٦ وقعت أول اشتباكات مسلحة جدية بين العرب واليهود ، وازعجت هذه الاشتباكات الحكومة البريطانية وبنا حماسها يقل تجاه القضية الصهيونية ، وكانت الصداقة الإنجليزية العربية قد نمت نموا كبيرا في خلال السنين العشرين الاخيرة وأصبحت لندن توليها اهتماما ملحوظا ، ويرجع ذلك الى اكتشاف البترول في البلاد العربية ، وهو عنصر جديد في العلاقات العربية البريطانية لم يكن موجودا حين صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ ، ولكنه بدأ يلعب دورا هاما عام ١٩٩٧ وأخذ الدور يزداد أهمية باطراد .

وفى خلال الاعوام التالية أخلت الهجرة اليهودية الى فلسطين تتناقص ، فلم يصل من اليهود الى فلسطين عام ١٩٣٦ غير ٢٩٧٢٧ شخصا • وفى عام ١٩٣٧ وصل منهم ١٠٥٣٦ شخصا فقط ، ثم ١٦٤٠٥ عام ١٩٣٩ • ولما اعلنت الحرب العالمية الثانية لم يكن عدد اليهود في فلسطين يتجاوز ••• ألف شخص •

#### استقلال مصر:

وهكذا شسهدت السنوات التى جات بين الحربين العالميتين حركة توطين نصف مليون يهودى في فلسطين ، نجحوا في أن يقيموا جنبا الى جنب مع العرب أصحاب البلاد في ظل حماية الانتداب البريطاني .

وفي خلال هذه الفترة ذاتها عانت مصر آلاما طويلة بسبب القلق الذي كان يعانبه شعبها في كفاحه من أجل الحرية •

والواقع انه حينها قررت لنسان ان ترفض مطالب سعد زغلول بشسان الاستقلال قررت في الوقت نفسه ان تعتقله لانها كانت تراه مسئولا عن تحريف الجماهير المتلمرة • ولكن اعتقاله احدث في طول البلاد وعرضها اضطرابات تلقائية عنيفة وجادفة ، فاضطرت الحكومة الانجليزية الى التراجع بسرعة ، واطلقت سراح سعد زغلول وسمحت لوقد مصرى بحضود مؤتمر باريس ، ولكن الوفد عاد الى مصر من غير أن يحصل على أية ترضية •

وفي خريف عام ١٩٢١ وقعت بمصر اضطرابات جديدة فادركت لندن انه يجب ايجاد حل سياسي للمشكلة المصرية ، وقردت أن تنشى في البلاد حكومة ملكية وطنية لها كل مقاهر السلطة وان كانت في الواقع تفتقي الى أية سلطة فعلية ، وهذا هو اخل المثالي الذي تلجأ اليه بريطانيا دائما في اوقات الازمات ، حتى اصبح طابعا تتسم به سياستها فيما وداء البحاد ، وكان كل ما يهمها هو أن يظل الملك صديقا مخلصا لها !

وقد اعترفت الحكومة البريطانية \_ نتيجة لذلك \_ اعترافا رسميا يوم ٢٢ من فبراير ١٩٢٣ باستقلال مصر وسيادتها ، ولكنها ضمنت هذا الاعتراف أدبعة تعظلت هي : المواصلات الامبراطورية ، والدفاع عن مصر ضد أي تدخل خادجي مباشر أو غير مباشر ، وحماية الاجانب والاقليسات ، وأخيرا وضع السودان تحت السعل، ة التامة لد يطانيا ،

لقد كان استقلالا مقيدا حقا ولا يختلف كثيرا عن الحماية السابقة ، ولكن بريطانيا على أي حال نطقت بكلمة « الاستقلال » وهذا لا يعني شيئا قليلا ،

وفي اول مارس ۱۹۲۲ أصبح السلطان أحمد فؤاد ملكا باسم الملك فؤاد الاول وفي شهر يناير ۱۹۲۶ اجتمع البران المنتخب وكانت تسيطر عليه غالبية وفديه وأصبحت الحكومة المصرية تقوم منذ ذلك الوقت \_ ولمانة ثلاثين عاما تالية \_ على ثلاث دعامات هي : الملك ، والوقاد ، والانجليز و وكان الانجليز يعتملون \_ في فرض سسيطرتهم على البالاد \_ على « أصداقائهم » وهم الملك وسستشاروه ، ونخبة مختارة من الشخصيات المحافظة التي تقاوم اندفاع الوفد ورعونته و ومع ذلك فان بريطانيا كانت تشرك الوفد في اللعبة بين حين وحين ، واصحة من الضروري أن تلعن للضغط الشعبي وتسايره •

ومع هذا ففي خلال الثلاثين عاما التالية لم يرحب الصريون قط بالوصاية الانجليزية التي فرضت عليهم ، باســــثناء أقليــة صفيرة كانت تميل صراحــة للانجليز ، وتضع نفسها في خدمتهم • ولكن لم يحدث مطلقا في خلال تلك الاعوام الثلاثين أن استطاعت آية قوى مصرية أن تنتهج ضد بريطانيا سياسة عنيفة وعدائبة بالمعنى المفهوم ، وهكذا ظل الانجليز يفرضون نفوذهم على مصر من غير أن يعوقهم عانق • اللهم الا بعض المساحنات التي كانت تحدث بينهم وبين المصريين من وقت الى آخر ولم تؤد الى ذحزحتهم عن البلاد •

وقد دفعت الحرب التي شنتها ايطاليا ضمد الحبشة ، والتي تحملي بها موسوليني نفوذ بريطانيا العظمى في الحريقيا ، الى بت دوح الهياج في المعريين مرة اخرى عام ١٩٣٥ ، وحدثت مظاهرات كبيرة ، فاضطرت بريطانيا تحت ضفط حزب الوقد ، الى عقد معاهدة جديدة مع مصر واحتفظت فيها بنفوذها السابع مقابل بعض التناذلات ، وجلت القوات البريطانية عن الاراضي المصرية باستثناء منطقة السويس ، وهكذا حصلت بريطانيا على اعتراف علني من جانب حكومة القاهرة بشرعية وجودها في مصر ، وتخلت بريطانيا عن حقها في حهاية الإجانب والاقليات، وحصلت الحكومة المصرية على حق الاشتراك في جلسات مجلس ادارة القناة ، والحصول على نسبة من الارباح ،

وسواء اصبح الاحتلال البريطاني لمصر صريحا او مقيدا ، فقد ظلت الجماهير المصرية تنظر الى بريطانيا على اعتبار انها « قوة محتلة » ولهذا فانه حينما نشبت الحرب العائمية الثانية اتجهت عواطف المصريين الى جانب اعداء بريطانيا اى الى جانب الالمان ،

ولما توغل الملاشال « دوميل » في شهرى يناير وفبراير من عام ١٩٤٢ في الاداضى المصرية حتى وصل الى العلمين ــ على مسافة ثمانين كيلو مترا غربي الاسكندرية ــ اعتقاد المصريون أن الجيوش الالمانية والايطالية « ستحروهم » من ربقة الانجليز •

وتحرج موقف الانجليز ، فقد كانوا يجتاؤون فترة عصيبة من تاريخهم • ووجنت القيادة العامة البريطانية انها مهددة بقيام اضطرابات في خطوطها الخلفية،

وخشيت أن يقترن الهجوم النهائي الذي يعتمل أن يقوم به « روميل » بنشساط يقوم به الطابور الخامس في مصر ضد القوات البريطانية وأن ينقلب الجيش المصرى نفسه ضد الانجليز • ولهذا أرسل البريطانيون دباباتهم صباح يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ للى القصر الملكي وارغموا الملك على تكليف النحاس باشسا رئيس الوفد المصرى بتشكيل حكومة جديدة • وهذا الاجراء الذي اضطر البريطانيون الى اتخاذه بسبب موقفهم العسكرى الحرج كانت له نتائج بعيدة المدى ، فقد ادى الى الحط من شان الملك ، كما أضر بنفوذ الوفد في اعين الجماهير على آساس أنه قبل تولى الحكم بناء على طلب الانجليز •

## سنوات ما بعد الحرب:

وادت الحرب العالمية الثانية الى نتائج اكثر خطورة فيما يتملق بالحياة العامة في مصر و والواقع أن البلاد استفادت من الاموال الطائلة التى أنفقتها قوات الحلفاء فيها ، ومن اذدياد مبيعات القطن ، ثم من نمو الصناعات المحلية نتيجة لوقف استيراد السلع من اوروبا و ولكن أرباح الحرب لم يفد منها كما يحدث في كل مكان آخر غير عدد معصود من الناس ، في حين كانت الجماهير تقاسى من التضخم اللي ولدته اقتصاديات الحرب ، ومن اذدياد الفروق الاجتماعية بين الطبقات و وقد الاتفعت الاسعاد ولكن الاجور والمرتبات لم ترتفع معها بالنسبة نفسها ، هدا فضلا عن أن الصناعات التى نشات في أثناء الحرب ولدت في ظروف طارئة وبحكم الخرود ، ولم تعمل حسابا للربح على المدى الطويل ، ولهذا فانه ما أن انتهت المحرودة ، ولم تعمل حسابا للربح على المرب وعاد السلام حتى تعرضت للمنافسة الاجنبية ، وتوقف كثير من الصناعات الناشئة عن العمل وألقت بعمالها الى قارعة الطريق و وفي سنة ١٩٤٥ قدر عدد العاطين أو انصاف العاطين في مصر بنحو ٢٠٠٠ الف شخص معظمهم كانوا قد جادوا من الريف الى المدن ، ولم يتلاموا مع الحياة الخصرية بعد ، وأصبحوا قريسة للاملاق و كان هؤلاء الجائمون بمثابة قوات الصاعقة للهياج السياسي الذي ساد مصر في سينوات ما بعد الحرب و

هذا وقد اقترن انتهاء الحرب بيققة النشاط الوطنى ، وكان الوقد قد عزل من الحكم لمسلحة الجماعات البورجوازية المحافظة التى تميل للانجليز ، ولم تكن تهتم بشىء قدر اهتمامها بمسالحها الخاصة ، ولكن عودة هذه الجماعات الى الحكم اصطدمت بسرعة بالتيارات الشعبية الوطنية ، وولى النقراشي الحكم ، ثم اعقبه اسماعيل صدقى الذي حاول مفاوضة لئدن لعقد معاهدة للدفاع المسترك عرفت باسم « اتفاق صدقى ــ بيفن » ، ولكنه قوبل بمعارضة داخلية قوية فتنازل عن الحكم في ديسمبر ١٩٤٦ لسلفه النقراشي الذي لم يحقق نتائج الخضل ، واثبت نظام الحكم في مصر فشله ، وارتفعت صبحات التنمر ، وثم تلبث أن نشبت حرب فلسطين التي كان البعض يعتقد أنها فرصة سانحة لاعادة الوحسة الوطنية في البلاد ،

### متاعب في فلسطين:

على أن الحوادث في فلسطير تطورت بسرعة ، واطردت فيها هجرة اليهود الدين لم يكن يتجاوز عدهم عام ١٩٣٩ نصف مليون شخص ، وازداد طموحهم وقويت رغبتهم في التوسيع مما أثار حنق العرب عليهم • وترتب على استمرار هجرة اليهود مبادرتهم ال تنظيم وحدات للدفاع اللاتي ، وهذا يعني خلق كيان مستقل لهم عن باقي السكان ، أي خلق دولة في داخل الدولة • ومثل هذا الموقف كان من المحتم أن يؤدي باليهود أن عاجلا وان آجلا الى دخول صراع لاختيار قوتهم، عاما أن يصطلموا بسلطة قوية تحظم استقلالهم اللاتي السياسي الذي كانوا قد انشاؤه فصلا في فلسطين علما حطم « ريشليو » من قبل قوة البروتسستانت الفرنسيين ـ واما أن يواجهوا سلطة ضعيفة ينتصرون عليها ، وحيئتذ لن يقف أمامهم عائق يمنهم من انشاء الدولة التي يعلمون بها • وتطور الامر ألى وقوع حرب أهلية عنيفة كما يحدث دائما حين يعلن جأنب من سكان آية دولة العصيان في وجه السلطات الحاكمة •

ولكى تعالج الحكومة البريطانية ــ التى تقوم بمهمة الانتداب على فلسطين ــ هذا الموقف اقترحت حلا وافق عليه بن جوريون زعيم الاقلية اليهودية فى فلسطين والثابت على ولائه لبريطانيا ، كما وافق عليه الملك عبد الله ملك شرق الاردن الزعيم الحقيقى للمغالبية المربية × ، بعد أن انسحب ملتى فلسطين من الميدان لاسباب غير مفهومة ، وعدل عن تولى مهام القيادة التى كان يضطلع بها حتى ذلك الوقت ، واستهدف هذا الحل انشاء دولة يهودية عربية ، كان من المؤمل أن توقع بعد قليل معاهدة دفاعية مع حكومة لندن ،

### اقتراح سوفييتي:

ولكن طرأ حادث جديد قلب هذه الخطط راسا على عقب • ففي يوم ١٤ مايو ١٩٤٧ طالب فجاة «أندريه جروميكو» مندوب الاتحاد السوفييتي في الامم المتحدة بانهاء الانتداب البريطاني في فلسطين واعلان استقلال هذه البلاد ، وتقسيم اراضيها الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية •

غير أن العرب عارضوا فكرة انشاء دولة يهودية فى فلسطين ، وارتفعت المزايدات فى هذا المجال • ولم يشا أحد فى العالم العربى، أو لم يجرؤ ، على الوقوف فى وجه الراى العام العربى ، ولا سيما فى الجامعة العربية التى خلقتها لندن وكانت حتى ذلك الوقت تفرض عليها نفوذها •

<sup>×</sup> هذا من وجهة نظر المؤلف ولكن للجماهير العربية رايا آخر فيه · ( الراجع )

اما الامريكيون اللين كانوا ذوى نفوذ ضخم في الوقت في الامم المتحدة فقد كان موقفهم مانما • وكانت وزارة الدفاع الامريكية وشركات البترول التي يهمها عدم اغضاب العرب • لا تؤيد فكرة انشاء دولة اسرائيلية ، وسارت وزارة الخارجية الامريكية المنقسمة على نفسها في هذا الصدد في هذا الاتجاه ايضا • وكان الرئيس الامريكي « ترومان » هو الذي فرض وجهة نظره المؤيدة لليهود الفسطينيين والتي أدت الى موافقة الامم المتحددة يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بغالبية كبيرة على تقسيم فلسطين وانشاء دولة اسرائيلية • ولكن هذا المشروع اصطلم في الاسابيع التالية بعبات كثيرة ، وتعرضت الحكومة الامريكية التي اقترحت هذا المشروع لضغط شديد بقصد تعديله ، وطلب منها التقدم باقتراح آخر يفرض الوصاية مؤقتا على فلسطن •

وتعقد الموقف وازداد خطورة ، لأن قرار الامم المتحدة اثار موجة من الاعمال الارهابية من جانب العرب في فلسطين ، قابلها اليهود بموجة ارهابية آخرى من جانبم ، وغرقت فلسطين في بحر من اللم والثار •

وفي ذلك الوقت فقد زعماء الاقلية اليهودية كل قدرة على الاختبار ، وكان تأخر انشاء الدولة الاسرائيلية يعنى ضياع سيطرتهم على قواتهم ، كما ان انشاء هذه الدولة يتمارض مع الخطط الانجليزية ، ويؤدى بالتاكيد الى خوض حرب ضد كل قوى الجامعة العربية كما أبلفت بذلك مخابرات المستعمرات اليهودية زعماء الحركة ، ولم يكن زعماء اليهود في فلسطين يستطيعون خوض غمار هذه الحرب ما لم يضمنوا أولا حياد الولايات المتحدة ، وقد ضمنوا هذا الحياد في الايام الاولى من شهر مايو ۱۹۶۸ ، ويرجع بعض الفضل في ذلك الى تأييد الجنرال « ماوشال »

وفى الرابع عشر من مايو ١٩٤٨ ... وهو موعد انتهاء الانتداب البريطانى ... أعلن انشاء دولة اسرائيل ، ووافق هذا مفى عام على اقتراحات « جروميكو » ، وفى اليوم التالى مباشرة نشبت حرب فلسطين كما كان متوقعا من قبل .

#### حرب فلسطين :

غداة القرار الذى اتفادته الجمعية العامة للاهم المتعدة في نوفهبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين ، شن العرب حربا شعواء ضد اليهود ، وكانت هذه الحرب اشبه بحرب العصابات منها بالحرب بعفهومها المعروف ، وكان الغرض منها حصل الاهم المتحدة على الرجوع عن قرادها ، وارادوا أن يبرهنوا لها أنهم يسيطرون من الوجهة المسكرية على فلسطين • وقد اتخذ اليهود في هذه الحرب موقف الدفاع ، وكانوا يوجهون للعرب ضربات متغرقة هنا وهناك من غير أن يكشفوا أوراقهم الحقيقية • وكانت قد قامت في ذلك الوقت اتصالات سرية بتحريض الانجليز بين المسئولين في شرق الاردن وبين ذعصاء آليهود ، الغرض منها أن يضمن الاولون لانفسهم السيطرة على الجزء الفلسطيني الذي سيقل عربيا • ولم تصدق آلدول العربية الاحرى سالتي كانت متاثرة بمزايدات الجامعة العربية سأن الملك عبد الله ملك شرق الاردن يمكن أن يعترف بوجود دولة يهودية في قلب المجتمع العربي مقابل مغنم الخليمي معدود •

ولكن الملك عبد الله فضل أن يكون عمليا وواقعيا فيقبل ضم القدس وكل الاداضى المتبقية من فلسطين العربية الى بلاده . ومع ذلك كان ينبغى عليه أن يعمل حسابا لمسعود السام في الدول العربية ، وحسابا آخر للقلق الذي يخامر العربية يدفعها الى عدم السسماح له بمغنم هو في نظره انتصاد له على أي حال •

وكانت الامم المتحدة قد قررت انهاء الانتسداب البريطاني على فلسطين ، وقدرت لندن أن انسحاب القوات البريطانية من فلسطين سيحول مشكلة فلسطين الى نزاع محل ، وأن الجيوش المربية ستبادر الى اعادة الستوطنين البهود الجشعين الى صوابهم بسرعة ، حتى أن الامر قد يتطلب من بريطانيا اعادة قواتها الى فلسطين لبواعث انسانية تهدف الى حماية البهود من العرب ،

وكان اليهود قد أصيبوا بخسسائر جسيمة على أيدى العرب في شتاء عسام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ و وكان شهر مادس ١٩٤٨ اسوا الشهود التي مرت بهم ، ولكنهم في شهر أبريل قاموا بهجوم شديد أجبر العرب على التفكير في وسيلة فعالة لوقفهم عند حدهم ، فاجتمع في عمان يوم ٢٤ أبريل مجلس عسكرى يضم ممثل اللول العربية وقرر أن تقوم جيوش اللول العربية بعمل مشترك في فلسطين يوم ١٥ مايو ، وهو اليوم التالي لانتهاء الانتداب البريطاني ،

وأحاطت خمسة جيوش عربية بفلسطن واستطاعت في خلال أربعة أسابيع أن تسترد جزءا عاما من أراضيها هو تقريبا الجزء الذي أوصت الامم المتحدة بمنحه للعرب بموجب قرار التقسيم • ولكن الامم المتحدة أعلنت الهيدنة لمدة ثلاثة أسابيع - من يوم ١١ يونيه ال يوم ٩ يولية - فاستطاع كل من الطرفن المتنازعين في خلالها أن ينظم صفوفه وأن يعيد تسليح قواته ؛ الا أن هذه الهدنة أفادت الاسرائيليين كثيرا ( الاسرائيليون هو الاسم الجديد الذي اطلقته اليهود في فلسطين على انفسهم منذ يوم ١٥ من مايو وهو تاريخ مولد اسرائيل ) • ثم اعلنت هدنة أخرى يوم ١٨ يولية ، وقد تخللها أعمال حرب العصابات وعمليات انتقامية وجه الاسرائيليون معظمها الى الجبهة المصرية في القطاع الجنوبي لفلسطان الذي كان الاسرائيليون يهتمون به بصفة خاصة . والغريب أنهم لم يهتموا كثيرا بالقطاع الاوسط الذي تقع فيه جبهة الجيش الاردني ، وهسلا الجيش الذي كان يسسمي الفيلق العربي ويقوده الجنرال الانجليزي « جلوب » توقف عن التقدم بعيد ان حقق الاهداف الحربية التي كان يريدها الملك عبد الله وهي الاستيلاء على القطاع الاوسط من فلسطين وعلى مدينة القدس القديمة • لقد أبدى الاسرائيليون في صراحة عدم اهتمامهم بهذا القطاع وأخلوا يوجهون ضرباتهم الرئيسية الى القوات المرية في الجنوب • والواقع أنهم كانوا قد وضعوا نصب أعينهم الاستيلاء على النقب ، وهي فكرة ديثية كانت تسيطر عليهم ، ومن يدي فربما كانوا يفكرون أيضًا في هذا الوقت في الاستيلاء على شبه جزيرة سيناء ، وربما فكروا أيضًا في الاتجاه نحو قناة السويس •

ولم يكن لدى الاسرائيليين غير خليط شاذ من الاسلحة تكاد تكلى لخوض المعادك التي اعتزموا القيام بها ولم يكن خصمهم ــ الجيش المصرى في ذلك المهد ــ مستعدا من الناحية المعنوية أو من الناحية المادية للدخول في حرب عصرية جدية ، ولهذا هزم المام القوات الاسرائيلية هزيمة منكرة ، وعاد الفسياط المعريون الى بلادهم وفي قلوبهم حتق مرير ثابت ضد حكومتهم بل ضد نظام حكم الملك فادوق ذاته ، وكان من بين هؤلاء الفسياط ضابط اسمه جال عبد الناصر .

وجدير باللدكر أن الهدئة الاخيرة التى فرضتها الاهم المتحدة لم تلق احتراما كما حدث أسابقاتها ، فاندفعت الجيوش الاسرائيلية نحو مصر لا تعوقها غير مقدرتها المحدودة على الحركة وليس مقاومة خصمها ، ولكنها حينما تجاوزت اخدود الجنوبية الغربية ـ التى عينتها الاهم المتحدة في قرار التقسيم ـ تنخلت الولايات المتحدة وبريطانيا ، فقدمت واشنطن الى الاسرائيليين نهاية شهر ديسمبر ١٩٤٨ اندفرا المادا طالبتهم فيه بالانسحاب من سيناء ، وفي السابح من يناير ١٩٤٩ تدخل السلاح الملكى البريطاني تدخلا مباشرا ضد اسرائيل ، والواقع أنه في ذلك الوقت لم يكن يفصل الاسرائيليين غير الوقت والرمال والحجادة عن قناة السويس ، او بالاحرى منطقة القناة التى كان يحتنها البريطانيون ،

واذعنت اسرائيل ، وفي الرابع والعشرين من فبراير ١٩٤٩ وقعت الهدنة في جزيرة رودس ، وفي العشرين من مارس اعلن وقف اطلاق النار رسميا ، وظلت بذلك فئاة السويس تحت سيطرة بريطانيا ،

### اضطراب الحالة في مصر:

أثارت الهزيمـة المرادة فى صفوف الجيش فى مصر ، وبدا النـاس يرددون قصصا عن الاختلاسات ، بينما راحت أصابعهم تشير بالاتهام الى كبار المسئولين فى الحكومة والى الديوان الملكى ذاته ، ولقيت هذه القصص رواجا فى كل مـكان وصدقها الناس ، واستغلتها المعارضة اليسارية فى الحملة الانتخابية ، وانتشرت روح التدمر بين المواطنين ، وجات انتخابات عام ١٩٥٠ بالوفد الى الحكم بسبب وقوفه موقف العداء تجاه الانجليز وفاروق معا • ولم يعد هناك محل للحديث عن مشروعات دفاعية مثل مشروع صدقى ... بيفن ، فضلا عن أن الحكومة المصرية لم تكن مستعدة للناقشة آية مسألة غير جلاء البريطانيين عن مصر جلاء تاما ، ولكن بريطانيا وفضت الجلاء رفضا باتا •

وفي النساء ذلك وقع حادث كان له تأثير عميق في نفوس الجماهير المصرية وترتبت عليه نتاتج بالفة ، هو اقدام الدكتور مصدق على تأميم شركات البترول في اليران • وكان هذا الحسادث بماثة مثال يستطيع ان يحتديه الوطنيسون في كل مكان ، فقد انتشرت في ايران حركة شسعبية قوية تطالب بتاميم صناعة البترول التي كان يسيطر عليها البريطانيون وادت الى توفي مصدق الحكم يوم ٢٨ من أبريل ١٩٥١ ، ثم لم تمض ثلاثة ايام حتى اعلن مصدق تأميم صناعة البترول الايراني وكان ذلك في اول مايو ١٩٥١ ،

وقد تبين في خلال الشهور التالية أن رد الفعل العنيف اللى احدثته هذه الخطوة لدى الحكومة البريطانية لم يلق تأييدا كاملا من جانب حليفتها الولايات المتحدة ، وبدا كما لو كانت اخكومة الامريكية تنتهج حيال هذه المسالة سياسة تغالف السياسة البريطانية ، وانها اقل استياء تجاه أماني الايرانيين الوطنيين ، على أن الحادث لم يمر مر الكرام ، سواء في موسكو أو في الشرق الاوسط ، وحظى باهتمام خاص في القاهرة ،

وراى زعماء الوقد في هــذا الحادث مخرجا لهم من مازقهم الســياسي مع بريطانيا • فعا داموا لم يستطيعوا اقناع الانجليز بمطالبهم، أو الاذعان هم انفسهم لمطالب الانجليز ، فانهم يستطيعون الاعتماد على « اللعبة الامريكية » لمواجهة المحكومة البريطانية • ولما رفض الوقد طلب الانجليز بتوقيع معاهدة دفاعية كان واثقا من تاييد الشعب له في سياسته الجديدة • فقد عاد الى الحكم نتيجة لغضب الشعب على الحكومة السابقة التي منيت بالهزيمة في فلسطين ، ووجد انه يستطيع أن يواجه بريطانيا بمطالبه الخالدة بشان الاستقلال •

وفي الثامن من اكتوبر ١٩٥١ قطمت حكومة الوفد المفاوضات مع الجانب البريطانية قد قدمتها البريطانية ود قدمتها للمبال البريطانية قد قدمتها لها أن تخلى مكانها لحكومة المحافظين ، واعلنت في الوقت نفسه الغاء الماهدة الانجليزية المصرية التي عقدت عام ١٩٣٦ وكذلك اتفاقية عام ١٩٨٩ ، الخاصة بالسودان • وبعد فيسة إيام وفضت حكومة الوفد الاقتراحات التي قدمت اليها بالانضمام الى حلف مشترك للدفاع عن الشرق الاوسط ، وكانت هذه الاقتراحات مقدمة من الولايات المتحدة وبريطانيسا وفرنسا وتركيا • وبعد إيام قليلة بدأ المصريون يقومون بحرب عصابات ضد الانجليز في منطقة قناة السويس ، وظلت هدا الحرب تتراوح بين مد وجزر فترة من الوقت •

ولم تتحسن الاحوال الداخلية في البلاد ، لا سيما بعد أن أخسات جماعة 
« الاخوان المسلمون » اليمينية المتطرفة تمارس الارهاب ضد المنظمات اليسارية 
بصفة خاصة، وقد قبل أن هذه الجماعة كانت على علاقة بالملحق المسكرى البريطاني 
وأنه كان يوجهها سرا • وكان الوفد قد أقفل جميع الابواب المؤدية ألى التفاهم مع 
بريطانيا ولم يعد أمامه غير أن يثبت أنه قادر على المحافظة على النظام في الداخل ، 
ولكن الاحداث التي جرت بعد ذلك في خلال الشهور الاربعة التي بدأت من يوم ٨ 
اكتوبر ١٩٥١ حتى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٦ هـ وقد سسمى « السبت الاسود » لان 
القاهرة أحرقت فيه \_ برهنت على أن الوفد عاجز عن السيطرة على موقف يتفجر 
بالثورة •

#### ومن اللي أحرق القاهرة ؟

لا احد يدى غير الذين اشتركوا في عملية اشعال الحرائق انفسهم • ويقال ان أنطوني اينن صرح بان المسئول عن هــلا الحريق « خبــير شيــوعي في اشعال الحرائق وعضو في حركة السلام » وهذا التصريح يحمل على الاعتقاد بان دئيس الحكومة البريطانية السابق يعرف من هو هــلا الشخص ولكنه فضل الا يدكر اسمه • ولــكن هل هـلا الشخص هو وحــده السنتول عن هــلا الحادث الرهيب ؟

لا شك ان هناك اسبابا اخرى ساهمت فى ذلك ، فمثلا يعتقد كثيرون أن القاهرة ما كانت ليسودها الاضطراب فى ذلك اليوم وتعمها انفتنة لولا الهجوم الوحشى الدى قامت به وحدة بريطانية فى منطقة قناة السويس ضد احدى وحدات الشرطة المعربة ، وما كانت هذه الفتئة لتبلغ هالما الحد من الخطورة لو أن الملك فاروق ورئيس هيئة اركان جيشه قد امرا قوات الجيش بالتدخل قبل أن يحل الليل ( ولكن ربما كانت لدى الملك أسباب تجعله يخشى المفامرة بارسال الد اعدائه وهم رجال الجيش ، لقمع الفتنة ) .

ان حرائق يوم « السبت الاسود » كان مبروا كافيا لاقالة حكومة الوفد ، وان وتشكيل حكومة جديدة وصفها ايدن في مذكراته بانها « توافق مزاجه » وان « لديها فرصة طبية للبقاء ، لا سيما إذا حالف النجاح مفاوضاتنا لعقد معاهدة مع معر » •

ولىكن أيدن كان مخطئا و فهذه الحسكومة لم تسكن أمامها فرصة طيبة للبقاء في الحكم ، ولم تعش غير فترة قصيرة من الزمن و لقد كانت حكومة بلا مستقبل أمامها ، لانه ثم يكن في استطاعتها أن تتغلى عن برنامج حكومة الوفد فيما يتعلق بالطائبة بالاستقلال من غير أن تثير ضدها ثائرة الشعب والجيش ، في حين أن الحكومة الانجليزية ثم تكن مستعدة للمفاوضة الا على أساس جوهر مقترحاتها السابقة وأن كانت قد عدلتها حيثها وافق ايدن على أن تجرى المحادثات طبقا للمشروع الامريكي الخاص بالدفاع عن الشرق الاوسط بدلا من الشروع البريطاني الاصلى و

ووصل الموقف بين بريطانيا ومصر ... من الوجهة الدبلوماسية ... حد الازمة التى يتعلد الخروج منها • وكان من المكن أن يستمر الحال على هذا المنوال لو لم يزدد الموقف سواء فيما يتعلق بالسياسية الداخلية والحالة الاقتصادية للبلاد •

#### نظام يحتضر:

اظهرت أحداث نهاية شهر يناير سنة ١٩٥١ أنه يمكن أن تنبثق حركة شعبية في آية لحظة من غير أن تستطيع الحكومة مواجهتها واخمادها ، لان الجيش والشرطة لم يكونا في صفها وانما وقفا الى جانب الشعب المتهرد .

وهسده الحسالة التى لم تسر لنسيدن بالطبيع آثارت ذعر الامريكيين الدين كانوا يغشون أن يستيقظوا ذات صباح فيجلوا في القاهرة حكومة شيوعية • وقد أبلغت واشنطن حكومة لندن بأن « المعلومات التى لدينا تحملنا على الاعتقاد بأن كل يوم يمر من غير تحقيق تقدم حاسم ، فيما يتعلق بحل المسائل المعلقة بين بريطانيا ومصر ، ينطوى على خطر يهدد بقاء الحكومة المصرية الحالية » •

وحاولت حكومة نجيب الهلال أن تفهر بمغلهر الحكومة التى تتحل بالنزاهة والشرف وأن تصرف أنظار الشعب عما يشعر به من آلام ومتاعب و وذلك بتوجيه الاتهامات الى زعماء الوفد وجرهم الى معاكمات سياسية كبرى ، ومحاولة البات أن بعضهم آثرى ثراء غير مشروع • ولكن توجيه الاتهامات لم يكن مهمة صعبة ، ولم يكن مستشارو الملك أنفسهم طاهرى الليل • وهكذا فأن هذه الاتهامات كان يمكن أن تنقلب ضد الذين يدبرونها ، وكان يمكن أن يستخلص منها أنه اذا كان الفساد والرشوة قد عما الدوائر العليا في البلاد فأن السبب في ذلك هو أن نظام الخمير ميناسة تناقض مصالح الوطن ولا يهتم بمقدرات الشعب •

واستقال الهلال ، وخلفه في الحكم دجل من بطانة الملك اسمه حسين سرى • ولكن الملك الذي كان يفتقر الى الخلق اكثر مما يفتقر الى اللاكاء كان قد فقد السيطرة على الموقف ، وتحقق من ان نهايته قد اقتربت ، وايقن ان الانجليز اعجز من ان يسطوا عليه ـ وهو صنيعتهم ـ حمايتهم ، وان اعتقاده في مقدرة بريطانيا على حمايته لم تكن غير وهم من الاوهام • ولم يكن في استطاعته بعد ان اصبح يمثل

النفوذ والسيطرة البريطانية في البلاد ، أن يقوم بدور البطولة الوطنية ، واكبر خدمة كان يستطيع أن يقتمها لبلاده في مثل هذه الظروف هي أن يغتفي من على المسرح ، ولكن ما خفي على فادوق كان أعظم ، فالواقع أن القوات البريطانية في مصر كانت قد تلقت تعليمات بالا تقدم يد المساعدة له ، وأن تترك صنيعتهم لمسرد المحتوم ،

ولم يلبث أن أصبح الجو مهيا لظهور «الضباط الاحران» على مسرح الاحداث. ولكن لماذا تأخر ظهورهم أكثر مما يثبغى ؟ هل كانوا يشعرون،الحوف ؟ وهل كانوا يريدون أن يقوم بالانقلاب أشخاص غيرهم ؟

على أى حال قائه في ٢٣ يوليسة سنة ١٩٥٢ قام الجيش ــ جيش الشعب ــ بالحركة التي طال انتظارها ، وهي تخليص الوطن من فاروق وحكمه ٠

# الفضك الرابع

## من الحياد الى عدم الانحياز

تولى الضباط الأحراد مقاليد الحكم ، ولم يبق امامهم الا ان يحدوا سياستهم الا الله الله الله المياستهم التي لم يكن قد اتضح منها بعد غير خليط من الاماني المتناقضة ، وكان ألإجماع الرائع الله ساد النسمب في وقت من الأوقات لطرد فاروق الفاسد المتردد قد تبخر في شمس المقاهرة الدافئة ، وأصبح مما لا مناس منه خلق اعدا، جدد ،

ووجهت حكومة الفسياط الاحراد أولى ضرباتها الى الثروات التى اعتمد اصحابها في جمعها على معالاة بريطانيا وتكريس أنفسهم ظنمتها ، والذين اعتملت لندن بدورها عليهم في تثبيت دعائم استعمارها الداخل في البلاد ، وهم كبار اصحاب ملاك الاراضي من منتجى القطن ، وقامت في الوقت نفسه بحركة تهدف الى ضمان تاييد الملاحين لها ، فوصمت مشروعا لاصلاح الاراضي الزراعية بسرعة، كما عملت على ادخال الطمانينية في قلوب رجال الصناعة من أضراد الطبقة الوسطى ،

والواقع أنه كانت هناك قصة غرامية بين الولايات التحدة وحكومة الثورة استمرت ثلاث سنوات عقسات خلالها بينهما اتفاقيات ثقافية ومالية ، حتى ان دين الشييسون وزير الخارجية الامريكيسة صرح علنا يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٥٢ بان الشمين الامريكي والصرى بينهما « صداقة متينة » • وقد ظلت هذه الصداقة المتبئة تؤتى ثهارها فى جميع المجالات ، فيما عدا ميدانا واحدا هو الأسلحة ، اذ قبضت وشنطن يديها فلم ترسل لمصر أسلحة ، تمسيا مع اتفاق كانت قد عقدته مع بريطانيا وفرنسا يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٥٠ بنسان حظر ارسال الاسلحة ال دول الشرق الأوسط •

ثم أن الولايات المتحدة لم تشا أن تمد المعريين بالاسلحة مالم يشتركوا أولا في مشروعات الدفاع الفرية عن الشرق الاوسط التي كانت تشرف عليها حكومة وشنطن • وكانت الولايات المتحدة تنتظر من مصر ـ باقل تقدير ـ تعهدة صريحا يدل على أنها تشاطر الدول الفربية وجهات نظرها ، وذلك كخطوة أولى في طريق الانضمام إلى المشروعات الدفاعية لهذه الدول في المستقبل •

واوضحت حكومة وشنطن وجهه نظرها في هذا الشان لقائد الجناح على صبرى في خلال زيارته للولايات المتحدة في نهاية عام ١٩٥٥ • واعلنت حكومة القاهرة يوم ١٠ فبراير سنسة ١٩٥٧ - تمشيا مع رغبة الحسكومة الامريكيسة ـ استعدادها للتعاون مع الدول الغربية ، في مذكرة اصدرتها في هسدا الشان ، واطهانت الولايات المتحدة ، التي كانت غارقة حتى اذنيها في الحرب الكورية الى المحر ستقاوم أي عدوان سوفييتي معتمل •

ومقابل هسلم النوايا الحسنة التي أبداها زعماء حكومة الشورة ، لم تتردد الحسكومة الامريكيسة في منحهم ناييدها ، وكان لهسلا التابيد فوائد عظيمسة في مناسبات كثيرة •

ولم يكن نشر المذكرة المسار اليها مجرد مصادفة ، فقد تعمدت الحكومة المعرية نشرها قبل زيارة انطونى ايدن \_ وزير الخارجيسة البريطانيسة فى ذلك الوقت - للولايات المتحدة بثلاثة اسابيع ، وكانت هاله المدكرة بمثابة « الورقة المصرية » فى هالم اللغبة الغربيسة التى يشترك فيها ثلاثة اطراف هى : مهر والولايات المتحدة ، وريطانيا •

#### الأطراف الثلاثة:

كانت السمة البادرة في هذه اللعبة أن الخاسر فيها معروف حتى قبل ان يبدأ اللاعبون اللعب ، وكان الخاسر هو بريطانيا العظمى ، فقد كانت مصر تطلب كل شيء ، ولا تعطى شيئا ، وأخلت الولايات المتحدة تعمل على التخفيف من حدة مطالب المصرين وتضغط في الوفت نفسه على الانجليز على امل التوفيق بينهما وتكين معرد اشتراك بريطانيا في هذه اللعبة كان يعنى أنها سترغم على التساهل والتنازل عن بعض الامتيازات .

ومنطق الاستعمار البريطانى لم يكن يستسيغ هذه اللعبة الثلاثية ، فقد 
تعود أن يجرى مفاوضات ثنائية لا يدخلها طرف ثالث كوسيط ، وكان قبدوله 
وجود الطرف الامريكى فى مفاوضاته مع مصر يعنى فتح الباب امام عدد لا يحمى 
له من المشكلات ، وأمام مقترحات فرعية تفسد الأسس التي تبنى عليها المفاوضات 
( مثل الوعد بعقد اتفاق تجارى طيب مع مصر مقابل تساهلها فى مسالة معينة ، 
لان مثل هذا الاتفاق لا مناص من عقده على أي حال ) • ومن وجهة النظر التكتيكية 
يعتبر تدخل طرف ثالث فى المفاوضات خطأ جسيما بل غلطه فاحشة تنطوى على 
المد المخاط •

#### ومن اين جاء هذا الخطأ ؟

لقسد كان مصدوره بعضى السياسيين البريطانيسين الدين ظنوا مند نهاية الحرب العالمية الثانية انهم يستطيعون في ظل الامريكيين ــ واستنادا الى تاييدهم وصداقتهم ــ الاحتفاظ بامجاد بريطانيا الماضية • وصاحب هذه النظرية « نظرية العلاقة الخاصية التي تربط بين بريطانيا والولايات المتحدة » هـو ونستـــون تشرشل • وقد حدا انطوني ايعن من بعده حلوه في تطبيقها ، ولكنه كان يطبقها كارها ويعدك ان هده السياسة « المستركة » الانجليزية الامريكية لا تنفذ حقا الا عندما تلتزم بريطانيا خط السياسة الامريكية وتقبل وجهات نظر وشنطن ،

هذا فضلا عن أن هذه « السياسة المُستركة » كانت غير معدودة وغير واضحة المعالم ، واكثر من هذا فانها كانت لا تطبق بمجرد أن يشم رجال السياسة في واشنطن رائعة البترول في مكان ما • وقد صرح ايدن في مذكراته أن مصدق رئيس حكومة ايران ما كان ليجرؤ على تأميم صناعة البترول التي تشرف عليها بريطانيا في ايران لولا اعتماده على وعد حصل عليه عن رجال السياسة في الولايات المتحدة بأن تلتزم وشنطن « الحياد » في نزاعه مع الانجليز •

ولما وصل ايدن الى وشنطن فى اوائل مادس سنة ١٩٥٣ عرض على الامريكيين مشروعا بجلاء القوات البريطانيسه عن مصر بشرط أن تحتفظ بريطانيسا بقاعدة عسكرية فى وقت السلم فى منطقة قناة السويس، وانشاء منظمة عصرية انجليزية للدفاع الجوى عن مصر ، واشتراك مصر فى منظمة دفاعية دولية للدفاع عن الشرق الاوسط . وأخيرا اقترحت بريطانيا وضع برنامج بالاشتراك مع الولايات المتحدة لتقديم للساعدات المستكرية والاقتصادية لمس . ويلاحظ هنا أن ايدن سالذى يطالب الآخرين بان يحترموا بدفة تعهداتهم سقد اقترح وضميره مستريح نقض الانفاق الذى عقدته حكومته مع ادرنسا والولايات المتحدة عام ١٩٥٠ بحظر ارسال الاسلحة الى الشرق الاوسط •

ودعت وشنطن الانجليز الى مفاوضة المصريين مباشرة • ولكن اذا كان إيدن قد ذهب الى وشنطن الانجليز الى مفاوضة المصريين مياسة مشتركة » تجاه مصر ، فقد كان غرضه من ذلك أن يوضح المصصريين انه لا قبل لهم بتحدى « الجبهة المشتركة » المؤلفة من بريطانيا والولايات المتحدة ، وانه من الافضل الهلم ان يرضخوا ويخففوا من غلوائهم ، ثم لكى يوضح لهم إيضا أنهم لن يستظيموا بعد يرضخوا ويخففوا من غلوائهم ، ثم لكى يوضح لهم إيضا أنهم لن يستظيموا بعد الآن أن يضربوا لندن بوشنطن ، وأن يشيروا الخلافات بينهما لمسلحتهم ،

وعينت الولايات المتعدة مراقبا لحضور المفاوضات الانجليزية المصرية . ولكن ايزنهاور بعث الى الحكومة المصرية برسالة يعدد فيها موقف الولايات المتحسدة ، وهو موقف يخالف « السياسة المستركة » التي ظن تشرشل وابدن انهما يستطيعان فرضها على المصريين • وهكذا أدركت القاهرة مقدما أنه يوجد تباين في وجهات النظر بين الولايات المتحدة وبريطانيا تجاه حل الشكلة المصرية •

# أيزنهاور يظهر على السرح:

ان اخطاب الذى اوسله الرئيس الامريكى ايزنهاور الى الحسكومة المصرية فى شهر مادس سنة ١٩٥٣ ، والذى اعدته بالطبع وزارة الخارجيسة الامريكية ، يعتبر نموذجا للباقة الدبلوماسية ، وقد اوضح فيه استعداد الولايات المتحسدة للقيام بدور الحكم فى النزاع القائم بين مصر وبين الانجليز ، ووعد وعدا صريحا بالممل عل تحقيق مطالب مصر الاساسية ، بشرط الا يضع المصريون عراقيل امام مشروعات الغرب اتخاصة بالدفاع المشترك عن الشرق الاوسط .

وبدأت المفاوضات بين مصر وبريطانيا يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩٥٣ ولكنها توقفت يوم ٣ مايو بسبب تمسك كل من الجانبين بموقفه ، واصرار بريطانيا على الاحتفاظ بقواتها في منطقة قناة السويس ، واصرار مصر على جلاء هذه القسوات من أراضيها •

وكان لا بد أن تتدخل الولايات المتحدة وأن تتوسسط في النزاع ، واعتزم جون فوستر دالاس وزير الحارجية الامريكية أن يقوم بدور الوسيط ·

وكتب ايزنهاور مرة أخرى الى الحكومة المصرية يوم ٨ مايو سنة ١٩٥٣ غداة قطع المفاوضات الانجليزية المصرية يبلغها أن دالاس في طريقه الى القاهرة • ولم تمض ايام ثلاثة حتى كان دالاس في العاصمة المصرية ، وكان يحمل معه الى رئيس الحكومة هدية عبارة عن مسدس أثرى قديم قال وهو يقدمه اليه : « لن تكون في حاجة الى استخدامه » •

ولا شك في أن تقديم قطعة سلاح قديم الى شخص ينتظر منك أن تقدم له دبابات أو طيارات عمل ينطوي على الحبث أو على الحماقة · ولكن دالاس لم يسكن ليهتم بمثل هـذه التفاصيل الصغيرة ، فقد جاء ومعه مشروع ضخم للدفاع عن الشرق الأوسط يمثل في اهميته بالنسبة لهـذه النطقـة اهمية حلف شمـال الاطلنطي بالنسبة للدفاع عن الفرب •

ولكن القاهرة استقبلت مشروع دالاس بفتور كما لو كانت تعرف مضمونه حق قبل أن يفادر دالاس وشنطن ، وفسرته بانه خطة استراتيجية تهدف الى الاحتفاظ بسيطرة الانجلو ساكسون العسكرية على الشرق الاوسسط ، ومئ ناحية آخرى الاحتفاظ بحقول البترول التى تملكها الولايات المتحدة وبريطانيا في هذه البقعة من العالم ، وذلك عن طريق اذالة بقعة « الاستعمار » البريطاني التي لطخت وجه مصر ٧٠ عاما ،

وقويل دالاس في القاهرة باللعنات ، وحملت عليه الصبحف المصرية حملة شعواء ، على الرغم من أن الحكومة وقفت منه موقفا مهذبا ينطوي على المجاملة ،

وفشلت عهمة دالاس وطويت جميع مشروعات الغرب في مصر الي حن م

#### متاعب داخلية:

وبدا الأخراف الثلاثة المستركون في اللعبة يتساءلون عما اذا كان كل منهم يؤدى الدور المنوط به في اللعبة باخلاص • كما بدأ البعض يتساءلون عما اذا كان مجلس قيادة الشورة للصرى متحدا حقا كما يبدو للانظار ، أو أن هناك منظمات أخرى يمكن أن تحل محله لمصلحة الفرب •

وكان الضباط الاحراد قد الغوا بجرة قلم في شهر يناير سنة ١٩٥٣ جميع الاحزاب السياسية ، بما في ذلك ما تبقى لهم من انصاد في حزب الوفد • وكان السياديون واليساديون المتطرفون يعادضون الحكم الجديد ، وكان الاخوانالسلمون السياديون التطرف قد دخلوا مع حكومة الضباط الأحراد فيما يشبه

المزايات الوطنية • ولم يكن كبار الملاك ، الذين اقتطعت أجزاء كبيرة من اراضيهم ـ طبقاً للقوانين الجاديدة ـ راضين عن العهد الجديد ، وهكذا كانت المعارضة تضم أعداء كثيرين للنظام الجديد •

ثم ظهر آن جماعة الفسباط الاحراد لم تكن متحدة او متفاهمة كما بدا لأول وهلة • وكان اللواء محمد نجيب مجرد • واجهة » للنظام الجديد آكثر منه زعيما له ، ومع ذلك فقد حاول الكثيرون استفلال نفوذه وبخاصة الذين كانوا يريدون التخلص من جمال عبد الناصر •

لقد كان ناصر رجلا عصاميا ، نسسا في اسرة متواضعة الحال ، وبدا حياته في طريق الوطنية الثورية منذ كان عمره ثلاثة عشر عاما ، وفي أيام شبابه انهمك في النشاط السياسي أكثر مما انهمك في الدراسة ، ولكن هذا النشاط ذاته هو الدي حدد مستقبله ، وذات يوم قبل هذا الطالب الجهول – الذي لا ينتسب لاسرة عريقة ، ويفتقر الى العلقات الاجتماعية التي لها وزنها في الحياة ، والذي له مع ذلك سجل في ادارة البوليس السياسي – في الكلية الحربية ،

ولسكن حسدت في صيف عام ١٩٥٣ حادث غريب في الوقت الذي كان الفساط الاحراد يدافعون فيه عن سلطتهم ضد اخصلات الموجهة اليهم من كل جانب ، فقد توجه اللواء معمد بجيب لاداء فريضة الحج في مكة يصحبه احصد شوقي \_ وهو احد كبار الفساط الاحرار المؤيدين له \_ واخذ يدلي هناك ببيانات وتسريحات اعلن فيها تمسكه الشديد بالقومية العربية ، وهو موقف مفاجيء لم يكن متوقعا ان يتخده و وجد عبد الناصر نفسه أو بالاحرى فريق عبد الناصر يواجه موقفا يهدد نفوذه بسبب الدعاية التي يقوم بها محمد نجيب فيما يتعلق يواجه موقفا يهدد نفوذه بسبب الدعاية التي يقوم بها محمد نجيب فيما يتعلق

بالقومية العربية ، التى لم يلتفت اليها عبد الناصر حتى ذلك الوقت ، وكان هذا يقساوم حيننذ مقترحات الامريكيين الذين كأنوا يطالبون بمنحهم امتيسازات استراتيجية في الشرق الأوسط . ووجد أنه من المتعلو عليه أن يضى في مفاوضات معهم في الوقت الذي يصادف فيه تحديا خطرا ومعارضة عنيفة من جميع الاتجاهات وانقضت الشهود التالية في صراع داخلي حول السلطة وفي منافسة مع الجماعات السياسية التى تريد أن تنسب لنفسها فخر المطالبة بالوحدة العربية ×

وبادر عبد الناصر فكتب « فلسفة الثورة » كتابه الشهور الذي اراد به ان يواجه تحدى خصومه السياسيين الذين كانوا يريدون احتكار التحدث عن القومية المربية والوحدة العربية - وقد صرح جي موليه رئيس الحكومة الفرنسية فيما بعد أن هذا الكتاب يعيد الى ذاكرته كتاب « كفاحي » الذي وضعه هتلر ، وكان أحد الأسباب التي تدرع بها لاتخاذ موقفه العدائي من مصر وهو الموقف الذي دفعه الى تدبير حملة السويس ضد مصر .

وانتهى عام ١٩٥٣ من غير احراز تقدم محسوس فى المفاوضات المصرية الانجليزية ، والواقع أن المصريين والانجليز على السواء ثم يكونوا مستعدين للمضى فنما فى المحادثات ، فالفساط الاحرار كانوا مشغولين فى صراعهم الداخل من أجل النغوذ ، وكانوا يريدون تسوية انقساماتهم الداخلية قبل أن يكرسوا مجسودهم للمسائل الخارجية ، أما الانجليز ومعهم الامريكيون فكانوا يشعرون بغيبة أمل مئد فشل دالاس فى محادثاته خلال شهر مايو سنة ١٩٥٣ ، واصبح جل اهتمامهم موجها الى عقد معاهدة أطلق عليها حينئلا « اسم الحرام الشمائل » وتهدف الى مواجهة احتمالات العدوان السوفييتى ، ولكن أهداف علم الماهدة ثم تلبث أن تعولت الى محاولة لغرض السيطرة السياسيسة والتجسارية من جانب بريطانيا والولايات المتحدة على العالم العربى ، باسم ميثاق « حلف بفسداد » الذي وقسع فيما بعد ،

عده الوقائع التي سردها المؤلف في تلك المفترة يجانبها المدق والواقع التاريخي المنحيج .
 ( الراجع )

#### المفاوضات الانجليزية الصرية :

وقد عقد ميثاق حلف بفداد على اساس معاهدة الساعدة التبادلة التى عقدت بين تركيا وباكستان و وكان السئولون الاتراك والباكستانيون قد وجهت اليهم دعوة لزيارة وشنعلن في نهاية شهسر يناير سنة ١٩٥٤ حيث شرح لهسم الامريكيون المهمة المطلوبة منهم و وفي ١٩ فبراير سنة ١٩٥٤ اعلى مشروع هذه الماهدة ، وكانت أولى نتائجها دفع الهند المعاهدة التركية الباكستان الحي أحضان كل دولة تعارض هذه الماهدة • وتم توقيع المعاهدة التركية الباكستانية في الثاني من ابريل سنة ١٩٥٤ •

وفى اثناء ذلك كان الصراع حول النفوذ لا يزال دائرا فى مصر ، وقد اتخذ هذا الصراع مظهرا حادا يوم ١١ يناير سنة ١٩٥٤ ، وقد بادرت حكومة الثورة فى اليوم التالى مباشرة الى حظر اجتماعات الاخوان المسلمين واتهمتهم بانهم نظموا المنظمرات و وظل مرز فريق عبد الناصر مهددا بسبب المعارضة التى كان يلقاما من جانب الاخوان المسلمين وجناح الوقد اليسارى ، وتكن جاعة عبد الناصر لم تبث أن سيطرت على الموقف في شهر أبريل سنة ١٩٥٤ وأصبحت صاحبة الكلمة الاولى فى البلاد ، بل أصبح فى استطاعتها أن تتكلم باسم مصر فى مفاوضاتها مم الغرب •

وكان عبد الناصر مستعدا هذه الرة للقيام بهذه المفاوضات ، ولوقف حرب المصابات في منطقة قناة السويس • ولكن مركزه كان حتى ذلك الوقت حرجا في العالم العربي ، 15 أثار المرشد العام للاخوان المسلمين المواطر ضده •

وكانت بريطانيا قد رات بادرة مشجعة في التساهل الذي أبداه عبد الناصر في أوائل عام ١٩٥٤ حينها قبسل أن تعود القسوات البريطانية الى منطقة قنساة السويس اذا حدث عدوان على تركيسا ، ووجعت أن توقيع المساهدة التركيسة الباكستانية يمكن أن يمتد لاجراء معادثات تشترك فيها الولايات المتعدة بعيث تشمل مسئلة قاعدة قناة السويس والدفاع عن الشرق الأوسط ، ولكن لنسفن فسرت وعد الامريكين لعبد الناصر بتقديم مساعدات اقتصادية له بأنه يهدف الى تقوية مركز مصر فى مفاوضاتها مع الانجليز وتشجيعها على مقاومة أى ضغط مال للد يقومون به ضدها وقد استطاع تشرشل حينها زار الولايات المتحدة فى ذلك الوقت أن يحصل من الامريكين على وعد بأن تكون مساعداتهم الاقتصادية المصر المفاوضات من غير الوصول الى نتيجة ، كما تلقى منهم وعدا بأن يؤيدوا علنا مبدأ مجرد طعم لاغرائها على الاتفاق مع بريطانيا ، وليس تشجيعها على اطالة المدحرية الملاحة فى قناة السويس و وشعر الانجليز بوطاة المداء اللى يسود المالم العربي ضدهم فاصبحوا متلهفين على اجراء المفاوضات ، وبعد أن كان المسئولون المريطانيون يصرون حتى هذا الوقت على البقاء فى قناة السويس بدأوا يصرحون بأن هذه القاعدة لا تنطوى على اهمية كبيرة ،

وهكذا استؤنفت المفاوضات في شهر يولية سئسة ١٩٥٤ ، وفي ٢١ من الشهر نفسه اعلن أنه تم الوصول الى اتفاق مبدئي ينص على جلاء البريطانيين من منطقة قناة السويس في خلال عشرين شهرا على أن يقوم « المدنيسون » الانجليز بسيانة القاعدة البريطانية • ولم يدر الانجليز في خلال هذه المفاوضات اقتراحهم السابق بشان ضرورة احتفاظهم بالسيطرة الجوية على سماء مصر • وفي الظروف السائدة الذذاك لم يسكن من المكن تصور أن المصريين يستطيعون الحصول على الخلقية الخضل من هذه الاتفاقية •

وبعد مفى ثلاثة أيام عل توقيع الاتفاقية التمهيدية بين المعرين والبريطانيين بدأت مفاوضات أخرى بين الولايات المتحدة ومصر ، وكان الامريكيون يعسبون أنه مادام عبد الناصر قد حصل على مبدأ سحب القوات البريطانية من ادافى بلاده فانهم يستطيعون اقناعه بالاشتراك في حلف عسكرى ضد الاتحاد السوفييتي وقبول ادسال بعثة عسكرية أمريكية إلى مصر ، وقدموا له مساعدة ــ معذرة اقصد أن اقول قرضا ــ قيمتها مليون دولار • وتحقيق مثل هذه الخطوة كغيل بأن يؤدى الى ضمان الدفاع عن قناة السويس الحيوية بالنسبة للاقتصاد الغربي بالاسلحة

الامريكية ، بحيث يستطيع البريطانيون أن يسحبوا قواتهم من القاعدة وهم في غاية الاطهئنان على مصالحهم التي ستكون في رعاية ابناء عمومتهم الامريكيين ٠

ولكن الامور لا تسير دائما على ما يرام ، فقد بدأ عبد الناصر يلقى مصاعب داخلية آكثر منها خارجية ٠

## مصاعب في الطريق :

فى الثانى من اغسطس سنة ١٩٥٤ اى بعد خمسه ايام من توقيع الاتفاق 
المبدئى بين مصر وبريطانيا طلب الرشد العام للاخوان المسلمين ، من عبد الناصر 
فى خطاب مفتوح التغل عن هذا الاتفاق الذى يعتبر بمثابة خيانة للبلاد ، وفى 
الفترة التى انقضت بين توقيع الاتفاق المبدئى والاتفاق النهائى بدلت المعارضية 
كل قواها لوقف كل محاولة تهدف الى تحقيق التفاهم مع الانجليز ،

وكان موقف حكومة الثورة دقيقا لانها وجنت نفسها مضطرة الى فرض سياسة لا تصادف ترحيبا من الشعب في الوقت الذي تلقى فيه مقاومة عنيدة من جانب المارضة ومشكلات اقتصادية عويصة تشبه الى حد ما مشكلات الستمورات التى تعتمد الى حد كبير على ما تشتريه الدول الصناعية من منتجانها سواء كانت هذه المنتحات محصولات زراعية أو مواد أولية •

وكانت المارضة قد شكلت حيثلًا ما يمكن أن يسمى « الجبهسة المتحدة » واستطاعت أن تضم مؤيدين لها من بين الشخصيات التى لها صلة بالمسئولين في الحكم ، وكانت تتوق أن تجد في معمد نجيب بطلا يدافع عن قضيتها ويكافح عن وجهات نظرها ، ولكنها لم تتوقع منه مع ذلك الا أن يسكون مجرد حامل راية ، والنشاط الوحيد الذي قامت به هذه المعارضة هو أنها أحاطت عبد الناصر بجو من عدم الاستقرار ، والعجيب في الامر أن عبد الناصر وجماعته ... وأن كانا قد استنكرا الوسائل التي لجات اليها المعارضة ... كانا في قرارة نفسيهما يعبدان

ولم تكن هذه هي الصاعب الوحيدة التي صادفها عبد الناصر ، نقد ظهرت مصاعب اكثر خطورة على أبواب مصر ، وبرز خطر جديد هو الخطر الاسرائيل .

### الخطر الاسرائيلي:

لم تستقبل اسرائيل باستياء كبير تقلد عبد الناصر شئون الحكم ، ذلك أن 
« الضباط الأحراد » كانوا على اى حال اعداء نظام حكم فاروق اللى هاجم دولة 
اسرائيل منذ ولدت ، وكان الاسرائيليون يؤملون أن يستطيع النظام الجديد النظر 
الل الشكلات نظرة واقعية ، ولهذا لم تحاول اسرائيل مضايقة الضباط الشبان ، 
وقد اتبعت في هذا الصدد طريقين ، هما عدم مهاجمتهم ، وفي الوقت نفسه عدم 
تاييدهم ، وكان وجود القوات البريطانية في منطقة قناة السويس ، والسرعة التي 
قمعت بها بعض الاضطرابات التي وقعت في المنطقة علمي ١٩٥٠ و ١٩٥١ بمثابة 
نوع من الضمان لاستمراد السلام على حدود اسرائيل الجنوبية ، وحاولت الوصول 
الى حل النزاع الاسرائيل العربي ،

ولكن وعد بريطانيا بسحب قواتها من منطقة قنة السويس خلق موقفا جديدا يهدد التوازن الزعزع الذي كان يحبه « السسلام البريطاني » في هذه المنطقة ، ومنذ شهر يولية سنة ١٩٥٤ بدا المعلقون السياسيون في الصحف والاذاعة الاسرائيلية يحدرون بريطانيا « من خطر انستابها من منطقة الشرق الاوسط » ، وابتهجت بريطانيا حينما وجدت شعبا في هذه المنطقة يحاول حلها على البقاء فيها ، في الوقت الذي يريد فيه كل العرب \_ باستثناء هؤلاء الذين يستغيدون من وجودها \_ طردها خارج بلادهم ،

واذا كان جانب من القلق الذى كانت تشعر به اسرائيل مصدره المصلاء الانجليز انفسهم ، فان جانبا آخر من هذا القلق كان حقيقيا ويص به الشعب الاسرائيل احساسا صادقا ، ويبدو ان الحكومة الاسرائيلية وضعت نصب عينيها حينئذ ان يمنع جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس ، وفكرت في ان

تخلق حادثا لكى تبرهن مقدما للاتجليز على أن عبد النسامر لن يعترم نصوص الاتفاقية النهائية التى سيوقعها معهم، فدبرت ارسال السفينةالتجارية الاسرائيلية «بات جائيم» الى مدخل قناة السويس \* فاذا سمح عبد النساصر بمرورها فى القناة فان هذا سيحط من قدره فى نظر الجماهير العربية التى تضمر الكراهية لاسرائيل والتى ما فتىء عبد الناصر يشر حفيقتها ضد الاسرائيلين ، واذا منح عبورها فانه يثبت بهذا للبريطانيين والامريكيين أن وعوده بشأن ضمان حرية اللاحة فى القناة لم تكن الا هباء تدروه الرياح \* ولكن تقدير اسرائيل للموقف كان تقديرا صبيانيا ، فقد كان المعروف أن بريطانيا والولايات المتعدة تبديان فى قناة السويس \* كما أن الامم المتعدة ذاتها كانت تبدى كثيرا من التساهل تجاه هذا الموقف ، وهذا يعنى أن عبد الناصر كان يعتمد مقدما على هذا التساهل والا لما سار فى هذا الطريق الى مثل هذا النصر المنهد الوادد فى الاتفاقية الانجليزية المصرية بشأن « حرية المرور فى قناة السويس » فكان المقصود به اساسا مرور السفن المحملة بالبترول •

ولم يسكن امام عبسد الناصر فرصسة للاختيار فقسد رفض مرور السفينسة الاسرائيلية « بات جاليم » في القناة ، وقد نجم عن هذا الرفض الذي اتاحت له اسرائيل تعزيز شعبيته ونفوذه ني العالم العربي •

وق ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ وقع الاتفاق الانجليزى ــ المصرى الخاص بالجلاء عن منطقة قناة السويس ، وبعد مفى سبعة ايام نفذ الاخوان السلمون تهديداتهم وحاولوا اغتيال عبد التاصر •

وفشلت المحاولة ، ولكن اجراءات القمع التى قرر عبد الناصر اتخساؤها ضدهم لم تفشل • فقد اعتزم عبد الناصر القضاء على جماعة الاخوان المسلمين قضاء مبرما بعد أن بلغ تبها الجراة أن حاولت قتله هو نفسه • والقى القبض على جميع زعماء الاخوان المسلمين • واتضح أن هناك مؤامرة واسعة النطاق ، وأن

بعض خيوطها تصل الى اللواء محمد نجيب الذى استخدم كستار لهده المؤامرة التى ربما لم يكن له فيها دور كبير، ولكن عبد الناصر قرر على أى حال يوم ١٤ نوفمبر القبض على محمد نجيب رئيس الجمهورية، وعزله من منصبه وحدد اقامته في منزله •

واصبح عبد الناصر بذلك سيد الموقف ولكن الشكلات التي تواجهها مصر لم تكن قد حلت بعد • ومهما تكن طبيعة هذه الشكلات فقد اصبح من المقرد ان يتم حلها على يدى عبد الناصر وعن طريقه ، ولم يعد هناك امام دول الغرب امل في أن تتولى الحكم في مصر حكومة اقل صلابة تستطيع أن تعقد معها الاتفاقيات التي تريدها •

والشيء الوحيد الذي لم يتغير في غمار هذه الأحداث هو مشاعر الجماهير المصرية التي ظلت تعارض فكرة وجود أية قوات اجنبية في منطقة قناة السويس، أو ارسال بعثة عسكرية أمريكية الى القاهرة .

### ضغط جدید:

في شهر ديسمبر سنة ١٩٥٤ بللت آخر محاولة الاقتاع عصر بالانضمام الى حلف الدفاع عن الشرق الاوسط ، فجه وفد تركى لل القاهرة لهذا الغرض • وكان الوفد يعرف وجهة نظر عبد الناصر التى شرحها في شهر سبتمبر لنورى السعيد دئيس وذراء المعراق ، وهي أن مصر لا يمكن أن تقبل التفكير في مثل هذا الشعيد و الوقت الذي تعانى فيه من وجود القوات الاجنبية في اراضيها منذ سبعين عاما ، ولكنها توافق على عقد ميثاق دفاعى بين الدول العربية • الا ان نورى السعيد ـ الذي كان انجليزيا آكثر من الانجليز انفسهم ، والذي كان قد جاء الى القاهرة لكى يجس نبض عبد الناصر لحساب هؤلاء ـ كان يرى أن هدا لكوف ينطوى على « الحياد » • اما عبد الناصر فقد كان يؤمن بأن عقد ميشاقي للوقف ينطوى على « الحياد » • اما عبد الناصر فقد كان يؤمن بأن عقد ميشاق للشمان الجماعي العربي امر لا غنى عنه فضلا عن أنه يكفل بث الطمانينة فيقلوب العرب •

واقتنع الأتراك بأن عبد الناصر سيرفض الانضمام الى أى ميثاق تشسترك فيه دول الغرب ما لم يغادر آخر جندى بريطانى ارض مصر ، في حين كانت مهمتهم التي جاوا من أجلها الى القاهرة تهدف ألى اقناع المصريين بقبول بقاء القوات البريطانية في منطقة القناة وأن تكون « تحت طلب » حكومة القاهرة •

وتقرر صرف النفل عن عبد الناصر وعقد حلف للدفاع عن الشرق الاوسط من غيره • وكان هناك الميثاق التركى ـ الباكستاني جاهزا ، ولكن لكي يكون مثل هذا الحلف قويا وفعالا فينبغي مل الفراغ الكبير الذي يفصل بين تركيا وباكستان ، وذلك بضم العراق وايران اليه لكي يصبح الحلف وحدة جغرافية متماسكة •

ولما كان دالاس يتمجل عقد هذا الحلف ، فقد طار عدنان مندويس وزير خارجية تركيا ، الى بشداد في شهر فبراير سينة ١٩٥٥ لاجراء معدادثات مع المسئولين العراقيين في هدذا الشان ، وفي ذلك الوقت كان جيفرسون كافرى السفير الامريكي في القاهرة قد بلغ سن التقاعد فخلفه سفير آخر اثبت ، حتى يوم تأميم قناة السويس أنه أكبر مؤيد لعبد الناصر ، وكان هذا السفير هو هنرى بايرود ولم يكن العمل الدبلوماسي مهنته الأصلية ، وانما كان في الاصل ضابطا بالجيش الامريكي ،

#### میثاق بغداد :

كان عدنان مندريس وزير الخارجية التركية قد وصل ال بغداد يوم ١٢ فيراير ١٩٥٥ ، وقد صدر عقب انتهاء معادثاته مع المسئولين العراقيين بسلاغ اعلن فيه قرب توقيع ميثاق بين البلدين وتضمن دعوة الدول العربية الاخرى الى الانضمام لهذا الحلف •

فماذا كان غرض اصحاب فكرة هذا البثاق ؟

لقد كان غرضهم فرض هذه الفكرة على العرب وادغام حكوماتهم على الانضمام مهما يكن الثمن الى المجموعة الكبيرة التى تالفت منذ عامين لسكى تقف في وجه الاتحاد السوفييتى • وكان التقدير الاولى يشير الى أن العراق ولبنان والاددن استضم قطعا الى هذا الميثاق نتيجة لتأثرها الشديد بالنفوذ البريطاني • أما الماكة العربية السعودية فإن الولايات المتحدة كانت ستتكفل باقناعها • وسوديا المادية للحلف والمتمردة عليه كان لا بد أن تدعن والا هددت بالتطويق وأصبحت في عزلة ، ويمكن على أسوا الامور تدبير انقلاب يقوم به بعض المسكريين ذوى الرؤوس المساخنة والافكار القصيرة • وهكذا يجد عبد الناصر نفسه أخيرا في عزلة ، فيضطر إلى الاذعان وقبول الشروط التى تعلى عليه •

ولكن الموادث برهنت على أن هذا التقدير كان خاطئًا ، وأنه أدى الى وقوع غلطة تاريخية كبرى ، وهي عقد ميثاق بغداد •

كان نورى السعيد حينها عاد الى الحكم عام ١٩٥٤ قد بادد الى قمع المعادضة في بلاده • ثم بدا يجسرنبض عبد الناصر ، ولكنه تاكد أنه لن يلاعن الانجليز، وحينثل قرر أن يقوم بلعبته السياسية في الشرق الاوسط ليكون الرجل الذي يجمع العالم العربي في حلف مضاد للشيوعية ، ويقدمه في صينية من الفضة الى البريطانيين والامريكيين • وفي خريف عام ١٩٥٤ كان نورى السعيد قد قضى على المعارضة التي أصبحت أضعف من أن تقاوم مشروعاته ، وفي ٦ نوفمبر سسنة ١٩٥٠ استدعى السغير العراقي في موسكو الى بغداد وهيئا الجو في بلاده لقطع العارقات السوفييتية ، واعتقد أنه يستطيع بذلك اثبات عدائه للشيوعية ، وضمان عطف الامريكيين وتقديرهم • وفي ٣ يناير سنة ١٩٥٥ قطع نورى السعيد جميع العلاقات العراقية مع الاتحاد السوفييتي ، وبعد ثلاثة أيام وصل عدنان مندرسي وزير الخارجية التركية لل بغداد ، ثم بعد غائية أيام اعلن مشروع انضمام العراق لل الماف التركي الباكستاني •

وكان الرأى العام العربى كله يشعر بالارتباك اذاء هذا التمرف ، وكانت أول نتيجة لميثاق بفداد ـ الذى اديد منه ان يكون دعاية لسياسة موحدة فى الشرق الاوسط ـ زيادة الانقسام والفرقة بين العرب بدلا من أن يوحدهم ضهد اى خطر خارجى محتمل ٠

ولم يتردد ناصر ، فقد رأى أن ادعانه وقبوله الانضمام الى هــذا الخلف يعنى اعترافه بغشله دبلوماسيا والتزامه بالسير فى ركاب العرش الهاشمى الذى ما كان ليستطيع البقاء يوما واحدا لولا مساندة بريطانيسا له ، وهكذا قرر أن يقاوم وأن يحارب هذا الحلف ، وهذا يعنى انفصاله عن الانجليز والامريكيين ،

وكان الطونى ايلن فى طريقه من لندن الى بانجكوك ، فتوقف فى القاهرة ليقابل عبد الناصر ، وكان يستطيع أن يغفر له أذا تبين له أنه أفاق من أحسلام اليقابل عبد الناصر بادب اليقظة وادرك مدى الموثلة التى وضع نفسه فيها • واستقبله عبد الناصر بادب ولكن بتحفظ • وخاب أمل ايدن ، ولم يكن قد عرف بعد ـ وان كان قد عرف فلم يكن يدرك الى أى مدى ـ أن قوة أخرى بدأت تظهر بين القوى الاخرى التى تساند عبد الناصر ، وهي قوة الملك سعود التي تختفي وراء قوة البترول والدولار •

### سيد الموقف:

حين كان عبد الناصر يحرز مزيدا من الانتصادات الشعبية بكفاحه ضعد ميثاق بغداد ويحظى باعجاب الجماهير العربية ، كان هناك رجل آخر ظل يقوم باللعبة السحياسية السكبرى في الشرق الاوسعط مدى عامين ، ويحمى مؤخرة عبد الناصر ، وينفق الذهب بسخاء في كل مكان تلضغط على الحكومة الامريكية • هذا الرجل هو سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وكان يقوم بهدا الدور في الظاهر على الأقل ، لان العقل السياسي المدبر لهذه العملية كان الامير فيصل ،

وكانت لدى الملك سعود واخاه اسباب كثيرة تدفعهما الى ذلك ، فهما أولا كانا فى نزاع عنيف مع البريطانيين بشان حقول البترول الغنيسة الموجودة حول بعض المارات الخليج العربى ، فلو اصبح الانجليز سادة الموقف في الشرق الاوسط واحتفظوا بسيطرتهم على منطقة قناة السويس فلن يصعب عليهم الملاء ادادتهم على ملك المملكة العربية السعودية الذي يعرف ان الامريكيين الذين يساندونه ويعيطونه برعايتهم سيبادرون حينئذ بالتخل عنه وتركه لمصيره ، كما أن سعود لم يكن يرحب بادغام عبد الناصر على الاتضمام الى ميثاق حلف بغداد مما يؤدى الى ارتباطه بالعرش الهاشمى ، واخيرا فانه لم يكن يريد ان يستاثر عبد الناصر وحده بتاييد العالم العربى نتيجة لنضائه ضد هذا الميثاق .

ولم يكن موقف سعود عديم التأثير على وشنطن ، فقد اهتمت كثيرا عا أبداه من عدم ارتياح للجهود التي تبدل لارغام مصر بصفة خاصة والدول العربية الاخرى بصفة عامة على الانفمام الى ميشاق حلف بفعدد ، وبادرت الحكومة الامريكية حينئد الى التفكير في مشروع جديد يسمى « الخزام الشسمالى » اللكي أصبح يسمى فيما بعد حلف بفداد ويتألف من تركيا وباكستان وايران وكذلك المراق ، وصرفت الولايات المتحدة النظر ــ ولو مؤقتا ــ عن اشتراك الدول العربية الاخرى باستثناء العراق في هذا المشروع ، وقد انضمت ايران الى هذا الحلف في نوفمبر سنة ١٩٥٥ .

ولكن انضمام ايران الل حلف بغداد كم يكن يخلو من المخاطر ، فهذه الدولة لها حدود مشتركة مع الاتحاد السوفييتي يبلغ طولها اكثر من ٢٠٠٠ كيلو متر ، والمعاهدة الروسية الايرانية التي عقدت عام ١٩٢١ تعطى للاتحاد السوفييتي الحق في الحصول على ضمانات اقليمية في أيران في حالة حدوث تدخل من جانب دولة ثالثة لاغراض عدائية بالنسبة للاتحاد السوفييتي وطبعا لا يمكن القول ان حلف بغداد حوه الحزام الشمائل الذي قصد به تطويق روسيا من الجنوب حيمكن ان تنظر اليه روسيا نظرة تنطوى على الرضى او تعتبره غير عدائي بالنسبة

لها ، وهذا يعنى أن من حقها التدخل طبقا للمعاهدة الروسية الايرانية ، ما لم تقدم لها ايران ضمانات جدية بأن اشتراكها في هـذا الحلف لا ينطوى الا على أهداف دفاعية بحتة .

لقد انضمت ايران ال الخلف وانتهى الامر ، وزمجرت روسيا ، وتكنها لم تتحرك • وحكدا تحقق الحلم الذى راود خيسال دالاس عام ١٩٥٣ ، واستطاعت دول الغرب أن تقيم سدا استراتيجيا يمتد ـ كما قال ايدن ـ من البحر المتوسط حتى جبال هيمالايا •

### روسيا تقوم بهجوم مضاد:

وعل الرغم من استيا، موسكو من عقد حلف بغداد فانها لم تجده من اخطورة بعيث يبرد تدخلها ويؤدى هذا الى نشوب حرب عالمية ، ومع ذلك فان الاتحاد السوفييتي كان يشمر بالفييق لهذه المحاولة التي تهدف الى استكمال تطويق اداضيه ، فانتهز فرصة الاضطرابات السياسية التي كانت قائمة حيثلاً في بلاد الشرق الاوسط المشتركة وغير المشتركة في حلف بغداد لكي يقفز من فوق الخاجز الذي حاولت الدول الغربية اقامته حوله مثيرا عواصف هوجاء في مؤخرة « الحزام الشمهر ،

ان حبر الحلف لم يكد يجف حتى أسرع دانييل سولود ــ السفير السوفييتي بمصر ــ الى ناصر يعرض عليه تزويده بالسلاح اللى منعه عنه الغرب ، فاعتلار، ولكن الحوادث التي جدت بعد ذلك جعلته يعيد النظر في اعتداره •

فقد تولى بن جوريون اذ ذاك ـ فى ظروف شاذة ـ شئون وزارة الدفاع ، وكان يبسدو بجسلاء انه ينطق بلسسان جماعة اسرائيلية متطرفة تففسل انتهاج «سياسة المدفع » • وبعد احد عشر يوما قام الجيش الاسرائيلي بفارة مقاجئة عنيفة على قطاع غزة وانسحب بعد أن خلف وراء ثلاثة واربعين قتيلا مصريا • وتبين لمبد الناصر أنه ليست لديه الوسائل اللازمة للرد على هذا الهجوم ، وأن سكوته على رفض الفرب تزويده بالسلاح يعنى خيانة مصلحة بلاده بينما ارتفعت أصوات الفضب من جانب الجماهير المصرية .

كانت هذه الفترة من اسوا الفترات التى شعر فيها عبد الناصر « بالعزلة » وكان نورى السعيد قد نجح فى افساد جهود مصر بشان الحصول على اسلحة من بريعانيا والولايات المتحدة اللتين رفضتا اعطاء عبد الناصر ولو الحد الادنى من الاسلحة اللاؤمة للدفاع عن بلاده ٠

وقام عبد الناصر بمحاولة اخيرة مع الامريكيين ، وطلب منهم مرة اخرى ان يرسلوا اليه الاسلحة التي يريدها ، واكن واشنطن دفضت من جديد ، واوضحت له أنها لن تستجيب لما يطلبه الا اذا اذعن لوجهات نظرها ، وانها لن ترسل له اسلحة الا اذا اشترك في منظمات الدفاع الغربية ، اى اذا فتح أبواب بلاده للقوات الامريكية ،

وجدير بالذكر في هذه المناسبة ان لندن وواشنطن لم تكترنا اقل اكتراث بالتصريح الثلائي الذي أذاعتاه مع باديس عام ١٩٥٠ بشان حظر ادسال الاسلحة الى دول الشرق الاوسط ، وكانتا تتصرفان كما لو كانت باديس غير موجودة على الاطلاق وتنتهكان هذا التصريح كلما وجدتا هذا يناسب مصالحهما ، وعل هذا الاساس فانهما لم تجدا حيثنا غضاضة في ادسال اسلحة الى العراق مثلا .

وكان على عبد الناصر أن يختار ، فاما أن يلعن ويتنكر حتى لنفسه ، واما أن يبحث عن أسلحة وحلفاء في مكان آخر ، وقدم له القدر حليفين عظيمين في شخصى نهرو وتيتو اللذين ذاداه في القاهرة ، وبدأت الاستعدادات تجرى لعقد مؤتمر باندونج الذي كان له الفضل في تغيير مواقف كثيرة تغييرا حاسما ،

### باندونج:

كان مؤتمر باندونج بثابة حبل النجاة اللى تعلق به الرئيس ناصر ، والباب السحرى الذى فتح له ليخرج من المازق الذى وجد نفسه فيه ، والوسيلة المثل خل جميع المسكلات التي يواجهها ، واتيعت له القرصة بعد أن كانت الدول القربية تعامله كانه « ملك زنجى » وتطلب منه التوقيع على مواثيق من غير أن تسمح له بمناقشة ما جاء فيها ، لكى يجتمع برجال بارزين ويحادثهم معدادثة المند ، أحدهما مثل نهرو يحكم ١٤٠٠ مليون من البشر ، والآخر مثل شو اين لاى يحكم نحو ٧٠٠ مليون نسمة ، ووجد في المؤتمر حلفا، جددا لا تمبا دولهم الله القليلا الله الريده بريطانيا او الولايات المتحدة ، ولا تكترث كثيرا بنواياهما الطبية ،

ولم تقتصر فائدة مؤتمر باندونج على ذلك ، فقد عاد منه عبد الناصر الى القاهرة عودة الفافرين ، واصبح بطلا شمييا وموضع حب الجماهير واعجابها •

ولم يضع الروس وقتا • فقد نشروا عشية مؤتّر بانلونج بيانا اتضح منه انهم ينوون الظهور على المسرح الدبلوماسي للشرق الاوسط • وبعد اسابيع قليلة على انتهاء مؤتمر بالدونج طلب ناصر من السوفييت أن يمدوه بالسلاح ، وذلك في اجتماع مع السفير السوفييتي سولود •

ثم استؤنفت المحادثات الروسية المصرية على مستوى اعلى ، ففي شهر يونيه وصل الى القاهرة شبيلوف رئيس تحرير جريدة « برافسا » الشبيوعية ، وكان أحد الرجال ذوى النفوذ في الاتحاد السوفييتي ، وبحث مع ناصر موضوع الاسلحة مرة اخرى •

حتى اذا كان مساء يوم ٣٦ سبتمبر ١٩٥٥ اعلى ناصر للشعب المرى نبا توقيع صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا • لقد كان هذا الحادث بمثابة تعول حاسم في ميزان القوى في الشرق الاوسط • وبدا كل شيء قاتما ، حتى المستقبل نفسه •

## الفصل الخامس

## الحرب الباردة وقطع الشطرنج

كان للقرار الذي اتخله عبد الناصر بشراء الاستلعة من احتمى الدول الشيوعية ، بعد أن رفضت دول الغرب المداده بها ، وقع القنبلة ذات العيار الكبير على المسرح الدبلوماسي الدولي • وكانت الحكومة الامريكية أكثر الجهات تاثرا بهذا القرار ، ليس بسبب شراء كمية من الاستحة من الشيوعيين ، ولكن بسبب المغزى الاستراتيجي الذي تدل عليه هذه الخطوة التي تعنى أن مصر - وكانت تعتبر حتى هذا الوقت داخلة في نطاق النفوذ الانجلو ساكسوني - قد تمردت على الوصاية الامريكية ، وتزعزع الموقف الاستراتيجي للحلفاء في الشرق الاوسط بعد أن فقد الغرب نفوذه في مصر •

وارسلت واشنطن الى القاهرة على اللور «جودج آل » مساعد وزير اكارجية الامريكية لشمون الشرق الاوسط ، الذى لم يستقبله عبد الناصر الا لكى يرفض الاحتجاج الذى كان يحمله ، وكان هذا الرفض من الناحية الرسمية فقط عل الاقل ، لان المعادثات التى جرت بعد ذلك مع «جودج الن » في القاهرة بعثت الطمائينة لدى وزارة الخارجية الامريكية ، ولكن لندن وباريس لم تعطئنا الى نتيجة هذا المحادثات وقررتا أن تستغلا «خيانة » عبد الناصر لاصدقائه الامريكيين ، للحصول على موافقة واشنطن على التخلص من عبد الناصر الاصدقائه الامريكيين ،

وبدات بعض الدوائر في واشنطن تفكر في آنه يمكن ـ بواسسطة شيء من الضفط الاقتصادي المناسب ـ اعادة الطفل العاق الى داره • وقد أدت هذه الافكار الى قتل البقرة السمينة أو بالاحرى البقرة الذهبية ، ألا وهي الشركة العالمية لقناة السويس •

## الغاية والوسيلة:

كانت القنصليات في حسكومات الغرب تعتقمه أن عبد النساصر لا يملك الوسائل الكافية التي تتيح له تحقيق سياسته ، وكانت تتساءل قائلة : ما الاسس الاقتصادية أو الاجتماعية التي سيبني عليها مشروعاته الوطنية الواسعة النطاق ؟ وكانت ترى إنه سيصادف عراقيل كثرة في هذا المجال بسبب الدياد عدد السكان في مصر زيادة سريعة كل عام ، مما يخلق أمامه مشكلات مستعصية لاطعام الافواه الجديدة ، وضيق رقعة الارض الزراعية وتعلر توسيع مساحتها ، وقيام الصناعات ق مصر بصفة رئيسية على أساس انتاج بضائع استهلاكية ، وقلة الواد الخام ورؤوس الاموال ، وضعف القوة الشرائية للى الجماهير • وكانت ترى أيضا تمويل مشروعات التنمية في مصر ، والعمل على زيادة الصادرات مهمة كبيرة يمكن ان تستفرق كل جهود البلاد وأموالها ، ولا تتيح فرصة كبيرة لشراء أسسلحة ثقيلة ، ولا تسمح لها على الاخص بالقيام بمغامرة عسكرية • ولهذا استقر الرأى على توجيه نشاط حكومة عبد الناصر وحيويتهما الى المهام الاقتصادية الداخلية التي لا غنى عنها • وبهذا يمكن صرف نظرها عن طموحها الخلاجي • وكان يمكن أن يكتب لهذا الاتجاه النجاح ، أو لم تحاول دول الغرب أن تفرض على عبد الناصر الانضمام الى ميثاق مناهض للسوفييت من غير أن تعطيه أية ضمانات ضد رد الفعل الذي يمكن أن يحدث نتبجة لذلك في الرأي العام العربي الذي كان جزء كبير منه يطالب بانتهاج سياسة الحياد • وهكذا تعرضت سياسة الغرب ـ بسبب عدم تماسكها ووحدتها .. للفشل والاخفاق ، لانها وضعت نصب عينيها تحقيق غايتين متعارضتين في مجال السياسة المربة، وكانت كل منهاتين الغايتين تحرم الاخرى من الوسائل اللازمة لتحقيقها ٠

#### الحياد العربي:

الحياد العربي حقيقة غالبا ما يساء فهمها في أوروبا ، حتى ليميل الاتجاه الى ردها نحو الدعاية السوفييتية النشطة الواعية بكل شيء •

ولـكن هـذا خطأ ، وعبد النساصر نفسسه لم يخترع هذا الحساد • وقبل ان يتولى الحكم كان معظم الزعماء السياسيين في العالم العربي يطالبون بعدم اقحام الشرق في مزالق الحرب الباردة • وقد فهمت واشنطن هذا الاتجاه ، ولعل ذلك يفسر اهتمامها بميثاق الضمان الجماعي العربي الذي عقد في يوم ١٣ من ابريل

ولما منيت الولايات المتحدة بهزائم مريرة في حرب كوريا قررت انشاء منظمة دفاعية للشرق الاوسط ، وقد اتخد هذا القرار في المؤتمر الذي عقده في استانبول سفراء الولايات المتحدة في بلاد الشرق الاوسط من ١٤ أفي ٢١ فبراير سنة ١٩٥١، وبعد شهور قليلة عقدت الولايات المتحدة يوم ١٨ يونية سنة ١٩٥١ مع المملكة العربية السعودية اتفاقية للدفاع المتبادل تتيح لها استخدام قاعدة الظهران ، وفي ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٥١ أوصى مجلس حلف شمال الاطلنطى بضم اليونان وتركيا إلى الحلف ،

وق ١٧ اكتوبر سنة ١٩٠١ سلم الخلفاء للقاهرة مذكرة ، صيفت على أساس الشروعات الامريكية ، وتتضمن دعوة مصر الى الاشتراك « على قدم المساواة » في قدادة حليفة للشرق الاوسط ، وفي ٢٥ اكتوبر أعلنت مصر رفضها لهذه المذكرة وقالت أنها لن تنظر في آية مقترحات من هذا القبيل ما دام البريطانيون يحتلون السودان ومصر ، وكان هذا الرد يبلود مظاهر الحياد الكثيرة القائمة في العالم العربي ،

وهنا كفت الولايات المتحدة عن عنادها واعترفت بقوة مشاعر الحياد في هذا الجزء من العالم، وقررت الا تصطلم بهذه المشاعر مباشرة ، وأن تعاول التأثير من الآن فصاعدا بطريقة غير مباشرة على الرأى العام العربي .

وزالت آخر اوهام الولايات المتعادة في هذا الصند عقب الرحلة التي قام بها «جون فوستر دلاس » وزير الخارجية الامريكية ، في الشرق الاوسط في الفترة من ٩ الى ٢٠ مايو سنة ١٩٥٣ وقررت واشنطن حينتُك أن تكرس جهودها مع الدول المتاخمة للاتعاد السوفييتي بأن تتبع سياسة أكثر تعفظا مع بلاد الشرق الاوسط الاخرى ٠

وإذا كانت صفقة الإسلعة التي عقدها عبد الناصر مع تشيكوسلوفاكيا قد الناص مغاوف الامريكيين ، فإنه لم يغب عن نظرها أن الملك سعود كان يؤيد هذه الحطوة ، وربما اتخلت بموافقته • ويلاحظ في هذا الصدد أن الامير فيصل ، اخا الملك سعود ، رد على صحفى سأله عما اذا كان لا يغشى أن يؤدى شراء الدول المربية للاسلعة من الدول الشيوعية الى عواقب وخيمة ، فقال : « اننا نشترى قطع حديد ، وليس مبادى » •

وعل الرغم من قلق واشنطن فانها كانت ترى أن عبد الناصر أن يستطيع أن يسبح في سياسته الى آخر الشوط ، فالاسلحة التي يشتريها لابد له من أن يدفع ثمنها • وليس لديه سلعة غير القطن يبيمها للوفاء بثمن هذه الاسسلحة ، وليس هذا القطن يباع في الاسواق العالمية أتى يتحكم فيها المشترون الغربيون •

## الساعدات السوفييتية:

ولكن عنصرا جديدا يدخل في الوقف ، اذ ابتهجت موسكو بمقاومة ناصر للضغط الواقع عليه للانضمام الى حلف بغداد ، وقررت أن تقدم له الوسائل التي تساعده على الاستمراد في القاومة ، وكان صاحب هذه الفكرة هو «شبيلوف » الذي كان قد أصبح وزيرا للخارجية السوفييتية ، وأعربت روسيا عن استعدادها

اشراء المنتجات الصرية باسعار مجزية • وأن تبيع له الآلات التي تلزمه وكذلك المواد الخام بقروض تقدمها ويسددها على آجال طويلة • وأن ترسل اليه خبراء سوفييت الساعاته على تطوير الصناعة في بلاده ويقومون في نقس الوقت بتلقين الصرين النواحي الفنية التي تنقصهم •

وفي هذه الفترة نمت التجارة المصرية ـ السوفييتية نموا ملحوظا في حين هبطت التجارة المصرية ـ الفربية ، مما يدل على اهتمام السوفييت بدعم التبادل التجارى مع مصر ، ففي سنة ١٩٥٤ كان مجموع قيمة المسادرات المصرية الى أدبع دول اوروبية رئيسية هي : بريطانيا وفرنسا والمانيا الاتحادية وايطانيا ، ١٩٥٤ مليون جنيه مصرى ، ولكن هذا الرقم هبط في العام التالي مباشرة ( ١٩٥٥ ) فاصبح ٢٥٣٦ مليون جنيه ، في حين ازدادت قيمة الواردات المصرية منها من ١٩٥٧ مليون جنيه عام ١٩٥٤ الى ١٩٥٧ مليون جنيه سنة ١٩٥٥ .

وهــدا يعنى أن الدول الرئيسية الاربع في أوروبا باعت لمر عام ١٩٥٥ بما تزيد قيمته عل ضعف ما اشترته مصر منها ، في حين هبطت قيمة مشتريات هده الدول من مصر عــام ١٩٥٥ بنسبة ٣٠ في المائة عن قيمة مشترياتها عام ١٩٥٠ وهذا يعنى أيضا أن الميزان التجارى لمحر أصبح مدينا بمبالغ ينبغى دفعها للدول الاوروبية التى باعت لمصر عام ١٩٥٥ سلعا تزيد قيمتها عل قيمة السلع التى باعتها تها في العام السابق ٠

وعكس هذا حدث في الميزان التجارى مع الدول الشرقية ، فقد كان في مائح مصر ، ففي سنة ١٩٥٥ اشترت هذه الدول ضعف ما اشترته من مصر عام ١٩٥٥ ( ٢٠٥٣ ) مليون جنيه مصرى عام ١٩٥٥ مقابل ١٨٥٧ مليون جنيه مصرى عام ١٩٥٥ ، وبلغت قيمة مشترياتها من مصر عام ١٩٥٥ ما يوازى نحبو قيمة مشتريات الدول الاوروبية الرئيسية الادبع التي كانت تحصل حتى ذلك الوقت على نصف تجارة مصر الخارجية ٠

وهده الارقام تعل على أن دول الكتلة الشرقية بادرت سنة ١٩٥٥ الى انقاذ حكومة القاهرة المحايدة من الوقوع في كارثة ، ومدت يد الساعدة لها للاحتفاظ بمستواها السابق في الصادرات بعد أن قبضت دول الغرب يدها عنها ، هــدا بالاضافة الى القروض الطويلة الاجل التي حصلت عليها مصر من دول الكتلة الشرقية ٠

ولكن اذا كان الكرملين يقدم الى عبد الناصر الاوراق التى يستطيع أن يلعب بها ، فانه لا يقدم له منها ما فيه الكفاية ، وذلك حتى لا يتيح له الفرصة لكى يلعب وحده ، ولي غمه على أن يكون دائما في حاجة الى معونة السوفييت ، واذا كانت روسيا تقدم لعبد الناصر الوسائل اللازمة التى تساعده على بقاء حكمه ، فلانه يريد أن يحافظ على الخط الاساسى للحياد العربى ،

وقد أدى ظهور الخطر الاسرائيل الى اقتاع عبد الناصر بآن الحصول على الاسلحة الثقيلة أصبح شيئا لا غنى عنه • وفي شهر أغسطس سنة ١٩٥٥ حصل على أربعين دبابة من طراق « سستتوريون » ولكن من غير ذخيرة ، واللخيرة التى سلمت له فيما بعد كانت أقل من القليل • وكان الفرنسيون قد الغوا في هيئا الوقت الاتفاقية التى عقدوها مع مصر بارسال الاسلحة اليها ، في حين ترامت الانباء بانهم عقدوا اتفاقية سرية مع اسرائيل أرسلوا بمقتضاها الى تل أبيب مائة دبانة ، وعدة طائرات من طراق « مستبر » وقد نفت فرنسا واسرائيل هذه الانباء التي ثبتت صحتها بعد شهرين •

حاول ناضر أن يشن على اسرائيل حرب العصابات ( الفدائيين ) للثار من هجومهم على غزة ، فكان الفدائيون يقومون بغارة هنا وغارة هناك ، ولكنها كانت غارات تقوم بها دولة فقيرة تنقصها الاسلحة والوسائل ، ومع ذلك كانت الصحف المصرية تنشر أنباء هذه الغارات الضعيفة بعناوين كبيرة ، ومع أن هذه الفارات كانت غير فعالة فقد اتاحت لاسرائيل اعدار جديدة لتضرب من جديد بشدة ، ففي يوم اول سبتمبر سنة ١٩٥٥ قذفت غزة بالقنابل ، وكان هذا اليوم يوافق اليوم

الذى تقام فيه سسوق المدينة ، فقتلت اربعين شخصا • وق ٢١ سبتمبر ذحفت القوات الاسرائيلية واحتلت منطقة العوجة التى كانت منزوعة السلاح حيثنّا والتى تسميطر على الطرق المؤدية الى شبه جزيرة سيناء •

وكان عبد النساصر يعزو الهجمات الاسرائيلية لا الى تل آبيب ، ولكن الى تحريض باديس التى كانت قد بدأت ترى أن مثل هذه الهجمات يمكن أن تصيب بالحسائر مصر التى اشتهر عنها حينئذ أنها عصب الثورة الجزائرية ، وتقدم المساعدات لن كان يقال عنهم « المتمردون الجزائريون » ·

وحينما أعلن عبد الناصر نبا عقد صفقة الاسلحة التشيكية مقابل القطن والادز، لم يهتم كثيرا باحتجاج دول الغرب أو بتهديدها بوقف معوناتها الاقتصادية له ، لانه كان في أشد حاجة الى هذه الاسلحة .

ولكن الضفط ازداد حدة • فلى ١١ اكتوبر سنة ١٩٥٥ انضمت ايران الى من ميثاق بفداد • وردت مصر عل هذه الخطوة بتوثيق علاقاتها السياسية بكل من سوريا والمملكة العربية السعودية ، واعقبت بعقد اتفاقية عسكرية مع سوريا يوم ٢٠ اكتوبر ، ثم مع المملكة السعودية يوم ٢٧ اكتوبر ووضح أن الملك سعود يؤيد عبد الناصر ، ويرجع ذلك الى تحريض البريطانيين لسلطان مسقط وشيغ ابوظبى على احتلال واحة البوريمى الفنية بالبترول التي ينازعهما الملك سعود في ملكيتها، وقد كلف هذا التحريض ايدن كثيرا من اللوم من جانب دالاس ولكن ايدن ثم يهتم بهذا اللوم وثم يلق اليه بالا • وجدير بالذكر أن ايدن كتب في مذكراته أن الحكومة الامريكية اعتبرت احتلال واحة البوريمى بمثابة عمل عدواني •

#### تحسن الموقف:

من الغرابة بمكان أن القنبلة التي فجرها عبد الناص بشراء الاسلعة من دول الكتلة الشرقية أعقبها تغفيف حدة التوتر في علاقاته مع دول الغرب ، فلما جاء الى القاهرة جورج الن المبعوث الخاص لدالاس ليحتج على صفقة الاسلحة رفض عبد الناصر احتجاجه • ولكن نظرا الى أن عبد الناصر رجل مهلب فقد وافق على أن يستقبله ، ولفطنته المروفة عنه استمع اليه باهتمام ، غير أنه لما كان طماعا فقد طلب عقب محادثاته مع جورج الن بقليل مساعدة البنك اللولى لتمويل مشروع انشاء السد العالى باسوان •

وبدات المصادئات المالية بين مصر وبين الانجليز والامريكيين ، واجتمع عبد الناص عدة مرات بالسفير البريطاني في القساهرة ، وتساولا في حديثهما المساعدات الاقتصادية ، ومسالة السد العالي وغير ذلك من المسائل ، ولم يقتصر حديثهما على تبادل وجهات النظر بدليل أن انطوني ايدن اقترح في مجلس العموم البريطاني في اوائل نوفمبر ١٩٥٥ اجراء محادثات بين العرب واسرائيل بقصد الوصول الى تسوية بينهما على اساس التوفيق بين المواقع التي كان يحتلها العرب حينما اعلن التقسيم اللي بحثته الامم المتحدة عام ١٩٤٧ والمواقع التي احتلها الاسرائيليون فعلا عقب اعلان الهدنة عام ١٩٤٧ والمواقع التي احتلها الاسرائيليون فعلا عقب اعلان الهدنة عام ١٩٤٧ والمواقع التي احتلها

#### عودة التوتر:

ولاول مرة بدا الغرب يضغط على اسرائيل ، وفي أول نوفمبر سنة ١٩٥٥ اصبح بن جوريون ، الذى كان يشغل منه عشرة شهور منصب وذير الدفاع دليسها للحكومة الاسرائيلية ، وصرح بانه مسهم للتفاهم مع جميع العرب ولكن يا للاسف : ففي مساء اليوم ذاته الذي اعلى فيه هذا التصريح دحض الجيش الاسرائيلي بطريقة دموية ما قاله رئيس الوزراء ، فهاجم القوات المصرية المرابطة في « الصبحة » وبدا المراقبون يتساءلون ما اذا كان قادة الجيش الاسرائيسلي يتجاوزون بن جوديون وفقد هو السيطرة عليهم ،

وفى وسط هذه الظروف القاتمة ، تلقى عبد النساص معلومات مقلقة عن تفاصيل شحنات الاسلحة التى ارسلتها فرنسا الى اسرائيل ، وقد أبلغ عبد الناصر فورا هذه التفاصيل الى صحفى من جريدة « لايف » الامريكية ، قائلا : ان فرنسا اوسلت الى اسرائيل ٧٠ طائرة من طراق ه مستير » و ١٠٠ دبابة ، و ١٠٠ مدفع القيات ٠ القيل عبار ١٠٠ مدفع الطلقات ٠ و ٢٠٠ مدفع الطلقات ٠ وبطبيعة الحال نفت كل من اسرائيل وفرنسا هذه المعلومات ، ولكن هذا النفى لم يقتم احدا ،

غير آن الشيء الذي آثار قلق عبد الناصر بصفة خاصة هو الانباء الواودة من الاردن ، اذ كان يبدو أن بريطانيا تقوم بمناورات تهدف للى ارغام الاردن على الانضمام الى حلف بغداد ، فاتضح لعبد الناصر أن التحسن المفاجىء في العلاقات الانجليزية المرية ثم يكن آلا فخا قصد به صرف نظره عن النضال ضد ميشاق بغداد ، وتعريض سمعته في الوقت نفسه للخطر أمام الراي العام العربي بجره للاداد، بتصريحات علنية عن احتمال اجراء تسوية للنزاع العربي الاسرائيل ،

#### الأردن هي الهدف:

قال انطونى ايدن في ملكراته انه في اوائل شهر نوفمبر سنة ١٩٥٥ قابل السفير البريطاني في عمان الملك حسين واجرى معه محادثات صرح له فيها الملك الأردنى بان حكومته مستعدة للانضمام الى ميثاق حلف بغداد بشرط أن تتلقى من بريطانيا « التأييد اللازم » وقال ايدن ان وزيرا في البلاط الاردنى ادلى للسفير البريطاني بتصريح مماثل ، وأن الجنرال جلوب قائد الفيلق الاردنى ابلغ وزارة الدفاع البريطانية بأن حكومة الاردن مستعدة للانضمام لل حلف بغداد ، وقال ايدن أن كل هذه المعلومات كانت تشير الى أن هذه فرصة سانعة ، وأنه اذا لم تعمل المكومة الاردني هذا الأفرصة ستغلت ألى الأبد ،

وكان الستوتون الاردنيون ـ أو على الاقل ممثلو بريطانيا في عمان ـ متلهفين على تحقيق هذا الهدف ، والقترحوا أن يمر هارولد ماكميالان وذير الحارجية البريطانية في ذلك الوقت على عمان في اثناء عودته من بغداد حيث كان يحضر اجتماع وذراء خارجية دول حلف بغداد ، وذلك لبحث مسألة انضمام

الاردن للحلف - ويبدو أن فكرة ضم الاردن آلى ميثاق بنداد هى فى الاصل من وحى ماكميلان - وقد روى انطونى ايدن رئيس الحكومة البريطانية حينئد فى مدكراته: « لقد وجد ماكميلان فى بقداد دلائل تبعث على التشبيع والتفاؤل ، وداى أن الوقت قد حان لحن بعض الدول العربية الاخرى على الانضمام للحلف - وكانت العراق حالية الدولة العربية الوحيدة المستركة فى الحلف حائمة وأنها فى عزلة - وكان من رايه أن أول دولة عربية جديدة ينبغى أن تنضم لميثاق بغداد هى الاددن » -

وتطورت الحوادث بعد ذلك بسرعة ، فغى يوم ١٦ نوفمبر طلبت الاردن رسميا الانضمام للحلف ، وق ٢١ نوفمبر اجتمع مجلس الخلف في بغداد لبحث هذا الطلب ، وبعد خمسة عشر يوما وصل الى عمان السير جيرالد تمبلر رئيس هيئة أركان حوب الجيش البريطاني لوضع التفاصيل المسسكرية المتعلقة بانضمام الاردن الى الحلف ، والواقع ان السير تمبلر لم يكن الزائر الوحيد الذي وصل الى عمان في ذلك الوقت ، فقد كان هناك ايضا زائر آخر احساط مهمته بالكتمان هو المشير عبد الحكيم عامر ، قائد الجيش المصرى ،

وقرد ايدن أن يقدم ثلاردن هدية سعية من الاسلحة والمهمات العسكرية و ويلاحظ أنه اتخد هذا القرار من غير استشارة حلفائه ، وغاب عن نظره انهسيقدم هذه الاسلحة الثقيلة الى الجيش الاردنى المتاثر بنفوذ عبد الناصر ، بجانب قبول رؤسائه ذهب سعود اتذى أعلن مع نهرو « مبادى» التعاش السلمى الخمسة بين الدول » ولام العراق فى الوقت نفسه لاخاقها الضرر البالغ بقفيية الوحدة العربية بعد توقيعها على الحلف ، كما حدر "كلا من تندن وواشسنطون من أن ما يرمى اليه ذلك الحلف أن يتحقق ، الا أن كل هذا لا يهم ، فقد وعد ايدن بأن يقدم للجيش الاردنى عشر طائرات من طراؤ ، فامباير » وأن يسلح كتيبتين للهشاة ، وكتيبة للمدفعية ، وكتيبة مدرعة ،

على أن تمبلز كم يكك يعرض على المسئولين الاردنيين تفصيلات المساعدات المسكرية حتى قدم أدبعة وذراء أردنيين استقالاتهم ، مما أدى الى سقوط الحكومة. واستطاع هزاع المجال رئيس الوزراء الجديد \_ وهو من الؤيدين للانجليز \_ اقناع الجنرال تمبلر بالعودة الى لندن لبنتظر هناك حتى تتحسن الظروف قبل أن يرجع الى عمان و وفى خلال خمسة إيام انتشرت الفتنة وعم الاضطراب البلاد وسقطت حكومة هزاع المجال وخلفه فى الحكم ابراهيم هاشم رئيس مجلس الشيوخ المدى كان اول شيء فعله هو اعلان استنكاره لميثاق حلف بقداد وكان هذا فشلا جديدا لسياسة بريطانيا •

والسهولة التى تتساقط بها الحكومات الموالية للانجليز في الاردن قد تثير الدهشة، ولكن هذه الدهشة تزول اذا افهمنا التكوين الحقيقي للشعب الاردني، فإن ثلثي سكان هذا الشعب يتآلفان في الواقع من أصل « اجنبي » عن البلاد وذلك أنه حينما قرر الملك عبد الله - الذي كانت بلاده تسسمي شرق الاردن - الاستفادة من حرب فلسطين بأن يضم اليها الجزء المربي من فلسطين الذي لم تتحلله القوات الاسرائيلية ،كان عدد سكان مملكته لا يتجاوز ، ١٩٦٨ ١٤٦٤ نسمة ، وقد انضم اليهم ٥٥٠ ر ١٤٧ شخصا يعيشون في الاراضي الفلسطينية التي ضمت لل الاردن و ٥٠ غره ٤ شخصا من اللاجئين الفلسطينيين الذين فروا من قطاعات فلسطين بعد احتلال القوات الاسرائيلية لها وهذا يعني أن ثلثي سكان اللولة التي سميت الاردن ، يتألفون أصلا من الفلسطينيون أي من ألعرب الذين قاسوا الني معرب المنا المولة ما انتمجوا في القطاعات الجوهرية في البلاد بما فيها الجيش الاردني الذي يعتبر مجالا طبيا لدعايات الوحدة ألعربية ،

ولما تعطق الوطنيون الاردنيون من فشل مهمة الجنرال تمبلر صمموا على أن يعززوا مكاسبهم ، وأن يطالبوا بالقاء المعاهدة الانجليزية الاردنية، وقطع العلاقات مع العراق ، والتحالف مع مصر والملكة العربية السعودية •

وفي يوم ٧ يناير سنة ١٩٥٦ تجدت الاضطرابات في الاردن ، واتضات الحكومة احراءات شديلة لقمعها ، وادت هذه الاجراءات التي تولى مسئوليتها

الجنرال « جون جلوب » قائد الفيلق العربى الى القبض على ٢٠٠٠ شخص منهم شده م شخص في مدينة القدس وحدها • وفي ذلك اليوم تقرر مصبر جلوب الذي ظهر للناس بمظهر العدو « رقم ١ » للشعود العربي ، كما تقرر مصبر الملك حسين نفسه الذي استمان باجنبى انجليزى لقمع شعبه • وقد فكر الملك حسين ، وكل الدين كانوا يحيطون به في ذلك العهد ويقدمون له المسورة ، في دعوة القوات المراقبة للمجى و ال الاردن ، وقد اجاب نورى السعيد ومستشاروه بأنه اذا كان لعراق أن يرسل قوات إلى الاردن فإن هذه القوات يجب أن تكون من الضخامة لعرب تحقق النجاح لمهمتها •

وجا الانجليز الى وسائلهم الاستعمارية التقليدية ، فادسلوا الى قبرص من لندن بالطائرات كتيبتين من قوات الفلات وكتيبة مشاة خفيفة • وحركوا الى قرب عمان وحدة من سلاح الجو البريطانى وكتيبة مدرعة كانتا ترابطان فى جبهة ما بالاردن • وقامت بريطانيا فى الوقت نفسه بالضغط على القاهرة للتخفيف من حدة الحملة الاذاعية التى تشنها . كما قامت بضغط ممائل على وشنطن لكى تطلب من عصر الكف عن التدخل فى شئون الاردن •

ولكن التهديد الحقيقي والباشر لم يجيء من ناحية مصر ، وانما من الملكة العربية السعودية ، فقد زحف طابور سعودى قوامه ٢٠٠٠ جندى تمززه المدوعات والمدفعية ورابط قرب حدود الاردن الجنوبية ، وقد ادت هذه الحركة الى تعقيل الموقف ، وتبين أن القوات السعودية استخدمت لتخطيبة مؤامرة عجيبة دفعت الطونى ايمن رئيس الحكومة البريطانية بعد اسابيع قليلة الى المطالبة بالقضاء على عبد الناصر باى ثمن ،

وكان انطونى ايدن قد عين فى هذا الوقت ( اوائل عام ١٩٥٦ ) ســــاوين لويد وزيرا للغارجية بدلا من هارولد ماكميلان الذى كان معروفا بالتهور واتغاذ قرارات متسرعة .

## تنسيق أنجلو أمريكي:

أداد أنطونى ايدن ـ قبل أن ينفذ خططه فى الشرق الأوسسط ـ أن يؤمن مؤخرته فى وشنطن ، ولهذا فقد أعلن فى شهر نوفمبر سنة ١٩٥٥ أنه سيزور الولايات المتحدة فى شهر يناير ١٩٥٥ • وقى ٢٥ من هذا الشهر أبحر رئيس وذداء بريطانيا بصحبة وزير الحارجية ساوين لويد فى الطريق أل الولايات المتحدة على الباخرة « كوين اليزابيث » • وفى نيويودك كانت تنتظرهما طائرة الرئيس ايزنهاور الحاصة « كولبين » التى اقلتهما الى وشنطن حيث تناولا على الغور طعام الغذاء مع الرئيس ايزنهاور وجون فوستر دالاس • وكان كل اخديث اللى داد على المائدة عن الصين ، وقد أشار ايزنهاور ودالاس في خلاله الى الوقف « المسترك » الذي ينبغى أن يتخذه الامريكيون والانجليز تجاهها •

وبعد الظهر داد الحديث بين الجانبين عن الشرق الادنى ، وقد طلب الجانب البريطانى من الامريكيين الضغط على الملك سعود للتضعن مطالبته بواحة البودي، ووقف الدعاية المناهضة للانجليز التي يقوم بها في الشرق الادني و وقد داوغ ايزنهاود ودالاس وتهربا من مناقشة أي اجراء عملي يمكن أن يؤدي الى مضايقة الملك العربي ، ولكنهما وعدا باقناعه بانفاق أمواله على الشروعات الانتاجيسة في بلاده بدلا من أن يملاً بها جيوب المسئولين في الدول العربية الأخرى ،

اما عبد الناصر فقد كان الجانب الامريكي اقل عطفا عليه ، وقد تعسور ايدن من المحادثات أن الامريكين يوافقونه بصفة عامة على وجهسة نظره بنسان الزعيم المصرى ، وقد شعر ايدن دارتياح لللك وكتب في هذا الصدد : «كانت السياسة الانجليزية والامريكية مناسقة تناسقا وثيقا في هذه المرة تجاه مصر ، وقد اتفقت وجهات نظرنا على أن مستقبل سياستنا في الشرق الاوسط يتوقف الى حد كبير على ناصر ، يحيث أنه اذا اظهر استعدادا للتعاون معنا سنقابل عمله بالمثل ، وقال الامريكيون انهم يعتقدون أن المحادثات الحالية التي يقوم بها يوجين بلاؤ مدير البنك الدول مع عبد الناصر بشان مشروع السبد العالى يسكن أن

تكشف نواياه ، فاذا كان موقفه تجاه هذه السالة وغيرها من السائل تشير الى أنه لا يرغب في التعاون فينبغي على الطرفين الانجليزي والامريكي أن يعينوا النظر في سياستهما ازاءه •

ولا شك أن وجهمة نظر الامريكيين كانت غامضة ، ومثارا ككثير من سوء التفاهم •

## فرنسا تطالب:

كان ميثاق حلف بغداد ، الذي أعد وعقد من غير آخذ رأى فرنسا ، يشير مسألة الاخلال بتوازن القوى في الشرق الادني • ولم تفب هذه الحقيقة عن باريس التي كانت تراقب بسرور الاخطاء السياسية التي يرتكبها البريطانيون والامريكيون في هذه النطقة من العالم • ولكن هذا الشعور كان يخالطه القلق حينما نلاحظ الامور عن كثب ، اذ الواقع أن الانقسام الذي يعتقد الانجليز انهم يستطيعون احداثه بن الدول العربية بواسطة هذا الميثاق شجع السوفييت على التسدخل بصورة خطيرة في هذه المنطقة ، وهو أمر ترغب الدول الغربية جميعا في تحاشيه، بِمَا فِيهَا فَرِنْسَا ﴿ وَعَلِي أَي حَالَ فَقَد كَانُتَ الْدِيلُومَاسِيةَ الْفَرِنْسِيةَ تَعْمَلُ فَي ذَلِكَ الوقت على الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع النول العربية • وكان السغراء الفرنسيون في الشرق الادنى يطالبون - باستثناء سفيرنا في اسرائيل - بانتهاج سياسية مرنة في هذه المنقطة ، وكان من المهم في نظر فرنسا الا يحتكر الانجليزوالامريكيون عملية القيام وحدهم بدور الفرسان في الشرق الادني • ولهذا وجِهت فرنسا يوم ١٧ يناير سنة ١٩٥٦ مذكرة الى حليفتيها طلبت منهما فيها دعوتها للاشتراك في المحادثات الثنائية التي كان مقررا اجراؤها بين الانجليز والامريكيين في وشنطن، ولكن بريطانيا والولايات لتحدة ثم تلتفتا لهذا الطلب وقامتا بهذه المحادثات من غير أن يشركاها فيها ، وفي الوقت نفسه أبلغاها استعدادهما تعقد مؤتمر انجليزي فرنسي أمريكي لبحث شئون الشرق الادني ، ولكن على مستوى غير وزاري ٠ ورفضت فرنسا مشروعا يصدف الى المحافظة على السلامة الاقليمية لدول الشرق الأوسط، والقيام بعمل مشترك لتحسين الاحوال الاقتصادية بصفةخاصة في هذه المنطقة من العالم و ويتضمن المشروع ايضا الدعوة الى عقد مؤتمر رباعي يضم بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي للاتفاق على حظر الاسال الأسلحة الى دول الشرق الاوسط و ولكن هذه النقطة من المشروع كانت تتضمن عيبا خطيرا ، فالاتحاد السوفييتي اذا كان سيتحاشي الاخلال بهذا الاتفاق، فإن الدول التي تدور في فلكه أن تلتزم بهذا الحظر وستواصل ارسال الاسلحة الى عبد الناص ، ولهذا فان الشرورة تقضي بان يكون هذا اخظر عاما شاملا على الاحتحدة الى يلاحظ من جهة اخرى ان منع بربطانيا والولايات المتحدة من ارسال الاسلحة الى الدول العربية سيؤدي الى تدمر أسس حلف بغداد ،

وهذا الشروع يكفل من وجهة النظر الفرنسية توفير الأسس اللازمة لتحقيق سياسة التفاهم مع العرب • وقد قام كريستيان بينو وزير اكارجية الفرنسية ـ سستندا الى هذا المشروع والى تشجيع جميسع الدول العربيسة باستثناء العراق والاددن ـ برحلة الى الشرق الاوسط زار خلالها عبد الناصي •

وفى اثناء ذلك اجتمع المؤتمر الانجليزى الفرنسى الامريسكى اللى بعث شئون الشرق الادنى ، ثم اعلن البنسك الدولى بعد ذلك مباشرة ، يوم ٩ فبراير سنة ١٩٥٦ أنه قرر قبول تمويل مشروع السسد العسالى جزئيا ، ووضع لذلك شروطا معينة ،

## السبد العبالي:

قررت الحكومة المصرية أن نبنى سدا ضغما جديدا قرب اسوان لتحقيسق هدفين اساسيين : أن توسع بسرعة رقعة الاراضى الزراعية لواجهة الزيادةالسريعة فى عدد السكان ، وأن توجه انقاد الشعب إلى مشروع كبير يثير خياله وحماسته . لقد نبتت هذه الفكرة عام ١٩٥٤ بعد دراسسات تمهيدية قامت بها شركة نالنية ، وقدرت تكاليف انشاء السد وحده بمبلغ ٤٠٠ مليون دولاد ، واتجهت النية الى أن تقوم بالتنفيد شركة انجليزية فرنسية المانية متحدة ولكن اذا سحب مجموع النفقات الإضافية ، مثل زراعية الاراض الجسديدة ، فان المجموع الكلى للنفقات يصل الى ١٣٠٠ مليون دولار توزع على عشرين عاما .

ولما كانت مصر في حاجة ماسة الى تمويل المشروع فقد لجات رغبة في تعقيق هذا الغرض يوم ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥٥ الى البنك الدولى ، وهو شركة ماليـة دولية انشئت لتشجيع الاستثمار في جميع أنحاء المالم ، ولاعظاء صورة بما تقلمه من أمثلة عن الراسمالية المصرية ، وما تها عن قوة ومقدرة ، طلبت مصر من البنك الدولى ٢٠٠ مليون دولار ، وكان هارولد ماكميلان وزير اكارجيـة البريطانيـة وجـون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكية قد اتفقا في الناء مؤتمر وزراء الخارجية اللي عام ١٩٥٠ على ان تضاف الى قرض البنك الدولى لمصر معونة تبلغ ١٣٠ مليون دولار من المنح والقروض يدفع منها في المرحلة الدولى ٧٠ مليون دولار (٥٠ ملبونامن الولايات المتحدة و ١٤ مليونا من بريطانيل،

ولكن هذه المعونة التى تقروت يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٥٥ ظلت مرهونة بموافقة البنك الدولى على تقديم القروض البالغ ماثتى مليون دولار لمصر

وكانت اللعبة بادعة ، فتقسديم مثل هذه المعونة الكبيرة يهسف الى دبط عبد الناصر بقرض لم يكن خاليا من الشروط • ولكن البنك الدول كان يطلب ضمانات على مقددة مصر على السداد ، او بصورة أدق حق الاشراف على النفقات العامة في مصر ومنعها من أي اقتراض جديد • وكان الهدف واضحا ، هو منع عبد الناصر من التصرف بحرية في موادده للحيلولة بينه وبين شراء اسلحة جديدة من الكتلة الشرقية •

ولما كانت بريطانيا ملزمة بارسال الاسلحة الى اية دولة عربيـة تنضم الى ميثاق حلف بغداد فقد كان يكفى أن تدفع اسرائيل الى استفــزاز مصر لارغــام عبد الناصر على طلب الانضمام الى اخلف ، وهذا يعنى بالتساقى قبدوله سيسطرة الانجليز العسكرية على بلاده ، والا وجد نفسه عرضة لفضب جماهير شعبه اذا ما عجز عن مواجهة الاستفزازات الاسرائيلية لافتقاره الى الاسلحة ،

ولم يضا عبد الناصر أن يسرع فى توقيع الاتفاق مع البنك الدول ، بسبب الشروط الملحقة به والمتعلقة بالاشراف على نفقات الحكومة المصرية ، حتى لتعيد الى الاخهان ذكريات اللجنة الفرنسية ـ الانجليزية المستركة التى كانت تشرف على المالية المصرية فى الفترة التى بين عامى ١٨٥٥ ـ ١٨٨٢ بلعوى ضممان سلداد ديون الخديو، وفرضت سيطرتها على جميع مرافق البلاد وفى قبرابر أعلن البنك الدولى أنه أنتهى من اعداد مشروع الاتفاق ، ولكن ترامت الى عبد الناصر فى ذلك الوقت أنباء تفيد أن اسرائيل حصلت على كميات كبيرة من الاسلحة من دول أوروبا الفربية ، ولا سيما فرنسا ، ووجد أنه لا مناص من الاسراع فى شراء أسلحة جديدة من الدول الشيوعية لكى يستطيع مواجهة أى هجوم اسرائيل محتمل ، وكانت المعلومات التى لديه تفيد أن اسرائيل تدبر فعلا هذا الهجوم ،

وفى نهاية شهر فبراير سنة ١٩٥٦ قام سلوين لويد برصلة الى الشرق الادنى ، واجتمع يوم ٢ مارس بعبد الناصر ٥ وكان سلوين لويد اكثر مرونة وفهما لحقائق الموقف من انطونى ايدن اله هارولد ماكميلان اللذين كانا غارفين فى احلام المصر الفيكتورى ، ولكن كانت لديه تعليمات بان يحمل « البكباشي » على التزام حدوده واحترام مسئولياته ، بل ان سلوين لويد عرف ايضا كيف يعبس ويقطب حجيبه وهو يتدر عبد الناصر عقب انتهاء معادلاتهما بقوله : « ولا تنس أن لدينا الجنرال جلوب فى الاردن » •

وبعد أن عاد سلوين لويد ألى السفارة البريطانية في القاهرة تلقى برقية عاجلة بعد الظهر تحمل نبا خطيرا : طرد الماجور جنرال جلوب ، الذي خدم في الشرق الاوسط مدى سنة وعشرين عاما ، من منصب كقسائد للفيسلق العربي بالاردن •

#### الفتنة في الأردن:

لما تولى الجنرال جلوب في شهر يناير سنة ١٩٥٦ مسئولية قمع الفتنة في الاردن بدأت المؤامرات تدبر ضده • ولم تكن هذه المؤامرات تهدف الى اغتياله ، فإن هذا كان من شسأنه أن يؤدى الى عواقب خطيرة لان القوات البريطانية كانت حتى ذلك الوقت ترابط في الاردن ، وانها كانت تهدف الى طرده من البلاد • وقد اجتمع لهدا الفرض في دهشق فسريق من ضباط الجيش الاردني سـ من أصل فلسطيني ــ برئاسة اللواء أبو نواد مع زعماء الحزب الاشتراكي الوطني الاردني وممثل الحكومة السورية ، وأشرف على اعداد المؤامرة وزير الداخلية السسورية ناسه و

وقال مصدر مطلع فى هذا الشان : « وجد الملك حسين نفسه فجاة امام ضغط شديد من جانب الفياط الاحراد فى الجيش الاردنى ومن جانب المعارضة ، فاضطر تحت تأثير الغزع الذى استول عليه الى توقيع مرسوم باقالة الجنسرال جلوب » •

ولم يكن أمام الملك خيار ، فقد كان يعرف طباع العرب ، وانهم ثن يترددوا فى اغتياله اذا لم يوقع بذلك • ولكن يبدو انه وقع طبقا خطة سياسية فكر فيها مقدما ، وان فزعه من الاغتيال لم يكن هو العامل الاساسى الذى حمله على التوقيع •

وقد أصيب الانجليز بالدهشة والاستياء لتطور الاحداث الى طرد جلوب ، وازداد ذهولهم الاستقبال السيىء الذى قوبل به وزير خارجيتهم سلوين لويد فى مطار البحرين حيث هتفت الجماهير الصاخبة ضده هتافات عدائية مهيئة وعطلت سير سيارته مدة اربع ساعات واتلقت سيارات مرافقيه ٠

لقد شربت بريطانيا الكاس حتى الثمالة ، وقررت ان تضرب ضربتها ، وتوجهها ضد عبد الناصر لكي تتخلص منه ،

## جي موليه في لندن :

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ١١ مارس سنة ١٩٥٦ وصل جى موليه رئيس الحكومة الفرنسية الى لندن ثم عاد الى باريس مساء اليوم نفسه حيث علم أنه اتفق مع الانجليز على انتهاج سياسة فرنسية بريطانية مشتركة تنظوى على الشدة تجاه مصر ٠

لقد كانت الحكومة الفرنسية ـ في الوقت الذي راحت فيه بريطانيا تتلقى الاهانات في الشرق الاوسـط ـ تريد التخلص من ناصر باعتباره يشسجع على استمراد الثورة الجزائرية • وأخذ جي موليه \_ عن طريق جيكوب تسور سفير تل أبيب في باريس ـ يعقد اتصالات تستهدف ضم اسرائيل الى كل من فرنسا وبريطانيا للقيام بعمل مشترك ضد القاهرة •

ومما يستوقف النظر في هذا النسان انه عقب عودة جي موليه من لنسان باسابيع قليلة نشرت صحيفة « بيرسيكتيف » الفرنسية ذات المصادر المطلمة مقالا يوم ١٧ مارس سنة ١٩٥٦ جا، فيه : « ان اسرائيل يجب أن تفرب ضربتها قبل مفى ستة شهور » •

ومضت الصحيفة الفرنسية تقول ان المسكلة بالنسبة لاسرائيل هي كيف تثير هذه الحرب وأن تبرر في الوقت نفسه موقفها في نظر الراي العام المدول • هل ترسل جيشا لانتزاع الطرف الجنوبي من شبه جزيرة سيناء ؟ ان هذا يتجاوز مقدرة اسرائيل وما لديها من وسائل • اذن هل تهاجم منطقة قناة السويس ؟ ولكن هذا يعني الهجوم على بريطانيا التي ترابط قواتها في هذه للنطقة • النافضل خطة اذن هي الهجوم على الاردن ، وقد علم من مصادر مطلعة أن بن جوريون ينوي أن يبدأ العمل في هدا الصدد في نهاية شسهر مارس ، عقب انتهاء عيث القصح اليهودي • وحينئذ ستفتح القوات السورية النيان ، وقد تهاجم • ومصر ستتدخل • ومن ثم ترد اسرائيل وتهاجم العريش ثم تهاجم مصر ذاتها وهسا يسقط عبد النّاصر ، وتعم الفوضى ، ويكتب النصر الاسرائيل • ولكن الفسالب الحقيقي سيكون روسيا ، ما ثم يصمم الغرب على وقف هذه الغوضى » •

ومما تجدر ملاحظته أن هذه الخطة قريبة الشبه جدا بالعمليات التي وقعت فيما بعد في شهرى اكتوبر ونوفمبر • فقد بدأت باشتباكات من جانب اسرائيل، ثم تدخل من جانب فرنسا وبريطانيا • وقد ركزت اسرائيل حملتها ضد مصر واهملت باقى الدول العربية الاخرى للقفساء على وجل واحد هو عبد الناصر ، وعلى نظام حكمه •

ولكن شهر مارس الذي اشارت الله الصحيفة الفرنسية وحددته كموعد لبدء قيام اسرائيل بالهجوم مر من غير آن يحدث شيء و والواقع آن هذا يرجع الى القوات البريطانية كانت حتى ذلك الوقت ترابط في منطقة قناة السويس، ولن تغادر هذه المنطقة الل في شهر يونيه طبقا للاتفاقية الانجليزية ب المصرية واثن كانت هذه القوات موجودة في شهر مارس باعتبار انها « الحكم » او « الحامى » المحتمل بمعنى انها تقوم بدور الحامية لمصر ، وتريد أن تبين للمصريين أن الوجود البريطاني في منطقة القناة ضروري لحمايتهم من الذئب الاسرائيل الكبير الخبيث . وليس هذا الكلام مجرد خيال ، وانما هو يمثل الخطة التي نفذتها بريطانيا فعلا في شهر نوفمبر من العام نفسه •

ولكن بريطانيا لم تدبر هذه الخطة الباشرة مع اسرائيل ، وائما استخدمت فرنسا في شخص جي موليه رئيس حكومتها كوسيط في هذه العملية ، وذلك حتى لا تعرض للخطر صلات الصداقة التي تربطها بالشعوب العربية ، وكان الباعث الذي دفع جي موليه الى القيام بهذا الدور هو رغبته في تصفية حسابه مع عبد الناص وفي الوقت نفسه انقاذ « الجزائر الفرنسية » •

## طلائع النزاع:

وفى خلال هذا كان الفدائيون المصريون يقومون بضارات مفاجئة يكبدون فيها سكان المستعمرات الاسرائيلية خسائر كبيرة فاتخذ الجيش الاسرائيلي هسده الاعمال ذريعة لكى يقذف غزة بالقنابل يوم ٥ ابريل سسنة ١٩٥٦ فتقتل ٤٢ شخصا من سكانها ٠

وكان داج همرشوئد السكرتير العام كلامم المتحدة في طريقه في ذلك الوقت الله الدنى الإجراء معادثات تهدف الى وقف اطلاق النساد بين الجسانين الاسرائيل والعربي ، وقد استطاع تعقيق هذا الهدف يوم ١٨ ابريل • وترتب على ويارته تعسن قصير المدى في الموقف وافقت خلاله اسرائيل ومصر على مشروع الارسال مراقبين من الامم المتحدة الى منطقة غزة •

#### رحلات بينو :

ف اثناء كل هذه الفسجة والجو المشحون بالتوتر اجتمع كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسية بعبد الناصر في القاهرة يوم ١٤ مارس لكي يشرح له حسن نوايا فرنسا ورغبتها في تحسين العلاقات مع مصر ، من غير أن يدري شيئا عن المؤامرات التي تدبر في باديس ولندن للتخلص من عبد الناصر • وعلى الرغم من أن الزعيم المصرى كان يجهل طبيعة الدسائس التى تدبر ضده ، فانه لم يكن لينسى أن فرنسا رفضت أن تبيع له صفقة مدافع « هاون » ويبدو أنها كانت تغشى أن ترسل هذه المدافع الى المتمردين الجزائريين • كما أنه لم يستطع أن ينسى أن فرنسا طلبت من المنظمات الحليفة تسليم اسرائيل ١٢ طائرة نفائة من طراز « هيستر ع ٤ » •

ولكن يبدو أنه كانت هناك أسباب تشجع على التفاهم بين الدولتين ، والواقع أن عداءهما المسترك لحلف بغداد كان اقوى هن الباعث الذى كان يغرق بينهما ، وهو مساعدة مصر للثورة الجزائرية ،

والواقع أن الرأى العام العربى كان حانقا على فرنسا بسبب ادسالها ١٧ طائرة مطاردة من طراز « ميستير ـ ٤ » فى شهر ابريل سنة ١٩٥٦ الى اسرائيل، وهى صفقة أحدثت فى ذلك الوقت دويا كبيرا • ثم علم العسرب بعد ذلك أن اسرائيل طلبت ايضا من فرنسا شراء ١٧ طائرة أخرى وتحاول شراء ١٧ طائرة غيرها • كما أن الولايات المتحدة أوصت كندا بتسليم اسرائيل طائرات أمريكية الصنع من طراز « ساير » •

وكان رد مصر على كل ذلك انها قررت يوم ١٦ مايو سنة ١٩٥٦ الاعتراف بالصين الشعبية ، وايفاد بعثة عسكرية الى بكين • وكان هذا الاجراء عثابة عقاب فون فوستر دالاس وذير الخارجية الامريكية ، الذى اومى بتسليم طائرات عسكرية لاسرائيل • وفي هذا الوقت وجه الاتحاد السوفييتي ندا للمحافظة على السلام في الشرق الانحى واقترح على الدول الكبرى عدم ارسال أسلحة الى هذه المنطقة من العالم الا تحت أشراف الامم للتحدة ، واجراء محادثات في هذا الشان بين الدول الاربع الكبرى : بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، وذهب بولجانين وخروشسوف لزيارة لندن في شدم أبريل سنة ١٩٥٦ ، واستقبلا جي موليه وكريستيان بينو في موسكو في شهر مايو .

وتوجس اتطونى اينن خيفة من اهتمام الروس للفاجىء بالشرق الاوسسط فحدهم قائلا: « ان بريطانيا ستدافع عن مواردها البترولية في هذه المنطقة وانها لن تتردد في دخول حرب من أجل ذلك » •

وبعد قليل توجه كرستيان بينو الى واشنطن حيث وصل الميها يوم ١٨ يونيه سنة ١٩٥٦ وقد سبقته اليها سمعة سيئة بأنه « حيادى » ، واستقبل استقبالا فاترا ، ونشرت الصحف الامريكية أنباء تفيد أن الرسمين الامريكين عاملوه معاملة تهدف للى اهانته واذلاله ، ومن اهتلة ذلك أن بينو كان قد اعد خطا با لالقائه في الكونجرس ، ووزع نص الخطاب مقدما على وكالات الانباء ، ولما توجه الى الكونجرس أخبره المسئولون هناك ــ وهو يوشك أن يدخل قاعة مجلس النواب وقد تظاهروا بالحرج ــ أنهم نسوا ابلاغ النواب بأنه سيلقى خطابا في المجلس ، وأنه لا يوجد في الاروقة غير ادبعة نواب أو خمسة ، وثمة مشال أخر اكثر خطورة ، فقد نشرت الصحف الامريكية أن ملحقا بالسفارة الفرنسية في واشخن على رؤوس الاشهاد أن كريستيان بينو لا يمثل الا نفسه ،

وفي اثناء زيارته للولايات المتحدة تجاهله رجال السياسة هناك ، ومع ذلك قلم يحقد على دالاس ولا على الامريكيين ، اذ كان مشغولا بمسالتين هامتين هما : انشاء السوق الاوروبية المستركة ، والمسكلة الجزائرية ، وكانت محادثاته مع المسئولين في واشنطن تدور حولهما بصفة خاصة ، ولكنه عاد الى باريس وفي حقيبته اتفاق بالتعاون اللدى بين الولايات المتحدة وفرنسا .

#### وداعا ٠٠ أو الى اللقاء:

في خلال هذا الوقت كانت القاهرة تعمها الافراح وتعيش في عيد كبير ، فقد غادر آخر جندى بريطانى آرض مصر يوم ١٣ يونية ١٩٥٦ ، ولم يكد البريطانيون يتمون انستحابهم حتىجاء الى القاهرة شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفييتى الذي كان قد اجرى مفاوضات من قبل مع عبد الناصر بشان ارسالى أسلحة الى مصر ٠

وقد تم رحيل القوات الانجليزية من مصر من غير وقوع صدام أو حدوت صعاب ، وكان المامول حينئد أن تؤدى هــده الخطوة الى اذالة التسوتر وتحسن العلاقات بين مصر وبريطانيا ، ولكن البعض كان يستحوذ عليهم القلق ويتساءلون ما اذا كان عبد الناصر سيقنع بذلك أو أن هذا النجاح سيفتح شهيته ويدفعه الى التقدم بمطالب جديدة ، وقالت صحيفة « بيرسبكتيف » الفرنسيسة ساخرة يوم ٣٠ يونيه سنة ١٩٥٦ : « لقد أصبح العرب سادة القناة ، ولن يلبث بطل الاستقلال ـ ناصر ـ حتى يقـم برهانا جديدا على مدى احترامه للغرب ، » »

واعلنت صحيفة « أنباء البترول » التى تعكس راى الدوائر البترولية فى العالم أن القناة أصبحت غاية فى الفيق • وكان هذا بمثابة اندار لشركة قنساة السويس التى كانت الدوائر البترولية ـ وقد أصبحت أهم عملائها ـ تضفف عليها سرا منذ بعض الوقت ، تكى تعمل على توسيع القناة •

والواقع أن شركات الملاحة التى تملك ناقلات البترول كانت كفقف طلبها ، فقد كانت تريد قناة واسعة تسمح بمرور السفن الضغمة التى تنقل البترول ، كما كانت تريد تعديل رسوم المرور لتحاشى ما كان يسمى احيانا « عقوبة السفن ذات الحمولة الكبيرة » •

وكان أصحاب ناقلات البترول يلاحظون الشركة قناة السويس غنية وأنها تستطيع أن تمول وحدها مشروعات تحسين القناة ، ولكن الشركة كانت تأمل الا تتحول وحدها نفقات تحسين القناة وتوسيعها الصلحة فئة معينة من عملائها وهم أصحاب ناقلات البترول الضخمة • وهى لم تكن تمانع فى الاشتراك فى هذه النفقات ولكنها كانت ترغب فى أن يتولى البنك اللولى الساهمة فى جزء من برنامج إعمال التحسين •

وغضب رجال الاعمال الانجليز من طريقة تفكير المسئولين في الشركة ، فمن رايهم أن البنك السول له مهمة معدودة هي تمويل الشروعات في البلاد اللقيرة ، مثل مصر ، واظهار مزايا النظام الرأسمالي ومحاسنه ، ولكن القناة غنية جدا ، وليست في حاجة الى تقديم أي مثال على مزايا الرأسمالية وفضائلها ، ثم أن الشركة تضع في كل عام في خز:ئنها ٣٥ مليار فرنك قيمة رسوم المرود ، وهذا المبلغ هو ايراد رأس مال استهلك منذ سنوات كثيرة في الوقت اللي لا تنفق فيه على اعمال تحسين القناة غير عشر الايرادات ، ولا تتجاوز كل نفقات الشركة ١٦ مليار فرنك ، فهل لا يعد ذلك ربعا « غير عادل » وكسبا « شيطانيا » لا ينظر اله وب السماوات نفارة رضي ؟

وكان المعريون يتابعون هسله الأمور باهتمام ، بل انهم زعموا أيضا أن الشركة حاولت اقتاع رجال الاعمال الامريكيين بان يستخدموا نفوذهم لدى الدوائر المسئولة لحمل مصر مد ، جل امتياز الشركة ، أو انشاء قناة جديدة ، مشتركة فرنسية امريكية ، ولكن جون بيكو ، المدير العام لشركة القناة نفى هلا الزعم ،

## ناصر وشركة القناة:

قد يبدو غريبا أن شركة القناة كانت تشير فى بداية الأمر بادتياح لتسول عبد الناصر شئون الحكم فى مصر ، ولكن هذه الفرابة تزول اذا علمنا أن الجماهير فى مصر كانت قبل عام ١٩٥٢ فريسة لدعايات عنيفة موجهة ضد الشركة ، الا أن حكم عبد الناصر خلق نوعا من الاستقراد فى البسلاد ، فبدأت الشركة تنظر الى

الستقبل بشىء من الثقة • وكان عبد الناصر يعلم أنه لا فائدة من عمل شيء تجاه الشركة ما دامت القوات البريطانية مرابطة في منطقة القناة ، ولهذا فقلد دكر جهوده في العمل على تعقيق جلاء القوات الانجليزية من مصر على أساس أن نجاحه في هذه الخطوة يؤدى الى حل جميع الشكلات الا خرى المتعلقة • هذا فضلا عن أن عبد الناصر لم يشا ، حينما تولى الحكم ، أن يتسرع في الدخول مع الشركة في نزاع حتى لا يفسد علاقته مع الغرب ، وحتى لا يعرفل المفاوضات التي كانت تجرى بينه وبين البنك الدولي الذي كان يامل الحصول على عدة ملايين من الدولارات لتنفيذ مشروع السد العالى •

لقد كان عبد الناصر يتصرف اذن بحلد وفطنسة • ولكن بمجرد أن بدأت القوات البريطانية في الرحيل عن أدض مصر ، وبدأ الجيش المصرى يحصل على الدبابات والطائرات الروسية ، حتى أخلت الحكومة المصرية تبدى اهتماما كبيرا بالاحوال المالية لشركة قناة السويس • وقد لاحظت الحكومة مثلا أنها عام ١٩٥٥م الذي سبق جلاء القوات البريطانية عن مصر سلم تحصل من الشركة كرسسوم الاعلى مبلغ مليار و ١٩٧٥ر٥٠٥٠ ورنكا ، في حين بلغ صافى أدباح الشركة عن استغلال القناة ١٦ مليارا و ١٩٠٥ر٥٣٥ ورنك •

وقد اتصلت المفاوضات بين الحكومة المصرية وبين الشركة في خلال عامي المورد (١٩٥٥ لزيادة حصة مصر في قيمة الرسوم التي تحصل عليها • وكانت الحكومة تعانى حينتلا مصاعب فيما يتعلق بمسألة الاستثمارات ، لان افراد الطبقة المتوسطة كانوا ينفرون من استثمار أموالهم في المشروعات ، وحتى لو فعلوا ذلك فانهم كانوا يستثمرون أموالهم مثلا في أعمال الانشاءات والمبانى الخاصة التي تعد ربحا عاجلا ، وليس في الاستثمارات الاساسية التي تهدف الى انتاج السلع الانتاجية التي لا تدر دبحا الا بعد زمن طويل ، فضلا عن أنها عرضة للتاميم •

وكانت الحكومة الصرية تؤمل ان تستثمر شركة قناة السويس معظم الإموال التي تربحها في مشروعات مصرية • ولم تكن تمانع في ان تحتفظ الشركة بارباحها على أن تستخدم جزءا منها في مشروعات التنمية الاقتصادية في مصر ، وبعد مفاوضات طويلة وصل الطرفان الى اتفاقية وقعت في شهر مايو ١٩٥٦ (قبل شهر من جلاء القوات البريطانية ، وقبل شهرين من تأميم القناة ) وتقفى الاتفاقية بأن تستثمر الشركة في مصر كل عام ثلاثة ملاين جنيه مصرى ، وذلك لمدة سسبعة اعوام ،

ولكى تدلل الشركة على حسن نيتها دفعت للحكومة المصرية في شهر يونية ١٩٥٦ أدبعة ملايين جنيه لاغراض الاستثمار ٠

وعلى الرغم من هذه الاتفاقية أو على الرغم من هذه الهدنة الصغيرة ، وجنت الشركة نفسها عقب انسحاب القوات الانجليزية تحت رحمة دولة ذات سيادة ، ولم يكن هناك ما يحمى الشركة من تعسف اخكومة في أن تقلل علاقاتها مع الغرب طبية على أمل أن تساهم الراسمائية الدوئية في مشروعات مصر الكبرى وعلى راسها مشروع السد المائي .

ولكن مصير الشركة لم يكن يهم الامريكيين كثيرا ، وكان كل ما يهمهم هو المقترحات التي قدمها شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفييتي لعبد الناصر .

## وعود براقة:

في خلال أعياد الاستقلال التي أقامتها مصر ابنهاجا بجلاء القوات الانجليزية، أجرى عبد الناصر محادثات كثيرة مع شبيلوف ، وكان من الطبيعي أن يتسابع الامريكيون على المحادثات عن كتب عل قدر ما يستطيعون • وقد اتضح أن جوهر المحادثات كان يتملق بصفقة جديدة من الاسلحة الروسية ، ولم يحاول أحسد الطرفين على أي حال أن يخفي هذه الحقيقة • وكانت هذه الصفقة تضم قاذفات قنابل من أحدث ما أنتجه الاتحاد السوفييتي، وهذا النوع من الطائرات كان القوة الرئيسية للهجوم الروسي •

وكان دالاس يعرف جيدا مغزى هذه الصفقة ، فقد كان يدرك أن قاذفات القنابل التي بيعت لممر لن توجه ضد دولة اسرائيسل الصغيرة التي لا يخشى الروس شيئا منها من الوجهة الاستراتيجية ، والتي كان دالاس يهتم بها اهتمامه ببراميل البترول ، وانما ستكون بمثابة تهديد مضاد لقاذفات القنابل الامريكية التي يراد وضعها في القواعد العربية بالدول الاعضاء في حلف بغداد لكي تهدد الراكز الحيوية في الاتحاد السوفييتي ،

والواقع أن قاذفات القنابل الامريكية لم تكن قد وضعت بعــد في القواعد العربية ، لماذا ؟ لأن الولايات المتحدة بعد أن دفعت حلفاءها الى القيام بمغامرة حلف بغداد الذي بلبل الافكاد بصورة خطيرة في الشرق الاوسط ، تحاشت هي نفسها أن توقع ميثاق الخلف ، واكتفت بالاشتراك في بعض لجانه، مثل اللجنة الاقتصادية، ولجنة الإعلام ،

## لب الشيكلة:

مهما يكن ما قيل عن النتائج الخطيرة التي كان يمكن أن تترتب على حملة السويس ، فالاعتقاد السائد هو أنه لا الاتحاد السوفييتي ولا الولايات المتحدة كانت تغاطران بدخول حرب من المحتمل أن تصبح حربا عالمية من أجل قناة السويس ، أو من أجل عبد الناصر ، أو من أجل اسرائيل ، ولكن لب المشكلة هو أن وجود قلافات عصرية جدا من طراز سوفييتي ومن صنع تشيكوسلوفاكيا على المقادات المصرية وعلى مقربة منها « مدربون » يستطيعون بالفرورة استخدامها كان يشكل ما يسمى حينئذ بالمهوم العسكرى الفربي : « قلعة روسية على قناة السويس » و ونصف هذه القلعة التي أقامها الروس لمواجهة الخطر الذي يهدد الاتحاد السوفييتي من القواعد التي كان الامريكيون والدول الغربية الاخرى يعتزمون انشاءها على حدود روسيا ، والتي انشاوها فعلا ، اصبح فكرة ثابتة لكن هيئات اركان الحرب الفرنسية والبريطانية ، وكان المسكريون الفرنسيون والبريطانيون يعتقدون الهم يستطيعون الحصول على تلييد وزارة الدفاع الامريكية

لهذه الفكرة تأييدا تاما ، ومثل هذا التأييد تصبح له الاولوية ـ باسم السلامة الوطنية ـ على كل البردات السياسية التي يمكن أن تقدمهاوزارة الخارجية الامريكية، وعلى كل الناودات التي يقوم بها أصحاب ناقلات البترول الكبرى ، لتحاشى القيام بمغامرة عسكرية قد تهدد مصالحهم ،

ولما قضت حرب السويس بصورة عملية على هذه القلعة لم تعد لدى وزارة الدفاع الامريكية أسباب تحملها على الاستمرار في هذا التاييد ، وهكذا تركت الميدان لكي يقوم الدبلوماسيونبالدور الرئيسي، وتخلت عن العسكريين الفرنسيين والبريطانيين لكي يواجهوا مصيرهم وحدهم .

اذن فالمُسكلة تقوم اساسا على « الحرب البسادة » • وليست اسرائيل او مصر أو قناة السويس غير قطع شطرنج في لعبة كبيرة مفجعة يتقرر فيها مصير الناس •

## مبعوث البنك الدولي:

حينها كان شبيلوفيقدم مقترحاته بشان الاسلعة الروسية الى عبد الناصر ، وصل الى القساهرة يوم ١٩ يونية ١٩٥٦ زائر كبير جاء بالطائرة لكى يقابل عبد الناصر ، وكان هذا الزائر هو « يوجين بلاك » رئيس البنك الدولى ، واحد أساطين رجال المال اللين يدورون في فلك « روكفلر » وشركات سفن البترول الكبرى التى تعتمد على بنك « شيزمانهاتان » وفي خلال المحادثات التى أجراها عبد الناصر مع « بلاك » علم الزعيم المصرى أن العرض الامريكي الخاص بتقديم معونة الى مصر ـ وهو العرض اللرى كان مرتبطا بالاتفاق المبدى، الخاص بالسلد العلى الذي وقع في شهر فبراين ١٩٥٦ ـ سيحسب اذا لم توافق عليه مصر قبل يوم أول يولية ١٩٥٦ ،

وكان هدف العملية الامريكية كلها هو تكبيل يني عبد النساصر بالقيود المالية بحيث يفقد حرية الحركة ويعجز عن عقد صفقات أصلحة جديدة مع الروس. ولا كانت الولايات المتحدة تريد أن ترغمه على الاتفاق معها بسرعة قبل أن يوقع مع الاتحاد السوفييتي عقود اسلحة جديدة ، فقد استخدمت مختلف وسسائل الضغط لتحقيق هذا الهلف و ومن هذه الوسائل أن متحدثا باسم وزارة الخارجية الامريكية أعلن يوم ٦ يولية سسنة ١٩٥٦ أن الحكومة الامريكية أبلغت الحكومة الامريكية أبلغت الحكومة الامريكية بالمساهمة بقصروع أنشاء السد العالى قد أعيد الى الخزانة الامريكية لانفاقه في أغراض الحرى و وبرد المتحدث ذلك بأن القاهرة لم تعلن قبولها للعرض الامريكي حتى يوم ٣٠ يونية وهو تاريخ انتهاء السنة المالية ١٩٥٥ – ١٩٥٦ ، وأضاف المتحدث على أي حال فائها ،

وكان هذا بمثابة انذار من الولايات المتحدة للحكومة المصرية ، فان العرض الامريكي وان ظل قائما كان في حاجة الى اجراءات جديدة لاعتماده مرة اخرى من الكونجرس ، وهذا يقتفى أن يعلن عبد الناصر قبوله للاتفاق مع واشنطن ، وعليه اذن أن يختار بين انشاء السد العالى وبين الاسلحة الروسية .

وفي هذا الوقت كان عبد الناصر يريد تعاشى الفشل باى ثمن • وكان قد انتخب حديثا رئيسا للجمهورية بغالبية تزيد على ٩٩ في المائة من الاصوات ، وكان من القرد أن يجتمع في خلال ايام قليلة في بريوني ، بقطبين آخرين من اقطاب سياسة الحيياد ، وهما تبتو ونهرو • وكان يريد بصفة خاصة أن يفلل مطلق البدين في المفاوضات التي كان من المقرد أن يجريها في الاتعاد السوفييتي في شهر أغسطس والتي كان يامل أن تنتهى بنتائج طبية • ولما كان معلمنا الى اشتراك الفرب في مشروع السد العالى الجباد ، فانه سيعود من موسكو وقد ظفر إيضا بسفقة ضخمة من الاسلحة تتيح له دعم نفوذه في العالم العربي ، وهكذا يكون قد ضرب عصفودين بعجر واحد • فابرق الى احد حسين ، سفيره في واشنطن لقبول العربي كي واشنطن لقبول

ولكن المقترحات التى قدمها السفير المصرى لحكومة واشنطن يوم ١٩ يولية 
عام ١٩٥٦ لم تكن تعنى التسليم باى حال بالشروط الامريكية ، بل أنها كانت 
بالاحرى بمثابة « اندار نهائى » ، كما وصفها روبرت مورفى فى مذكراته ، فقد 
تضمنت هذه المقترحات مطالبة الحكومة الامريكية بان تتكفل بانشاء السد المال، 
اى دفع عدة مثات من ملايين الدولارات سواء مباشرة او عن طريق البنك الدول ، 
وقد طلبت حكومة القاهرة من احمد حسين أن يوضع للمسئولين الامريكيين انهم 
« اما أن يقبلوا هذه المقترحات واما أن يوضعه » ،

وكان موقف مصر في هذه المسالة له رائعة ابتزاق المال بالتهديد و وكان الامريكيون يعتقدون أن الروس ليسوا شديدى الرغبة في ذلك الوقت في القيام بهذه العملية ، وان كل ما يهمهم لم يكن انشاء السد العالي وانما بيع الاسلحة لعبد الناصر ، والاسلحة الهجومية بصفة خاصة ، اذ أن هدف السياسة الروسية لم يكن تحقيق الرخاء لمصر وانما تهديد مؤخرة القواعد الامريكية التي كان يجرى اعدادها في الشرق الاوسط ،

وربما كان للاعتبارات المتعلقة بالسياسة الداخلية السوفييتية دخل في هذا الموقف ، اذ كان شبيلوف وفريق من المسكريين السوفييت في ذلك الوقت ، وكذلك الصينيون الدين كانوا يؤكدون أن لهم دورا في المسالة ، ينتمون جميعا الى الكوائر الايديولوجية التي تحارب فكرة التعايش السلمي ، وهذه كان يدافع عنها خروشوف ،

وعلى اى حال فان موضوع بيم الاسلحة الروسية لعبد الناصر كان يثير قلق وزارة الخارجية الامريكية • وقدر دالاس أنه اذا سحبت واشنطن عرضها الخاص بالساهمة في مشروع السد العالى فان من المحتمل أن يضطر عبد الناصر الى الغاء رحلته الى موسكو حتى لا يجد نفسه هناك في موقف الملتمس المنطوى على الضعف سواء بالنسبة الشروع السد العالى أو بالنسبة لصفقة الاسلحة •

## مؤامرة واشنطن:

أصبح معروفا أن القرار الخاص بسحب العرض الامريكي بشان تمويل مشروع السد العالى قد اتخذه جون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكية وحده، من غير أن يستشير احداء على الاطلاق ، ربعا باستثناء أخيه الن دالاس دئيس المغابرات الامريكية • هذا ما اكده دوبرت مودفى أحد مساعدى دالاس الرئيسيين وكان يبحث معه فى ذلك الوقت مشكلات الشرق الاوسط البعدة المسدى • وقال مورفى أيضا أن دالاس لم يطلع الرئيس أيزنهاود نفسه على قرار سعدب العرض الامريكي الا قبل ابلاغه لسفير مصر ببضع دقائق •

ویعزی هذا التصرف الغریب من دالاس الی طبیعة شسخصیته المتقلبة ، واستثثاره باترائه من غیر اکتراث بعاقبة اعماله ، وکان هذا دأی انطونی ایلن فیه • ویبدو آن دالاس کان قد انطاق فی مباراة عقلیة ، اشبسه بادوار البوکر ، مع عبد الناصر الذی له نفس اندفاعه !

ومن الدلائل التى تشير الى سبحب العرض الامريكى كان عملا متعمدا ان الدبلوماسيين الامريكيين ، اللذين عقدا مع عبد الناصر آوثق العلاقات الودية ، وهما جورج الن وكيل وزارة الخارجية الامريكية لشئون الشرق الاوسط ، وهنرى بايرود السفير الامريكي في القاهرة عزلا من منصبيهما فجاة في ذلك الوقت ومن هده الدلائل أيضا أن هذا القرار آبلغ لمصر اجتماع عبد الناصر بنهرو وتيتو في بلغراد ، وكان من المكن ارجاء اذاعته بضعة أيام ريثما يعود الى القاهرة ،

ولم تحاول الولايات المتحدة حتى أن تبقى هذا القراد سرا • فقد عقد اجتماع في البيت الابيض ، اعلن خلاله دالاس أسفه لروح العداء التى تكنها لجنة الميزانية بمجلس الشيوخ الامريكي لمصر وبالتالي لمشروع السد العالى ، وقد اشار الرئيس

أيزنهاور في أثناء الاجتماع الى أن هذه اللجنة ليس لها الحق على أى حال في منع السلطة التنفيذية من استخدام الاموال التي سبق اعتمادها •

وعل الرغم من كل هذه الملابسات فان القراد الامريكي كان مفاجاة أثارت الدهشة، فهو ثم يكن مجرد تصريح أو عمل دبلوماسي، وانما كان بمثابة «تحد» وأخد العالم كله يتساءل عن نتائج التحدى الامريكي، ولم يتأخر الجواب كثيرا على هذا التساؤل .

# الفصنه لالسادين

#### الأزمة

وى التاسع عشر من يوليو عاد ناصر من بريونى بعد أن أجرى محادثات مع تيت ونهرو • وكان متجهم الوجه ويضغط على اسنانه فى حتق دليلا على أن هناك شيئا ما ، فقد وجهت اليه الحكومة الامريكية لطمة علنية تهاد نفوذه تهاديدا مباشرا • كان يجب أن يرد على هالما التحدى ، وعلى الرغم من أنه لم يكن من القوة أو الفنى بحيث يزدرى هذا التحدى أو يستخف به ، فقد قرر أن يرد بتحد أكثر شمنة بمعنى يرد الصاع صاعين • ولما لم يكن يملك أية وسيلة يباشر بها أدنى هجوم مباشر على الولايات المتحدة فقد أخذ يفكر ، واقتفى منه الامر يومين على وجه التحديد ليجد الحل •

وفي الحادى والعشرين من يوليو اتخذ قرار الاستيلاء على شركة القنساة ، وبنات مجموعة محدودة من رجال القانون والمهنسين عملها ، وتقررت خطة العملية ما بين السبت ٢١ يوليو والثلاثاء ٢٤ منه • كانت الناحية القانونية بصفة خاصة هي التي تحتاج ال دراسة على ضوء الظروف القائمة حيئللاك ، وقلد اوضحت التجربة فيما بعد له يكن بها إية ثفرات • اما من الناحية اللغنية فالواقع أن المصريين كانوا قد اعدوا منذ سنوات خططا لتولي ادارة القناة التي كان مقررا على أية حال أن تعود اليهم عند انتهاء الامتياذ في عام ١٩٦٨ وكانت المعلومات التي بين إيديهم تعدوهم الي الاعتقاد بأن الشركة ستحاول الاحتفاظ بالقناة بعد انتهاء

عقد الامتياز تدرعا بالحجة التى يقبلها الغرب بصفة خاصة دون صعوبة وهى أن المصريين « لن يستطيعوا ادارة القناة » دون مؤازرة في النواحي الفنية الدقيقة من موظفى الشركة فيكفى اذن للسلطات المصرية أن تنسق خططها التي أعدتها من قبل وتضعها موضع التنفيذ •

وكانت جماعة رجال القانون على راسها بهجت بدوى • أما مجموعة الغنيين فكانت تحت اشراف صديق شخصى للرئيس هو البكباشي الهندس محمود يونس الذي اصبح المفكر لهيئة قناة السويس الجديدة •

و انت القاهرة تبدو فى نظر العالم الخارجى فى هذه الايام فى حالة سكون غريب و ويلاحظ أن همرشولد زارها اثناء عودته من اسرائيل و فقد وصل الى القدس فى الحادى والعشرين من شهر يولية عن طريق الاردن وكان يزمع السفر فى الثالث والعشرين الى جنيف ومنها يطير الى نيويورك فى السابع والعشرين من يولية كما يلاحظ أن ناصر قابل فى ٢٢ يولية (أى بعد أن اتخذ قراره) كيسيليف سغير الاتحاد السوفييتي اللى اجتمع به مرة آخرى فى ٣٦ يولية و

#### الخطاب:

ثم القى الرئيس فى ٢٤ يولية خطابا فى القاهرة موجها تماما ضد الولايات المتحدة ، ورددت المسحف ما قاله الرئيس وكان يبدو أن الأمور جميعها تشير ال أن « ناصر » يعد الرأى العام فى بلاده لازمة فى العلاقات بين عصر وأمريكا ، لذلك انتظر المسئولون باهتمام الخطاب الذى يزمع ناصر القاء في ٣٦ يولية بالاسكندرية فى نفس المكان الذى حاول فيه أحد الاخوان المسلمين منذ عامين قبل ذلك اغتيال « ناصر » بعد أدبع سنوات باليوم والساعة من دحيل الملك فادوق عن البلاد ، لم يكن ثمة اهتمام فى أول الأمر ، فقد أخذ ناصر يشرح الصعوبات التى لقيها فى المفاوضات معالانجليز والامريكان ثمراح يروى ويارة مستر بلاك مدير البنك الدولى له ويقول : « أن بلاك يذكرنى بفردينان ديلسبس » هذه هى الإشسارة ، كلمة

السر كما قال ناصر • لقد اختار المعربون في سخرية انتقامية اسم مبدع القتاة ذاته كاشارة لتاميمها • وفي اخال بدأت قوات البوليس والجيش المعهود اليها بتنفيد المهمة عملها ، واحتلت مكاتب الشركة في الاسماعيلية والقاهرة وبورسعيد وبودتوفيق والسويس في آن واحد ، وباشرت مهمتها في مراقبة المنشات والموظفين • وفي الاسماعيلية حرص المحافظ على أن يدعو عنده المدير الاداري للشركة ليستمع الى خطاب ناصر في الراديو • وهكذا يعلم المدير بالخبر ويجمد نفسه في الوقت ذاته في حالة استحالة عملية تمنهه من اصدار إية اوامر •

ويستطرد ناصر فى خطابه قائلا: منذ اربع سنوات رحل فادوق من مصر ، وانا اليوم ، باسم الشعب أعلن استرداد القناة ، فاليوم سوف تدار قناتنا المحرية بمعرفة مصريين • وتتملك الجماهير فرحة طاغية ، وقد قال الصحفى الفرنسي جان لاكوتير الذى شهد الحفل « أم يعد الحاضرون يسمعون كلماته ولا ضحكاته » ويترك ناصر المنصة وسط عاصفة من التصفيق والهتاف وصيحات الفرح ، وتقف مصر باسرها وقفة رجل واحد وقد ثارت لنفسها فى لحفظة واحدة من اربعة وسبعين عاما من اللل والهوان ،

لقد تحول كل شيء الى ضجسة وثورة وفرحة انتقال ، وفي القساهرة يقال على صبرى — اقرب عماوني عبد الناصر — هادنا ويقول أسبو لاكوتين : كاذا كل هذه الضجة ؟ كانت شركة القناة مصرية وقد أممناها ، فماذا أذن ؟ ماذا تخسر فرنسا من ذلك ؟ حملة الاسهم لديكم ؟ انهم سيعوضون على أساس سعر مناسب للفاية حرية القناة ؟ اننا نضمنها حرية مطلقة. فيما مفي لم يكن لنا مصلحة مباشرة في حماية ملاحة لم تكن تعود علينا بشيء بينصا الامر يختلف البوم ، وجميع المقوبات التي يكن أن تتخلوهاضدنا — كمقاطمة القناة و تجميد الارصدة — سوف تكلفكم أكثر بكثير مما تكلفنا ، وسيتخل عنسكم الامريكان الوظفون ؟ انسا لن نوغمكم على العمل ، فمن يرغب في ترك العمل لن يمنع من ذلك بشرط أن يخطرنا قبل ذلك ببضعة أيام ، فقد أددنا الصلحة المتغمن بالقناة تحاشي حدوث انسحاب جماعي في صورة عمل من أعمال التخريب ،

### رد الفعل:

ولكن هذا الحديث المفعم بالهدوء والثقة والذى كان ينطوى على وجود بعض الضمانات التي اعدت مقدما ، لا يمكن أن تفهمه لندن أو باريس اللتان استبدت بهما ثورة الفضي •

فى باديس كانت الجمعية الوطنية منعقدة فى جلسة خلال الليل ، اذ كان الرئيس جى موليه يطلب زيادة اعتمادات النفقات العسكرية المدرجة فى الميزانية . وكان يستعد لالقاء خطاب وطنى امام مجلس ثلاثة ادباعه يقرون الزيادة ولسكن المقتنعين بها أقل بكثير ، مجلس س على الرغم من أنه يؤيد موليه من اعماق قلبه ما كان ليتردد فى الاطاحة به فى الحال تو كان قد اعلن أنه يقوم س فى نفس الوقت الذي يطالب فيه بالمال لمواصلة حرب الجزائر \_ باجراء مفاوضات سرية مع زعماء الثورة الجزائرية ،

وكان كريستيان بينو وزير الخارجية يتاهب للخول قاعة الجلسة حين سمع صيحات صادرة من الناحية التي دكبت فيها أجهزة البرقيات الكاتبة الخاصة بوكالة الإنباء الفرنسية ، بينما سمعت دقات للجرس معلنة اذاعة خبر هما عاجل ، واقترب بينو ، وعلم بالجبر من زملاله اللين كانوا قد انحنوا على هذه الاجهزة ، واقترنت اسئلة النواب في غير تسامح بعبادات ساخرة حول قيمة المضابرات الفرنسية بصفة عامة ووزارة الخارجية الفرنسية بصفة خاصة .

واليوم لم يعد كريستيان بينو يتذكر الا أن الخبر الله لديه دد فعل من الفضب العنيف أو كما يقول : « يبدو أن السكثيرين من القصادة الذين يعملون مسئوليات كبرى ينسساقون طوعا في مثل هذه الموضوعات لردود فعل عنيفة » ولكن السخاصا جديرين بالثقة ممن لازموه طوال ذلك الوقت والمقربين الميه في غير تكلف يذكرون ــ ويدعم صدق ذاكرتهم ما دونوه من يوميات ــ أن بينو طوال

ليلة ٢٧/٢٦ يوليو كان يريد أن يستقيل • ولكنه في صباح ٢٧ اضطر أن يجعل من نفسه قدوة للاخرين • على أن بينو لا ينكر أنه كانت له آراء تختلف بعض الشيء عن آراء جي موليه أو أنه قدم له حينذاك تفسيرا اشتراكيا ولكنه عاصف •

واما فی داونتج سنریت ـ متر اخکومة البریطانیة ـ فقد کان رئیس الوزداء انطونی ایدن قد دعا فیصل ملك العراق ونودی السعید رئیس وزدانه ومن حولهم اجتمع عدد محدود من اللحوین: سلوین لوید وزیر اخلاجیة ولورد سالسبودی، ولورد هیوم وزیر شئون الکومنولث حینداك و وحمل الیه احد السكرتادین الخبر اثناء تناول العشاء ، فقراه ثم احاظ به ضیوفه و ویقال آنه حین استشار نوری ـ الرفیق القدیم للورانس وموسی شاریت ـ عن احسن رد یمکن آن یوجه لناصر اجاب: اضربه ، اضربه بشدة ، اضربه الان ! ولـ کن ایدن یلتزم الصمت فی مدکراته آزاء رد الفعل لدی معدثیه و ویدرك هؤلاء آن یقیة المناقشة ینبغی آن تندور بین السئولین البریطانیین فیستاذنون فی الانصراف فی وقت مبسكر و ویتوجه ایدن وسالسبوری وسلوین لوید ولورد هیوم آلی الفسرفة المخصسة للمناقشات فی مجلس الوزراء ، لقد آمروا باستدعاء حامل الاختام ورؤساء آرکان من منا کان یشغل بال ایدن کما یقول ، هو رد فعل لدی الدول الغربیة من منافدین الی کراتشی » فهو یعرف آن هذا التحدی الذی کان ردا علی سسحب حکومة الولایات المتحدة کموضها اخاص بتمویل مشروع السد العالی یهدد کیان مرطانیا باسره فی المالم العربی و

وهكذا يقرر ايدن منذ البداية رد بريطانيا ومداه أيضا ، وهو الضرب دون ان يشير عمداء العمالم العربى ، والاستمراد في المعافظة غل هيبته واحترامه أمام العرب بغضل استعراض اللوة ، وهمده وجهة نظر تختلف تماما عن رأى الدوائر السياسية والفرنسية الحاكمة حينذاك ، الذي يتمثل في الرغبة في ضرب العرب بغية انقاذ الجزائر الفرنسية ، تلك الفكرة التي غالبا ما كان يرفضها

الاشتراكيون القائمون على الحكم رسميا والتى يجب مع ذلك أن يضعوها موضع الاعتبار • وهذا الاختلاف فى وجهات النظر سوف يترك أثره فى كل مرحلة من مراحل المهمة المستركة •

كان ينبغى البدء بعمل المهمة مشتركة - لذلك يتم الاجتماع بمسيو شوفيل سفير فرنسا وفوستر القائم بالاعمال الامريكى الذن السفير الامريكى كان متفيبا في اجازة ـ وقبل أن يتوجه شوفيل الى داوننج ستريت يطلب الاتمال بغندة ريتز حيث يتوقع وجود جاك جورج بيكو مدير عام شركة القناة هناك والواقع أن جورج بيكو كان في لندن في احدى زياداته الروتينية الكثيرة ولاجراء محادثات مع اصحاب السفن والبواخر •

ويطلب شوفيل اليه الحضور قائلا « لا شك اننا سوف نعتاج اليك » ويرتنى جورج بيكو ثيابه ويذهب الى داوننج ستريت حيث يدخلونه الى صافون صغير فيظل فيه حبيسا فترة طويلة ثم يذهب اليه شوفيل ويقول له « لقد داوا أن من الافضل عدم بقائك » وينصرف الرجلان مما وفي اللحظة التي يقتربان فيها من الباب يخرج ايدن من حجرة مجاورة ويلمج جورج بيكو ، ويقصد اليه ويسافحه بقوة وفي صمت وكانما هو شخص يقدم عزاء •

وفى واشنطن لا يتوقع السئولون شيئا غير عادى • لقد أحس دلاس غداة الاجراء الحائق الذى اتتخده ضد ناصر بحاجة ملحة فى الذهاب خضور الاحتفالات الخاصة بتوقى برادو رئيس جمهورية بيرو مهام منصبه ، فى الوقت الذي كان قيه أيز نهاور مشغولا فى لعب الجولف ، بينما تديع اجهزة وكالات الانباء الخبر فى الساء • انها لمفاجأة ولكنها لا تؤثر كثيرا على الشعب الامريكى المشغول بصفة خاصة بانتخابات الرئاسة التى اقترب موعدها •

وكان ايدن في تلك الأثناء قد أعد بيانا قصيرا يزمع القاءه في مجلس العموم في البعموم ألى العموم في البعموم في البعموم المريكي • وطلب الله والمومنين الخريين اتخاذ أجراء موحد ردا على التهديد المسترك الموجه ضد مصالحهم جميعا •

هــذا ما تم فى ذلك اليوم السادس والعشرين من يولية الذى امتد على غير الماتوف الى الفجر بل حتى الساعة الاولى من صباح ٢٧ يولية. كانت شمسالنهار قد سطعت حين كان جى موليه فى الساعة السابعة صباحا يطرح مسالة النققة على الجمعية الوطنية التى ظلت مجتمعة طوال الليل • وثمة تى، ورعى آخر در: أن مبعوثا خاصا من بن جوريون هو ، شمعــون بيريز يصــل الى باديس ويجرى معادثات مع الدوائر الحتومية بقصد الاسراع فى توريد أسلحه لاسرائيل •

## الجمعة ٢٧ يوليو:

ذلك هو اليوم الذى يتقرد فيسه كل شىء • ايدن يلقى فى الصباح امام مجلس العموم بيانا قصيرا هو نفس البيان الذى ابلغ به محدثه فى الليلة السابقة. وفيه يقول أن القرار الذى اتخسدته مصر يؤثر على مصالح كثير من الدول وان حكومة صاحبة الجلالة تجرى مشاورات مع حكومات اخرى يمسها القرار بطريق مباشر •

وكان هذا صحيحا ولكن القرار الذى تزمع حكومة صاحبة الجلالة اتخاذه في الصباح سوف تتغذه وحدها دون أن تستشير أحدا، ويقول إيدن « لقد عقدت الحكومة عزمها على حماية مصاحبا الجوهرية في هذه المنطقة من العالم ولو بعمل عسكرى اذا اقتفى الامر ، وقد قررت الحكمة اتخاذ الاستعدادات اللازمة ، وحتى اذا كان على حكومة صاحبة الجلالة أن تعمل وحدها فانها ما كانت لتتردد في استخدام القوة للمحافظة على مركزها ، كان ذلك راينا الذي دوناه كتابة ، وهو دائما رايي » ، ويعدد ايدن خطته بقوله « كان غرضنا أولا ممارسة كل ما يمكن من ضفط سياسي ، كان لدينا كذلك أسلحة اقتصادية ولكن كان يمكن ألا يكون الضفط السياسي والاقتصادي كافيا ، فكان ينبغي علينا منذ البداية انخاذ جميع الاستعدادات اللازمة لتدخل عسكرى معتمل ، وقد تلقى رؤساء أركان الحرب تعليمات باعدادضطة العمليات اللازمة وتعديد الوقت لاحتلال القناة وضمان الاستيلاء

عليها • وكنا نامل في امكان الاعتماد على اشتراك الفرنسيين في كل العمليات التي قد نقوم بها • وكنا ننتظر أن تتخذ الولايات المتحدة موقف الحيساد على الاقل • ولكن أذا لم نستطع الحصول على مساعدة من أصدقائنا فينبغى أن نكون على أهبة للعمل وحدنا » •

وبعد اجتماع مجلس الوزراء أرسل ايدن برقية الى ايزنهاور يحدنه فيها بمزيد من الصراحة « يبدو أنه ليس مصكنا أن نبلغ هدفنا بممادسة ضقط اقتصادى فقط ، ونحن مقتنعون ـ زملائي وأنا ـ بأنه يجب أن نكون على استعداد لاستخدام القوة كحل أخير ، لاعادة ناصر الى الصواب • وفيما يخصنا فائنا على أهبة للتصرف هكذا وقد أصدرت هذا الصباح تعليمات لرؤساء أركان الحرب لاعتماد خطة عسكرية » •

وفي انتظار اتمام الاجراءات العسكرية اتغد ايدن ووزراؤه احتياطات معينة، فامروا بتجميد الحسابات والارصدة المصرية ، وحظر تصدير الاسلحة والمسدات الحربية الى مصر ، ومنح خروج المدمرات المصرية الاربع الموجدودة في المواني البريطانية ، وكاجراء اخير ارسلت مدكرة احتجاج للى الحكومة المصرية فاعادتها هذه الحكومة دون أن ترد عليها ، ويلاحظ مع ذلك أن ايدن تعاشى قطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر ،

أما عن الاجراءات الاقتصادية فلم يكن فيها شيء غير عادى • وقد وجد رئيس الوزداء تشجيعا على اتخاذها من العمال انفسهم اللين كان زعيمهم جيتسسكل يطالب بتجميد الارصادة المصرية في لندن وبعرض النزاع على الام المتحدة ، ولكن الحكومة البريطانية لم تكن تريد ذلك لأن معناه أن تضع نفسها تحت رحمة الفيتو السوفييتي وبهذا تزداد المسائلة تعقيدا • ثم كيف تبرد التدخل المسكري الذي كان فد اصبح امرا مقردا ، بينما الموضوع محل بحث امام الامم المتحدة •

وكانت بارس تتابع اخبار لندن باهتصام وبشى، من الدهشة أنها تقدد 
دعوة السفير ليلا الى داوننج ستريت ليشترك في المناقشات الاولى ، ولكنها تخشى 
تكوين جبهة انجلو امريكية تطلب منها الانضمام اليها كشريك اقل سلطانا • ان 
باريس تريد السير الى نهاية الشوط وترى انه يمكنها أن تجر معها اسرائيل ، 
للذك يتصل موليه في الحادية عشرة من صباح ٧٧ يوليو بايدن ويؤكد له رغبة 
فرنسا في الاشتراك في الهجوم اللي يعتزم ايدن أن يشنه على مصر ، ويعرض 
عليه اشتراك اسرائيل ايضا • ويقبل ايدن مسائدة فرنسا ولكنه يرفض بشدة 
اشراك اسرائيسل في الخطة • ويتم الاتفاق على أن يسافر بينو الى لندن لاجراء 
محسادات ثلاثيسة مع سساوين لويد ومبعوث امريكي من المفروض أن يكون 
قوستر دالاس ، اى مبعوث أن يتخلى ايزنهاود عن ايفاده •

ويجتمع ايزنهاور في البيت الابيض - في غياب دالاس الذي لايزال في ليما عاصمة بيرو خضور احتفالاتها - بالرجلين الثاني والثالث في وزادة الخارجية هربرت هوفر وروبرت مورفي ، وهما رجلان لهما شانهما، ولكن أولهما متخصص الى حد بعيد في الشئون البترولية بينما يعتبر الآخر من الخبرا، في شئون الفاتيكان من ناحية والدول العربية من ناحية أخرى ،

ولا يثير ايزنهاور كثيرا نبا الاستمدادات المسكرية البريطانية ، فهو يرى 
\_ أو يتظاهر بدلك ـ أنها تدخل في نطاق الاحتياطات العادية التي ينبغيان تلجأ 
اليها أية حكومة كي لا تؤخذ على غرة ، والمسألة كما يرى لا تقتفي استدعاء دالاس 
من بيرو ، فالشرق الاوسط كما يقول دوبرت مورفي لم يكن يمثل مشكلة ذات 
أهمية من الدرجة الاولى بالنسبة للولايات المتعدة ، والاستثمارات الامريكية في 
شركة القناة لم تكن ذات قيمة تذكر ، ومع ذلك يقرر أيزنهاور ـ بعد أن ساوره 
على المقيقة ، ويخطر ايدن بسفر مورفي ويطلب اليه في نفس الوقت التشاور مع 
الكبر عدد ممكن من الدول البحرية ، ولا يعطى أيزنهاور لمودي أق تعليمات 
الخبر عدد ممكن من الدول البحرية ، ولا يعطى أيزنهاور لمودي أق تعليمات 
الخرى غير معجود المسفر واستطلاع الامر ، بل قال له «استطلع بدقة واصعه » ،

وقى انتظار سفر مورفى تعدد وزارة الخارجية الامريكية موقفها فى عسدة سطود ، فهى ترى أن القراد المصرى يؤثر على مصالح الدول المنتغفة بهذا الممر الماتى الدول وكذلك الدول البحرية واصحاب الشركة • وتطلب الوزراة اجسراء مشاورات عاجلة، ولم تكن هناك كلمة ادانة فى هذه السطور • ومثل هذه العبارات « الدول المنتفعة • والممر المائى الدول » تحيل الاسس التى يستند اليها دالاس خلال الشهور الثلاثة التالية الى ما يوحى بأن الوقف الامريكى قد تحدد تبعا خدث كان من المعروف أن لا مفر من وقوعه •

وفي باريس يشعر السئولون الفرنسيون بشيء من الدهشسة اذاء البطء الظاهر في رد الفعل من جانب لندن ١٠ فالبيتهم على استعداد للانقضاض من أجل القضاء على ناصر في سبيل انقاذ الجزائر، وبالنسبة لأولئك الذين لايؤمنون على طريقة جيموليه على بعماية الجزائر الفرنسية يصبح الشعاد هكذا « القضاء على ناصر لانقاذ اسرائيل » و بلا كان من اللازم تبرير تعويض امن البلاد مناجل دولة ليست شيئا بالنسبة لنا أو بالاحرى ليست شيئا يذكر الا نتيجة لروابط يعترف بها دائما » و بلا يكن المسئولون الفرنسيون في مثل تبجح ونفاق المسكرين الفرنسيين الذين كانوا يقولون عن اسرائيل «أنها آخر مستعمرة لنا» فقد حاول المسئولون الفرنسيون تشبيه القتال الاسرائيل بكفاح الجمهوريين الاسبان في سنة ١٩٣٦ كانوا هم على منة ١٩٣١ كانوا هم كلامية ، والذي يهم هـو تصميم المسئولين الفرنسيين على الاقـدام على أي تحد واقتحام أي فخ دون أن يفكروا كثيرا في المواقب • ولكن الفرنسيين لم يدعوا الاجتماع حينذاك بالجانب البريطاني والامريكي لان القيادة العامة للحرب كان يجب أن تظل في ايكى «الفرابة الخاصة » التي تربط الانجليز والامريكين •

ولتمضية الوقت تعد فرنسا خطفها، فتجتمع لجنة تضم ممثلين عن الوزارات ثم تعلن أنه تم الاتفاق على علم اقرار الاجراء الذي اتخذته مصر من جانب واحد • ويعلن وزير الخارجية الفرنسية أنه سيجرى مشاورات مع دول أخرى • ويبعث هو كذلك باحتجاج الى ناصر يقرئه بعبادات شفهية لا يقبلها سفير مصر ، ولكنه هو الآخر لا يقطع العلاقات الدبلوماسية •

وقررت الحكومة الفرنسية بسهوتة اتخاذ موقف « صلب » نظرا لما تشعر به من تأييد من جانب قطاع كبير من الرأى العام ومن الصحافة التى تساهم فى تكوين هـــذا الرأى • فاغلب الفرنسيــين كانوا يرون آنذاك أن الامر لا يتمـــلق بمفامرة للدفاع عن قناة أو لجماية دولة اسرائيل التى لا تهم الا قلة قليلة منهم ، ولكنها تمثل أقصر طريق لانها، حرب الجزائر • فكثيرا ما تردد على أسماعهم أن البند الاول للثورة الجزائرية هو ناصر ــ ذلك الذئب الكبير ــ وانه ما أن يقضى عليه حتى تنتهى الثورة بلمسة سحرية • ولكن جميع القادة المطلعين على بواطن الامور كانوا يعلمون أن ذلك ليس صحيحا ولا أحد منهم يستاء من هذه الحقيقة • ذلك أن هذا الكلب التجمع الذي كانوا يخدعون به الشعب كان يخدم ــ على حد داعتقادهم ــ نفوذهم أو ذلك النفوذ الذي يرينون اكتسابه •

ولكن هذا التاييد من جانب الرأى العام كان هشا جنا \_ على ما سنرى في نوفمبر \_ آنه تاييد مشروع لا يستمر الا اذا سارت الامور سيرا مرضيا • فزعماء الجمهورية الخاسسة ) يعدون الشسعب بنصر سريع كامل لا آلام فيه ولا معاناة وكذلك وبصفة خاصة بنصر رخيص • وتنبعث صبيحات الاستحسان : برافو ! ان السرحية تبشر انها ستؤدى على ما يرام ، ولكن حين تنكشف نهايتها الاليمة للبطل فان أحدا لا يقبل هذا اللهود لنفسه • وحين يامر البطل بتوزيع البنزين على الناس بالبطاقات فان كل شيء أنه لن يظل طويلا بطلا • وقد مر جي موليه في هذه التجربة ، وقال « حين أرسلت الحملة كانت البلاد كلها تقف من ورائي • وبعد خمسة عشر يوما كان الجميم يتخلون عني » •

ولنقف الآن عند التصريحات الطنانة : « لا ميونيخ في البحر المتوسع » و « ناصر يشعر بعزلته وهذا هو سبب غضبه » ( أميسل روش في الفيجارو ) وحتى الديل هيرالد ( العمالية ) قالت « ان ما نعتقده هو الا مكان لامثال هتلر » • ويبدى الاميرال بارجو — ولم يكن قد أصبح بعد قائما للقوات الفرنسية في حملتها على مصر وان يكن من الواضح أنه كان يعلم في ذلك — وجهة نظره للصحافة بقوله « ان ٧٠ مليون طن من البترول الذي يحصل عليه الغرب تمر في قناة السويس فهل تريد القاهرة فرض رقابتها على هذا المرور ؟ » على أن اكثر التعليقات اعتدالا كان تعليق صاحب المصلحة الاولى جورج بيكو المدير العام لشركة القناة الذي كان يكني بالقول « إنها مسالة سياسية بعتة » •

وفى تلك الفترة يصدر فى القاهرة قرار باعتبار منطقة القناة منطقة عسكرية مصرية ويترتب على ذلك فرض الاحكام العرفية فى المنطقة المتنازع عليها التى كان لا يزال يقيم فيها كثير من الخبراء البريطانيين •

ويتغذ وزير التجارة المرى اللى تتبعه الادارة الجديدة للقناة الخطوات الاولى معلنا عدم اختصاص أى قضاء دول في نظر النزاع • والقصود بدلك محكمة العدل الدولية بلاهاى • كما رفض مقدما الالتجاء الى مجلس الامن الذى لن يكون له احتصاص في هذا الثمان الا في حالة انتهاك حرية اللاحة في القناة •

واخيرا فى نيودلهى يبدى وزير الخارجية آنه لم يرد ذكر لقناة السويس فى المانات بيريونى والقاهرة ، ويشعر نهرو بشىء من الفييق، الم يتهامس الامريكان بانه هواللى قال لهم أن السوفييت لن يقبلوا قويل السد المالى تاركين بدلك كلب نامر ينكشف ؟

### السبت ٢٨ يوليو:

في لنسان اجتمعت اللجنة الوزارية المحدودة التي شكلت في يوم سابق للتاسمة الوقف وكان من القرر أن تقرم في الشهدود التاليمة بمهمة مجلس للحرب و تناقش اللجنة دد أيزنهاود على برقية أيدن في اليوم السابق وتقرد الاستجابة لطلب أمريكا بعقد مؤتمر للدول البحرية ، ولكنها تضيف أن القراد سوف يناقش مع بينو ومورفي و ويقصد ايدن بعد الظهر الل ويلتشاير لقفساء عطلة نهاية الاسبوع بينما يصل المبعوث الامريكي الخاص دوبرت مورفي الل للنان في الساء و ويحدد له سلوين لويد موعلا للاجتماع به صباح اليوم التال كي يرتب لاجتماع ثلاثي مع كريستيان بينو المنتظر وصوله من باديس و

وفي باريس وافقت الجمعية الوطنية على الزيادة الطلوبة للنفقات العسكرية • وبمناسب الاحتفال في « البانتيون » بذكرى وفاة اتخطيب الاستراكى الكبير جان جوريس ، يعلن جى موليه في ثقة « كان جان جوريس يقخر بالسياسة التي ننتهجها الآن في الجزائر » •

ولكن ما للمت النظر فيباريس كان هو انهماك الشركة العالمية لقناة السويس في تحديد موقفها ، اذ تنشر الشركة بيانا ليس هو ذلك الذي كان متوقعا ، فقد كان الجميع يعرفون انه حتى الاسس كان مديرو الشركة يريدون اصحدار أمر للمرشدين بالكف فورا عن عملهم ، وكانوا ينظرون بغير امتعاض الى التجعاء الحكومتين الفرنسية والبريطانية الى القوة ، وكان رأى الشركة الذي لم تعلنه وإنما اوضحته شفاها لمن يعنيهم الامر ، هو أن حدوث انسحاب جماعي من جانب موظفى الشركة غداة قرار التأميم يمكن أن يثير حتى ناصر ويؤثر دون شك عل موقفه ، ولكن بيان ٢٨ يوليو يكتفي بالاحتجاج ويؤكد ـ وسوف يضفى تتابع الاحداث على هذه الكلمات طابعا من السخرية .. أن الاعلان عن تعويض يمكن بالشروط الواردة بقرار الحكومة المصرية يشكل قصورا على مصالح الساهمين ،

ويتضمن تعليمات للبنوك الدوع بها أموال الشركة باعتبار أى أمر من أضكومة المصرية باطلا • ويعلن أن دفع رسسوم المرود لمصر لن يكون أبراء للذمة فى نظر الشركة ، ولكن البيان لا يذكر كلمة عن أدارة العمل بالقناة أو عن التعليمات التى ستوجه ألى المرشدين بالتوقف عن العمل ، وهو ما يعد فى الواقع الاجراء المفعال الوحيد • حقيقة أنه أجراء خطير ولكنه فعال • ويبدو على انعكس فى الايام التالية أن الشركة تشجع مرشديها على البقاء فى أعمالهم وعلى أدارة القناة بكل ما لديهم من قوة •

#### لاذا اتخلت الشركة هذا الوقف ؟

لقد اتخلت الثم كة هذا القرار استجابة لطلب ملح من الحكومتن الفرنسية والبريطانية اللتن جددتا هذا الطلب مرة أخرى بعد ذلك • وكان للحكومتين في ذلك مبرران : أولا أن أجراء عسكريا لم يتخذ بعد ولا ينتظر أن يتخذ قبل بضعة أيام، ولن تستطيع الدولتان اذا ما أثارتا بطريق غير مباشر قضية تعطيل الملاحة في القناة يسحب الرشدين الا أن تضما نفسيهما في موقف لابد أن تلحقهما فيه أهانة علنية جديدة من ناصر دون أن تستطيعا تجنب أى تدخل دولى ، ثانيا : ان احتياطي الترول في فرنسا كما هو في انحلترا محدود ، وإذا كان ايدن يتحدث عن مخزون بكفي لاستهلاك ثلاثة أساسم فقط فقد كان هناك ما يحمل على الاعتقاد بأن هذا التقدير يتسم بالتفاؤل • اما في فرنسا فالاحتياطي كان أقل من ذلك ، ويقال أنه كان يكفى استهلاك غانية أيام فقط ، ولذلك فان فترة الاستعداد لاجراء عسكرى يجب أن تستغل لتمرير أكبر كمية ممكنة من البترول الى فرنسا وبريطانيا • على أنهم أخلوا يطمئنون مديري الشركة : « لا يساوركم قلق فنحن نعد أمرا وسوف ندعم موقفكم بعمل منجانينا » ولكنهم لايذكرون تفصيلات ، ويحرض الاشتراكيون على عدم الاساءة الى علاقتهم بهذه الشركة الراسمالية العريقة التي يعدونها باستعادة كيانها ، ويرفض جي موليه مقابلة جورج بيكو مدير عام الشركة أما ايدن - اذ لا تشغله عده الاعتبارات - فسيتقبسل بالترحيب مديز الشركة والسهار الفرنسي فرانسوا شارل ـ رو ٠

## في ركن من غابة بولونيا :

ولكن حادثا آخر يقع في باريس في ذلك اليوم ولا يتكلم عنه احد ، ففي شقة فخمة قريبة من غابة بولونيا يستقبل احد البوراجوزين البلايسيين بعض الاصداقاء • انه اجتماع دون احتفال في مسكن تركه اصحابه - كانت اسرة للفضيف تقفى الاجازة - ولكن أكثر ما يلفت النظر هو صفة للدعووين ، جميعهم يباشرون مسئوليات رسمية أو شبه رسمية ، فمنهم من كانوا وزداء ، ومن هم الان وزداء ومن سيصبحون كذلك يوما ما ، ومن تنتظرهم فترة طويلة من النفي أو السجن • والى جانب هؤلاء عدد محدود من الاجانب ، جميعهم اسرائيليون •

لقد كان هذا الاجتماع اكثر الاجتماعات سرية في حروب السويس كلها •
كانت نقطة البداية في المناقشة ، هي أن تأميم القناة يقدم ذريعة لم تكن متوقعة لعمل عسكرى ضد ناصر • ولكن الانجليز يريدون محاولة تحقيق هـذا العمل بمفردهم باشعال ثورة هم واثقون من امكان قيامها في القاهرة ، وقبلوا اشراك قوة فر نسية رمزية على الاكثر • أي أنهم ينوون اتخاذ اجراء بالاتفاق مع العرب – العرب العليبين اللذين يقبلون الوصاية البريطانية ـ وليس ضد العرب • فاذا استمر هذا الاتجاه فلن تكسب فرنسا شيئا ، ذلك أن حكام مصر الجدد سوف يواصلون مساعدتهم للثورة الجزائرية ، وسوف تصبح اسرائيل في موقف أسوأ • لانها ستكون متحدين حينئذ تحت رعاية الانجليز ، وستقل كبش الفداء للحكام الجدد في دول الشرق الاوسط • فالواقع أن هؤلاء الحكام ـ كي يوطنوا سلطانهم على رعاياهم ـ سوف يتبادون في مهاجمة اسرائيل •

والنتيجة هى أن عصلا يجب أن يجرى لكى تكون آسرائيسل على أية حال « شريكة فى الضربة » • أن الحكومة الفرنسية ـ وعلى الأقل جميع الوؤراء الذين يدخل في اختصاصهم تنفيد مثل هذه العملية ـ مقتنعون بذلك • واتخـد قرار بارسال وفود مختلفة ومتتالية الى بريطانيا مهمتها جميعا الضغط عليها لاقراد الفكرة • اما عن الحكومة الاسرائيلية فلا جدوى من ازعاجها ، ففي الوقت المراد ستوضع امام الامر الواقع ، وبالنظر الى حال زعمائها فلن يلجأ احد منهم الى الخبث والدهاء •

وينتهى الاجتماع وينصرف السياسيون الذين شهدوه •

وق القاهرة يلقى ناصر خطابا ، وكانها احس شسينًا يجرى في اتخفاء فيعلن قائلا : « سوف نرد على القوة بالقوة » ويتخذ ناصر ــ كانها ليثبت لنا أنه يستعد للقتال ــ اجراءات جريئة يستطيع أى خصم حافق أو مستعد للقتال أن يجد فيها فرصة يستغلها لمسلحته ، ويعتبرها بهثابة استغزاز له •

ويقرد عبد الناصر توجيه انذار لمثل الشركات اللاحية التى تستخدم الفناة بالتزام التعليمات الواردة في منشود سابق بشان ضرورة دفع دسوم المرود للحكومة المصرية وبوقف جميع الصادرات المعرية الى بريطانيا ، الا ادًا تم الدفع عن طريق دولة تقبل مصر عملتها • ومن ناحية أخرى يتسلم ناصر احتجاجا أمريكا على الاتهامات التى وجهها فى ٢٤ يولية الى الولايات المتحدة ويتحاشى هذه المرة ان يطرد المعوث الامريكي •

### الأحد ٢٩ يوليو:

في اليوم التائي يكون الرئيس عبد الناصر قد فكر ـ أو فكر له البعض ــ فيقرر الغاء غالبية القرارات التي اتخدها بالامس ، وبنفس الحماس الذي اصدرها به ، وبخاصة فيما يتعلق بوقف الصادرات المحرية الى بريطانيا • بل يؤكد وزير التجارة المحرى أن بلاده ليس في نيتها تجميد الاموال البريطانية في مصر بيتما يندد وزير مالية بريطانيا بتجميد الارصدة الاسترلينية التي تخص مصر باعتبار

ذلك اجراء منافيا للفانون • تم تقوم مصر في لئسن وباريس بعملة دبلوماسسية فتنشر سفارتها في لندن بيانا تحتج فيه على تصوير تأميم انقناة تصويرا خاطئا للشعب البريطاني • وتنشر سفارتها في باريس بيانا آخر يؤكد حقوى مصر على القناة ويكرر وعود التعويض المبدولة للمساهمين ، كما يكلب الشائعات الخاصة يزيادة رسوم المرور •

وتنشر الحكومة الفرنسية من جانبها في الجريدة الرسمية اعلانا لادارة النقد ينص على أن كل عملية اضافية أو حصم في الحسابات المصرية بجميع انواعها في فرنسا وكذلك كل عملية تؤثر على اموال مودعة في حسابات مصرية في فرنسيا يجب الحصول بشانها على ترخيص سابق من ادارة النقد • ولم يكن ذلك يعنى حفل المعاملات بالمدتى الدقيق ، ولكنه كان اجراء له مزاياه دون مساوئه • الذيمكن بدلك .. دون فتح المجال لاجراءات انتقامية ــ وقف المعاملات مع مصر ، مع السماح باستثناءات يراعى فيها الصالح القومىالفرنسي كشراء الاقطان طويلة التيلة مثلا •

ولكن مركز العمل المُسترك تبلود في يوم ذلك الاحد في نئدن ، فقد وصل اليها كريستيان بينو في الصباح واجتمع « الثلاثة » على الفور • هم تعادلوا ، ولكنهم لم يقولوا شيئا ذا أهمية كبيرة • كانت المعادثات يشوبها شيء من الفيق مرجعه الى أن مورفى لم يكن الرجل الذي كانوا ينتظرونه من واشنعل ، وأن مجرد تفيب دالاس كان يبدو للمسئولين الفرنسيين والانجليز دليلا على موقف متحفظ من جانب الحكومة الامريكية •

وكان لويد وبينو يؤكدان لمودفى ان حكومتهما على استعداد للالتجاء الى القوة اذا دعت الحاجة ، ومودفى يعلن ان الحكومة الامريكية ان ترتبط بمثل هذا الاجراء • ولا يدلى وزير الخارجية الانجليزية والفرنسية باية تفصيلات للمبعوث الامريكى عن الاجراءات المسكرية المزمع اتخاذها ، ويتركانه ليفهم ما لابد أن يكون قد ادركه بالامس حين لاحظ سفر ايدن ساعة وصوله لقضاء عطلة نهاية الاسبوع في الريف ، أي أنه لم يكن الفاوض النامس •

كان مورفى موفدا في مهمة استطلاعية • فما أن للس من محدثيه الرسميين امتعاضا لاطلاعه على دقائق الموقف حتى وجد نفسه مضطرا ال أن يلجأ الى اتصالات ذات طابع خاص • فاتصل تليفونيا بماكميلان وزير المالية حينداك الذي كان رفيقه في الجزائر النا، الحرب العالمية الثانية والذي أتيج له هناك أن يلمس فيه الفاعلية والروح التحررية ... فدعاه للعشاء بين الاصدقاء في نفس المساء •

وقد ضم هـذا الفشاء منعووين آخرين ، هما القائم بالاعمال الامريكي ولورث بابيور والفيلد مارشال الكسندر الذي عرفه مورفي كذلك أثناء حملة البحر المتوسط خلال الحرب العالمية الثانية •

ويقول مودفى : « لم يتركوا لدى ادنى شك فى أن الحكومة البريطانية كانت ترى أن مسألة السويس امتحان لا يمكن أن يواجه الا باستخدام القوة ، ولم يدهشنى رد الفعل هذا لانه لم يبدو لى أن ليس ثمة ما يبرره • وأوضعوا لى أن الفرنسيين يشاركون تماما وجهة النظر البريطانية بشأن ضرورة العمل ، وأنهم على استعداد للاشتراك في عمل عسكرى •

وحينداك يذكر مصدئو مورفى له بعض التفاصيل عن مشروعاتهم ١٠ ان المملة يكن أن تشن في أغسطس ولن تستغرق وقتا طويلا ، لانهم كانوا يظنون أن كلشى، سوف ينتهى خلال عشرة آيام باستغدام فيلق أو فيلقين على الاكثر و وهكذا توضع القناة تحتدقابة دولية وبرغم أن الحكومة البريطانية لم تقدر حق التقدير المفامرة التى تقوم بها ولا النفقات التى تتكلفها للهذه العملية ٥ ملايين جنيه استرليني لله كانت ترى أن قرارها هذا هو أحسن قرار ، ذلك أنه كان من اللازم طرد ناصر من مصر ، ويقول مورفى أن ماكميلان والكسندر كانا يبدوان بخفور من اتخذ قرارا خطيرا ويحتفظان بصفاء من هم مقتنعون أنهم تصرفوا بتعقل وحكمة ٠

ولا يقول مورفى كل شيء ' اذ ليس من المعقول ان يكون رجل عسكرى مختص مثل المارشال الكسندر قد اعتقد أنه يمكن في عشرة أيام وبغيلق او فيلقين، تصفية حساب بلد يمتلك ما يقرب من مائة طائرة يمكن أن تواجه أقوى طائرات السلاح الجوى الملكى ، وأربعمائة من أحسنت الدبابات الروسية التي يمكن أن تسحق في سسهولة الفيلق البريطاني • كان ذلك في الوقت الذي لم يكن فيسه للاسطول البريطاني أية قوات يمكن استخدامها في البحر المتوسسط قبل فترة طويلة • وكان الاعتراض على ذلك من الوضوح والجلاء بحيث لم تمض أيام حتى راى نفس الزعماء البريطانين أن الامر يستلزم مهلة شهر على الاقل وقوة هجومية اكبر من ذلك بدرجة لا تعتمل المقارنة •

كان هشاك اذن شيء خفى في هسلا اللفز ، وهو التدخل المنتظر من جانب القوات الامريكية وعلى الاخص من الاسطول السادس الذي يمثل القوة الوحيدة المتاهبة للعمل في أي وقت في البحر المتوسط •

ان ما يطلبه البريطانيون هو ضمان التاييد المفوى (والعلني) من الامريكان والتفطية الاستراتيجية من الاسطول السادس الامريكي •

وكان الفرنسيون على استعداد للاشتراك في العملية وسوف يعطون نصيبا صغيرا فيها ، من ناحية البدأ •

ولكن النظرة تنفير فيما بعد ، بعد الرفض الامريكى ويحتاج الامر الى مزيد من الاعتماد على فرنسما • وحيثنا فقط تشكل لجنسة التخطيط الفرنسية ما البريطانية •

### الاثنين ٣٠ يوليو:

حين عاد رئيس الوزراء البريطاني من عطلة نهاية الاسبوع وجهد رسالة من سفيره في واشنطن يشرح فيها احجام وزراء الخارجية الامريكية عن تنفيذ فكرة القيام بممل عسكرى مشترك و وفي صباح ذلك اليوم يلقى ابدن بيانا امام مجلس العموم يعدد فيه السياسة البريطانية ويؤكد ان حكومته لا يمكن ان تقبل اية تسوية تستهدف ترك ادارة القناة في يد دولة واحدة •

ويقابل البيان بالتاييد سواء من جانب المعارضية أو الاغلبية ، وليس في ذلك ما شر الدهشة، نظرا لما في البيان من غموض و فهو يعنى ... في رأى البعض ... أننا لن نقبل أى حل لا يتفق مع وجهة نظرنا بالنسبة لمساخنا ، وفي رأى البعض الآخر يعنى أننا نؤيد فرض رقابة دولية على القناة .

على أن الاتفاق على ضرورة الاعتراف بادارة دولية للقناة كان النتيجة الوحيدة التى أسفرت عنها معادثات مورفى ـ لويد ـ بينو • ولكن كانت لكل منهم وجهة نظر مختلفة فيما يتعلق بكيفية هذه الادارة واختيار الهيئة التى تتولاها •

فمودفي يريد الالتزام باتفاقية القسطنطينية الموقعة في عبام ۱۸۸۸ ، وهي تنص عل تدويل استخدام القناة دون أن تعنى بتفاصيل ادارتها ، وطبقا لها تكون السلطة المختصة هي الحكومة المصرية التي حصلت فيها الشركة على عقد امتياذ أو عقد يمكن الفاؤه في ظروف معينة • ولكن وجهة نظر مورفي هذه .. أي وجهة نظر وذراء الخارجية الامريكية على وجه التحديد ... هي تلك التي عرضها على صبرى باسم الرئيس ناصر ونشرتها الصحافة وقت تأميم القنساة • انها وجهسة النظر المصرية ، ضمان دولي بسير الملاحة ، وتأميم داخلي كما مارسته في ظروف أخرى الحكومة الفرنسية أو البريطانية أو الامريكية ، مع تعويض الساهمين ، أو بعبادة اخرى دون صلب أو اغتصاب •

فاذا كنا نقر هذه النظرية ــ وسوف يقرها الفرنسيون والانجليز بسرعة كبيرة ــ فانا نقر التاميم ونتساءل حينتُذ لماذا تواصل الحكومتان الفرنسسية والانجليزية الاحتجاج ؟ ولماذا تقومان بكل هذه الضجة ؟

والحقيقة آنه لا الفرنسيون ولا الانجليز يقبلون هذه الطريقة التى انتهجتها وزداء الخادجية الامريكية « لتسقيهم الجرعة » ، اذ ترسل اليهم احد كباد الموظفين فيناقش من الناحية الفنية موضوعا لا ثفرة فيه من الناحية القانونية بينما هم يريدون أن يجدوا بينهم المسئول عن السياسة الخادجية الامريكية ليجروه الى اتخاذ قرادات سياسية بممارسة ضغط عليه في نواح اخرى ٠

ويصطدم المتفاوضون ، فمورفى يتهم بينو بانه تهرب وتسبب فى تسرب المعلومات ، وبينو يقول أن الامريكان ـ بسحب عرض تمويل السد العالى الذى چاء فى وقت غير مناسب ـ هم الذين اثاروا المشكلة كلها ، انهم مسئولون عن تصرفاتهم وبالتالى هم طرف فى المشكلة ويجب أن يشتركوا اشتراكا مباشرا فى تسويتها ،

ولكن القصود على وجه التحديد ــ من استمرار دالاس فى التسكم فى بيرو ــ 
حو الا يكون طرفا فى المشكلة ، انه يريد أن يحتفظ لنفسه بموقف الحكم ، ويقصد 
بصفة خاصة أن يكون متغيبا • وهذا الفياب يمكن أن يستمر طيلة الفترة التي 
يمكن أن تهذا فيها الامور اذا لم يطرأ حدث جديد يحمله على قطع أجازته •

والواقع أن أيزنهاور قد تلقى مباشرة البرقية الرسلة من مورفى في نهاية السهرة التي قضاها مع ماكميلان والكسندر والتي أوضحت النوايا البريطانية في شن حرب على مصر ، ويرد الرئيس الامريكي عليه بالتزام التحفظ ، مبلغا اياه انه سوف يرسل اليه دالاس ، وتنتظر لندن حضور دالاس ،

وفي باريس ــ ذلك اليوم ــ كان جي موليه ضيف الشرف في مادبة اتعاد الصعفيين البرئانيين • وهناك يعقد بين الكمثرى والجبن موازنة سموف تصبح معتادة بالنسبة له بين هتلر وناصر الذى يصفه بأنه صبى دكتاتود ويعلن عن الحاجة لل رد حاسم قاس يقوم على عمل مشترك من جانب الحلفاء الفربيين • وفى نفس المساء يعود بينو من لندن ليطلع موليه بوصف رئيس الوذارة ، وبودجى مونورى باعتباره وزير الدفاع على نتائج محادثاته فى تندن •

أما بالنسبة لرجال البنوك فان الامور تسير على نحو افضل ، اذ تلفى مصر منشورها الصادر في ٢٨ يوليو الذي حـدت فيه الهيئة ابجديدة لادارة القنساة الإجراءات الجديدة لدفع رسوم المرور ، كما تؤكد أنه ليس لديها أية نية لزيادة الرسوم في المستقبل •

ويتخذ وزير االلية المصرية اجراء مماثلا لذلك الذى اتخذته فرنسا في اليوم السابق و وان كان قد افصح عنه في مزيد منالمراحة ويقفى بالا يعمل بتراخيص الدفع بعملة اجنبية الا بترخيص من ادارة النقد ، وباخضاع الحسابات المصرفية للاجانب في جميع البنوك المصرية لمراقبة النقسد و والواقع أنه لم يبق شيء من الاجراءات الماليسة الثارية التي اعلنها ناصر قبسل ذلك بيومين ، وتجنب الرئيس بذلك مخاطرة الاوة استغزاز قد يترتب عليه عدم دفسع الرسسوم لهيئة الادارة المصرية لقناة السويس .

ويبدأ تأييد الدول العربية في الظهور · ففي اليوم السابق اعلنت سوريا أنها على اتفاق تام مع مصر بشان مشكلة تأميم القناة واليوم تؤيد السعودية تأميم القناة بينما يقر البرلمان اللبناني بالاجماع مشروع قرار بتاييد مصر ·

ومن بعيد يصل تاييد له أهميته ، اذ يذيع داديو موسكو أن الاجراء الذي اتخذه ناصر « عمل مشروع » •

ومن الواضح أن ذلك لا يتفق ورأى الجمعية الوطنية الفرنسية التي أوقفت جلستها بعد ظهر ذلك اليوم لمدة عشر دقائق « تطالب باتخاذ اجراء حاسم ضد مصر » وكانت قد بدأت تتسائل عما اذا لم يكن الزعماء الفرنسيون ، موليه وبينو وبورجى مونورى دعاة حرب كلامية فقط وانهم فى الطريق الى شن حرب لفظية فحسب • هكذا يعلق الصحفى جان فابيانى آنه يكتب « ها هى ذى ادبعة ايام مضت على تاميم القناة ونحن لم نقم بغزو مصر بعد » •

کلام ۰ ۰ ۰

هسدا هسو ما تراه الصحافة الفرنسيسة في تصريحات جي موليسسه ، ويمفي فابياني قائلا « الرد الحاسم الفاسي الذي اعلن عنه دئيس وزدائنا والجبهة المتماسكة من الأمم الحرة ضسد الاغتصاب » وسسوف تبقى هسده العبادات امثلة للاقوال التاديخة التي تثير الفسعك حين تقرأ في كتب التاديخ ، وقد التي عليها الفسوء ما تتابع من احداث ، ويعبر عضو الشيوخ ميشيل دبريه المدافع المتحمس عن السيادة الفرنسية في الجزائر عن دايه في سياسه موليه سينو سهونودي في تلمين اذ يقول: « تخاذل اجرامي » ،

### الثلاثاء 31 يوليو:

لا شبك ان المركة غير متكافئة ، فلا موليه ولا بينو ولا بورجي مونودى ولا أيست في كندن يستطيعون أن يخففوا من حملة خصومهم ويغضوا اليهم مثلا بأن الكولونيل بريور سيسافر ذلك اليوم الى بريطانيا حاملا معه بيانا للقوات التي تريد فرنسا اشراكها في المعلية وهي فليق من المظلين ـ الفيلق العاشر سابقيادة الجنرال ماسو • والفيلق السابع ، ووحدة من المصفحات المتأذة •

كانت المعادلات الثلاثية مستمرة في هذه الالتاء دون أن تصل الى نتيجة ويتناول مورفى الغداء مع ايدن بعضور ماكميلان وسالسبورى وساوين لويد وثلاثة من الإمريكان لا يذكر مورفى أسماهم • وتظل المعادثات مشوبة بشيء من الغمور وكانها أصبح يقينا أن أى عمل تقوم به بريطانيا وفرنسا سوف توافق عليه (لولايات للتحدة ، ويؤكد إيدن أنه لن يطلب من الامريكيان أية

مساعدة ، ولكنه يضيف قائلا : « اننا نعقد الامل على أنكم سوف تتكفلون باللب » ومن الواضح أنه يقصد « اللب » الروسى • ثم يكن دئيس الوذراء يرى الوقف الا من زاوية معددة هى الاتفاق أساسا على أن ثهة اتحادا تاما فى المصالح بين الخفاء • ويقول مودفى « ثم يكن هذا يمثل وجهة النظر الامريكية وثم أحبد هذا الرأى فى شيء » •

ومن الناحية المالية كان التحسن مستمرا ، فبينما يخفف بنك انجلترا من حدة الإجراءات التى اتخلت لتجميد الاموال فيما يتعلق بالمعرين المقيمين فى بريطانبا ، تعلن مصر انها تقبل الشبيكات المسحوبة على البنوك البريطانية لسداد رسوم المرور ولكن أكثر الاخبار المالية اثارة للدهشة تأتى من الولايات المتحدة ، اذ تعلن وزارة الخزانة أنها تغضع مؤلفتا لنظام التراخيص أموال شركة فناة السويس والحكومة المعرية الموجودة في الولايات المتحدة « في انتظار الفصل في ملكية هذه الاموال وتسوية الوضع الراهن » •

### فما هدف هذا القرار ؟

انه يهدف من الناحية الرسمية الى عدم الدخول طرفا في النزاع ، وهو ما يشير الى نوع من القصور في التشامن تجاء أولئك الذين تسميهم حلفاءها ولكن من الذي يغيد من هذا الموقف ؟ انه ليس الشركة ما لم يكن ناصر يريد منع مرور السفن ( وهو ما يعد انتهاكا لاتفاقية القسطنطينية ) لا سيما أن الشركة كان لديها في أوروبا به بغضل مساعدة الحكومة الفرنسية والبريطانية ب الوسائل اللازمة للتصول على حقها ، وهذا الموقف كان يمكن أن يستمر طويلا الى أن يتخذ اجراء عنيف تقع مغبته بالضرورة على ناصر ، ذلك أنه كان هو وحده الذي يمكن أن يبدأ بالقاطعة ، ولكن واشنطن بهذا القرار تنصب نفسها حكما ماليا بين مصر والشركة العالمية كما تهيئ الحكومة الامريكية لنفسها باذ تعلن التصرفيقي أموال والشركة المودعة في أمريكا وهي حوالي ثلث مجموع أموال الشركة بوسيلة للفيفط

واخيرا تعلن الحسكومة السسوفييتية في هملدا اليوم عن رايها على لسسان خووشوف ، ولابد أنه كان علم بالاستعدادات العسكرية الفرنسية الانجليزية الديسرح قائلا : «يجب العمل على ايجاد حل سلمى ، فليس هناك من حل آخر ، والشعب السوفييتى لا يريد أن ينتهك التعايش السلمى » وهكذا يتضح موقف السوفييت ، فالاتحاد السوفييتى سسوف يعارض اى محاولة لتسوية المشكلة باستخدام القوة ، ذلك أن مثل هذه المحاولةسوف تهدد سياسة التعايش السلمى ومن ناحية أخرى فانه كان أقل اعتماما بنوع الحل الذي يمكن الوصول اليه طاللا كان بالوسائل السلمية وهذا الموقف السوفييتي يعد بثابة « توقيع على بياض » لفوستر دالاس ، فهو يعنى بالنسبة له أن استمروا في لعب دوركم ولن تجدونا في موقف مضاد لكم الا الما منحتم تاييدكم للحملة المسكرية الفرنسية البريطانية، وفيما عدا ذلك فلكم أن تقترحوا ما تشامون ونحن نرحب بعقد مؤتمر دول ( أي

ويستطيع دالاس ـ وقد تسلح بهنا الموقف ـ أن يستقل الطائرة دون حماس الى تندن حيث يصلها في أول أغسطس ٠

# الفصف لالشابع

## المواجهسة

اذا كان فوستر دلاس قد تاخر في الذهاب الى حلفائه القلقين في لندن ذان لا يرجع الى اسباب هامة • فقد كان يعرف تماما أنهم في انتظاره بغارغ صبر حد لقد اردنا حضور دلاس » هكذا قال بينو حولكنه كذلك لم يكن يجهل الحالة النفسية التي كان عليها حلفاؤه ولا ما كانوا ينتظرونه منه • وكان من ناحية آخرى يعرف موقف حكومته ويترك الاختلافات بل الهوة الواسعة القائمة بين موقف الحافة والموقف الامريكي ، ويغشي الاصطلام بوجهات النظر التناقضة هذه •

ولم يكن الزعماء الفرنسيون والانجليز يريدون مناقسات تتسم بصراحة كاملة الا مع دلاس • لأنهم كانوا يعتبرونه الرجل الاول في الدبلوماسية الامريكية والمحرك الحقيقي للسياسية نيابة عن رئيس طيب يلعب الجولف ( ايزنهاود ) ، فكانوا يرون اذن أن دالاس يمكن أن يتصرف باسم بلاده دون مخاطرة لدى عودته بان يتهمه احد بانه جاوز سلطاته • ولكن ذلك كان منذ البداية غلطة كبرى • فاذا كان دالاس يتصرف بحرية كبيرة في المسائل القانونية فانه لم يستطع مطلقا - ما دام الامريدخل في نطاق للجال الخاص أي مجال العلاقات بين الدولتين الكبيرتين وكل ما يمكن أن يتصل بهاده العلاقات بطريق مباشر أو غير مباشر – أن يحبد عن تعليمات ايزنهاور وزمرته المحدودة من للسنشارين الخاصين ، فقد كان ايزنهاور حرك ما يمترف بدلك مورقي .. يتخد من دالاس أدلة لاستهادك الصدمات بين

الرئاسة والعلام الخارجي تاركا له مهمسة تنسيق تفساصيل سياسسة يحدد هو ( ايزنهاور ) مبادئها وتطبيقاتها بدقة • وكانت التعليمات التي تلقاها دالاس قلما تتفق والامال التي كانت معقودة عليه في لندن •

## وجهة نظر الفرنسيين:

لا شك أن الزعماء الفرنسيين ما كانوا ليصرحوا علانية بما كانوا يزمعون قوله لفوستر دالاس و ولكن من الشسائم في الاجتصاعات الدوليسة أن يعرب الصحفيون المتصلون باللوائر الحكومية عن وجهات نظر قريبة الى حد بعيد من وجهة نظر السئولين الذين يتصلون بهم و وهكذا يبدو أن مقالا نشر حينذاك في صحيفة « كومبا » مثل وجهة نظر الدوائر الفرنسية التي لا تقتصر على الحكومة ، اذ جاء في هذا القال « أن مستقبل الاطلاعلي في خطر ، لقد اينت فرنسا منذ عشر سنوات تضامنها التام مع أمريكا ، وكثيرا ما وضحت من أجلها بمصالحها الخاصة وببعض الواقع التي كانت تعتبرها و ومنذ عشر سنوات لم تفكر أمريكا الا في الحلاف بين الشرق والقرب وتجسمت مشاغلها السياسية والسكرية في حلف شمال الاطلاعلي كنظام دفاعي ضد الاتحاد السوفييتي في حالة قيام صراع مسلح شمال الاطلاعلي كنظام دفاعي ضد الاتحاد السوفييتي في حالة قيام صراع مسلح لا سبيل الى تحاشيه ،

وبالاختصار فكرنا فى أن التحالف يتضمن التزامات باهظة أحيانا ، كقبول اعادة تسليح المانيا مثلا ٠

واليوم أصبحت فرنسا صاحبة قضية ، فهى مهددة منذ عامين من جانب القومية المربية فى شمال افريقيا ، وهذا هو ناصر قد وجه اليها ضربة مباشرة مهددا مصالحها الخاصة وعملية تموينها بالبترول ونفوذها ، وكان يحق للفرنسيين أن ياملوا فى ان حلفاءهم سيبدون لهم نفس التضامن الذى طلبه الخلفاء منهم من

قبل • ولكن هذا لم بحدث ، فنحن نقرا في الصحافة الامريكية أن عبدالناصر له حق من الناحية القانونية في الاستيلاء على الاموال الفرنسية •

ومن الواضح أن هذا لم يكن سوى وجهة نظر ، ويمكن لجماعة آخرى من الفرنسيين الا تؤيدها ، فاذا كان الفرنسيون قلد دفعهم علم التبصر والخوف والتناقض لل وهو أقل ما يمكن قوله لل علم التمسك بحماية المسالح الوطنية بحجية خطر يعترفون هم انفسهم بأنه خيالى فأن ذلك لا يمثل علرا مقبولا أو حقا في المالية بحمايتها ضد خطر جديد بمعرفة الدولة التي من أجلها ضحت هلد المسالح ،

ان مطالبة فوستر دالاس بتطبيق معاهدة حلف شمال الاطلنطى تعتبر اجراء طبيعيا ، ولكن المعاهدة .. على وجه التعديد ... لا تنطبق على حالة مصر ، اذ تنص المادة الخامسة من المعاهدة على أن الهجوم المسلح على دولة أو أكثر ... من الدول المتعاقدة ... في أوروبا أو أمريكا الشمالية يعتبر هجوما موجها ضد كل الاطراف وتحدد المادة المسادسة المواضع التي تنطبق عليها المادة الخامسة، وهي أراضي احدى الدول الاطراف في المعاهدة في أوروبا وأمريكا الشمالية والمقاطعات الفرنسية في الجزار أخاضعة لسلطان احدى وقوات الاحتلال التابعة لأحد الاطراف في أوروبا والجزر الخاضعة لسلطان احدى الدول الاطراف في منطقة شمال الاطلنطي الواقعة شمال مدار السرطان أو سفن وطائرات احد الاطراف في نفس المنطقة •

فالماهدة لا يمكن تطبيقها اذن الا في حالة معينة هي : تلك التي يهاجم فيها ناصر اولا سفينة او طائرة فرنسية ، وهو ما يتعاشاه تماماً •

حقيقة أن لدينا نصوص المعاهدات وطريقة تطبيق هذه النصوص ، ولـكن السياسة الامريكية المتزنة تتمسك في هذه اخالة بالتزام حرفية النص •

### علاقات خاصة حدا:

على أن المشكلة بالنسبة للاتجليز كانت أكثر خطودة • والواقع أن دوائرهم الحاكمة كانت تعيش منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في حلم سياسي غير عادي يطلقون عليه « العلاقات الخاصة » •

فليعض الشعوب ، فيما بينها علاقات قرابة ، كوحدة اللغة مثلا أو اتحاد سابق ادادى أو مفروض • وهذا ينطبق على فرنسا وبلجيكا وسويسرا أو كنسدا الفرنسية بل على كثير من مستعمراتها القديمة ، وكذلك ينطبق على بريطسانيا ومستعمراتها القديمة وأسبانيا وامريكا اللاتينيية والبرازيل والبرتغال والدول السكندنافية • وهى روابط عاطفية في الغالب ، بمعنى أنها لا تكفى وحدها لاملام سياسة تتقرر من ناحية أخرى تبعا لمصالح كل منها •

وحين بدا للزعماء البريطانيين خلال الحرب العالية الثانية أن قوة بلادهم النسبية تستهلك في أتون الحرب وأن عصر العمالقة قد بدا ، رأت جماعة من مؤلاء الزعماء \_ كان أكثرها تصميما تشرشل وماكميلان ، وكلاهما من أصل نصسف امريكي عن طريق الأم \_ أن الولايات المتحدة يربطها ببريطانيا نوع من القسوابة ليس قائما بالنسبة لغيرها من الدول ، ويمكن أن يفتح المجال لعسلاقات خاصسة القرابة خاصة .

ولكن القرابة الخاصة لم يكن لها فى اذهانهم اى مفهوم عاطفى وكان هادولد ماكميلان هو الذى اعطى لها التعريف الاكثر دقة بالاكثر سغرية بل الاكثر صدقا. وذلك فى حديث خاص فى الجزائر سنة ١٩٤٣ ، لقد قال ماكميلان « يجب دائما ياعزيزى كروسمان ، أن تتبح لزميلك الامريكى الا تكون له مرتبسة أعلى منسك ورصيد اكبر فعصب بل كذلك الانظباع بأنه هو الذى يدير كل شىء فسوف يساعد ذلك على أن تكون أنت الدير الحقيقى ، أننا ياعزيزى كروسمان ، نمثل

الاغريق في هــنم الامبراطورية الامريكية • وسسوف ننظر الى الامريكان نظـرة الاغريق نفسها الى الرومان • وبجب علينا أن نصرف أمور هذه القيادة العامة كما كان العبيد الاغريق يديرون شئون الامبراطور كلود » •

ولكن اكثر الامور اثارة للدهشة هو أن هذا المفهوم للعالم والرجال لم يقف عند مستوى الزاح والسخرية ، وأن غالبية حكومات ما بعد الحرب في بريطانيا حاولت أن تجعل من هذه الترهات حقيقة سياسية ومبدا رائدا لسياستها، وهكذا كانت بريطانيا تسابق الى لعب دور « الرجل الثانى اللامع » الذي يقل الرء فيه هو الثانى دائما دون أن يصبح لامعا وذلك في سبيل سلام أمريكي ، يقوم كما أشرف على أسس واهية زائلة ، وفي الوقت نفسه كانت دوائر الاعمال البريطانية بالازدهار الذي كان يكفله لأعمالها وصنعها كوسيط مفضل بين أوروبا وأمريكا وتبعيته وثيقة باللولار ، وكان كل ذلك يسوق بريطانيا الى التعلق باذيال سياسة أمريكية تفتق الى الاستقرار ، معاولة توجيهها وادارتها ، أي أن هذا ساق بريطانيا في الواقع الى اغفال كل سياسة بريطانية أساسا أو وضعها باقل تقدير في الرتبة في الواقع الى اغفال كل سياسة بريطانية أساسا أو وضعها باقل تقدير في الرتبة وغبة في التصرف في الوارد البريطانية الخاصة وفي الوقت نفسه هناك رغبة في التصرف في الوارد البريطانية الخاصة — وبخاصة من البترول — دون تبية لواشنطن ، وكان هذا هو الموقف المتناقض الذي انساقت اليه الحكومة البريطانية ،

### سياسة الغموض:

اما الامريكان فكانوا يعرفون ما يريغونه • كانوا لا يعتقدون كثيرا في نظريات القرابة الخاصة • وكانوا منذ عشر سنسوات يسعفرون دون موادبة من مزاعم بريطانيا في ادارة الشركة الانجلو ... سكسونية • كان ما يريئه أيزنهاود هو السلام ، وذلك لاسباب معقولة كلها • فهو أولا لا غنى له عن ضمان اعدادة انتخابه للرئاسة ، ثم أنه كان محبا للسلام في صدق وعمق ، وكان يقدر لو أن

عده المسكلة تطورت إلى حملة عسكرية على غراد حصالت القرن التاسسع عشر فسوف يتعرضون جميعا لخطر نشوب حرب عالمية • واخسرا فانه كان يرى أنه ما دام النفوذ الامريكي كله انها يمارس نشاطه على العالم الغربي بفضل سيادة القانون الدولي واحترام ميثاق الام المتحدة فلا ينبغي لامريكا أن تصبح شريكة في اجراء عسكرى انتقامي يقوم به الحلفاء • اذ كان أيزنهاور يقدر أنه سيكون من الصعب جدا نتيجة لذلك فرض احترام مبادى والقانون الدولي على الدول العبرى •

وعلى آية حال فقد وصل دالاس الى لئــدن حاملا تعليمــات اســاسية من ايزنهاور ، وهى تتلخص فى تحاشى أى تدخل عسكرى ، وفيما عدا ذلك يستطيع دالاس أن يفعل ما يريد ،

لقد كانت الرسالة التى يحملها دالاس من أيزنهاود الى الفرنسيين والبريطانيين اقل صبحا وكانت تنوه بضرورة الشاوضات ولكنها لم تستبعد بسفة قاطعة ، الالتجاء الى القوة • بل ان أيزنهاود كان على العكس من ذلك يقر أن الالتجاء الى القوة يمكن أن يصبح ضروريا لحماية الحقوق البولية ، ولكنه كان يرى وجوب استنفاد جميع الوسائل في سبيل الوصول الى تسوية سلمية قبل ذلك •

هده هى الماساة ، فالجميع متفقون على هده المسالة ولكن كلا منهم يفهمها بطريقة تخالف غيره • السالة بالنسبة للفرنسيين والبريطانين هى استنفاد كل الوسائل المحتة للوصول الى تسمية سلمية باسرع ما يمكن فى انتظار اعداد الحملة التي يجرى تكوينها • على أنه كان من مصلحتهم التفاوض لتخدير أعصاب خصمهم ما لم يكن فى استطاعتهم القيام بعمل انتقامى مفاجىء ، ولكن الامر بالنسبة للامريكان أنهم لا يرفضون بصفة مطلقة رغبة حلفاء شمال الاطلنطى فى الحرب ، وهم بذلك يخاطرون بتصديد التواذن الاوروبي الضعيف البنيان اللي

أقاموه بفضل هذا التحالف ولكن الامر يقتفى فى الوقت نفسه مضاعفة الوسائل السلمية حتى بعض من الوقت ما يصبح معه الرد العسسكرى غير ذى موضوع حقيقى ما دام الوضع الوقت سيستقر بعكم الواقع وتسير الملاحة فى القناة على اية حال و وفيما عدا ذلك فلن يبقى حيئلة الا توزيع الاموال ، وهو ما ينتهى دائما الى تسوية حن يكون هناك ما يمكن اقتسامه •

وهكذا فان الاتفاق الإساسي الوحيد الذي تمغضت عنه معادثات لئسدن هو الرغبة في كسب الوقت من جانب الفرنسيين والبريطانيين لانهم غير مستعدين عسكريا ، ومن جانب الامريكان لانهم يأملون أن تسوى الامور بعفى الوقت ، اما فيما عدا ذلك فليس الا سوء فهم من الجانبين ، فدالاس يقول لحلفائه انتم على حق ولكن ، • ويستنتج الفرنسيون والبريطانيون من ذلك أنهم على حق فعلا ،

كان دالاس يعرف حق المرفة أن لدى الحلفاء سلاحا فعالا هو التهديد بقطع أواصر تضامن الاطلنطى وأنهم على استعداد للمضى بعيدا في هذا السبيل • فلا يثبغى اذن أن يصطلم بشركائه، ولكنه سوف « يستهلكهم » وقد اصطحب معه لهذا القوض اخبر الاول في الأسئون القانونية بوزارة الخارجية الامريكية ، وقلم أعد الاثنان سلسلة من الاشكالات • أجل ، أن الاجراء الذي اتخذه ناصر كان موضع استنكار ، ولكن ينبغى تعبئة الرأى العام العالى ضده •

والقناة لها وضع دولى تكفله اتفاقية القسطنطينية المقودة عام ١٨٨٨ فى حين ان قناة بناما ـ كما يرى دالاس ـ آمريكية لانها مؤجرة الآن للولايات المتحدة ، نعم قد يكون التدخل العسكرى آمرا ضروريا ، ولكن يجب أولا استنفاد جميع الامكانيات للوصول الى تسوية سلميسة ، ويجب عقد مؤتمر دول على أن تحصل وجهة نفرنا على غالبية الثلثين ،

ولكن كل هذه الاعتبارات كانت جوفاء بالنسبة للفرنسيين والبريطانيين الذين كانوا يقصدون هدفا معددا صريحا ، هو القضاء على ناصر ولديهم للوصول الى هذه الغاية وسيلة واحدة سريعة وعملية تستند الى مبرر قوى يقوم على انتزاع ملكية شركة راسمالية فرنسية بريطانية ، وهذه الوسيلة هى استخدام القوة • فاما أن يتركنا الامريكان نقتص لانفسنا بمعرفتنا مع حمايتنا من الخطر اللدى السوفييتي والا فسيقيم الدليل على أن معاهدة حلف شمال الاطلنطي لا تطبق الا حين تكون موانية لمسالح الولايات المتعدة وفي هذه الحالة ينبغي أن تبحث فرنسا وبريطانيا عن ضمانات الامنهما خارج نطاق هذا الحلف •

ان الاختيار صعب وشائك ، فاذا حاول دالاس حل الشكلة فانه لن يستطيع أن يعود الى بلاده - ولم نبق على انتخابات الرئاسة الامريكية سوى ثلاثة شهور الا بالتزامات ترتبط الولايات المتحدة أو باتفاق يشركها في عملية حربيسة وهو ما سوف يترتب عليه هزيمة الحزب الحاكم « الجمهورى » في الانتخابات وبالتائي أيزنهاور ودالاس ايضا • أما الاحتمال الثاني فهو انهيار الحلف الذي ترتكز عليه كل سناسة الولايات المتحدة اتخارجية ، وهو ما يؤدي كذلك الى هزيمة الجمهوريين، وايزنهاور ودالاس •

لذلك يلجا دالاس الى المفالفة والغموض ، فيقترح عقد مؤتمر دولى يناقش الوضع الدولى للقناة • الغ ، أى أن يبحث مسائل لا يعادض فيها ناصر • والواقع أن ناصر لا يريد منع الملاحة فى القناة لأنها ستكون مصدر السكسب الذى يامله منها ، وهو يعرض تعويض الشركة القديمة على أساس سعر الاسهم يوم التأميم ولا يرفض الفرنسيون والبريطانيون عقد مثل هذا المؤتمر ما لم يستعدوا عسكريا بعد ولكنهم أذ يخشدون من التأخير ينشدون عقده فى وقت قريب فرحين أن دالاس ليس مستعجلا • غير أنه من الملازم تحديد موعد الانعقاد ومراعاة الاختلاف فى المواعيد المناسبة لاكثر من عشرين دولة ، وأخيرا يتم الانفاق على يوم ١٩ اغسطس موعد للانعقاد • ويوافق الفرنسيون والبريطانيون واضحين فى اعتبارهم أنهم سوف يستطيعون بعد نحو عشرة أيام من المحادثات اثارة المشسكلة فى الوقت المناسب ، فيهعثون لل ناصر بقرارات المؤتمر فى صورة انذار •

### استرداد ما أخذه ناصر:

ولسكن الفرنسيين والبريطانيين كانوا يريدون من دالاس شيئا غير السكلام المعسول؛ انهم يريدون تعهدا - أى يتعهد دالاس بتاييد الحملةالفرنسية البريطانية، اذا كانت جميع الوسائل الاخرى للوصول الى حل سلمى قد استنفدت قبل ذلك بل يوجد الصيفة التي تهدى من روع ايدن وبينو « يجب استرداد ما يحاول ناصر الاستيلاء عليه » ويقول ايدن « لم يكن ثمة لبس فى ذلك فقد ظلت هداه الكلمات تعلن في اذنى وقتا طويلا » •

حقيقة أنه لم يكن ثمة لبس في ذلك ، فقد كانت الولايات المتعدة تتصرف في خلال الاسابيع التالية وفقا لهذا التعهد ، فلم تفعل شيئا لمنع الحملة ، ليس هذا قحسب بل انها قدمت أيضا من المعدات ما لا يمكن بدونه قيام الحملة ، ومن ذلك المدافع المضادة للدبابات ١٠٠١ التي لم يكن الجيش الفرنسي يستخدمها ضد ثواد الجزائر والمعدات اللازمة لتوريد احدث الطائرات بالاوكسيجين السائل وهي معدات لا تستخدم أيضا في الجزائر ، وقد تهت هذه الامدادات في نطاق حلف شمال الاطلنطي وقدمت لواشنطن الاسباب اللازمة التي تكفل الأناعها من الوجهة ألل سمية بضرورة المعدات ، ولكن الموقف في حقيقته كان يختلف عن ذلك ، فقد كان الفرنسيون والبريطانيون برغم سرورهم بمساعدة الامريكيين لهم يعقدون عليم بعض الشيء بسبب وفرة مواردهم كما كانوا يقولون : « ان هؤلاء القدادة عليم بعض الشيء بسبب وفرة مواردهم كما كانوا يقولون : « ان هؤلاء القدادة والمريكين المنا على الاستطلاع والشغف الشديد الذي لا يبدونه في الاوقات العادية وأخلوا يرقبون في اهتمام والشغف الشديد الذي لا يبدونه في الاوقات العادية وأخلوا يرقبون في اهتمام تحركاتنا البرية والبحرية والجوية ، » » »

وثمة دثيل آخر على التساهل من جانب أمريكا ، فطائرات « مستبر » التي أعطيت لاسرائيل لمهاجمة مصر وطائرات « ف ــ ٨٤ » التي أدسلها الفرنسيون الى قبرص لم تكن تستطيع قطع الرحلة دون توقف • وكان من المقرر اذن أن

ومن المفهوم أن هذا التعهد من جانب دالاس يجب أن يبقى سرا بيننا وما أن يعود دالاس الى نيويورك حتى يعلن بقصد التهدئة أنه لم يربط الولايات المتحدة بشيء ، كل ذلك مع غمزة عن لايدن بشأن مقتضيات الحملة الانتخابية • والواقع أن دالاس كان يقدر أنه يمرور الوقت سوف تخف حسدة المشكلة وكانت هذه المقاومة التي وجدها لدى حلفائه مفاجأة له • فحتى ذلك الحن كان رؤساء حكومات ووزراء خادجية العالم اخر يرون أن المقترحات التي ترد من واشنطن فيما يشبه الحتمية التاريخية \_ سارة كانت أو مفجعة على أية حال \_ لا تقبل المناقشة • وربما كان دالاس يعتقد في قرارة نفسم أنه ما أن تمر تلك الفترة المثرة بحق لذلك التفكير الطائش ، حتى تعود النعاج الضالة الى حظيرتها في هدوء • وقد ذكر لايدن وبينو ... اللذين صنعهما ذلك كيف تخلصت امريكا من قبل من مصنق الذي كان يريد الاحتفاظ لايران بمكاسب البترول الايراني • ولم يكن ثمة مقارنة أشد وقعاً من ذلك ، ذلك أن سقوط مصدق كان على وجه التحديد فصلا من فصول ذلك التنافس البريطاني الامريكي الذي بدأت تشتم رائعته من جديد ، وهو فصل ترك ذكري منفصة لني رئيس الوزارة البريطانية ، اذ انتهى باقامة شركات امريكية في منطقة كانت حتى ذلك الحين وقفا على شركة البترول الانجليزية \_ الايرانية السابقة •

### البيان المسترك:

وهكذا البتت مناقشات يوم ونصف يوم الى موقف غلمض لم يحاول احد توضيحه ، لان كلا الجانبين كان يريد ان تسير الاحداث لمسلحته ، ثم أذيع بيان جاء فيه انه تم الاتفاق على مسائل معيئة •

وبيدا البيان الشترك للدول الثلاث بعرض تاريخى لشكلة قناة السويس ويستطرد مستنكرا الاستيلاء التعسفي باجراء فردى من جانب دولة واحدة على هيئة دولية عهد اليها بصيانة القناة وادارتها لكى يتسنى لجميع الدول المنتفعة بمعاهدة ۱۸۸۸ الاستفادة فعلا باستخدام هذا المو المائي الدول • « وتذكر الدول الثلاث بعد ذلك أن من الفرورى اتخاذ اجراءات تضمان حرية الرور في قنساة السويس بصورة فعالة » • وأن خر هذه الضمانات هو وضع نظام للادارة الدولية للقناة ، واخرا يشعر البيان الى اقتراح عقد مؤتمر للدول المعنية في لندن يوم ١٦ المسطس بقصد بحث هذا النظام •

وتنشر الدول الثلاث قائمة الحقت بالبيان تضم اسماء الدول المعوة ، وهى الدول الثمانى الموقعة على معاهدة عام ١٨٨٨ أى مصر وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وهولندا واسبانيا وتركيا والاتحاد السوفييتى ، يضاف اليها ست عشرة دولة رأت الدول الثلاث أنه يهمها استخدام القناة وهى : استراليا وسيلان والدانمرك وأثيوبيا وجمهورية المانيا الاتحادية واليونان واندونيسيا وايران واليابان ونيوزيلندا والنرويج وباكستان والبرتفال والسويد والولايات المتحدة ،

## ايدن في مجلس العموم:

ويعرض ايدن الوقف أمام مجلس العموم حتى قبل أن يتم تحرير بيان الدول الثلاث • فيتكلم عن الإجراءات المسكرية التي يجرى الاعداد لها بقصد انتهاج سياسة حاذمة ، ولكنه لا يعرب مطلقا عن نيته في شن الحرب • حقسا انه يعلن أنه لم يعد يثق في كلام ناصر ، ولكن الهدف الذي يعدده لنفسه أمام مجلس العموم لم تكن له علاقة بالحرب فهو يقول « أن حرية الرور في القنساة لا يمكن كفالتها شكل فعال الا بمعرفة هيئة دولية ، هذا هو ما نبذل جهسدنا لتحقيقه بالتفاوض الآن مع دول أخرى يعنيها هذا الامر بصفة خاصة » •

وبمكس الاعتدال اللتى كان يبديه ايدن نجه في تصريحات حزب العمال البريطانى لهجة عنبفة تثير الدهشة ، اذ يصبح الزعيم العمالى جيتسكل « اعتقد البريطانى لهجة عنبفة تثير الدهشة ، اذ يصبح الفد اراد ايدن أن يرى منذ سمع هذه العبارات التى صرح جبتسكل بها ، نوعا من التقويض الكامل من جانب العمال ، ولكن لنا أن نشك في ذلك ، لانها من نوع العبارات الجوفاء نفسها التي يستخدمها في جميع الدول أولئك الذين يمارسون اساليب استمالة الجماهير ، فالنظر الى هذه العبارات بعين الثقة ينطوى على خطر الوقوع في سوء التقدير ،

وكان العنصر الايجابى الوحيد الذي قدمه دئيس الوزراء امام مجلس العموم عن السياسة التى سينتهجها هو تعهده بان يبلل جهده للوصول عن طريق المفاوضات الى حل لمشكلة الفئاة ، وكان هداء هو التمهد الوحيد الذى حصل عليه مجلس العموم ذلك اليوم ، ولكن لو استطاع ايدن أن يصرح للمجلس بانه في الوقت الذى كان يؤكد فيه للمجلس أنه سيبدل جهده للوصول الى تسدوية للمشكلة عن طريق المفاوضات وكان الجنرالات والاميرالات البريطانيين الذين يأتمرون بامره يعقدون النية على شن الحرب بالقاء القنابل والهجوم المباشر على مصر هما يؤدى الى سقوط آلاف من القتلى ، لو انه استطاع ذلك لابدى له العمال وجانب كبير من المعافظين توجيههم وعدم القتهم به ،

ولسنا بصدد تقرير ما اذا كان ابدن قد أعوزه الاخلاص تجاه مجلس العموم في اثناء تلك المناقشة يوم ٢ أغسطس ، فلم يكن يستطيع أن يقول غير ذلك ، ولكن يجب أن تتذكر \_ لنزداد تفهما لتتابع الاحداث \_ انه كان يخيم على تلك الجلسة جـو مثقل باللبس والفعوض ، ولم يحصل ابدن في ذلك اليوم على أي

تفويض بشن الحرب • حقيقة أنه لم يطلب ذلك ، ولكنه لم يكف عن التصرف بعد ذلك كما لو كان قد حصل عليه • واذا كان هذا لا يعنى أنه أخطأ قانه يساعد على تقسير بعض ردود الفعل التي تعرض لها بعد ذلك •

### ما يدور في باريس :

ولكننا نجد في باريس اغنية اخرى تتردد ١ انها اغنية الحرب والوعد بالظلر اللتى يبذله بينو للنواب الذين اخذتهم النشوة • فلا لبس هنا ولا تعقيدات سياسية « سوف تحطم العرب » وسوف تجرى الامور في سهولة ويسر • وكان اليمينيون الفرنسيون الذين لا يثقون في بينو ويرون فيه الى حد ما عميلا لناصر ، يشعرون بالغيطة • اخبرا ها هو اشتراكي ينفذ سياسته ويتحمل نتيجة الفشل اذا قدن أن يكون ثهة فشل • وكان اليساريون اقل تحمسا فيما عما تلك الزمرة التى تدور في فلك روبير لاكوست وماكس لوجين ، والتى كانت مستعدة دائما للقتال • واما الساخطون واخدون واخائفون فقد كانوا يتحصنون وراء أسواد مبدأ وحدة الاصوات ، على أنهم كانوا معدودي العدد • وهذا الترخيص بالمسيد ، الذي كان يطلبه جي موليه جدد له عدة مرات دون مشقة قبل وقوع أحسلك اكتوبر •

لقد حرصت الجمعية الوطنية ... عشية مناقشة ٢ أغسطس حين كان بينو في لندن وكان ابدن يتكلم في مجلس العموم ... على تأكيد استنكارها للاجراء الذي اتخذه عبد الناصر ٠

وكان هناك اجتماع بين جميع المتعدثين ـ موريس شومان وجورج بيدو ، وبير مونتل ، ودى شفنييه ، ودوفينا وبروكا باستثناء جيوه ، المتعدث بلسان الشيوعين ـ على المطالبة بالتغاذ اجراءات شديدة والقرت الجمعية الوطنية بغالبية ساحقة التراحا لبير مونتل يستنكر فيه تصرف ناصر بوصفه تهديدا دائما للسلام ، وفي اليوم السابق في مجلس الجمهورية ندد بليزان ـ رئيس لجنة الشئون

الخارجية \_ بالعمل الشين الذي قام به ناصر • وأشاد الى اتفاقية القسطنطينية التي تجيز في بعض الاحوال \_ كما يقول \_ ارسال سفن حربية الى بود سعيد أو السويس •

انها جمعية وطنية معمومة ، تلك التي يجدها بينو حين عودته من لندن • 
جمعية يتسم فيها بعض النواب بانهم يعرفون ما دار هناك وان الامريكان سائرون 
معنا • وهو ما يعلم النواب بانهم يعرفون ما دار هناك وان الامريكان سائرون 
وكانت هناك نقطة اساسية في بيان بينو هي تاكيد التضامن الغربي ، اذ يقول 
« لقد اظهرت معادلات لندن عودة التضامن بين الدول الغربية ، وهو تضامن 
تلمل الحكومة ان يتجل دائما حتى النتائج الاخرة للوشكلة القائمة » • •

ويحدد وزير اخارجية بعد ذلك وجهة نظر الحكومة القرنسية قائلا: « ان الخكومة لا يمكن باية كيفية وباية صورة أن تقر الاجراء الذي اتخداته الحكومة المصرية وسوف تستخدم جميع الوسائل الضرورية لاحباطه » •

ويستطرد بينو قائلا: « وسوف تمفى الحكومة حتى النهاية في الطريق الله تصريح واضح الله تسلكه دون أن تتخل عن رباطة جاشها أو تصميمها » انه تصريح واضح مباشر لا لبس فيه • سوف نشن الحرب • فاما أن تؤيدنا أمريكا واما أن تمفى بدونها • ويقابل تصريح بينو بالهتاف والتصفيق ، ويحدث في تلك اللحظة أمر خطير لا يفوت واشسنطن ادراكه ، وهو أن البورجواؤية الفرنسسية تتحرد من الحدر عند عام ١٩٤٣ •

ويظل جي موليه - الذي يعقب بينو على النصة - متعفظا او بعبارة آخرى محترما لروابط حلف شمال الاطلنطي • فيصرح بان هيئة دولية يعهد اليها بادارة القناة هي وحدها التي يمكن ان تضمن حرية الرود فيها ( ويلاحظ مدى مطابقة هذه العبارة لتلك التي ذكرها ايلن من قبل ) وان فرنسا لن تقبل معارضة مصر في ذلك ، ويختتم كلامه قائلا : « ان الحكومة الفرنسية تعرف مدى المسئوليات

التى تواجه الحلفاء فى هذا الوقت ، وهى لم تتردد فى مواجهتها وسوف نتعملها حتى النهاية » انها عبارة مبهمة تبدو لاول وهلة مفعمة بروح الحرب التى تشوب تصريح بينو ، وإذا فحصناها عن كثب نراها لا تعمل شيئًا يمكن أن يصدم دالاس أو ايدن ، وتتسم بفموض يكفى لتغطية جميع الاحتمالات ، ولا يعنى هــذا أن موليه يلتزم بدرجة أقل من غيره ، ولكنه يعنى أنه يهتم بالصيفة ، بل أنه يمكن على العكس من ذلك الاعتقاد بأنه يتحدث بعزيد من الافصاح ،

والواقع أنه يؤكد أن البسادي، التي سسيتم الاتفاق عليها في مؤتمر ١٦ أغسطس ، والتي لا يشك في أنها سوف تكون في مصلحته بغضل غالبية الثلثين التنظر الحصول عليها ، هذه المبادي، سوف نفرضها نعن على ناصر اذا حاول تجاهلها • وهكذا تتعدد الفكرة الاساسية الاسسراتيجية ( السرية ) لشسهر أغسطس واوائل سبتمبر ، وهي ارسال الذار الى ناصر بحيث لا يمكن الا أن يصيبه الخزى بقبوله ، وحيئلا هـ ردا على رفضه المنتظر هـ يكون الهجوم •

وفي مساء ٣ أغسطس وأمام عدسات التليفزيون الفرنسي يعود جي موليه وكريستيان بينو الى الحديث فيما تعدثا عنه بعد الظهر أمام النواب ، ويفسر بينو ما وراء كل هذه الفسجة • سوف يضيع شمال افريقيا كله اثا قدد لناصر أن يتسامر ، فلن يكون ثهة جدوى من أن يخاطر ٤٥٠ ألفا من جنودنا بحياتهم في شمال افريقيا اذا سمحنا كناصر بان يعرقل نشاطهم • ان هذا كلام يتسم بالقوة ليبحث نتائج المحادثات التي أجراها خيفر في يوغسلافيا مع كومان وهربو اللين أوفدهما موليه وبينو لها م المهمة • ربما كان افهام العامو أن الخوسية على استعداد للتفاوض يترتب عليه تقوية ادادة القتال لدى هذا العدو وربما يلحق إيضا الفرد بنشاط ١٠٥ الفا من الجنود الفرنسيين الذين يخاطرون وبياتهم في شمال افريقيا • والواقع أن السياسة الفرنسية كانت شديدة التمقيد، فعن تعنت هنا إلى تساهل هناك !

### نداء الى الدول:

وها هى ذى الشركة العالمية لقضاة السويس البحرية تتارجح انفعالا فى مقرها الهادى، بشسارع ستورج بباريس ، وتوجه نداء الى الحكومات والامم تناشدها فيه اتخاذ جميع القرارات التى فى وسعها كى تتمكن من أن تسسترد الرقابة المعلمة على القناة وأن تستمر للمصلحة المشتركة فى ادارة هذا المرفق العام الدولى الذى تتولى شئونه منذ نحو قرن من الزمان .

ولكن هذا النداء لا يجد آذانا صاغيه ، ويبلغ مجلس ادارة الشركة بنتائج مؤتس اللول الثلاث في لنسدن فيتوجس خيفة ، اذ يقرر دالاس لدى عودته الى واشنطن الترخيص للسفن الامريكية بدفع رسوم المرود للهيئة الجديدة لقنساة السويس ، اى في الواقع للحكومة المصرية على أن يقترن الدفع بعبارة « مع حفظ الحق في حالة البروتستو ودون المساس باى حق في الاسترداد أو غير ذلك ، وتقرير الحكومة الامريكية في الوقت نفسه الغاء القيود التي فرضت يوم ٣١ يولية على التجارة الامريكية المصرية ،

وينتاب مديرى الشركة هذه الرة قلق شديد • وعبثا يقيم دالاس فى اليوم نفسه بتوجيه تعية للشركة القديمة ، اذ لا يستطيع بهذه المجاملة أن يمحو الفرد الذي يلحقه بمصالح الشركة العالمية • لللك يكتب رئيس الشركة شاول رو طلبا في صيغة خطاب الى وزير الخارجية الفرنسية طالبا تفسيرا وتعهدا بشان الموقف مستقبلا • وفي هذا الخطاب يذكر شادل رو للوزير كريستيان بينو ، اهمية الشركة سواء من ناحية المصالح الفرنسية أو من ناحية ادارة القنساة ، ويكتب رئيس الشركة بمزيد من الوضوح والاخاح في وقت واحد فيقول : « هل لى أن أضيف النا ـ زملائي وانا ـ نشعر بشيء من القلق بسبب تصريحات حكومات باريس ولندن وواشنطن التي لا تذكر فيما يتعلق بالمستقبل ، أي شيء عن شركة قنساة السويس ، اننا فريد أن فعتد أن هذا القلق لا اساس له وأن الحكومتين الفرنسية

والبريطانية على الاقل تعترفان بضرورة الانتفاع بـ فى المستقبل كما كان فى المائقيل كما كان فى المائقي ببخدمات شركتنا التى لا غنى عنها • ونود ان نعرف قبل عقد المؤتمر القادم أن وجهة نظر الحكومة الفرنسية فى هذا الصدد من شأنها أن تضمن فى وقت واحد المصالح الفرنسية الفيخمة التى تمثلها ومصالح اصحاب السفن فى العالم باسره الذين لن بتاح لهم ـ دون معاونة شركتنا ـ الانتفاع بخدمة كتلك التى عودناهم عليها فى الماضى •

ويتلمس جورج بيكو ... مدير عام الشركة ... المعلومات فيطلب مقابلة رئيس الوزارة جي موليه فيرفض هذا مقابلته ، ولكنه كان اسعد حظا في وزارة الخارجية مع كريستيان بينو الذي يسرف له في الوعود ولكنه لا يفعل شيئا ، وبعد وقت قصير اخذ المسئولون يهمسون للديري الشركة : لا تقلقوا ، سوف تحلف حقوقكم، اننا نعد عملية عسكرية !

### سننتصر لأننا الأقوى:

لم تكن غالبية الشعب تعرف انهم يعدون عملية عسكرية ، لان كل شيء كان يجرى في جو من السرية • واكن الجمهور بدأ يشسك في الامر بعد أن امتسك ضجيج الاستعداد حتى وصل صداه الى القاهرة وواشنطن • فلي صحافة بريطانيا وفرنسا نجد سبيهفونية حربية حقيقية : وحدات من الاسسطول الملكي تستعد للعمل ، فرنسا تتخذ اجراءات عسكرية ، المملكة المتحدة توقع أمرا باستماء عشرين ألفا من جنود الاحتياطي ، الاسسطول الفرنسي تتجمع وحداته كلها في طولون •

والواقع أن هذه الإجراءات المسكرية كانت قد تقررت منذ أول يوم ، أى مند أول المستونين الفرنسسيين مند أول المستونين الفرنسسيين والبريطانيين انتظروا موافقة دالاس كى يعتمدوا هذه الإجراءات ويتغلوا منها أداة للسياسة وكانها لم يكن يساورهم شك فى أن يسرع ناصر ــ حين اعلانها ــ الى التراجع مطاطئا الرأس ، وعلى أى حال فقــد امتلات الصحافة الفرنسسية

بصيحات انصار التدخل ، فيقول جاك سوستيل « ان سياسة حازمة في مواجهة المصرين هي وحدها التي يمكن ان تبعد شبيح الحرب » ويصرح عضب الشيوخ ميشبل دبريه « لا مباحثات ممكنبة مع ناصر » ويعلن بيدو « لا ينبغي ان نترك السفن ليعلوها الصدا في القناة » •

بل ان البعض يرون ان الانتظار قد طال ، ومن ثم يكتب بير روستيد في صحيفة كومبا ( ٣ أغسطس ) هل يجب الانتظار حتى الايام الاخيرة من أغسطس لنعرف ما اذا كانت فرنسا وبريطانيسا ستضطران للالتجاء الى اجراءات الضفط التى اعلنتاها ؟

ويبدو أن الاستعجال كان عل أشهه في ذلك الوقت و الم تنشر صحف كثيرة أن ناصر سوف يضع صواريخ موجهة روسية في جزّر خليجي السسويس والعقبة و ولكن ليس هذا هو اخبر الذي يمكن أن يرفع ثانية قيمة اسهم شركات البترول في سوق الاوراق المائية و لاشك أن اسهم قناة السويس قد انتخفضت منذ ٢٦ يوليو و ولكن قطاع البترول هو الذي أكد اخبراء و أن التصريحات القوية سيكون لها بعض الأثر في تعزيزه حتى ولو لم يذهب المسئولون الى نهاية الشوط في وضعها موضع التنفيذ و

# تحذير شيوعي:

ووسط كل هذه الاصوات المتحدة المتناسقة كان هناك نفم نشاز واحد صادد من جانب الشيوعين في شكل تصريح للمكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي بشسان مشكلة قناة السويس • ويظهر من لهجة التصريح وواقعيته ها ذكان خطر الحرب حقيقة واقعة ان الحزب الشيوعي الذي يحرص دون شك على الوقوف على جميع الاتجاهات الحكومية وشبه الحكومية كان ينظر نظرة جدية الى تصميم الدوائر المسئولة • ویدکر التصریح آن عملاء الرجعیة واحزابها یحاولون جهدهم چر الشعب الفرنسی الی مفاهرة عسکریة ضد مصر ۱۰ نخطر اخرب اصبح واقعا و حجیج اخرب اصبحت غیر مقبولة ، ومثیرو اخرب یزعمون آنهم یتحدثون باسم القانون واسم فرنسا و ولکن هذا الزعم ینطوی علی اکلویتین ، فمصالح فرنسا لیس لها علاقة بامتیازات مدیری شرکة القناة ، کما آن قرار الحکومة المصریة قرار مشروع ، ولا یمکن لای اشتراکی آو آی دیمقراطی آن یعارضی هذا التآمیم ۱۰ لقد حفرت قناة السویسی بایدی الشعب المصری وکلفته حیاة مانة وعشرین آلفا من الممال المصریین وکانت حفنة من الراسمالیة تستولی علی ۱۲ ملیارا سسنویا من ارباح الدارتها ، ویشیر البیان الی آن ناصر وعد بضمان حریة الملاحة فی هذا المر المائی الدولی وبعدم زیادة رسوم المرود وبتعویض جمیع المساهمین ، ومع ذلك فقد حکات الحکومة الفرنسیة من ناسها فی لئدن المتحدث باسم المساهمین ،

ولا شك أن الحزب الشيوعى الفرنسي لم يغطى في تقدير التاثير المباشر لهذا التصريح ، فهو يقصد بصفة خاصة تسجيل دايه وسط مجريات الاحداث ، ولكن تصريحا يجيء من مصدر كهذا يستحق أن يعلل بدقة • ولا يفوت المراقبين أن يلاحظوا في هذا البيان ششين : اشارة الى حرب كوريا – لانهم يدعون اليوم الى حرب كورية جديدة ضد مصر – والى الهدوء الدول ومن ناحيسة أخرى فأن سياسة القوة ضد مصر سوف تفر بالهدوء الدولي • وهاتان نقطتان تثيران سياسة القوة مند مصر ساوف تفر بالهدوء الدولي • وهاتان نقطتان تثيران الى تصفيته خرب كوريا ، وبجانب كبير من شعبيته الى تصفيته خرب كوريا ، وبجانب كبير آخر منها الى حرصه الشديد على التقدم شيئا فشيئا في طريق اقرار الهدوء الدولي •

هذا هو الشىء الأول وأما الشىء الثانى الذى يغلص اليه الرافبون فهو الناخزب الشيوعى اذ يرى بوادد اخرب لا يطلب ال اتباعه أن يلقوا بانفسهم على القفسان ليوقفوا القطارات كما فعل منذ عدة سنوات مفست ، بل أن الرء ليحس على العكس بأن الحزب لا يغضبه أن تزج حكومة اشتراكية بنفسها في حملة جديدة ضد الكسيك،

فذلك اولا سوف يحور الجبهة الجزائرية ، ثم انه مسوف يمكن - مهما يضعف احتمال قيام موقف خطر في مكان آخر - من الا يبدلل الكثير من دم الجمهورية الرابعة ،

### دالاس ينكر:

لم يكن اخرب الشبوعى الفرنسي هو وحده الذي تزعجه دغبة حكومة باريس في الحرب • فغى واشنطن كان الستولون يقدرون ايضا خطر الموقف • فقد أدل دالاس بمجرد عودته اليها بتصريح أو بالاحرى بخطاب للشعب الامريكي كي يضع النقط فوق الحروف • فبدا بتفسير الطابع الدول لهذا الطريق الهام من المواصلات العالمية قائلا أن حركة الملاحة فيه تقدر بثلاثة أشائها في فناتنا ، قناة بناما ، فضلا عن الصفة الدولية التي تنسم بها الشركة ولكن ما العمل ؟ يقول دالاس أن البعض ينصحون بالالتجا، مباشرة الى القوة وأن هذا هو واجب الحكومات التي تشعر أن تاميم القناة يمسها بصفة مباشرة ، ولكن ذلك يخالف مبادى الاهم المتحدة ومن شائه أن يوسع نطاق استخدام العنف ويعرض سلام العالم للخطر • وقد وصلنا في لندن إلى اتفاق على طريقة أخرى •

ويعلن دالاس أن مصر يجب أن تعامل باقصى درجة من الصدل ، وأن الامم التي لها حقوق واجبة الاحترام يجب أن تعامل كذلك ؟ ثم يوجه بعد ذلك نصيحة الى الحكومتين الفرنسية والبريطانية بالالتجاء الى حكم متان حكيم من الامم الكثيرة التى لها حقوق منبثقة من معاهدات دولية ، ويعرض خالة فشل المؤتمر قائلا النا نستند اساسا الى وجهة النظر القائلة بأن المؤتمر لن يفشل ، ولكننا لم نتخد أى تعهد من أى نوع كان بشسان ما يمكن أن تغمله الدول اذا لم يصسادف المؤتمر التوفيق ،

ولكن الحقيقة ان دالاس كان قد اعطى تعهدا بان يغمض عينيه عما يمكن ان يفعله القرنسيون والبريطانيون اذا ما فشلت جميعوسائل التفاوض مع الاستمرار في حمايتهم ضد اي خطر ذري سوفييتي ، وهذا التعهد نفسه تكشف ضمنا في حديث ايز نهاور في الوّرتمر الصحفي الذي عقده يوم ٨ أغسطس ٠

وهنا يظهر عبق الماساة وتمفى القرابة الخاصة ربع ساعة هشئوما • فقد عقدت الدولتان ، الانجلو ساكسونيتان في لئدن نوعا من التحالف المشكوك فيه يقوم على اللبس وسوء الفهم الذي تأمل كل منهما أن تفرض فيه على الاخرى وجهة نظرها هي وحدها • ويلجأ رئيسا الدبلوماسية البريطانية والامريكية الى الكذب نظرا لانهما لا يستطيعان الاعتراف بهذا النوع من التمهد أمام شعبيهما • فايدن يبلغ مجلس المموم ـ أي ممثل شعب بريطانيا ـ بانه يريد تسوية الشكلة بطريق المفاوضات في الوقت الذي يدل فيه موقفه وتصرفاته والاوامر التي اصدها على عكس ذلك • أما فوستر دالاس فيؤكد للامريكان في غير تعرج أنه ثم يرتبط باي تعهد مطلقة •

ومرة واحدة وعلى غير العادة تكلم الزعماء الفرنسيون الى زملائهم فى البرلمان والى شعبهم فى صراحة تامة • وقد تكلموا بشىء من الإيجاز بالتأكيد ويمكن ان تلخص الاستراتيجية الفرنسية فى عنوان « الحالة تمسل الى درجة الفليان » • ولكنها واضحة لا لبس فيها ، وهى تدل على أنه لا مفاوضات وعلى ضرورة استخدام القوة •

وهذا الاتجاه الذي سارت فيه المكومة الفرنسية من غير تردد يقبر الرسمين الامريكين اكثر فاكثر ، وسرعان ما يظهر ذلك في مقالات المسحفين المتصلين بوزارة الخارجيسة الامريكية و ومكسدا تكتب بوزارة الخارجيسة في مسعيفة تيويودك هيراك تريبيون « تتمثل احلى الحقائق الدولية للنصف الاول من القرن المشرين بشأن دولتين من الفضل حلفاء الولايات المتحدة في ظاهرتين احداهها ان فرنسا آكثر استعدادا بكير للتدخل في الحرب منها الواصلتها \_ مثال ذلك ما حدث في الحرب العالمية الثانية في الهند الصيئية \_ والاخرى أنه لا فرنسا ولا بريطانيا كانت ستطيع الانتصار في حرب دون المساعدة

1AV #

المادية من الولايات المتحدة ثم اشتراكها فيها في النهاية » وبعد أن أشادت الكاتبة بدالاس ــ الذي قالت عنه أنه أحرز نصرا من أكبر انتصادات حياته أذ نجع في بدالاس ــ الذي قالف نسبين ، وهــذا دأى يكاد يكون دالاس هو الوحيــد الذي يشاطرها اياه ــ كتبت محددة ، أن حرب المصابات التي يمكن أن تعقب نصرا مبدئبا للحلفاء مسوف تحول مصر الى جزائر جديدة أو الى ديان ــ بيان ــ فو أخرى » ٠

ومن ناحية وزارة الدفاع الامريكية نجد الهجوم اكثر قسوة، فكتبت صحيفة نيوز آند ودلد ويبودت ، التي تعبر عما يجرى في الاوساط العسكرية بواشنطن « ان حديث الحرب يتزايد سريعا حين تكون مصالح الدول الاخرى هي التي هددت ولكن حين تسعى الولايات المتحدة لحماية مصالحها الخاصة فان ذلك يعد نزوعا للحرب ، فمن الواضح أن ثمة كيلين وميزائين » •

وتضيف واشسنطن الى تعليقات الصحافة هذه تصريحات آثر اتجاها الى الطابع الرسمى • وهكذا يعلن وزير الدفاع الامريكي في مؤتمر صحفى أن مشكلة السويس تعتبر مشكلة صغيرة نسبيا ويجب أن تسوى بالوسائل السلمية في نطاق مؤتمر يعقد لهذا الغرض • ويصف الوزير الشكلة بأنها نزاع محلي يجب مع ذلك أن تظل الولايات المتحدة على يقظة تجاهه وأن تضرب بشائه المثل في الاعتدال •

# أيزنهاور في حيرة:

وهذا الاعتدال الامريكي يؤدي الى اذعاج باريس ولنسدن ، ويبدو انهما 
تتمرفان كان الولايات المتحدة لا وجود لها وتمضيان في تنفيد مشروعاتهما 
المسكرية • وسرعان ما تأخد الامور اتجاها مغتلفا ، فتقرر واشدفل وقف 
الشحنات الهامة دون غيرها التي ترسل الى مصر من قبل المساعدة الخارجية • 
وفي اليوم التالى نجد أن ايزنهاور ـ وقد أحرجته بعض الاسئلة المحددة الموجهة

اليه في مؤتمره الصحفى ــ هو الذي يتراجع • فيرد على الصحفى الذي يساله عن رأيه في استخدام القوة أو التهديد باستخدام القوة في مشكلة السويس • قائلا :

« أنا ١٠ قنا لا استطيع الإجابة بهثل هذا التسرع » • فيوجه اليه من جديد هذا السؤال : ولكن نظرا الى أن الجانبين قد قطعا مثل هذا الشوط ، الا ينتظر أن يكون الحل السلمي للهشكلة صعبا أو متعلرا ؟ فيجيب أيزنهاور :

« لم تصل الحالة بعد الى هذه الدرجة واعتقد أن هناك ٥٠ اعتقد أن هناك من الأسباب ما يدعو الى الامل في أن تتغلب الحكمة ؛ ان الامر يتعلق بمشكلة مهمة بالنسبة للعالم كله بعيث اعتقد أن وجهة نظر جديدة تتسم بمزيد من الاتزان والهدو، سوف تنتصر في النهاية وهذه هي احدى المسائل التي لا يزال من المكن تسويتها ، وأود أن أقول أن التدمي أو التخريب لا يعتبر وسيلة لتسوية مشكلة حين يكون القصد هو البناء والتشييد .

 عل يمكن آن تفسر ملاحظاتكم السابقة بانها تعنى انكم تعارضون استخدام اللوة ؟

- ـ ئم اقل ڏلك ٠
- .. هل قلتم ذلك في أثناء أزمة قناة السويس؟

لقد حرصت على آلا أقول ذلك • لقدد قلت أن أية مشكلة هامة فى
العالم تهدد مصلحة أكثر من دولة ، ينبغى أن تسوى عن طريق للفاوضات •
لقد حاولنا أن نستعيفى بمائلة المفاوضات عن ساحة المركة • واذا قلت ذلك
فلست أعنى أنه يجب على أى طرف أن يتخل عن حقوقه دون أن يبذل أولا كل
ما في وسعه للمحافظة على هذه الحقوق •

وكانت السياسة الامريكية كلها في شهر اغسطس تمثل انمكاسا للعيرة التي تواجه ايزنهاود ، فهي تجنح تازة الى جانب الفرنسيسين والبريطانيسين ،

وتارة أخرى الى جانب المرين ومن يساندهم معاولة في وقت واحد الا تقطع علاقتها باحد وأن تتجنب مواجهة تعتقد ألا خير منها فيما يختص بها على الاقل •

# العالم العربي يسترق السمع :

لقد أرهف العالم العربي السمع ، فهو يستمع لما يقال في العالم ، ويظل منقسماً على نفسه • وفي الوقت الذي يصل فيه فوستر دالاس الى لندن لاجراء محادثاته مع الفرنسين والبريطانين كانت الحكومة السورية ( ٢٩ يوليو ) والامر فيصل ولى عهد السعودية ( ٣٠ يوليو ) والبرلمان اللبناني ( ٣٠ يوليو ) يفربون وحدهم فقط عن مسائدتهم وتاييدهم للرئيس ناصراء لذلك يقوم ناصر يوم اول اغسطس بثلاثة اجراءات سياسية يعتبرها سبيله للاشستراك بطريق غير مباشر في المحادثات الغرنسية البريطانية الامريكية ، فيلقى خطابين وتنشر الحكومة المصرية بيانا رسميا • وفي أول هذين الخطابان اللهذين القاهما في الاسكندرية يمثل ناصر دور القوى المتعالى فيقسول « ان تحركات لندن هسسده لا تهمنا » ولكنه في أبي قر يخاطب الرأي العربي بصفة عامة من فيوق رؤوس الحكومات المتنبهة ، فيعود من جديد الى وعوده « صوف نحرر العالم العربي من المحيط الاطلسي ألى الخليج الفارسي » وإلى جانب هذه الكلمات الموجهة الى الجماهر يأمر الرئيس بأن تنشر الحكومة الصرية بيانا رسميا بشان وضع قناة السويس محسدا التعهدات التي تعتبر مصر نفسها ملتزمة بها ٠ كانت الشركة العالمسة لقناة السويس شركة مصرية ، ومن ثم يمكن أن تؤمم ، وهـ ذا التـاميم لا يؤثر مطلقا على التزامات مصر الدولية • ونحن مصممون ، كما كنا دائما ، على الوفاء. بجميع التزاماتنا الدولية • وباختصار تتعهد الحكومة المرية \_ بهـ1 البيان \_ باحترام الوضع الدولي للقناة ، أي أنها تتعهد مقدما بالالتزام الذي يزمع الحلفاء عقد مؤتمر من أجله في لندن ، ويأمر ناصر ممثله الدائم في الأمم المتحدة عمر لطفي بابلاغ السكرتير العام للامم المتحدة فورا بهذا التعهد •

كانت هــلم مناورة بادعة تهـدف الى تجنب انشاء لجنــة رقابة دولية على قناة السويس والى تأسيس الوضع الدولى للقناة على وعد مصرى يبلل بضمان الامم المتحدة • ولكنها مناورة لم تؤت ثمرتها ، اذ ينشر الحلفاء بيانهم المروف .

### نعو حل سلمي ؟

يسلم هذا البيان يوم ٣ اغسطس الى وزير اخارجية المعرى ويدعو معمر للاشتراك في مؤتمر لندن الذي يعقد يوم ١٦ اغسطس • وما ان يحاط ناصر علما ببيان لندن حتى يجرى محادثات على التوالى مع سفراء الاتحاد السوفييتي (كيسيليف ) والهند ( نواب على جونج ) والولايات المتحدة ( بايرود ) •

وكان أول رد فعل رسمى مصرى مشجعا • اذ يعان على صبرى سـ وكان حينئذ يشغل منصب مدير الكتب السياسي للرئاسة ــ ان التوفيق بين للصالح المعرية واستخدام قنأة السويس كطريق مائي ليس أمرا مستبعدا • في حين يجدد فتحى رضسوان وزير الارشساد القومي من جانبه التعهد الذي التزمت به حكومته منذ يومين « ان مصر تؤكد لجميع الحكومات وجميع الافراد والشركات حرية الملاحة في قناة السويس » •

واتضح بسرعة ـ وقد تاكد ذلك مند هذا الوقت بخاصة على لسان الرئيس نفسـه ـ ان ناصر يزمع اللهاب الى لندن ليصـرض وجهة نظر مصر فى مؤتمر الأربعة وعشرين و ولكنه اذا ذهب فانه لن يذهب خاوى الوفاض ، ولكن يذهب قويا بتاييد عدد من الدول والرأى العام العربى كله و ولن ينتهى المؤتمر الذن كما يريد ايدن وانما ينتهى بقطع للملاقات الديلوماسية يصبح على اثره توجيه انذار الى ناصر بمثابة اندار الى العالي العربى و كان هذا هو كل الغرق عند البريطانين ؛

ويظهـــو التاييد من جانب دول اخــرى ، ففى ٥ اغسطس تعلن الصــين مساندتها وتاييدها لمعــ بعد عشرة ايام من التاميم • وكذلك لبنان ، ثم ــ وهذا مفاجاة المفاحات \_ تاييد العراق • نعم العراق المحكوم بيد نورى السعيد الذى كان يحث ايدن فى حماس على اعلان الحرب منذ عشرة ايام • وباختصار ثم يعد هناك من ثم ينضم الى المسكر المصرى فى الدول العربية فى الشرق الاوسـط \_ باستثناء الامارات الصغيرة \_ سوى ملك الاردن ، ثم أن ليبيا ما ثبثت أن أعلنت أنها لن تجعل من اراضيها عدوان ضد مصر •

### ايدن يتكلم:

رجل يخشى انقلاب كل مشروعاته رأسا على عقب من جراء حفسور ناصر الله لندن ، ذلك هو انطونى ايدن ، ومن اجل هذا فسوف يعمل على منع قدوم ناصر ويتاكد اولا من مسائدة ايزنهاور فيكتب اليه يوم ه اغسطس معربا عن اقتناعه « بانه يمكن بعد محادثات لنسدن الشلائية أن نثبت لناصر وللعالم انسا سريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا سرجبهة متحدة » ويدعو الرئيس الامريكى للاستعداد لمواجهة احتمال رفض ناصر قبسول ما ينتهى السه المؤتمسر • ويرد ايزنهاور مشجعا ، ويظهر تشجيعه في الموقف الذي اتخذه في موتمره المسحفى يوم ٨ اغسطس × •

حينداك يخاطب ايدن الشعب البريطاني يوم ٨ اغسطس مهاجمسا ناصر هجوما مباشرا « ان عنونا ليس مصر ولا هو العالم العربي ولكنته الكولونيسل ناصر » ويرد ايدن علي الاعتراض الذي يطالب بان ينظر بعين الاعتباد الي التعهد المصرى بعسم عرفلة الملاحة في قنساة السويس وبعين الثقة الى ناصر ، فيقول « انظروا الى سوابقه ، لقد اظهر أنه شخص لا يمكن الثقة به وهو لن يحترم أي اتفاق » •

يلاحظ أن لهذا التاريخ أهمية بالغة ، لأن امتناع أيزنهاور فيه عن استنكار القوة بصقة مطلقة يمتبر بالنسبة للفرنسين والبريطانين حثا قويا على المفامرة .

فاذا جاء ناصر برغم ذلك وبعد هذه الاهانة العلنية على مسمع من عشرات الالوف من البريطانيين فسوف يعضر كانه متهم • وهذه هى النتيجة التي كان يهدف اليها ايدن ، والتي يمكن أن تفسر وحدها مجافاة خطابه للمنطق البديهي، لأنه أذا كانت مصر لا تستطيع احترام تعهداتها كما يزعم ايدن ـ ذلك أن مصر في هذا الوقت هي ناصر ـ فلماذا دعاها إلى لندن كتقدم تعهدا يرى أنها لن تستطيع ولا تريد احترامه ؟

### تأثير العرب:

ويوم ٦ أغسطس صرح الأمين العمام للجامعة العربيسة في بيان اذاعه دادو القاهرة بقوله « اننى لا أدى كيف يمكن أن تقبل مصر الاشتراك في مؤقر للندن الذى سبيعقد يوم ١٦ أغسطس في جو من العنف والشغيشة في الوقت الذى حددت فيه بعض الدول الكبرى التي يهمها المحافظة على نفوذها الاستعمادي في الشرق الادنى قراراته مقدما » ويضيف الأمين العام لهذا المظهر السلبي من خطابه مقابلا ايجابيا اذ يقول :

« اننا لا نفهم كيف يمكن الامم للتحدة التي نص البثاق على اختصاصاتها بشان المحافظة على السلام ، وعلى الوسائل السلبية لتسوية المنازعات الدولية ، أن تظل صامتة تجاه عدم الشرعية الصادخة الوتمر لندن • ان مصر والي جانبها أعضاء مؤتمر باندونج يضعون ثقتهم في الائم المتحدة وسوف يستمرون كما كان حالهم في الماضي في الكفاح من أجل السلام الصالي » نداء غير مباشر الى الامم المتحدة ، ولكت نداء مباشر الى دول مؤتمر باندونج وجبهته المربيسة الاسبوية التي لم فيها شواين لاي دنيس وزراء الصين •

وبعد بضعة أيام ... يوم ١٠ أغسطس .. أعلن للؤتمر الشعبى الاسلامى الذى عقدته لجنة تحرير الشعوب الاسلامية لتأييد الادارة الجديدة لقناة السويس ، أعلن الاضراب الشماهل يوم ١٥ أغسطس ( عشية أنعقاد المؤتم ) في جميع البلاد العربية والاسلامة ٠

وادرك ناصر أنه أذا أصر على اللهاب إلى لتدن فسوف يعامل هناك بامتهان من ناحية وسوف يلقى صجوما عنيفا فى القاهرة من ناحية آخرى ، ولن يكسب "كثيرا من هذه الرحلة ولكنه يخاطر بأن يخسر الكثير ، فمن الحكمة أذن أن يتخلى عن السفر ،

وحينئذ يعاول الرئيس ككل السياسيين البارعين أن يعقق مجدا من موقف هو في الحقيقة مضطر اليه • فيعلن يوم ٢٣ اغسطس ـ في مؤتمر صحفي ـ قراره الذي يستشف من بيان سابق لسغارته في لنسدن رافضا الاشتراك في مؤتمر لندن ، ويقترح حتى لا يتهم بسوء النية عقد مؤتمر آخر لا تدعى اليه المول الموقفة على اتفاقية القسطنطينية وحدها فقط ، ولكن ايضا جميع الدول المنتفعة ،

ومن الواضح أن كل ذلك يفترض لا موافقة الامريكان فقط وانما تاييدهم أيضا أو على الأقل مشاركتهم ، أى توفير أخماية للحلفاء من الخطر اللرى الروسى، وهى الحماية التى يمكنهم فى ظلها أن يقوموا بعملياتهم ، أى أن هذا يفترض أن واشنطن أذ تدافع عن هذا المفهوم للمصالح الفرنسية البريطانية تدافع كذلك عن المصالح الافروسيوية .

ان لدى الفرنسيين والبريطانيين وسبيلة فريدة للفسفط على الحكومة الامريكية ، الا وهى التهديد بالخروج من حلف شمال الاطلنطى • ومن الممكن \_ بغضل ذلك \_ أن تقبل واشنطن وهى تزمجر ، ولكنها تقبل برغم ذلك الامر الواقع اذا ما سقط ناصر بسرعة • هذا هو على الاقل ما يعتقده المسئولون فى باريس !

ولكن لننث كانت اقل حماسا بكثير ، فروابطها بامريكا أوثق عرى ، وللمسالح البريطانية في الشرق الاوسط أكثر تنوعا واتساعا وأهمية من مصالح الفرنسيين ، وسرعان ما تظهر الخلافات ،

### العمال يتراجعون:

كان حزب العمال والاحراد ( المستقلون ) اولئك الذين تمبر عنهم خبر تعبير صحيفة المانشستر جارديان وكدتك غزالوا لانكشساير ، هم الدين ظهرت بيتهم الخلافات بسرعة ، فقد تراجعت صحيفة ديل هيرالد كثيرا عن مواقفهسا الحماسية المتطرفة التى اتخذتها في اليوم الاول ، وفي ٤ أغسطس كتبت صحيفة مانشستر جارديان :« بلى حق يمكن أن تقوم بريطانيا وفرنسا بعمليات عسكرية ؟ وما دام الرئيس ناصر تم يفلق القناة مطلقاً في وجه الملاحة فسوف تكونان هما المعتديتين ، وهما لن تستطيعا حتى أن تغولا لنفسيهما حق التعرف باسم الامم المتديتين ، وهما لن تستطيعا حتى أن تغولا لنفسيهما حق التعرف باسم الامم

ان هذه معارضة لها وزنها وسوف يضعها اينن موضع الاعتبار ، فلا يقدم على عمليات عسكرية الا « كحكم بين مصر ودولة معتدية » وهنا يجى، الدور الخبيث الذي سوف تقوم به دولة اسرائيل الصغيرة بعصاس شديد وفاعلية لانزاع فيها •

ويستمر الناس على ضفاف نهر التايمز فى التساؤل ، وفى ٨ أغسطس تنفجر قنبلة ، ويعلن ادبعة وعشرون من البريطانيين من اعضاء الجناح اليسادى خرب العمال ان استخدام القوة ضد الحكومة المصرية والشعب المصرى فى مشكلة السويس سوف يكون عملا عدوانيا طبقا لميثاق الأمم المتحدة ، ويمكن أن يسكل تهديدا خطيرا للسلام العالمي ، ويسرع المتحدث بلسان وزارة الخارجيةالبريطانية الى التاكيد بان بريطانيا تنشد ان يسوى النزاع بشان قناة السويس بالطرق السلمية ،

ولا يقتع العمال بهذه الكلمات ، فما يعرفونه عن الاستعدادات الحربيسة الجارية لا يبعث فيهم روح الاطمئنان • ويصرح مورجان فيليبس سكرتير الحزب يوم ١٢ اغسطس بأنه يبدو له ضروريا للفساية أن يعلن أن أى اجبراء تتخسده بريطانيا يجب أن يعترم احتراءا تاما دوح ميثاق الأمم المتحدة • وفى اليسوم التال تنشر بجنة اخزب عقب اجتماع لها بيانا وافق عليه اعفساؤها بالاجمساع تعارض فيه الالتجاء ألى القوة بتسرح ، وتطالب بعرض نتائج مؤتمر لنسان على الجمية العامة للأمم المتحدة في اجتماع غير عادى • وينشر وعماء حزب الأحراد في اليوم التالى بيانا يتضمن أن قناة السويس يجب أن توضع تحت ادارة سلطة دولية تشكل في ظل الامم المتحدة •

# سياسة حزم في باريس:

وفي فرنسا ظهرت المعارضة بدرجة اقل عنفا ووضوحا • ويمكن القول انها باستثناء معارضة الشيوعيين لم تظهر بالمرة فيماعدا موقف شخصيات معدودة كثيرا ما تقربها شجاعتها من الانتصاد السياسي • كان تحالف اليمينيين مع المناصر الانجليزية والاسرائيلية يلعب دوره ، ويرتكز على القاعدة التي تقرد أن سقوط عبد الناصر يعنى القضاء على النورة الجزائرية •

#### ولنلاحظ التالي:

 ٣ أغسطس: الوحدات البحرية الفرنسية للبحر المتوسط المتجمعة في طولون على استعداد للعمل •

صورة : السفن الحربية سوركوف وجان بار وجورج ليجو .

٤ - ٥ أغسطس: الإجراءات العسكرية البريطانية مستمرة • الاستياله
 على السفن التجارية • استدعاء ١٢٥ ألف جندى من الاحتياطي خلال ثمان
 واربعين ساعة • تحركات مستمرة للقوات في شرق البحر المتوسط •

 آغسطس: صورة لفرقة الكوماندوز « ترابل » الكونة من جنود البحرية وهى تتاهب للرحيل على ظهر باخرة من الدرجية الثانية « قابيل » التي غادرت طولون في طريقها الى الشرق الاوسط • تُستاط شبديه في بورتسموت ٠ الشبياطين الحمر البريطانيسون في طريقهم الى البحر المتوسط على ظهر حاملة الطائرات تيزو ٠

صورة : الأنجليز يستعلون ، جنود كتيبة الشساة « سمرست » يجربون ارتماء الملابس المسكرية للمناطق الحارة •

٧ اغسطس : مؤتمر لاركان الحرب في طولون ٠

صورة : حاملة الطائرات بولويرك وهى تفادر ميناء بورتسموث فى اعقاب رول بريتانيا ،

٨ أغسطس : اجتماعات لاركان الحرب تبعث فيها الاجراء الخاصة بالتدخل
 الفرنسى البريطاني المتوقع ٠

لنان : اجراءات عسكرية في شرق البحر التوسط •

٩ اغسطس : الاسراع في تكوين القوات الفرنسية البريطانية الشنتركة •

 ١٠ اغسطس : البحرية الفرنسية غير مكترثة بحرب الاعصاب ، وهي على استعداد تام ٠

لثدن تعلن انها قد تضطر ازاء اتساع نطاق جهودها الحربيــة الى سحب بعض الوحدات البريطانية من الماليا •

 ١١ ـ ١٧ اغسطس : تعزيز الاستعدادات الحربية البريطائية مسستمر برغم الشائمات •

الاسر الفرنسية تفادر مصر · نحو ثلاثة آلاف امرأة وطفل سوف يرحلون آخر الاسبوع القادم، وفي حالة ازدياد التوتر سوف تنقل باخرة حربية رعايانا الباقين ·

تحدير شديد مفاجى، من الولايات المتحدة لناصر • الكونجوس يمكن أن يدعى لمقد اجتماع غير عادى في حالة وقوع عدوان • ١٣ أغسطس : طائرات وبواخر تحمل قوات الى قبرص ومالطة •

١٤ اغسطس : اسراب من الطائرات تعمل ليل نهار من بريطائيا الى شرق
 البحر للتوسط •

ومن الواضح أنّ هذا العرض للاستعدادات العسكرية سواء آكانت حقيقية أم مفتعلة كانت له اسبباب • فالهدف منه هو التأثير على ناصر والتأثير على المحريين من حوله بصفة خاصة ، وكذلك على العالم العربي •

فكل هذه الضبحة من الاستعدادات المسكرية تعتبر فى نظر اوتشك الذين يثيرونها ذات اثر سياسى بعيد ، فاذا صدقها الخصم فسوف يؤثر ذلك عليسه وعل سلوكه السياسى ، واذا لم يصدقها فسوف يساعد ذلك على مواصلة الاستعدادات الحقيقية خلف الستار ،

وتطول هذه الاستعدادات ويثير التأخير القلق ، أولا لدى الشركة العالمية التى تحس برغبة متزايدة في القتسال وتنشر بيسانا يوم ٢ اغسطس تندر فيه موظفيها بالاختياد « بين ولائهم للشركة أو التعاون مع القاهرة » وتنزعج لندن ، اذ ليس لديها من احتياطى البترول الا ما يكفى لاستهلاك ثلاثة أسسابيع وهي تحرص على أن يمر اكبر عدد ممكن من ناقلات البترول عبر القناة ما دام ذلك ممكنا ، وتتدخل باريس وتنسى الشركة هذا الانداد ،

وكان دد الفعل من جانب اسرائيل يتسم بالاعتدال ولكن مع تحديد مطلبها البحرى الاساسى ، فيعلن ايتان الذى كان حينذاك يشغل منصب مدير الششون السياسية بوزارة الخارجية يوم ٣ اغسطس : « ان الاتفاق مع مصر ئن يكون كاملا اذا لم يتم ضمان حرية الملاحة لجميع الدول بما فيها اسرائيسل » وبرغم هـلا الموقف ، المعتدل جدا، الذى اتخذته اسرائيل فانها لم تدع الى مؤقر ٢٦ اغسطس . كانت هذه الدولة قد بدأت تتلقى الاسلحة الجديدة التى ستساعدها على اتخاذ موقف اقل تحفظ في هذه الشكلة .

### ناصر يتدبر أموره:

لم تكن الضجة التي ثارت في لنه وباريس لتترك ناصر في حالة من اللامبالاة أو عدم الاكتراث ، ولكن الرئيس كان يعرف كيف يدبر أموره •

فهو من الناحية العسكرية لا يغفى عليه انه يجبان يغشى خطورة الاسلحة الفرنسية ــ البريطانية فضلا عن الخطر الاسرائيل ، ولكنه يعرف كذلك انالجيش الفرنسي مشقول جدا في الجزائر ، وانه لا بد من عقول طائشة للفاية في دوائر باريس العسكرية حتى تقبل فرنسا التحول عن ثورة الجزائر لتدهب للعبيد في مكان آخر ، وهو يعرف أيضا أن جانبا هاما من معدات الجيش البريطاني يقع تعت حراسة يقظة من جانب المصرين في منطقة القناة التي تعوى من المدات ما يكفي لتسليح اكثر من ١٨ الف جندى ، وكان يعلم أن المدد الكلي الذي يكن أن تجنده بريطانيا لمحاربته أقل من هدا الرقم ( بالنظر لل أن الانجليئز لن يستطيعوا أن يسحبوا فجاة عددا كبيرا من جنودهم الذين بعثروهم في أنصاله العالم حيث تقتفي المسالح البريطانية ذلك ) ، حقا أن هناك في قبرس ومالطة لواء من جنود المقالات بالاضافة لل كتيبتين من المشاة ( ولكن حرب العصابات كانت شديلة في قبرس ) وهناك في ليبيا فرقة منوعة ( ولكر كاملة ) وفي الاردن كتيبة مصفحه وفي بريطانيا لواء من ثلاث كتائب مخصص ( غبر كاملة ) وفي الاردن كتيبة مصفحة وفي بريطانيا لواء من ثلاث كتائب مخصص خالات الطواري، الشديدة ( وهم الجنود الذين نزلوا في مطار الجميل ) ،

والفرقة الثائدة والفرقة الاولى غير كاملتى العدد ، واخيرا فلا يزال هناك بعض في المانيا أدبع فرق غير كاملة ولكنها في سبيل اعادة تنظيمها • ثم هناك بعض الوحدات المبعثرة في أنحاء العالم ( لواءان في هونج كونج وكتيبتان في عدن وثلاث في كينيا ) • واذا كانت الكتيبة تضم ١٠٠٠ جندى واللواء ٢٠٠٠ جندى والفرقة المصفحة ١٠٠٠٠٠ جندى فاد يكون لدى

بريطانيا عدد كبير من الجنود في حين أن المخازن الضخمة للمعدات العسكرية في منطقة القناة يقوم بحراستها ٨٠٠ جندي بريطاني يرتدون الملابس المدنية ٠

ان ناصر يعرف كل ذلك ويعرف ان بريطانيا غير مستعدة برغم ذلك لدخول الحرب ، وان المسالة لا تعدو أن تكون مناورة ديلوماسية •

وهو ايضًا لم يعرف كل شيء بالتفصيل ، ذلك أن فرنسا لم تكن لديها قوات كافية لتهاجم بها • فالقرنسيون المشغولون بحرب الجزائر عن الدفاع عن ممتلكاتهم الاستعمادية والمرتبطون من ناحية اخرى بالتزاماتهم في حلف شمال الاطلنطى من أجل حماية حددوهم من الشرق لم يكن لديهم جندي مظلات واحد يمكن انزاله في أي مكان • والواقع أن جنود المظلات الفرنسيين كانوا قد أعدوا غرب الجبال وتشتتوا في أراضي الجزائر الشاسعة ، فمن اللازم تجميعهم واعادة تدريبهم على النزول الجمساعي وتزويدهم باسملحة دفاعيمة مفسادة للدبابات والصفحات • أي أن الامر يقتضي مهلة تبلغ عشرة أيام أو خمسة عشر يوما لهذا الغرض ( وقد استغرق ذلك فعلا خمسة عشر يوما ) • وهؤلاء المُطليون يجب أن توفر لهم بسرعة الاسلحة التقليدية وبخاصة الصفحات ، والا فسيقعون فورا تحت رحمة الدبابات والمدفعية المعادية • ولنقل كل ذلك يستلزم الامر لا طائرات فحسب بل سفنا كثرة أيضا يجب تدبرها واعدادها ويجب حماية سفن الفزو بمعرفة الاسطول الفرنسي • والشرط البدئي لكل ذلك هو تدمر السلاح الجوي المادي ، وهو ما يقتضي استخدامقواعد قريبة منهمزودة بأحدث العتاد والإسلحة • فالحلفاء يستطيعون أن يجمعوا في ظرف خمسة عشر يوما \_ لا قبل ذلك \_ المعاربين والاسلحة ووسائل النقل ، الا أنه لا تتهيأ لهم في هذه الملة امكانيات النقل اللازمة أو وسائل استخدام ما لديهم من معدات •

وهناك أسباب أخرى ، ففرنسا أولا ليس لديها ما يكفى من مغزون الوقود لتزج نفسها في حملة جديدة تتطلب فرقا كثيرة مع ترك البلاد تعيش في ظروف الاقتصاد التي كانت تعيش فيها في وقت السلم ، في الوقت الذي تخوض فيه أيضا حرب الجُزائر ٠ بل انها لم تكن تملك السفن الحربية التي تحتاج اليها ٠

فحاملة الطائرات « لافاييت » في أمريكا وحاملة الطائرات « ارومانش » تجرى لها اصلاحات في طولون ، وكالك الطراد « جودج ليج » وأما الطراد « دى جراس » فلم تنته تجربته بعد في مينا، بريست ، والبادجتان « جيشان » و « بوفيه » تعملان في الجزائر ،

ولم يكن الانجليز احسن حالا ، فلم يكن لديهم في مالطة سبوى الطراد « جامايكا » وحاملة طائرات ، اما حاملتا الطائرات الكلاسيكيتان الاخريان فكانتا في بريطانيا ، وكذلك جاملتا الطائرات ذواتا السطح المائل « البيون « و «سنتور» أما الطراد الاخير من أسسطول البحر المتوسط « كينيا » فانه في البحر الاحمر وسوف تبذل محاولة تمريره بالقناة في الظروف الراهنة كمظهر استفزاز يمكن أن يثير الحرب قبل الوقت المناسب ،

ولم يكن في البحر المتوسط \_ فيما عدا بعض الفواصات الروسية وبعض السن المحايدة الاسبانية والإيطالية واليونانية والتركية وغيرها \_ قوات اخرى معادية - وكانت هناك قوة تسيطر على هذا البحر هي الاسطول السادس الامريكي ولكن ناصر يرى أن لديه من الاسباب ما يكفي لكي لا يغشي منه أذى -

وفي المجال الدبلوماسي يعرف ناصر انه لا تنقصه كذلك الاوراق الرابحة ، فلديه تأييد حليفتيه العربيتين : سوريا والسعودية اللتين تتحكمان في انتاج جانب كبير من بترول الشرق الاوسسط ، وهبو يستطيع ان يعول كمذلك سد في الحدود التي اظهر تطور الاحمداث انه قدرها تقديرا سمليما ما على تاييد الاحتاد السوفييتي والدول الشيوعية ،

وكان العامل المتغير في الموضوع كله والذي ظل غير محقق هـ و موقف أمريكا ، هـذا الموقف الذي سوف يتأدجج مدفوعا بقوى متصارضة • أن الامر لا ينحصر فقط فى التعارض بين التزامات امريكا فى نطاق حلف شمال الاطلنطى وبين ميلها الى جانب العرب ، ولكن كان لدى الولايات المتحددة كذلك خطـة استراتيجية سوف تغرج الى النور فى اللحظة الحاسمة .

كان الحلفاء يعدون السلاح ، ولكى يقتلوا الوقت اخلوا يجرون محادثات في لندن ·

لقد استبعد الاسرائيليون من مؤتمر لندن ، وتكنهم اخدوا يعززون انفسهم بترديد آخر قصة طريفة لديهم ، لقد قابل ناصر هتلر ؛

وكانت هذه القصة حقيقية ٠ ففى اغسطس وفى مطاد اللد ادتفع مكبر ٠ الصوت مناديا السافرين ، وسمع اسم البرت هتلر الامريكى ذى الاصل الالمانى يسبق مباشرة اسم روبين ناصر الايرانى الاصل ٠

وبدا كما أو كان هتلر قد تعمد أن يقابل ناصر فعلا !

# الفصن ل الشامين

# المؤغر

فى يوم ١٦ أغسطس ١٩٥٦ استقبلت لنسدن بسمه داكنة معطرة فى دار لانكاستر هاوس ، مندوبى الدول الانتين والمشرين التى قبلت حضور المؤتمر الذى سيبحث أزمة القناة ، ولم تستطيع مصر الحضور ، كما تخلفت اليونان . وهناك خلف جدران تلك الدار حيث كل شى، يعيد للاذهان ماضى بريطانيا الاستعمارى الحافل أعدت فى الرواق الطويل مناضد وضعت جنبا الى جنب على شكل مستطيل غطى ببساط أزرق يتناسب مع لون القاعة .

وكان للاناقة نصيبها • كريستيان بينو يصل في سحيارة روازرويس ، وعلى بعضي ردوس الوفد الامريكي وضعت قبعات سحوداء أنيقة تحوظها شرائط عريضة ذات لون بنفسجي ، ولبست عدام بانديت سفيرة الهند ساريا بنفسجيا جميلا • وتجمعت الوفود ، هناك في أحد الاركان كريستيان بينو ومساعده لويس جوكس ، وفي الوسسط انطوني ايدن والى يسساره سسلوين لويسة يلقى كلمته الافتتاحية ، والى يميز ايدن جلس وفد الروس ويليهم مباشرة الوفد الامريكي • وحول هؤلاء جميعا كان يقف خبراء ومساعدون لا يجدون مكانا لهم ، ولا يحتاج الامر البهم الا في أعمال اللجان ويستمعون في ملل خطبا يعرفون مقدما

انه منظر اشبه بعفل عائلة أو باجتماع لتوزيع الجوائز ، ولكنه في الواقع اجتماع يريد شخص حانق موتور أن يجعل منه مجلس تاديب ، وكان كريستيان

بينو هو الذي يقوم بهذا الدور الانتقامي بحمساس لا يستطيع المرء معرفة ما اذا كان طبيعيا أو أنه يضم قناعا فقط ليؤدي دورا يحفظه جيداً •

والواقع ان كريستيان بينو رأى بمجرد نزوله من الطائرة انه من اللازم التأثير على اتجاه الاجتماعات المنتظرة • فابدى اسفه على تخلف مصر ، وقال أن المتهم ينبغى عليه أن يدافع عن نفسه •

وكان يشير بهذا الى أنه لم يعضر الى لندن لاجراء مفاوضات وانما حضر كمدع وقاض ، وانه لا ينظر الى المؤتمر كوسيلة للوصول الى اتفاق وانما كجلسة معكمة سوف تفرض حكمها حتما على ناصر .

وهكذا كان بينو يرد مقدما على خطاب دالاس الذي كان من المتوقع أن يحاول فيه توجيه الدول المعود الى البحث عن حل سلمي عادل • والواقع أن واششطن لم تتخل عن الاعراب عن وجهة نظرها مقدما •

### استعداد أمريكي 4

ظلت السياسة الامريكية تسادجج تبعا لانواع الفقوط المتناقضة التي كانت تتعرض لها ، فتارة تعد بتاييد الشروعات الحربية الفرنسية و الريقانية ، وتارة آخرى تجدد تاييدها لناص ، وقد داينا يوم ٨ أغسطس ايزنهاور و بعد أن ضيق عليه الخناق مراسل وكالة رويتر البريطانية و يصرح في شيء من الحيرة بانه وان كان لا يزال يؤيد حل المسكلة بالمفاوضات فانه لا يعارض في استخدام القوة في ظروف معينة ، وهو ما يمثل مضمون الوعود التي قدمها دالاس في لندن ، فايزنهاور كان « يغطى » اذن دالاس ، ورضع هو ودالاس الستشاريهما على ضرورة حل المسكلة بالمفاوضات ،

وقد تم يوم ١٢ أغسطس تعديد الموقف الذي ازهمت الولايات التحدة اتخاذه في مؤتمر الاثنتين والمشرين دولة ، وذلك في خلال اجتماع ضم كباد

المسئولين عن السياسة الامريكية والزعماء السياسيين للسكونجرس و ولما كان الامر يتعلق برسم خط سلوك يمكن أن يجر اللولة الى حرب عالمية ثالثة ، فقد حرص المسئولون على أن يدعوا لهذا الاجتماع زعماء الحزبين، الجمهورى والليقراطى الملاين كانا من ناحية أخرى يخوضان معركة سافرة بمناسبة انتخابات الرياسة المقرر اجراؤها في اكتوبر و وفي الوقت الذي بدأ فيه هذا الاجتماع كان ناصر قد اعلن رفضه الاشتراك في مؤتمر لئدن ، وهسذا يؤدى ألى تجريد المؤتمر من موضوعه الاساسي – أى المفاوضات – ليجعل منه ما كان الفرنسيون والبريطانيون يريونه له ، وهو توجيه انذار الى ناصر ، ولم تكن خطورة ذلك تفوت أيزنهاور الذي اقتتح الاجتماع مصرحا بأنه ليس ثهة أي ضمان بشأن الوصول الى تسوية عليه أن يطير الى تندن في بداية أغسطس لأن الانجليز والفرنسيين كانوا على عليه أن يطير الى تندن في بداية أغسطس لأن الانجليز والفرنسيين كانوا على وشك الهجوم على مصر وأنه لقى مشقة كبيرة في اقناعهم بالموافقة على عقد المؤتمر ولم يستطع كبح جماحهم الا بتحديرهم بأن الانتجاء المتسرع الى استخدام القدوة سوف يثير عليهم غضب الرأى العام العالى وبصفة خاصة الرأى العام في الولايات التحدة ،

بعد ذلك وجه زعماء الكونجرس الاسئلة الى دالاس وأيزنهاود ، وقد دوى الحواد الذي داد في هذا الشان أحد الساعدين القربين لايزنهاود وهو شيرمان آدهز :

 س: عند اية درجة عن الاستغزاز سيجد الفرنسيون والانجليز أنفسهم مضطرين الى الهجوم على عصر ؟

دالاس : انهم يقدرون أنهم وصلوا اليها فعلا ٠

س: هل قال ناصر انه سيغلق القناة ؟

ايزنهاور : لا ، ولكن الانجليز والفرنسيين لا يصدقونه في شيء ، وهــلـم هي الشكلة ! ويستمع الخاضرون بعد ذلك الى بيان عن الاجراءات المتخلة لحسلاج النقص المحتمل في البترول ، وقد أعلنت هذه الاجراءات في اليوم التالى : زيادة الانتاج الامريكي ، واستخدام طرق جديدة لناقلات البترول ، وبنساء ناقلات ضخمة ، واستخدام البطاقات ، وكان يبدو بدون أن يريد أحد الاعتراف بذلك بدان نقص البترول في أوروبا يمكن أن يهيى، فرصة طيبة جدا للصناعة الامريكية ،

وعقب هذا الاجتماع اذاع البيت الأبيض بيانا اعلن فيه أن دليس الجمهودية اجتمع بوزير الخارجية وزعماء البرلمان، وأن مؤتمر لندن الذى وافقت على الاشتراك فيه النتان وعشرون دولة من أدبع وعشرين سوف يهيىء فرصة للوصول الى حل سلمى وعادل •

وينوه البيان في موضع آخر « بالصعوبة القائمة في الوصول الى حل بناء » ثم يؤكد مرة ثانية الحاجة الى حل سلمي عادل •

وفي اليوم التالى - ١٣ اغسطس - اجرى دالاس معادثات عم السئولين العسكريين ، وهم وزير الدفاع شادل ولسون ، والاميرال داد فودد دئيس أدكان الحرب الشتركة - من رجال البحرية - والجنرال جرونتز القائد الاعل لقوات الحلفاء في اوروبا ، ونشرت وزارة الخارجية من جانبها بيانا نفت فيه وجود خلافات في وجهات النظر بين الحلفاء الثلاثة بشان الوسائل التي تكفل تدويل قناة السويس، وهذا اسلوب فطين لتذكير الفرنسيين والبريطانيين بموقف الولايات المتحدة ، وكذلك لتوجيه نظرهم الى تعهداتهم التي اعلنوها في اول اغسطس في لندن ، وكما فعل ايدن بتذكير ايز نهاور في الثامن من أغسطس بتعهداته التي وعد فيها بعدم الوقوف في وجههم في حالة فشل المفاوضات ، فكذلك بادرت واشسنطن بدورها بتذكير المرنسيين والبريطانيين بتعهداتهم ، وهي عقيد اجتماع حقيقي بحراها بتذكير المرنسيين والبريطانيين بتعهداتهم ، وهي عقيد اجتماع حقيقي يستشف من خطاب ايدن الذي القاء يوم ٨ اغسطس ،

على أن التحذير ترك أثره لأن البريطانيين والفرنسيين عرضوا في اليـوم التالى ــ ١٤ أغسطس ــ أمام برلمانهم خطة ادارة دولية للقناة قريبة الى حد بعيد من المسروع الامريكي •

# اتفاق فرنسا وبريطانيا:

وقد فعلت حكومة لندن ذلك دون تبرم لان عرض هذه الخطة عزز موقفها في وجه المارضة التي كانت تزداد حدة كلما مرت الايام • واخق أنه بنت أول بوادر سبخط الممال يوم ٨ اغسطس ، وهو اليوم الذي ألقي فيه اينن خطابه وعقد فيه ايزنهاور مؤتمره الصحفي • وكانت الوزارة نفسها هي التي حددت موقفها هيه ايزنهاور مؤتمره الصحفي • وكانت الوزارة نفسها هي التي حددت موقفها المريطانية التمهيدي لمؤتمر الاثنتين والعشرين دولة • ومع ذلك فان موقف كبار زعماء العمال وبصفة خاصة جيتسكل لم يكن يبدو مجردا من الغموض • فقد كبار كانوا يوجدون انطباعا يانهم يحتجون من غيرجرج بقدر ما يعرفون أن حرية الممل مكفولة لاينن بفضل غالبية من المحافظين • ولا يعرف المرء ما اذا كانت محادثاتهم مع اينن يوم ١٤ أغسطس قد دفعته الى تأخير أو تأجيل الاستعدادات العسكرية التي كانت تجرى اذ ذاك في رباطة جاش للقيام بمفامرة تدور خلالها معارك مفجعة قول على جي موليه في خلال المحادثات السية التي اجرياها معا في حوال ١٥ أغسطس على ما يبدوه في احدى قوى شمال فرنسا •

واذا كان على المستولين البريطانيين أن يستجيبوا مع ذلك للمعارضة في بلادهم وربما لضميرهم تجاه ميثاق الامم المتحدة الذي كانوا هم اول العاملين على دعمه ، فإن الحكومة الله تسية من جانبها لم تكن تواجه مثل هذه العقبات او تهتم بصوت الضمير ، كانت فرنسا كلها تقف من خلفي ... هكذا قال جي موليه فيما بعد ... وكان هذا حقيقة ، ولكن بقى أن نعرف الى أي حد كانت البلاد مستعدة للوقوف خلف حكومتها ، فالرجل الفرنسي المتوسط في ذلك الصيف من عام بالتأكيد للقضاء على ناصر ما لم يكن عليه هو أن يهجم على بورسعيد • وله بعض بالتأكيد للقضاء على ناصر ما لم يكن عليه هو أن يهجم على بورسعيد • وله بعض الاعداد ، فوسيلته للعمل السياسي انما هي تذكرة انتخاب كل أدبع سنوات في غالبية الاحوال • أن هـــلا الفرنسي المتوسط ، ما أن تعلن له المصحف والاذاعة ووزير الخارجية ووزير اللفاع ودئيس الوزارة أنه يكفى القضاء على ناصر ــ وهذا أمر يعتبر على أي حال أقل خطورة من مواجهة الجيش الالماني ــ لكي ترتفع اسعاد البورصة وتختفي الفرائب وتظل الجزائر فرنسية حتى يضع ثقته في زعمائه •

ما أن يقال ذلك حتى تتمادى الدوائر السياسسية في التعصب والحساس الوطنى ، ومثل هذا الموقف مربح وسهل وشعبى في بلد لا يمكن التاكد فيه من حقيقة هؤلاء الذين يزعمون أنهم يدافعون عن الشعب ، وهو بصفة خاصة موقف مربح للذهن ولا يتطلب عناء التفكير ، على أن أكثر ما يثير الدهشة هو رد الفعل من جانب السادة المفكرين من البورجوازية الفرنسية تجاه وضوح الموقف الامريكي الثير ، فهم لا يفكرون في أي وقت في أن يحيطوا قراءهم بموقف واشنطن وان يستخلصوا من هذا الموقف ما ينبغي من النتاثيج مهما تكن هذه النتائج سيئة ، يعرى في نظر هؤلاء المفكرين السياسيين كما لو كان ثمة اتعاد بين المصالح الامريكية والفرنسية ، وأن واشنطن – بطبيعة الحال بسبب السلاجة ويكتب تيرى مولينييه « أستطيع أن أقول أنهم مخطئون أولئك الذين يحملون في الاولايات المتحدة وغيرها بأن يفرضوا علينا تسوية » ( صحيفة فيجارو ١٦ أفولايات المتحدة وغيرها بأن يفرضوا علينا تسوية » ( صحيفة فيجارو ١٦ أغسطس ١٩٩٠) ويقول ريمون أدون كذرا « يجب أن يفهم المسئولون الامريكيون أن الهزيمة المؤنسية – الانجليزية سوف تكون هزيمة لهم » .

ومها ينعو الى الاسف أن كل ذلك كان بالنسبة للامريكان مجرد هراه ردت عليه سلفا صحيفة نيويورك تايمز يوم ٤ أغسطس بقولها : « أن الولايات المتحدة لن تخاطر بالدخول حتى في حرب صفرة » . وعها يكن من أمر فقد استمع مجلس الوزراء الأرنسي يوم 12 أغسطس الى بيان من كريستيان بينو الذي ظفر بموافقة على مشروعه الذي ينبغى أن يعرضه المسئولون الفرنسيون في لنسن متضمنا انشساء ادارة دورية للقنساة ، على أن تتوفى هذه الادارة الشركة العالمية التي استولى عليها ناصر • وكانت حكومة باديس هي الوحيدة من بين الاثنتين والعشرين حكومة المثلة في لندن التي لاتزال تعنى بمصالح الشركة • اما بالنسبة لباقي الحكومات فالمسألة واضحة ، فسوف يحصل المساهمون على التعويضات التي وعد بها ناصر ، وفي يعد للشركة الا ان تلتزم الصمت •

### الشركة تبدي استياءها:

ولكن الشركة لا تقبل ذلك و فقد راينا مديريها يكافعون طوال الاسبوعين السبابقين ، وكان جورج بيكو يعقد مؤتمرات صحفية يفند فيها المزاعم المعربة نقطة نقطة » وقد استقبل سلوين لويد في لندن فرانسوا شارل رو رئيس الشركة ، وقابل جورج بيكو مدير الشركة كريستيان بينو وزير الخارجية عدة مرات و ولقد اصدرت الشركة أمرا الى موظفيها بالتوقف عن العمل ولكنها سحبت هذا الامر على ان مصر اعلنت يوم ١٣ اغسطس أن الوظفين الاجانب في الشركة يستطيعون مفادرة البلاد اذا ارادوا ، على الرغم من أنها كانت ستصادف مشقة كبية حينداك في ادارة القناة اذا أصرت على ذلك و

وفى باريس لم يعد مديرو شركة القناة سنتطيعون خداع انفسهم: فلاشى، سوى تدخل عسكرى ناجح يمكن أن يعيدهم الى وضعهم الذى كانوا عليه قبل يوم ٢٦ يولية ، لذلك لجا هؤلاء الى اجراء غريب • فكتب رئيس الشركة العالمية الى رئيس مؤتمر الافتتي والعشرين بلندن يقترح وضع الاختصاص التكتيكى للشركة في تشغيل القناة تحت اشراف هيئة دائمة للرقابة السياسية على القناة تحت اشراف هيئة دائمة للرقابة السياسية على القناة تحت اشراف هيئة دائمة للرقابة السياسية على القناة

ولكن لسوء اخظ كانت اختمات البريدية في لندن في شهر اغسطس سيئة ولم يصل خطاب شارل رو - الذي كتب يوم ١٤ وأرسل يوم ٢١ أغسطس الى وزير خارجية بريطانيا وقد انتخب رئيسا للمؤتمر - صبيحة يوم انعقاد المؤتمر ، ولكن وصل اليه يوم ٢١ أغسطس أي في الوقت الذي حررت فيه قرادات المؤتمر ، التي لم يعلن أي قرار منها بصعبر الشركة • وقد رد سلوين لويد على الفود على شارل رو فقال أنه يقدر الروح التي أملت هذا الخطاب وابلغ فورا لجميع الوفود •

وهكذا كان جورج بيكو يتابع بقلق ـ وهو في باديس عن طريق اعفساء الوفد الفرنسي ـ اعمال المؤتمر ٠

### التكتيك المضاد للغرب:

ومن ناحية آخرى سلم سفيرا فرنسا وبريطانيا في الاتحاد السوفييتي الى شبيلوف يوم ٧ اغسطس نص مدكرة لندن • وبعد يومين اى في التاسع من اغسطس حدد الاتحاد السوفييتي موقفه ، فهو يوافق عل حضور المؤتمر ولكنه يطلب أن يؤجل الى آخر اغسطس وأن تدعي البه النتان وعشرون دولة أخرى من بينها الصين الشيوعية • وأخيرا يرى الاتحاد السوفييتي أن اجرامات بريطانيا وفرنسا المسكرية يمكن قبولها وأنها تشكل تحديا للسلام •

وفي ١١ اعسطس رفضت بريطانيا هَذَّه الطلبات ٠

حينداك \_ وحينداك فقط \_ حسد ناصر الدي خل رده متوقعا طيلة الايام السابقة ، موقفه • وطلب هو الاخر ، كما فعل الاتحاد السوفييتى ، عقد مؤتمر آخر أوسع نطاقا في بلد آخر • وبعث الرئيس الى لندن بكير مستشساريه على صبرى وخول له سلطة التفاوض وراء الكواليس • وفى الوقت نفسه ظل ناصر حريصا على احاطة الامم المتحدة باعماله وحركاته ، ففى يوم ١٣٧ اغسطس سلم مندوبه إلى السكرتير العام نسخة من تضريح ١٧ اغسطس •

وهكذا يتضح أن ناصر يعدد موقفه وفقا لتكنيك السوفييت، ولكنه في الوقت نفسه يستفيد بتاييد ... يشبه في بعض الاحيان نوعا من الضغط ... من جانب المنظمات العربية الشعبية أو الريفية • ففي أول أغسطس نجل المؤتمر الدائم لممال معم ، وفي ٢ أغسطس المؤتمر التعاوني العام بحمر ، يطالبان بالتعبئة المعامة لجهودهما • ثم نقابة انتحامين ونقابة الصحفيين والمنظمات الطلابية وحتى عمال الموانى وعمال ومستخدمي النقل السام ، كلهم يعمدون الى الاحتجاج أو المعارضة • وفي ٥ أغسطس أرسل ألفان وخمسمائة من النساء الى ناصر رسالة كتبت بنمائهن •

وقد نظم اضراب عام من منتصف الليل يوم ١٥ أغسطس حتى منتصف ليل ١٦ أغسطس في القاهرة ومصر كلها ، ونفذ الاضراب على نطاق واسع في الدول العربية الاخرى في الشرق الاوسط ٠

واعربت النظمات الدينية عن مساندتها للحركة ولسياسة الحكومة بالتاييد الملتى ، بل باعلان الحرب القدسة ٠

وفى ١٤ أغسطس وجهت الجالية اليهودية بمصر الى الرئيس هذه الرسالة « ان يهود مصر يعلنون من جديد تضامنهم التام مع الشعب المصرى الذي يكونون حجوا لا ينفصل منه ، وكذلك مع سيادتكم فى نضالكم من أجل تحقيق الامانى الوظنية • وانا ندعو الله أن يكلا مصر برعايته وأن يكتب لكم النجاح من أجل خر الوطن المزيز » • ان كل شيء يبدو مهينا ــ وهو فعلا كذلك ــ وشعر ناصر بأنه يستند إلى قوة شعبية ضبخية إنساعك على توجيه سياسته المعالية •

### مسألة اجراءات:

وفى لندن ، وبعد الكلمة الافتتاحية القميرة التي القاها ايدن في مؤتمسر الالنتين والعشرين دولة يوم ١٦ اغسطس أثرت مسألة وضع نظام للتصويت فكان الفرنسيون والبريطانيون يريدون اقرار الاجراءات المتبعة في الامم المتحدة، في حين كان الاتحاد السوفييتي والهند يعارضان ذلك • على ان شبيلوف كان يرى ان غياب مصر يدفع بالبطلان مقدما أي قرار يتغذه المؤتس الذي كان له في رايه طابع تمهيدي • وهو ما كان يؤدي الى عدم جدوى اختيار نظام للتصويت •

وكان يمكن اذن أن نغشى منذ البداية أن يتبع الاتحاد السوفييتى تكتيكا تعويقيا قد يؤدى الى استمراد انعقاد المؤتمر عدة أسابيع دون أن يقرد شيئا فى النهاية • لذلك قرر سلوين لويد ــ وقد انتخب رئيسا للمؤتمر ــ تأجيل بحث هذه المسالة والبدء فودا فى مناقشة الموضوع •

# الرأى الأمريكي:

كان أبرز ما في جلسه بعد الظهر خطاب فوستر دالاس ، وكانت نقطه البداية فيه أن العدالم أجمع - بما فيه مصر - يؤيد تسدوية دولية للمشكلة • فما هي الخصائص المكنة لهذه التسدوية ؟ أن حلا مقبولا وسليما يجب - كما يرى وزير الخارجية - أن يسند مسئولية ادارة القناة الي مجلس دولي ينشا بمعاهدة ، ويلحق بالامم المتحدة ، وأن يؤكد حق مصر في الايرادات • مع مراعاة جميع سلطاتها الشروعة وسيادتها ، وأن يقرد تعويضا عادلا للشركة العالمية ، وأن يعهد أخيرا الى لجنة تحكيم تعينها محكمة العدل الدولية بتسوية كل الخلافات التي يمكن أن تنشأ بشأن تعويض الشركة العالمية وحق مصر في نصيب عادل من الايرادات ويؤكد دالاس وجوب احترام السيادة المصرية التي لم تمسها اتفاقيسة ١٨٨٨

واذا تفحصنا خطاب دالاس فيمجموعه نجد أنه أكثر ميلا الى الروح السلبية منه إلى المقترحات البناءة ، اذ تغلل هذه الاخيرة مبهمة كما كان يريدها : مجلس دولى ، ولجنة تحكيم • ويقول وزير الخارجية ـ على العكس ـ انه لم يعد يريد أن يسمع كلاما عن الشركة العالمية التي يجب أن تعوض ( وهو ما عرضه ناصر ) والتي يابى عليها أى اشتراك لاحق فى ادارة القناة • وهو يؤكد تهسكه باتفاقية سنة 

١٩٨٨ ( التي لم توقعها الولايات المتحدة ) كى تجنب ما يمكن أن يثيره عقد معاهدة 

جديدة من مطالبات بشأن تجديد اتفاقيات اخرى ، كاتفاقية قناة بناما • وهده 
نقطة الضعف حقا ، فاذا كان وزير الحارجية الامريكية يتهسك بعاهدة عام ١٩٨٨ 
فلن يكون الوتمر للدن تأثير عل الولايات المتحدة ، ولكنها اذا ادادت الاشتراك في 
معاهدة جديدة فإن هلا يعنى اقرادها بهشروعية المطالبة بتعديل معاهدة فنسأة 

بتاما • ولم تخف نقطة الضعف هذه على الروس الذين وجدوا متمة ماكرة في 
الاشادة اليها في خطبهم • وكان حرصهم في الدوران حول هذه المشكلة وما ابدوه 

في جلاء انهم يستطيعون اثارتها ــ ولكنهم لا يريدون ــ بشكل طوال ذلك الوقت 

وسبلة للضغط على الوفد الامريكي •

كان هناك توافق غريب ، ففي حين كان دالاس يتكلم كان سفير بناما في لنعن يقدم لوزارة الخارجية البريطانية مذكرة تبدى فيها حكومته دهشتها لعدم . دعوتها للاشتراك في مؤتمر لندن، ثم يتحدث مع سفير مصر عن بعض أوجه الشبه الاساسية بين مشاكل مصر ومشاكل بناما •

وفى لانكاستر هاوس خصص الشطر الاخير من جلسة بعد ظهر يوم ١٦ أغسطس لكلمات الوفود الإيطالية والسويدية والبرتفالية التي أعربت عما كان يبدو حيثاك أنه داى الفرب ٠

وفى اليوم التال تحدث عمثلو عشر دول: الدانمادك ، وايران ، واليابان ، واليابان ، واليابان ، واليابان ، واليابان ، واليوني ، وتركيا ، وأسبانيا ، ونيوزبلندا ، والمانيا الفربية واعقبهم كريستيان بينو ، وديمترى شبيلوف ، واعلن بينو تاييده لانشاه هيئة دولية لا للوقاية ولكن للادارة ، غير أنه لم يعدد بدقة معايير الرقابة أو الادارة ، فهو يعلن مثلا أن هذه الهيئة سوف تعدد قيمة رسوم المرور ، ولسكن الا يعنى ذلك أنه تجساوز نطاق الادارة الى نطاق الوقاية ؟ وهو أذ يضيف أن رسوم المرور هذه يجب أن تعدد دون الكثير من الارباح وأن الايرادات سوف تخصص للشركة العالمية منة الني

عشر عاما بصفة تعويض ، فانه لا يحدد نوع الايرادات التي يشير اليها ما لم تكن هناك ايرادات ، على حد قوله ، باعتبار أن القناة ستستفل بأسعار التكلفة ·

وان المرء ليشعر بالدوار اذا حاول فهم هذه العبارات الدبلوماسية !

# تعذيرات سوفييتية:

وبعد كريستيان بينو جاء دود ديمترى شبيلوف اللى كان خطابه منتظرا ، بفارغ الصبر ، فالوزير السوفييتى كان يعضر للمرة الاولى مؤتمرا دوليا كبيرا ، واذا كان قد آثار دهشة الوفود فان ذلك يرجع الى هسدوته واعتماله ، وفنسد شبيلوف معظم الحجج التى ساقها في فرنسا وبريطانيا انصار سياسة القوة ،

وخلص من ذلك الى اسعاء النصح بلهجة ابوية تشوبها احيانا سعفرية مستترة ، فعين قال شبيلوف و فلندكر بعض المثلة مستمدة من الواقع في مختلف الدول بشأن تاميم شركات تستثمر رأس مال اجنبيا » كانت الامثلة الثلاثة التي ساقها تغص نقط فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ، فهو يقول سنة ١٩٤٦ أممت فرنسا شركات الفاز والكهرباء وكان بين مساهمي هذه الشركات سال جانب الاشخاص الطبيعيين والمعنويين الفرنسيين به أشخاص طبيعيون ومعنويون يوو جنسيات انجليزية وبلجيكية وسويسرية، وقد اعترفت بهذا التاميم حكومات بريطانيا وسويسرا وبلجيكا التي عقدت اتفاقا مع فرنسا بشأن اجراءات تمويف الساهمين ، ثم يذكر شبيلوف أن وضعا مشابها ثار في سنة ١٩٤٦ – ١٩٩٧ حين آممت الحكومة البريطانية صناعات الفحم والحديد والكهرباء ، ويذكر كذلك عبن المحكومة البريطانية صناعات الفحم والحديد والكهرباء ، ويذكر كذلك الامكية المتربكية عترف وطالبت فقط بتمويض فودي مناسب وكتب وزير خارجيتها « أن حكومة الولايات المتجدة تمترف بحق دولة ذات سيادة في نزع ملكية الادوال لأسباب تتصل بسيادة المولة ، »

اما فيما يتعلق بالوظيفة الدولية لشركة قناة السويس فيى شبيلوف انه اذا اعترفنا بهذه الصفة فائه يجب أن نعتبر أن أية مؤسسة تلملاحة البحرية وكل شركة للخطوط البحرية تكفل الاتصال بن الدول شركة دولية أيضاً •

ان الطابع الدولي لقناة السويس ينبثق في رايه من اتفاقية سنة ١٨٨٨ التي تعترف بها مصر التي احترمت نصوصها بلغة شديدة ٠

ووجه الوژیر ــ اذ تذکر ما قاله اینن خروشوف وبوجانین من آن بریطانیا سوف تقاتل لتکفل تمویلها بالبترول ــ هذا التحدیر لایدن بصغة خاصة « لقد ولی نهائیا ذلك الوقت الذی كانت فیه بعض الدول تامر وتحكم فی العالم وهی تفا باقدامها الحلول وتسخر من مصالح الدول الاخری » •

واخيرا يوجه شبيلوف تعديرات ذات طابع عسكرى فيقول: ليس سرا على احد أن بعض دوائر بريطانيا وفرنسا تهدد باستخدام القوة ضد مصر ، وهدا هو الفرض الذي تجرى من أجله استعدادات عسكرية ـ معروفة للمالم أجمع سق بريطانيا وفرنسا ، أن محاولات فرض مشروعات من هذا القبيل على مصر بالقوة سوف يعنى انتهاك السلام في الشرق الادنى والاوسط ، ومن الواضح أن هذا من الممكن الا يقتصر على صراع معلى ينحصر في منطقة قناة السويس ، فقد يمكن أن يتحول الى صراع واسع النطاق يمتد على منطقة الشرق الادنى والاوسط ودبما الى المعد من ذلك ، فهل ستفسد بريطانيا من ذلك شسيئا ؟ هل ستكسب كثيرا اذا تعرضت مصاغها الكثرة للخطر في هذه المنطقة ؟

وفرنسا ، واقتصادها وسكانها ، هل ستفيد شيئا من اجراءات من هدا القبيل ؟

ويذكر شبيلوف اولئك الدين يشككون في رغبة ناصر أو مقدرته على احترام اتفاقية عام ١٨٨٨ في الوقت الذي لا يتورعون فيه هم انفسهم عن انتهاك نص الاتفاقية • فان اتفاقية عام ١٨٨٨ تقرر أن قناة السويس يجب ألا تكون مطلقا مسرحا لعملنات عسكرية •

وبعد عرض هذه التشكلات واعلان هذه التحديرات عاد الوزير الروسي الى المقترحات التي أعلنها الاتحاد السوفييتي يوم ٨ أغسطس وهي : دعوة مؤتمر دول واسع النطاق من أجلعقد اتفاق جديد، أو اتفاق مكمل لاتفاقية القسطنطينية المقددة عام ١٨٨٨ ٠

وبعد أن انتهى شبيلوف من خطابه عرض مادتن ارناجو وزير اخارجية الاسباني ــ الذى ينتهج منذ سنوات كثيرة بمباركة الفاتيكان سياسة مواليسة للعرب ووقع بعد ستة شهور ضحية غير مباشرة لهذه الازمة ــ مشروعا يبعد في مظهره عن المقترحات الامريكية بقدر ما يبعد عن المقترحات السوفييتية ، فهو يعارض انشاء هيئة ادارة دولية وانها يقترح اشراك ممثل الدول المنتفعة بالقناة في مجلس ادارة الشركة المصرية الجديدة واحالة المسائل المتنازع عليها الى لجنسة ولخالة ال

وفي ١٨ المسطس ... ولم تستطع دول الشرق الاوسيط التقيمة الى حلف بغداد ودول حلف كولومبيا الحيادي ان تبدى وجهة نظرها ... اتفقت دول الغرب الثلاث على بيان من ناحية المبدأ يؤيد انشاء هيئة دولية تكفل الرقابة والادادة للقناة .

وبعد قليل اعلن سلويد أويد أنه يوافق على المبادئ الترحدها فوستر دالاس يوم ١٦ أغسطس وانه يرفض مقترحات شبيلوف بعقد مؤتمر أوسم نطاقا • وهكذا حرصت الحكومة البريطانية على أيفساح أن المؤتمر ما بالنسبة لها ما قد انتهى ، فقد حددت دول الفرب الثلاثموقفا موحدا يعارض الاقتراح السوفييتي •

#### مناورات أفرو آسيوية:

لم يكن من المكن مع ذلك انها، المؤتمر دون الاستماع الى وجهة نظر الدول الافرو آسسيوية التى دعيت اليه ولزمت الصمت فيه حتى ذلك الوقت ، ان أحدا لم يرد حين عرض سلوين لويد بعد ظهر يوم السبت ( وكان اليوم الثالث المؤتمر والساعة الثالثة والنصف والمطر يسقط في اتخارج ) وهو يلتفت نعو أولئك الذين لم يبدوا رايهم بعد م من يطلب الكلام ؟ » ويشعر الوذير البريطاني ازاد ذلك بعسم ارتياح • وبدا الصمت الذي اسستقبل به حديثه أمرا مثيرا ، فاضاف بلهجة مدرس يخاطب فصلا يضسم تلاميد كسالى : ترفع الجلسسة ، الاجتماع القادم يوم الاثنين ، حاولوا أن تفكروا في خلال عطلة نهاية الاسبوع !

كان التلاميذ ينتظرون فعلا بفادغ صبر انتهاء الدرس والصراف المدرس كانما ليزيحوا عن انفسهم حملا لقيلا ، وكان ذلك الاحد يوم محاولات توفيق ووعود ومساومات ، فمن ناحية كان مناك كريشنا ميثون المتدوب الهندى اللى قام بسلسلة من الاجتماعات والمناقشات ، ومن ناحية اخرى كان فوستر دالاس مشقولا بأن يجمع حوله بعض الدول الآسيوية أو الافريقية كى لا يكون وحده في صحية الاستعماريين ،

وفي صباح الاثنين كان معروفا ان تلك الجبهة العربية ــ الآسيوية التي كان يخشاها ، غير قائمة • بقيت اذن دول حلف كولومبو المحاينة التي ينتظر ان تصوت مع روسيا ، وكلئك دول حلف بغداد ( باكستان وتركيا وايران ) التي يمكن بغضل تعديلات طفيفة أن تؤيد الشروع المددى لمصر • ويحصل ايدن من مجلس وزرائه على موافقة على فكرة قبول التعديلات التي تطلب دول حلف بغداد ادخالها •

ويقر الشروعان \_ الفربي والهندي على السواء \_ فكرة كدويل القناة ولكن الاول يفصل بين مسالة ادارة القناة ومسالة ملكيتها ، في حين يحتفظ الثاني لمس بالسبادة على القناة وادارتها مع تقرير رقابة دولية • واذا اردنا أن نلمس بعزيد من الوضوح الاختلاف بين الشروعين يمكن آن نسوق القارتة التالية : الوزير الهندى مينون يقول للمصريين « ائتم اصحاب القناة ، تولوا ادارتها كما تريدون على شرط أن يكون ذلك لمسلحة الجميع وأن تتحقق الرقابة الدوليسة من انكم تتصرفون هكذا على نحو مرض » •

اما دالاس فائه على الغكس يقوّل لهم « اثنم اصحاب القناة ٬ ولكنكم غير قادرين عل ادارتها لذلك فستؤجرتها .. نفسها ... الى شركة دولية تتولى ادارتها بفاعلية وتدفع لكم جرّما من الارباح » ٠

وقصادى القول أن مينون وشبيلوف يريدان اعادة القناة الى مصر فى حين يريد دالاس انشاء شركة جديدة للقناة تحل محل الشركة القديمة ( ما دام تكلم عن تعويض هذه الشركة ) ولما كان هو الذي ينظم الشركة الجديدة فسوف يكون للنفوذ الامريكي فيها السيطرة بالطبع .

ويصوت الفرنسيون والبريطانيون بقلب موجع على الماء الشركة القديمة لتعل معلها هيئة جديدة يكون للامريكان فيها الكلمة العليا • ومع ذلك فان هذا المؤتمر وكل ما يمكن أن يقرره لهو بالنسبة لهم ، لانهم كانوا يعرفون حينذاك أن العسكرى الفرنسي سد البريطاني ( بدون اسرائيل ) سوف يتفذ في فجر يوم ١٥ سبتمبر في منطقة الاسكتادية • ولا شيء سوى ذلك يهمهم !

وقد كتب أحد المراقبين ( جان فادان في صحيفة بادى ماتش بتاريخ اول سبتمبر ) ان كل شيء يجرى وكان السئولين يتمنون عدم الوصول الى تسوية مع ناصر ، وكان المؤتمر مجرد سيناديو ، وكانه لا يخدم الاغرضين : كسب الوقت للمسكريين لاجراء استعداداتهم ومتح ساسة القرب التاييب المنوى اللازم اذ يجمعون جولهم اكبر عدد من مختلف الدول ، ان الانجليز يبدون لاهين مفسحين بذلك مجالا لادراك أن المؤتمر الحقيقي انها هو مؤتمر الجنرالات والاميرالات المذي يعمل خلف الكواليس ،

« قناة السويس ؟ الحقيقة أن الامر لم يكن يتعلق كثيرا بالقناة • فالحرب لن تشن من أجل القناة التي من المقرد أن تعود لمسر بعد ثلاث عشرة سنة • ان العمل المسكري لا يمكن تسويته الا كمقاب للدول العربية بسبب وقاحتها • ان المسالة بالنسبة للفرنسيين والبريطانيين هي معرفة ما اذا كانوا يريدون المحافظة على بقاء الرجل الابيض في الحريقا • واذا كان عليهم يوما أن يقفوا تيار القومية العربية ، ويؤكدوا نفوذهم وسلطانهم ، فانهم يستطيعون أن يفعلوا ذلك اليوم وفي السويس والا فلن يستطيعوا ذلك ابدا » •

ويشير هذا التعليق في ايجاز عن رأى الدوائر التي تقوم باعداد الحملة في بريطانيا وفرنسا • ولا يهم الانجليز والفرنسسين كثيرا – وهذه الافكار في ريطانيا وفرنسان عبدارة تنص عل « ان الثقام المستقبل للادارة سوف يقرر بعبث تراعى حقوق السيادة الخاصة بمصر » مع أنها عبارة يمكن أن تعرفل المشروع كله في أي وقت •

## انتهاء المؤتر:

وفي نهاية جلسة المؤتمر يوم الثلاثاء ٢١ أغسطس ــ وكانت الامطاد تسقط مصحوبة بالبرق ــ حصل مشروع دالاس المعلل على موافقة سنت عشرة دولة • وابد شبيلوف المشروع الهندى الذى وافقت عليه كذلك أنمونيسيا وسيلان • وفي يوم الاربعاء انضمت ابطاليا الى مشروع دالاس ، وسرعان ما تبعتهما اسبانيا التى حاولت اقراد تعديل عليه لمصلحة ناصر •

و کان یوم اخمیس ۲۳ اغسطس آخر آیام المؤتمر ، و کانت الجلسسة عاصفة بدات بمناورة مسوفییتیة ، فقله افترح شبیلوف اختتام المؤتمر باصلار بیان ، و نظرا لان هذا البیان یجب آن یوفق بین وجهات فانه یجب بالفترورة آن یصفل لاستیعاد کل ما یمکن آن یصطم برای هؤلاد او اولئك ، واصبح من المتوقع آن یفتهی المؤتمر من المناقشات دون نتیجة ، ومن ناحیة آخری فانه اذا

رفضت المجموعتان ... الفربية واخيادية ... الموافقة على قرار مشترك فسوف يكون ذلك بمثابة الدليل البين على فشل المؤتمر ، وستتاح حينئذ فرصة مواتية لناصر لرفض مقترحات قدمها له اشخاص لم يستطيعوا أن يتفقوا فيها بينهم .

فما الممل ؟ كان الوفد الفرنسي هو اللي قدم الحل ، واقترح الموافقة على مشروع ارسال محضر الشاولات الى القاهرة ، وقد تمت الموافقة بالاجماع على هذا الشروع بعد ادخال تعديل عليه تقدم به شبيلوف ، واعلن انتهاء الموقر في الساعة الخامسة مساء .

وكان هذا الاجتماع الظاهري يستهدف بصفة خاصة حفظ ماء الوجه ، لان الاعضاء اقتصروا على تقرير ادسال محضر المداولات الى القاهرة ، ولكن النص الذي ووفق عليه بالاجماع تضمن فقرة تقول انه في الناء هذه الجلسة ادل مندوب نيوزيلندا بالتصريح الآتي : انني مفوض من حكومات سبع عشرة دولة ( ليست اسبانيا من بينها ) • فقد أعلن أنها طلبت الى ممثل حكومات استراليا واليوبيا وايران والسويد والولايات المتحدة ارسال وفد الى القاهرة برئاسة رئيس وزراء استرائيا بفرض الاتصال باسمها بالحكومة المصرية ليقدم اليها البيان الذي وافقوا عليه •

وزادت السبع عشرة دولة واحدة حين انضمت اليها اسبانيا بعد أن حصلت على اقرار بتعديل خاص يحدد موقفها ، وعهد الى منزيس بابلاغه في النهاية الى الرئيس ناصر ه

#### خنة الخمسة :

وهكذا شكلت اللجنة التي عهد اليها بان تحمل الى ناصر القرار الغربي بتسليم قناة السويس ألى شركة دولية جديدة تثول اليها الحقوق والامتيازات الاساسية لشركة القناة القديمة • وفي هذه اللجنسة كان ثلاثة مندوبين يقومون بدور تانوى ، وهم الاثيوبى والايرانى والسسويدى • فى حين يلعب المسلوبان الآخران دورا رئيسسيا ، وهما رئيس اللجنة ـ رئيس وزراء استراليسا روبرت منزيس الصديق الشخصى لايدن والاكثر تطرق من أشد الانجليز تطرفا ـ والمندوب الامريكى الذى لم يعرف لاول وهلة من سيكون •

ولا نلبث أن نعرف من هو ، فقسد عين فوسستر دالاس لهسده المهمة أحسد مساعديه هو لوى هندرسون ، ويثير هذا الاختيار شعورا بعدم الارتياح في تندن، اذ يعتبر هندرسون احد الساسة الذين ديروا الازمة التي المارها مصدق ، وينظر اليه على أنه يؤيد حق العرب في البترول و لققد كان ايدن يريد أن يرسسل الى القاهرة بحثة معدودة قوية مصممة على الوصول سريعا الى نتيجة ، وبرغم أنه كان يؤكد أن البريطانيين يثقون ثقة كاملة في لوى هندرسون فيمكن القول أنهم كانوا يضعون فيه الثقة نفسها التي يضعونها في فوستر دالاس وربعا أقل قليلا ، على أن وجود هندرسون كان يضمن على آية حال أن تكون الرحلة الى القاهرة مهذبة ومجاملة وغير فعالة في حين كان المقصود بها في بادى، الامر تسليم انذاد ،

وقضت جُنة الخمسة بضعة ايام في لندن لتعد ملفاتها كمسا يقول ايدن ، ولا نعرف أية ملفات تعدها ما دام دورها يتمثل في تسليم نص المشروع ألذى تم اقراره • ولكننا على العكس نرى بوضوح أن المسكريين ما زالوا غير مستعدين وان المسئولين لا يريدون صداما في تلك الآراء • ويبرق ايدن بذلك الى ايزنهاور ويقول في صراحة : « يبدو أنه ستمر بضعة أيام قبل أن يعطى ناصر رده النهائي الى منزيس • وبعد ذلك سوف تكون على استعداد للقيام بعمل صريع » •

عمل سريع ٠٠ عبارة من السهل قولها ، ذلك أن التنازلات التي أجريت في مؤتمر لندن قد ادت بفرنسا وبريطانيا الى الدفاع عن وجهة نظر قريبة الى حد بعيد من وجهة نظر فاصر ١٠ أن الاختلاف الوحيد الظاهر ينصب على كيفية التنفيذ، فالقاهرة تجعل من نفسها الضامن الوحيد لتمويض الشركة وحرية الملاحة ، في حين يريد الغرب وضمع القنساة تحت اشراف هيئة دوليسة ١٠ هسدا هو الرأى الامريكي ٠

ولكن الشركة الجديدة التي تحلم بها لندن وباريس والتي عليها أن تعترف مقدما بالسيادة ألصرية لن تستطيع أن تفلت عن هذا الشرط ·

غير أنه نظرا لان الهدف الخقيقي للندن وباريس ليس هـو اعادة الشركة وانما التخلص من ناصر وأن الدولتين لم تستطيعا استغلال فرصة التاميم كذريعة للعمل ، فقد وجدتا نفسيهما امام تناقضات تقتضي منهما اختلاق ذريعة للتدخل •

كان التاريخ المحدد لهذا التدخل معروفا في باريس العسدد لا باس به من الاشخاص ، وقد كتب البعض يوم ٢٧ اغسطس ( خطاب بول ديهيم ) « ان الرد يمكن الا يميل الى الاعتقاد بقرب قيام تدخل عسكرى اذا لم يعرف أن السلطات الفرنسية والبريطانية كانت ترى استحالة هذا العمل يوم ٣٦ يولية وان كل الاجراءات التي اتخلت منذ ذلك الوقت انما كانت تهدف على وجه التعديد الى ان يصبح من المكن القيام به حوالى يوم ١٥ سبتمبر ما لم يكن ممكنا القيام به منذ اسابيع ٠

واليوم نستطيع حقا أن نقول أن هذا الكلام كان صحيحا ، فالهجوم على مصر كان مقادا له يوم ١٥ سبتمبر ، ولم يكن ناصر يجهل ذلك • ولكن هسدا النبا يثير مع ذلك مفاجاة لاولئك الذين لم يروا حتى الآن الا مفلهر الاشبياء ،

لقد شهد شهر اغسطس كثيرا من الاحداث خلف الستار ، وسسوف نرى ، الآن ما كان يدبر خلف الكواليس لنختبر الامور من وجهها الاخر .

# الفض*ل التاسع* الوجه الآخر للامور

هذا الوجه الآخر أو السنتر من الامور يتمثل في عالم يجرى خلف الكواليس حيث تتحرك الاشباح وتتعشر بعقبات غير متوقعة • وهي تتآمر في الظلام ، وتعيد تمثيل النمرة التي تزمع تقديمها فيما بعد تحت الاضواء الكاشفة • ان المسرحية ثم تمثل بعد ولكنها تعسد ، يل انها ليست مكتوبة وانها ستعرض ارتجالا في هذا المساء • ولن تعرض غير عرة واحدة ، ثم يختفي جميسع المثلين بعد انتهاء العرض وراء ستار من الصمت • ولكي نفهم ذلك يتبقى ان نعود الى الوراء • • الى ذلك الاجتماع الاول للوزارة البريطانية الذي اعقب اجراء التأميم •

فی ذلك الیوم ـ ٧٧ يولية \_ تلقی رؤساء اركان الحرب تعلیمات ـ كما يقول ايدن ـ باعداد خطة لعمل عسكري يستهدف احتلال القناة ٠

وما كان يريده رئيس الوزراء حينداك هو أن يضمن أولا وقبل كل شيء أذا المكن ابجاد مشاركة أمريكية يقصد بها تأكيد التضامن الغربي في الشرق الاوسط ، وكذلك تأكيد تلك السياسة المسنركة الشهيرة التي ضحى الانجليز من اجلها بالكثير ، وكانت هذه ايضا رغبة الحكومة الفرنسسية التي كانت على استعداد للاشتراك في أية حملة تأديبية ضد حكم ناصر ، فقد قرر الفرنسيون والانجليز اتخاذ موقف عدائي مشترك في مواجهة ناصر منذ مارس الماضي ، وفضيلا عن ذلك فقد أوذيت فرنسا ، من خلال مصافها في شركة قناة السويس ، على الاقل بقد ما أوذيت فرنسا ، من خلال مصافها في شركة قناة السويس ، على الاقل

وكان للعملية في نظر ايدن ... كما في نظر الفرنسيين ... معنى مزدوم ، فالامر يتعلق بعملية بوليسية يقصد بها اعادة النظام الل الشرق الاوسط وهو النظام الذي عيث به ناصر ... كما تقول لندن وباريس .. والذي يتعرض للعبث بين حين وحين على السرح العربي ، كما أن الامر كان يتعلق بعملية بحرية باعتباد أن المصالح الاساسية في هذا الوضوع تتمثل في ضمان حرية المرور في هدا الطريق المائي الدول ... فناة السويس ... تلك الحرية التي يهددها ناصر .

وهذا الطابع البعرى هو الذى جعل باديس توفد الى لنبدن الاميرال « نومى » رئيس ادكان حرب الاسطول الفرنسى كممثلها المسكرى الفرنسى الاول وانضم اليه الكولونيل سيمون احد اعضاء مكتب وزير الدفاع الوطنى •

اما عن اسرائيل فقد رفض ايدن رفضاً قاطعا اشتراكها في اية عمليات برغم طلب جي موليه والحاحه ٠

فما تقرر اذن يوم ٧٧ يوليه انما كان الاعداد لعمل يقوم به البريطانيون وحدهم • هل كان من المامول أن ينضم اليه الامريكيون ويشارك فيه الفرنسيون بشروط لم تكن قد حددت بعد •

#### قيادة بريطانية :

كانت هذه هي العملية التي عرضت خطتها .. وان كانت قد ظلت غامضة بمعونة ماكميلان والماريشال الكسندر .. على دوبرتمورفي عندما وصل الكندن . وفي الوقت الذي وصل فيه مورفي ، وصل الامرال تومي الذي بدا المصادنات الفرنسية .. البريطانية ،

ويوم ٣١ يولية كان الفرنسيون يستطيعون تحديد القوات التي يزمعون تخصيصها للعملية : فرقة من المظليين ( الفرقة العاشرة ) وفرقة مدرعات ( الفرقة السابعة ) وقوات الكوماندوز البحرية ، ومجموعتان من الطائرات ( ف ـ 34 ) و ٣٥٠ طائرة نقل ( طراز نور ٢٥٠٠ ) واضيرا جميع وحدات البحر المتوسسط تقريبا ٠

وقد الانجليز من جانبهم قوات اكثر ضخامة كان اهمها من غير شك عددا من تشكيلات السلاح الجوى الملكى يمشل نحو ٣٠٠ طائرة من بينها قاذفات القنابل التي لم تكن تمتلكها فرنسا و ومن ناحية القوات البرية كانت بريطانيا تزمع حشد فرقة من المشاة وفرقة من المدعات (غير كاملة) ولوادين احدهما من المظليين والآخر من الكوعائدوز، ثم ـ وهذا ما تقرر بعد ـ فرقة الجرى من المشاة، واخرا مشاركة كبرة من الاسطول بالطبع ٠

وفى ذلك التاريخ لم تكن مسالة القيادة المُستركة قد نوقست، الأثالامريكان على ما يبدو في حالة اشتراكهم بكل ثقل اسطولهم السسادس ، سوف يطلبون مثل هذه القيادة ويحصلون عليها •

ولكن سُرعان ما وضح تخل آمريكا ، فخابت مرة آخرى الآمال التي كان يعقدها الانجليز عل السياسة المُستركة ، ومن ثم اتجهوا الى فكرة ارسال حملة فرنسية ـ بريطانية يسهم فيها البريطانيون بنصيب اكبر قليلا من المُونسيين من ناحية القوات البرية والبحرية ، واكبر كثيرا من الناحية الجوية .

وتقرر وضع ثقل سلاح الطيران الملكى الإنجليزى فى الميزان لأن اشتراكه اللهى لا غنى عنه هو اللهى سوف يبرد اسناد جميع القيادات الى البريطانيين ، فمن غير سلاح الطيران يتعلر تكوين الحملة التى ستغزو مصر ، ولسكن اسسناد القيادة الى البريطانيين كان له آثار خطيرة على سير العمليات ، اذ كان للانجليز وجهات نظر تختلف عن وجهات النظر الفرنسية بشان هذه المسائل فيجموعها ، وكان الأمر يتطلب حينداك اقامة تعاون فعال بين قوات الجانبين المستركة في

الحملة ، فحاول المسئولون تكوين قيادة متكاملة وحددوا كيفية هذا التكامل فئ وثيقة اتخلت شكل مذكرة فرنسية ... بريطانية وقعت بالحروف الاولى يوم ٨ اغسطس ١٩٥٦ .

فهذا اليوم اذن هو الذى قرد فيه اينن اعداد حملة فرنسية ـ بريطانية للتخلص من حكم ناصر • وهو اليوم نفسه الذى وجه اينن في مسائه في الاذاعة البريطانية عبادات مثيرة بل مهيئة لرئيس الحكومة المصرية الذى دعاه كؤتمر للندن وكان يتمنى مع ذلك عدم حضوره • وهو كذلك المساء نفسه الذى بدا فيه التنييد العمال يتحول عن ايدن حيث آبدى ادبعة وعشرون من نواب حزب العمال عدم ثقتهم به كما داينا • وقد شهد هؤلاء النواب المطلعون على بواطن الامور ، ذيادة في عددهم وفي استيائهم ، كماذا ؟ لأن التاييد الذى كان العمال قد وعدوا به ايدن كان يقوم على اساس تدخل من نوع حرب كوريا اى ان يفسم قوات امريكية ويرعاء علم الامم المتحدة ، وليس مفامرة لا تقرها الخليفة الامريكية ويمكن بالتالى ان تكون موضع استنكار من الامم المتحدة .

ودبما كان الثوار العماليون اكثر اطلاعا على الحقائق مما كان يبدو الاول وهلة ودبما كان الثوار العماليون اكثر اطلاعا على الحقيم المدكرة المدرسية البريطانية ـ وقصوا مع المستكريين الاسرائيليين اتفاقات تنص على تسليح اسرائيل بقصد ضمها الى حملة مشتركة ضد مصر \* كان الفرنسيسون يباشرون نشاطين متوازيين احدهما مع البريطانيين وفيه يحتفظ هؤلاء بالقيادة ، والآخر مع الاسرائيليين \*

ولا بد أن البريطانيين قد شعروا مع ذلك بشيء ما ، لان المتحدد باسم وذارة الخارجية البريطانية السير جورج يونج صرح في اليوم التالى بأن النزاع بشأن قناة السويس يجب أن يسوى بالطرق السلمية ، وهذا هو غرضنا ، وهذه المشكلة تختلف عن مسالة العداء الاسرائيل العربي ، فكل محاولة لادخال هذه الاخرة في الاولى لن تؤدى الى حل الخلاف ،

وعلى ذلك فان العملية التى كان البريطانيون يزهعون احتكار القيام بها اصبحت اعتبارا من يوم ٩ أغسطس عملية فرنسية بريطانية ، ولمكن رؤسساء الركان الحرب البريطانيين أسرعوا - قبل وصول الفرنسيسين - بعرض الخطوط الرئيسية للخطة التى اعدوها طبقا لتوجيهات رئيس الوزارة يوم ٢٧ من يولية ، على حكومة صاحبة الجلالة ، على أن كلمة «خطة » ينبغى أن تؤخذ بمعناها الدقيق، اذ كان أمر إيدن يعنى « عملية الغرض منها احتلال القناة » - وهو على الاقل كان يزعم ذلك - ولكن خطة أركان الحرب الامبراطورية كانت ترتكز على أساس القيام بهجوم مباشر على الاسكندرية ثم التوغل بعد ذلك نحو القاهرة ،

على انه كان هناك شيء من اخبت في تقديم تلك الخطة في ذلك التاريخ أي لي اليوم السابق على بله المعادثات الفرنسية البريطانية ، كما لو كانت ادكان الحرب البريطانية حريصة على أن تضع حلفاءها أمام الامر الواقع وذلك بعرض خطة سبق أن وافق عليها رئيس اخكومة وقد ابلغت الخطوط الرئيسية للخطة يوم ٨ اغسطس الى اثنين من الممثلين العسكريين الفرنسيين لم يكن في وسعهما الا بلايس ٠

#### مشروع السلحفاة:

وبعد ظهر اليوم التائل ... ٩ أغسطس ... وصل من لندن الل مطار نورثولت المندوبون الفرنسيون الاول ٠ كان الجو باردا والسماء ملبدة بالغيوم ، واستقبلهم أحد الجنود الفرنسيين وصحبهم الى المدينة • وفي الساعة الرابعة بعد الظهر عرض عليهم الموقف ، وشهد الاجتماع الاول للجنة التخطيط الفرنسية ... البريطانية أللى عقد يوم ١٠ أغسطس اربعة ضباط فرنسيين ، جميعهم من كبار الضباط ومن بينهم النان من القوات البرية وواحد من البحرية وآخر من الطيران • ونزلوا للى القساعات التي تحت الارض بوزارة الخرب البويطانية ، وسرعان ما غرقوا وسط جيش يضم نحو ما أة وخمسين من الضباط الانجليز • وكان كل نشاط هؤلاء الرجال في خلال عدة أسابيع بها فيه جميع الوثائق يتعلق بأعمال استطلاعية

اطلق عليها اسم « تيرابين » • وهذه الكلمة لا تنطوى كما ذعم البعض على سر خاص لا يعرفه غير الملكة ورئيس الوزارة البريطانيسة وشخصان او ثلاثة من فرنسا ، ولكنها كلمة اتخلت للدلاتة على الوثائق المنبثة من فجنسة التخطيط • انها تمثل سرا نسبيا ما دام بعض هذه الوثائق – التي لم تكن ترتفع ابدا الل ما فوق مستوى رئيس اركان حرب الامبراطورية – قد تحرر من ١٦٦١ نسخسة فقط • وحين ننظر الآن الل اختيار هذه السكلمة « تيرابين » نجد أن الاختيار ينطوى على سخرية اليمة ، لأن هذه الكلمة تعنى « سلحاة » •

#### العملية ٧٠٠ :

ومع ذلك فقد باشرت اللجنة عملها بسرعة • لقسد رفض رئيس الوذراء البريطاني يوم ١٠ اغسطس اخطة التي عرضها عليه المسكريون البريطانيون يوم ٨ اغسطس • وهذا ما ساعد لجنة التخطيط على ان تبدأ عملها من الصغر من الناحية النظرية على الالل الا يجب ان يؤخد عنصر الاصرار لدى البريطانيين في الاعتبار ؟ لفد عرض الضباط البريطانيون على الفرنسيين اتخاذ الخطة نفسها التي رفضها رئيس وزرائهم منذ قليل كنقطة بداية ، ولما كان من المسلم به ان العملية سوف تجرى تحت قيادة بريطانية فقد كان من العسير على الفرنسسيين انبرفضوا ، وفضلا عن ذلك فان دراسة الموقف وحالة القوات الموجودة كانت تنبىء عن أن الهجوم على الاسكندرية هو اسلم عملية من الوجهة الحربية • ومع ذلك فليس من المستبعد أن اصرار الانجليز على علم توجيه المهليات الى منطقة ذلك فليس من المستبعد أن اصرار الانجليز على علم توجيه المهليات الى منطقة القناة قد اوجد هدفا بعيدا هو تجنب نشوب قتال في المنطقة بعيث يؤدى الى

وهكذا جرى العمل فى خلال خسسة آيام على آساس المقترحات البريطانية التى جمعت تحت اسم العملية ٧٠٠ ، وهى الخطة التى حصل العسكريون الانجليز على موافقة اينن عليها يوم ١٥ أغسطس ٠

وكان الهجوم على الاسكندرية محددا باختصار كما يأتي :

يضرب الاسطول البريطاني الميناء وتنزل القوات الفرنسية ــ البريطانية في ضواحي المدينة ( القرنسيون في الجبهة الفريية ) في حين يهبط جنود المظلات خلف البحرات الواقعة للي الجنوب • وما أن يتم الاتصال بين القوات الناؤلة والقضاء على المقاومة حتى يتوغل المهاجمون صوب القاهرة ولا شك في أن المسالة لم تكن بهذه البساطة • ولكن المسئولين بعثوا الموقف ودرسوا قوة الخصم بعثا •

#### الجيش المرى:

كانت القوات المصرية لها أهميتها ووزنها باستثناء البحرية التي كانت ضعفة ناقصة المعلات ولا تشكل خطرا جديا ٠

وكان العنصر الاكثر خطرا هو سلاح الطيران: ٥٥ مقاتلة سوفييتية حديثة طراز « ميسج ٥٥ » و ٤٥ قاذفة قنابل خفيفسة طراز « اليوشن ٢٥ » من أحدث نوع ، يضاف الى ذلك عدد من المقاتلات البريطانية الصنع ( ٢٥ طائرة ميتيود ، و ٧٥ طائرة فامباير ونعو ٢٠٠ من طائرات النقل والتصويب ) وقد طرا عامل خاص زاد من خطر تقدير هذه القوة ، فقد علم أنه نزل بالاسكندرية بضع مثات مئه « الفنين السوفييت » الذين كانت كل الفقروف تعمل على الاعتقاد بان بيتهم طيادين ، واخيرا فان وجود طائرات الميج ٧٧ وكانت تعتبر احدث القاتلات السوفييتية امر معتمل ،

وكان مفهوما كذلك آن الشرط الاول لاى عمل عسكرى هو القضياء على الطيران الممرى بعيث تصبح طائرات الميج والاليوشن على الاقل عاجزة عن الاشتراك في القتال •

لم يكن الجيش للصرى البرى يمكن اهماله هو الآخر: خمس فرق منها فرقة مدرعة ( يضاف البها لواء مدرع ) وبعض كتاب الحرس الوطنى ، وكان من المتفق عليه بصغة عامة أن قدرة هذا الجيش على الاشتراك في معركة متحركة ضد القوات المدربة الحديثة ما ذالت ضعيفة ، ولكنه كان يستطيع أن يقوم بمقاومة ثابتة يصعب القضاء عليها ، فقد كان يضم ٣٠٠ دبابة من بينها ١٠٠ على الاقل من احدث الدبابات السوفييتية ( ستالين ٤ ، و ت ٣٤ ، و ت ٨٥ ) ، وكان لذك وزنه واعتباره ، وهنا كذلك أشير الى وجود « خبراء سوفييت » وأخسيرا فقد كانت هده القوات مزودة بسلاح يشسكل الخطر الاكسبر في المعسركة ، وهو المدفع المتحرك المضاد للدبابات ( س ٠ ي ١٠٠ ) من الطراق السوفييتي الحديث ،

وكان من أهم مميزات الدفاع المصرى هو تشكيله الذي لم يتغير منذ بداية اغسطس •

في الاسكندرية : لواء من الشباة تعززه دبابات ثقيلة •

في بور سعيد : لواء من الشاة ٠

في مواجهة اسرائيل: فرقتان، منهما فرقة ضعيفة (الفرقة الفلسطينية في
 غزة) وهذا يعمى أن فرقة واحدة فقط هي التي تستطيع القتال بصورة فعالة •

في منطقة القناة: فرقة ولواء مدرع من ١٠٠ دبابة ٠

في منطقة القاهرة : فرقة مدرعة تضم ٢٠٠ دبابة ، وفرقة من المساة ، ومدفعية الاحتياطي العام ٠

وهذا التشكيل يكشف عن الفكرة الاساسية للاستراتيجية للصرية وهى : تفطية القاهرة مع الاستعداد لاحتلال للخازن البريطانية الضخمة الموجودة بمنطقة القناة ، والاحتفاظ بجميع امكانيات المناورة مع ترك قوات خفيفة في الاسكندريه وبود سعيد ، واجتناب الاسرائيلين في الصحراء او تركهم يميلون الى القناة وقد الهكهم المعلش واصبحت تموزهم امكانيات النقل . ثم الانتضاض عليهم وتقطيعهم أدبا ، أنه قتال يقوم على عامل «الصحراء » وانها خطة تساعد على ترقب ما يحدث .

وفي هذه الفاروف كان انزال القوات بالطريقة التقليدية يمد بشابة جنون من جانب القيادة المتحاففة ، والواقع أن انزال القوات كان محددا بحمولة السفن وبالقددة على التغريغ في المواني • فحتى في الاسسكندرية لم يكن المرسسيون يستطيعون انزال حمولة اكثر من النتي عشرة سفينة في اليوم ، وهذا يحتاج الى مدة شهر ونصف شهر لانزال مجموع القوة ( أ ) التي تمثل القوات الفرنسية في الحملة ( شهر لنقلها الى مصر وخمسة عشر يوما قبله لتجميع الوحدات ) أما الانزال في بور سعيد فكان اكثر صعوبة ، حيث لا يحتاج اليها الانزال عن طريق القوارب ، وهذا يمنى تفريغ ستة سفن في اليوم اي أن عملية الانزال تتطلب مدة شهرين •

وكان يجب اذن المخاطرة بان تجمع منذ البداية وحدات هجومية لتلقى على ادض مصر بدون احتياطى ٠ دون مطابخ ، ودون ملابس للغياد ، ودون خدمات ادارية ٠

وبفضل طريقة وحدات الهجوم التى لا تنزل الى البر ومعها معدات بسيطة يستطيع الفرنسيون والبريطانيون أن يقاوموا أى مجوم منذ البداية • وفي اليوم التالى للانزال كان ينبغي أن يكون لديهم في الواقع على أرض مصر ٣٠٠ دبابة و ٢٥ كتيبة من الشاة • ولا شك في أن ١٥٠ دبابة بريطانية سنتوريون و ٣٣ دبابة باتون و ٨٠ سيارة مصفحة و ٢١٦ مدفعا ( منها ٢٠ فرنسسية ) تعتبر كافية للدفاع عن القوات المهاجمة •

وكان ثمة امر مزعج • ذلك أن الحملة ثم ترتب ـ في مواجهـة طائرات الاليوشن ولليج ـ أية وحدات من المدفعية المضادة للطائرات باستثناء تلك الموجودة على ظهر الاسطول •

وفى ١٤ أغسطس كانت خطة « العملية ٧٠٠ » قد أعدت ، واعتبارا من يوم ٢٠ أغسطس بدأ شعن معدات الطيران الفرنسية التى تقرر أوسالها الى قبرص من يوم ٢٤ ألى يوم ٣٠ أغسطس ، وكان مقررا أن تفادر الوحدات البريطانية الاولى بريطانيا في أول سبتمبر والقوات الفرنسية الاولى تفادر الجزائر يوم ٥ سبتمبر وأن تلقى القنابل الاولى على مصر يوم ١٣ سبتمبر ، ويجرى انزال القوات يوم ١٥ سبتمبر ،

عل أن الاتفاق بين الفرنسيين والبريطانيين لم يتم بسسهولة ، حتى على مستوى أدكان اخرب ٠

## خلافات فرنسية بريطانية:

مند الاجتماع الاول للجنة التخطيط يوم ١٥ اغسطس احس الفسياط الفرنسيون ـ وقد عين الجنرال بوفر رئيسا للوفد الفرنسى فى هذه اللجنة ـ ان عالما يغصل بينهم وبين زملائهم البريطانيين • ولم يكن ذلك بسبب التمسيك بالاساليب المتيقة فصسب ، وليكن كذلك لاختيلافات المنهيج المسيكرى • فالبريطانيون يعملون بنظام المجموعة على غط « الجاهز » في حين يعنى الفرنسيون بالعمل على طريقة التفصيل • كان البريطانيون ـ حين يقررون استخمدام هذه القوة أو تلك \_ يخرجون مشروعات معمدة على أسساس المقتضيسات التي يرونها ، أما الفرنسيون فكانوا على العكس من ذلك يعيدون تحديد متطلبات المعلية تبعا للنتيجة النهائية المستهدفة •

وقد وضع الجنرال بوفر خطته على أساس افتراض أن مشكلة استيلاء القوات الغرنسية على القاهرة قد تم حلها • فلاخذ القاهرة يلزمنا أن ندحر هذه القوات المصرية أو تلك ، ولدحر هذه القوات يعمِي أن تكون قد نزلنا في مصر ، ولانزال القوات اللازمة للقتال في مصر يلزم هذا العدد من السفن وذلك من الدبابات ، الى غير ذلك ٠٠ وكان البريطانيون يدهشون لهذا الاسلوب ، ولكن يبدو أن اهتمامهم الاكبر كان ينصب على ادماج القوات الفرنسية الى اقصى حد يبعيث يمكن تكوين قوات مغتلطة آكثر ما تكون تماسكا من همده المجموعة من الجنود الموضوعين تحت القيادة البريطانية • وكان ذلك يثير مشكلات تكنيسكية لا يمكن تقريبا حلها في الوقت الذي كانت تغرضه المقتضيات السياسية ، فكانت المسائل تنظر احيانا بطريقة سطعية ، وكان احد الفرنسيين ينهض وقد ضاق ذرعا بذلك فيقول : « سوف اقرا عليكم الفقرة الاولى من القانون العسكرى » فيتدخل زملاؤه قائلين : « حسنا ، لا داعى لذلك » •

ثم كانت هناك مسالة القيادة التي احتكرها البريطانيون لانفسهم ، فكانوا يستخدمونها لاعـداد خططهم وحدهم ثم يقراونها على الفرنسـيين ويسـمعون ملاحظاتهم ويدونون ما يبدو لهم صحيحا منها .

واخيراً ثم الاتفاق داخل ذلك الوكر الذي كان فيه الضباط يفتقدون مفهوم الزمن وحيث اعد جدول يبين لهم ما اذا كان الوقت في الخارج نهارا او ليلا وما اذا كانت السماء تمطر او انها صافية من الغيوم • على أن اشد ما كان يشير الفرنسيين المتعجلين للذهاب لتحطيم ناصر هو أن يلحظوا ان الحساس مفقود لدى زملائهم البريطانين •

وكان ثمة مسالة اخرى ، فقد نصت الملكرة الفرنسية البريطانية على أن كل قائد بريطانى سوف يعاونه مساعد قرنسى نائب ، ولكن هسلم السكلمة ( الانجليزية ) لا تعنى على وجه التحديد « مساعد » ولكنها تعنى نائبا يعل على من ينوب عنه ، اى أنه لن يكون هناك اى وجود للقيادة الفرنسية اذا ما تمسك البريطانيون بالنصى ، وقد كان البريطانيون من الفطنة بحيث ادركوا ان كل هذه السائل ستفسد سبر العمل بين الخليفتين ، وأبدوا اعجابهم بتكوين قوات فرنسية متجانسة من الفرنسيين وحدهم وهذا لم ينص عليه في المذكرة – وعلى العسكس فان بعض احكام المذكرة لم تطبق ، وكان البريطانيون يتعللون بالسرية مثلا حتى لا يذهب القادة البريطانيون لل باديس لعرض خططهم على رؤساء أدكان الحرب الفرنسيين كما فعلوا في لندن لدى رؤساء ادكان الحرب البريطانين ،

اما عن مسالة انزال القوات في الاستخدية التي فرضها العستحريون البريطانيون من جديد فلم تلق اعتراضا من جانب المندوبين الفرنسيين ، لانها كانت تمثل في نظرهم الحل العسكرى الاكثر مباشرة والاكثر سلامة •

#### باريس غير موافقة:

كانت باريس ترقب مندوبيها بطرف عينيها وتبدو قلقة بئسان الموقف ، للذك بادر الجنرال « شال » القائد العام للقوات المسلحة الفرنسية يوم ١٤ أغسطس بتعين نائب الاميرال بارجو ليمثل القيادة الفرنسية لدى السسلطات البريطانية المعهود اليها بالاعداد للعملية ٥٠٠ وكان على بارجو – الذى كان يعونه مساعد هو الجنرال باريز من سسلاح المهندسين ورئيس اركان حرب هو الجنرال جاذان سان ينسق بين عمل كبار الفنباط الثلاثة الدين تقرر ان يتولوا قيادة القوات في الحملة و وقد ارسل جاذان في الوقت نفسه الى لندن كمساعد لبوفر ، أى أنه اعتبارا من ذلك التاريخ كان بوفر يعاونه جاذان في لنسدن لبوفر ، أى أنه اعتبارا من ذلك التاريخ كان بوفر يعاونه جاذان في لنسدن الاميرال بارجو قائدا عاما فرنسيا بعمقة رسمية يوم ٢٧ اغسطس ، ولكنه كان يمارس سلطاته بالفعل منذ يوم ١٤ اغسطس على اثر تعيينه بمعوفة الجنسرال يمارس سلطاته بالفعل منذ يوم ١٤ اغسطس على اثر تعيينه بمعوفة الجنسرال شادل كان يعتبر القائد العسكرى الاول لحملة السويس كلها والذى كان يتتبر القائد العسكرى الاول لحملة السويس كلها والذى كان يتتبر القائد العسكرى الاول لحملة السويس كلها والذى كان يتقة جي موليه ( وكذلك بثقة الاسرائيليين ) •

وما أن يباشر جازان مهامه يوم ١٤ أغسطس حتى يوجه أل بارجو مذكرة يلفت فيها نظره لل مساوى، أى عملية تركز عل الاسكندرية ، مقترحا عملية بديلة تكون بالهجوم على بود سعيد ، ويذهب الشروع الذي يقترحه جازان لل ابعد من ذلك ، فيحدد بالفسيط نطاق العملية كما ينبغى أن تتم فعلا بعد شهرين وكما ينبغى أن تفرض حينتد على الانجليز اللدين لا يريدون الموافقة عليها ،

وحينها بادر الجنرال بوفر الى ابلاغ وزير الدفاع الوطنى ، بورجى مونورى والاميرال بارجو بالشروع اللى اقر فى لندن واللى اطلق عليه اسم الفارس تظاهر بارجو بأن هـله هى المرة الاولى التى يعرف فيهـا شيئـا عن الشروع الانجليزى ( فى حين كان قد سبق له أن تلقى عنه نقدا دقيقا من جازان ) ووقع يعيه الى السماء ، وكان يرى أن هذا المشروع انما هو عمليـة برية تحتاج الى دبابات ومدرعات وغيرها من الآلات التى لا تستطيع السبع على الماء ، ولو كان قد عرضى عليه تطهير النيل والهجوم على القاهرة بمدراته وطراداته لكان ذلك قد عرضى عليه تطهير النيل والهجوم على القاهرة بمدراته وطراداته لكان ذلك عمليات بحرية ، وقد اعلى ذلك يوم ٤ المسطس للصحف التى اسرع بدعوتها فى ميناء طولون ، اذ قال : « أن علوان ناصر يثبت من جـديد ـ كحرب كوريا صنة ، وهمية البحرية التى تشيى احيانا فى العصر اللرى » ،

كان بارجو يربت على كتف بوفر ويقول : هيا يا صديقى لنترك الانجليز فى الصحراء ولنذهب نحن الى بور سعيد ، فما أن نفلق القناة حتى يكتب لنسا النصر !

ويتردد بوفر في عرض مثل هذا الاقتراح على الانجليلز اذ كان قد وافق مند قليل على خطتهم في الهجوم على الاسكندرية ، فيتكفل بارجو بالامر ويعرض الشروع في الاجتماع اثناني للجنة الفرنسية ـ البريطانية ، فيرفض البريطانيون ويصر بارجو ويتعدر الوصول الى اتفاق ، ومن ثم يغض الاجتماع على أن يعقد مرة ثانية بعد ثمانية إيام ،

ولكن الموقف كان قد تغير بعد ثمانية أيام ، فقـد تلقى الانجليز أوامر جديدة ، ويتقرد انزال القوات في بور سعيد وتنفيذ عملية الفارس !

فماذا حدث بن الاجتماعن ؟

لقد مارس الفرنسيون الذين يؤيدون الاهتاف التى حددت فى اجتماع يوم ٢٨ يولية ضغطا سياسيا على الحكومة البريطانية وبخاصة على انطونى ايدن ومن الصعب بل من غير المكن الآن أن نذهب للى ابعد من ذلك فى التفسير ، غير أنه يمكن أن نلاحظ أن بعضى البرلمانيين الفرنسيين وبعض الوزراء وبعضى كبار الفياط لم يقدروا مناخ نهر التايمز قدر ما اتيح لهم فى شهر اغسطس ١٩٥٦ وقام آيكن على ما يبدو بعضى زيادات سرية لفرنسا فى تلك الفترة ،

وقد انتهت كل هذه الاجتماعات الى ان يوافق ايدن فى آخر اغسطس على رفع الخفار اللدى كان قد فرضه قبل ذلك على اشتراك اسرائيل فى الحملة واصدر أوامره باعادة وضع خطط الهجوم على اساس احتمال اشتراك اسرائيل ، وتحاشى مع ذلك أن تبدو بريطانيا بعظهر من يتدخل لمساعدة هذه الدولة التى يكرهها العرب .

والعجيب أن الحكومة الاسرائيلية كانت هى الأقل حماسا للغطة الجديدة ، لا لأن فرصة تاديب الفدائيين لا تساعدها ولكن لائها تقدر انها غير مسلحة بما فيه الكفاية وأن الاسلحة التى حصلت عليها من فرنسا لا يمكن استخدامها في الهجوم • ثم انها معرضة لكل أنواع الضغط ، كما كان من الصعب عليها ان تنسى أن ثلاثة أدباع ميزائيتها يمول من أخارج بواسطة الوولارات •

ولكن حماس المسكريين فيها والمعارضة اليمينية وكذلك ضفط الفرنسيين بدد ما كديها من تردد ٠

وبالطبع لم يكن يمكن كشف الثقاب عن اتفاق ابدن هذا لا للدوائر الحاكمة . الانجليزية ـ باستثناء عسد صفير جسدا من الاشتخاص الدين لا يمكن اخفاؤه عليهم ـ ولا للامريكان بصفة خاصة . ولكن هذا التغيير التكنيكي الطارى، فرض على العسكريين تحولا الم اليمين ( أو اليسار تبعا لاتجاههم المبدئي في انزال القوات ) ذلك أن الاوامر الاولى كانت قد صدرت فعلا وبدأت عمليات الابحسار • وفي بضمة ايام كانت ادكان حرب التخطيط التي يراسها في لئنن الكولونيل سسان هيلييه وكذلك أدكان حرب العصابات التي يتودها في الجزائر الكولونيل بريور قد غيرت كل منها على انفراد خطفها ووصلت إلى النتيجة نفسها على وجه التحديد •

ولكن ذلك كله كان بغير جدوى ، اذ كان من المتعين تأخير انزال القوات لاسباب كثيرة منها أن اسرائيل لم تكن مستعدة بعد ، وكذلك كان الفرنسيون والانجليز ، وذلك ما اقتنع به الجنرال ستكويل في دورته التغتيشية في الجزائر وكما آكدته له « تدريبات » بريطانيا التي اجريت في مالطة في اول سبتمبر . هذا فضلا عن أن الامر كم يتهيا بعد سياسيا ، لأن بعثة منزيس لم تكن قد وصلت للى القاهرة ، ولانهم بصفة خاصة لم يستنفدوا جميع الوسائل السلمية كما وعدوا الامريكان بقصد ضمان حيادهم •

وكان هناك سبب آخر آكثر سرية ، وهو أن البريطانيين ـ في خليسة من حلفائهم ـ كانوا يعدون في هدو، حملتهم على معر ، فهم لن يذهبوا اليها مكتوفى الايدى ، أنهم يديرون أشعال لودة فيها !

وفي آخرشهر اغسطس١٩٥٦ طرد البوليس السرى ثلاثة صحفيين اجانب:

ان شايلي ( ٢٦ سسنة ) وهو منسلوب صحيفة ايفننج ستاندد ، وايلين ترافيز
( ٠٤ سنة ) الامريكي الجنسية وهو مندوب ديل ميل ، ووليام ستيفنسون ( ٣٣ سنة ) وهو ابن احد الدبلوماسيين البريطانيين وكان مراسل صحيفة تورنسو سبتار ، وقد تجنب المصريون اتهام هؤلاء الصحفيين بالتجسس ، ولكنهم كانوا ياخدون عليهم فقط انهم يتشرون انباء زائفة كما وجهوا اللوملل صحفين آخرين سستق طردهما من مصر وهما الصحفي المعروف سسفتون ديلمر منسوب ديل

اكسبريس ورى هاردى منسدوب نيبوز كرونيسكل ( وكان هاردى يعمل اسم نور الدين عبد الهادى) وكان أشد ما أخد على ستيفنسون المروف منذ زمن بعيد لبوليس دول الشرق الاوسط • هو اصراره على محاولة مقابلة اللواء السابق محمد نجيب الذى كان يقيم على مسافة ٣٠ كيلو مترا من القاهرة تحت المراقبة الدائمة وكان يتهم دائما بأنه حامل لواء جميع الدسائس ضد نظام أخكم • وكان ستيفنسون فى كل مرة يطرده البوليس من المنطقة الكائن بها منزل محمد نجيب يعاود محاولته من جديد بعد فترة من الوقت •

ولم يكن المصريون يجهلون أن الفرنسسيين والبريطانيين ياملون هم كذلك في اديس وفي لندن في اديس وفي لندن السحولون في باديس وفي لندن بصفة خاصة من السداجة بحيث ظنوا انهم يستطيعون الاعتماد في تنفيد خططهم السرية على الرجل الموضوع تعت أشد رقابة من جانب الحكومة، وكل الاموركانت تدعو الى الاعتقاد بأن محمد نجيب لم يكن يرتاب في الشرف الرهيب الذي اختص به • على أن فرط الاهتمام به قد كلفه مع ذلك أن يظل موضع شبهة برغم أنه لم يفعل هو ذاته شيئا يستحق معه تلك للعاملة •

وبعد بضعة أيام من طرد متيفنسون تفاقمت الامور ، ففي هذه الرة أعلن البوليس للعرى اكتشاف شبكة للتجسس والقي القبض على ثمانية أشسخاص علم سنة من للعربين واثنان من الانجليز • جيمس سونبرن ( ١٥ سنة ) الصحفي بوكالة أداب نيوز البريطانية ، وشادل بيتوك (٤٧ سنة) الموظف بشركة المعاركين للمواصلات اللاسلكية • وفي الايام التالية أعلن القبض على ١٠ شخصا آخرين بعضهم من الايطاليين • وفي الوقت نفسمه أعلنت الحكومة المعرية ان سونبرن وبيتوك قد اعترفا بانهما يعملان في خدمة دبلوماسيين بريطانين في القاهرة وهما : جون جوف رئيس ادارة التأشيرات ( الفيزا ) ، وجيمس فلاكس الملذان طردا على الفور من مصر •

وقد نشرت جميع الحوادث السالف ذكرهافي الصحف حينذاك ، ولا نستطيع أن نحدد ما اذا كانت هذه الحوادث حقيقية أو أنها لم تكن سوى انذار بالخطر لا جدوى منه ، ولكنها على اية حال كانت دليلا على وجود اضطراب أكيد كانت لنسدن تنتظر من ورائه الكثير ، والواقع أن البريطانيين كانوا يعتقدون أن فى وسعهم ... بفضل المكانياتهم للعروفة فى النشاط السرى ... أن يثيروا ضد ناصر معارضين على درجة كبيرة من اخطورة والمقدرة ، فكان يمكن لعمل يدبر كما ينبغى أن يساعد على تسوية سريعة للمشكلة بل ربما على تجنب تدخيل عسكرى ، وكان فى ذلك خير ما يعقق مصلحة بريطانيا ، ذلك أن لندن تستطيع أذا قضت على الحكم المصرى الذى كان ينازع السيادة البريطانية فى الشرق الاوسط ... تلك على المحتمدة التى كانت من القدم بحيث أصبحت وكانها أمر طبيعى جدا .. الابقياء على سيطرتها من غير أن تشرك معها حلفاء سوف يطلبون منها ثمنا تحدمتهم ، اذ أن الانتصار بمساعدة الفرنسيين والاسرائيليين يعنى نصرا تتقاسم الدول الثلاث غنائهه ،

ولما كان الفرنسيون والاسرائيليون من الفطئة بحيث يدركون أن الوعود في مثل هذه المسائل لا يعول عليها كثيرا وأن المرء لا يحصل الا على ما يأخله بالفعل ، فقد تمثلت سياستهم ـ تعت ستاد التدخل المسترك ـ في أخذ ضمانات بالاستيلاء على أجزاء من الادافى المصرية وعدم التزحزح عنها قبل أن يحققوا جميع الاهداف التي دخلوا أخرب من أجلها .

ولكن اقدام لندن على غزو مصر منجديد من غير حلفاء سوف يكون بالنسبة لها نوعا من الانتصار السياسي ، وسوف يضعها في عزلة يمكن أن تعرضها لضفوط مزكزة ومتضافرة من خصومها ومنافسيها ، ومن هنا كان سمعيها وتلمسها للمعجزة أي تلك الثورة ، التي ستحل جميع المشكلات ،

ولم يمتع فشل محاولات اشعال الثورة في مصر في شهر أغسطس من القيام بمحاولات جديدة بعبد ذلك تقوم على اسماس مشترك بين الخلفاء، ولكنها لم تكن أوفر حظا من سابقاتها ، على أنه يحق للمرء أن يتسامل عما أذا كان كل ذلك قد عولج باهتمام وجهدية ، فقد دكر الفرنسيون مثلا خطتهم على

شخصية هامة من عهد الملك فاروق ( وكانت تعد هى الاخرى قائلة : سوف آتيكم بنجيب ! ) ولكنها كانت عاجزة عن الوفاء بوعودها • كما عولوا على جاعة ربا آتت لنا بفاجئات ضخمة لو انها نبحت فى مشروعها • ولم يكن صاحب الشخصية يبدو مخدوعا فى هذا الصدد فقد قال : « لم تكن واثقين من جماعتنا، ولكن الام كان يقتضى أن نهدا ثر نرى • • »

#### ضغوط اقتصادية:

لم تكن كاولات تدبير أورات على الحكم في مصر هي السبيل الوحيد للكفاح السرى ضدها حينداك ، فقد ادى السلاح الاقتصادى \_ الفضط الاقتصادى وللال يدوره في هذا المجال ، وراينا أن البريطانيين والفرنسيين قاموا \_ ردا على تاميم القناة حرب تتجميد الاموال المصرية ومنعوا السفن التي تعمل أعلامهم من تسديد رسوم المرود الى الادارة المصرية الجديدة لقناة السويس ، وكم يكن هذا الاجراء الاخير ليضايق مصر الا بالنسبة للمستقبل ، ذلك أن رسوم المرود كانت تعلم حتى ذلك الوقت للشرقة العالمية لا للمصريين ،

ولكن هذا الضغط كان اسرع الرا بالنسبة لتجميد الارصدة الاسترلينية ، لأن الجنيه الاسترلينية ، ولذلك لأن الجنيه الاسترلينية ، ولذلك المطرت القاهرة لل ان تحلف من الانفاقات التجارية السارية جميع شروط الدفع بالاسترليني، وكان عليها ان تعنى بتكوين احتياطيات من العملات الاخرى غير الاسترليني والقرنك لسداد قيمة وادداتها اللاؤمة كالبترول والحبوب ،

وفي هذه القاروف الصعبة لم تكن مصر تستطيع أن تتلقى المون الا من المريكا ودول كتلة الحياد في آسيا وافريقيا ثم من المدول الشيوعية • ولم يكن ينتظر الكثير من جانب كتلة الحياد ، لا بسبب افتقاد الرغبة الصادقة ولكن لانه كان على هذه الدول ـ باعتبارها هي ذاتها دولا نامية ـ أن تفكر في نفسها بقدر ما تفكر في غيرها • كذلك لم تكن مصر تستطيع أن تعتمد كثيرا على أمريكا

لانها كانت واقعة تحت ضغط حلقائها الفرنسيين والبريطانيين ، وما دامت حكومتها قد اتخذت موقفها قائلة لهم : اننا معكم على شرط الا تشنوا الحرب ! فقد تعين عليها آن تبدى للفرنسيين والبريطانيين ب باجراءات معددة في سياستها الاقتصادية به انها د معهم » حقا ، وعكدا اتخذت مثلا ادادة التعاون الدولي التي تتولى شئون الساعدات الامريكية للخارج قرارا يوم ٢٣ اغسطس بفرض رقابة في المستقبل على الصادرات الهامة التي ترسل الى مصر من قبيل المساعدات الخارجية ، وقد اشير في واشنطن للى ان هذا القرار يعني من الناحية العملية وقف الجانب الاكبر من الامدادات الامريكية الى مصر ،

اما من جانب اللول الشيوعية فكان هنساك مزيد من الامل • وقد اجرى ناصر ومعه وذير ماليته محادثات كثيرة في هذا الشان مع السسفير السوفييتي كيسيليف ، وتكن لا الاتحاد السوفييتي ولا ناصر كان له حينذاك مصلحة في ان يظهر ان له علاقة وثيقة بالآخر •

واخيرا كان على ناصر ان ينشد المساعدة الفورية لدى حليفتيه العربيتين : سوريا والسعودية • فلى ٢٧ اغسطس وضعت السعودية عشرة ملايين دولار تحت تصرف مصر ، وفي ٢٨ اغسطس وقعت سوريا مع القاهرة اتفاقا تجاريا بتوريد محمر - وما يترتب على ذلك من الأارة السخط والتصرد - مقدرين أنه سوف مصر \_ وما يترتب على ذلك من الأارة السخط والتصرد - مقدرين أنه سوف يلزمها نحو ٤٧ مليون دولار في خالال الشهور التسعة التسالية لدفع ثمن ال محمد ١٠٠٠٠٠٠ من من القمح التي يتعين عليها استيرادها ، فقد تتشف خطا تقديرهم مرة اخرى • ولشد ما كانت دهشتهم حين رأوا بعد قليل العمين الشعبية التي لديها احتياطي كبير من الاسترليني تضع تحت تصرف مصر في سويسرا المبالغ لقابلة للأموال المصرية مما ساعدهصر على مقاومة ضغط الفرنسيين والبريطانيين والبريطانيين والبريطانيين والبريطانيين مصر غير ٩ ملايين دولار من ارصدتها ،

واخرا فلم تكن الفسفوط الاقتصادية والمؤامرات ذات اثر كبير على سمير الاحداث وكان المسئولون البريطانيون والفرنسيون في حيرة دائصة و فاما مواصلة السبير في المطريق الدبلوماسي العالمي الرسمي الذي سبيقال بطله فوستر دالاس مالذي كان يجرد حلفاء شبيئا فشيئا من حميتهم ورغبتهم في الحرب كما تنزع اوراق الخرشوف ورقة بعد ورقة مواما الدخول في حسرب مباشرة تفرض على عبدالناصر الحرائفرنسي البريطاني. وهذا يفترض بادي تذيب حيادا أمريكيا موعودا «حتى تستنفد جميع الوسائل السلمية » كما يفترض أن يقدم ناصر ذريعة لتدخل متحالف وهو على وجه التحديد ما كان يبدو أنه يتحاشاه بكل ما في وسعه لكي يتجنب اي خطر جديد يامل خصومه أن يجدوا فيه في النهاية ما يتيح الدافعهم الفرصة لكي تتجنب أي ختالم و

# الفصف ل العاشِر

#### الأغذار والحجج

لو اهتمت الشركة العالمية لقناة السويس البحرية وبحثت في سجلاتها الاكتشفت فيها شيئا مخيفا، كان هناك موظف من بين موظفيها يحمل اسم ناصر- انه في الواقع المدعو كميل ناصر الراجع من الدرجة الاولى بالشركة ، ولكنه لا يمت بصلة ما الى الرئيس عبد الناصر، وقد نقل عنه تبيى مولينييه (في جريئة الفيجادو يوم ٢١ من أغسطس ) قوله انكم تتمتعون بالخطوة العسسكرية والفك القوى والاستان الطويلة والفسحكة المتوحشة وأصوات العواء المختزنة في الحلق !

والواقع أن المسحافة الفرنسية لم تكف عن الكتابة بالاسلوب العسكرى منذ يوم ٣٦ يولية ، كما أنها لم تكف عن الكتابة الشديدة اللهجة والنظر الى بعيد والسخرية الجارحة ، وقد استخدمت كل ذلك بافراط لدرجة أن المر، قد يعتقد أنه لم تتبق في حلقها أصوات عواء مختزنة لاستخدامها وقت الحاجة ،

اما الزعماء الفرنسيون فقد كانوا يتلوعون بالهدوء أو على الاقل يتظاهرون بذلك ، الا أنهم ثم يكونوا يقلون أصرارا ، ففي يوم ٣٣ أغسطس – في الوقت الذي لم يفادر فيه لندن بمد مندويو الدول الاثنتين والمشرين – اجتمع رئيس الوذداء جي موليسه بوزير السعفاع الوطني بورجي مانوري ، وبوزير القوات المسلحة ماكس لوجون ، وبحث معهما – كما ذكر ذلك في بيان رسمي – الظروف التي تمت فيها بعض الاستعدادات لواجهة أي احتمال ، وفي اليوم السابق كان قد أعلن أن وفدا من مدرسة اركان الحرب البريطانية قد توجه الى مقاطعة نورماندى الفرنسية لعمل دراسة على الطبيعة عن مراحل انزال الجنود التى تمت عام ١٩٤٤ ، وفي العمل دراسة على الطبيعة عن مراحل انزال الجنول بوفر المكلف من الجانب الفرنسى باعداد القوات البرية والقوات المنقولة بالطبائرات ـ وهى التى قد تسستمى للاشتراك في عملية عسكرية خاصة بالنزاع القائم على السويس ـ قد وصل الى للن قادما من الجزائر وذلك للاشتراك في المحادثات الجارية بين هيئتى ادكان الحرب الفرنسية والبريطانية .

ويشاد الى تحركات القوات ويتكلمون عن اسراب من الطائرات تتجمع قزب بادرس ، وعن سفن للنقل الحربى بادرس ، وعن سفن للنقل الحربى تستمه للتوجه نحو موانى البحر المتوسط ، وينصح قناصل قرنسا في مصر الرعايا الفرنسيين بمفادرة البلاد ، وتؤكد جريئة النيويورك تايمز ان الوزير للقيم في الجزائر و وهو دوبير لاكوست والرسل للي جيموليه مذكرة شديدة للهجة يقول فيها أنه ما لم تضع حدا لنفوذ ناصر بطريقة حازمة فان الامل في التنفلب على الثورة الجزائرية سيظل ضعيفا للفاية ،

أما في بريطانيا فقد أعلن ... بطريقة ربما تقل قليلا في صراحتها وان كانت لا تفتقد التصميم ... أن فرقة بريطانية ضتعود من المانيا عن طريق هولندا .

ومصر أيضا لا تقف مكتوفة اليدين ، فان ناصر يستدعى جميع ضباطه الاحتياطيين ، في حين أخذ الاتحاد العام للتقابات العربية يناشد جميع أعضائه جل السلاح لاحتمال وقوع هجوم على مصر .

وفى ٢٨ اغسطس اعلن ان فرقة كن القبوات الفرنسيسة سمنع لهنا بان تصبكر في قبرص • وقد اعلنت وزارة الخارجية الفرنسية انها وقعت مع بريطانيا اتفاقا في هذا الصدد كما اعلن السير جورج يونج الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية أن القواعد التي منحت للفرنسيين في قبرس تهدف فقط الى تمكينهم من حماية رعاياهم في الشرق الاوسط ومصاخهم في مصر

حقالم تكن المسألة خاصة بالقواعد أو باغماية ولكنها كانت تتعلق بتطبيق الإجراءات الأولى عُعلة الهجوم الفرنسي البريطاني • وعلى كل حال فقد تم تمين القائد العام الفرنسي للحملة بيسع بارجو ... وهو الذي سيكون مساعدا للقائد العام البريطاني .. نائب أميرال الاسطول المغيف ، وقد تسلم منصب يوم ٢٦ اغسطس ، ومن ناحية اخرى نرى أن الجنرال بوفر قائد القوة قد غادر لئنث يوم ٢٨ اغسطس واقام في الجزائر •

لقد اخلت واشنطن تتابع هذه الاستعدادات بقلق ، ولم يكن يطمئنها غير وعود ايدن وبير بعدم القيام باية عمليات عسكرية قبل استنفاذ جميع الخلول السلمية ، كما كان يطمئنها أن الحلفاء لم يكن لديهم أى عدر ينتحلونه للتدخل لان ناصر حرص على تحاشى جميع الاستغزازات بكل عناية .

#### الاستفزازات: ،

لم تكن الاستفرازات قليلة ، وكان مصدر بعض هذه الاستفرازات رعونة المصرين انفسهم ، الم يعان نبيه يونس وكيل وزارة المالية .. في الوقت الذي كان فيه مؤتمر لندن منعقدا .. ان اولوية المرور ستطبق في القناة ، مشيرا بدلك الى أن السفن الفرنسية والبريطانية ستنتظر طويلا قبل السماح لها بعبور القناة ؟ وهذا ما نقلته وكالة مصرية للصحافة تدعى انها شبه رسمية ! واخيرا اعتقدوا في لندن وفي باريس انهم امسكوا بالمصرين في حالة تلبس : لقد نقض المصريون اتفاقية القسطنطينية ، وأسرع نبيه يونس بجمع المسجفين الفرنسيين والبريطانيين لكى يدخس بنساة الماهم التصريحات التي نقلت على لسانه ،

وبعد ذلك بقليل سرت شائعة تقول ان سفينة اسرائيلية ستتقدم حتى مدخل القنة وقيل ان هذه السالة كانت موضع مناقشة بين وزير الخارجية سلوين لويد وسفير اسرائيل الذي اكد ان ناصر سيتصرف كما تعود ، وسيمنعها من العبور ليكون هـذا دليلا واضعا على نقض اتفاقية المرور المنصوص عليها في اتفاقية المرور المنصوص عليها في اتفاقية المسطنطينية و انه لعلد سغيف لان لندن لم تتورع في الناء الحربين العالميتين عن حظر المرور في القناة بالنسبة لسفن اعدائها ، كما أنها وافقت منذ قيام دولة اسرائيل على أن تمنع مصر مرور سفن هده الدولة عبر القناة فاذا ما غيرت موقفها فيعاني على ذلك أن تمير ضدها جميع المرب ، ولا يمكن هنا تقدير الحسادة التي كان يمكن أن تصيب بريطانيا من جراء ذلك و ولهذا فقيد بادرت وزارة الخارجية البريطانية الى تكليب هذا الخبر يوم ٢٤ اغسطس ١٩٥٦ ، وكان هـذا بمثابة « فيتو بريطاني » و

وقد بادر المصريون لل ابطال مفعول هذا المفجر الجديد ، ففي ٢٥ أغسطس أعلن قائد الجنسات على صبرى أن حظر الرود على السدفن الاسرائيلية يتفق مع نصوص المادة العاشرة من اتفاقية القسطنطينية التى تسمح لمصر باتحقاة الإجراءات اللازمة ضد سفن المدولة التي تكون في حالة حرب معها ، وهذه نتيجة تحتمل المناقشة، لآنه اذا كانت عصرتم توقع بعد معاهدة صلح معاسرائيل فهي على الاقل قد وقعت في رودس اتفاقية لوقف اطلاق النار تقفى بمنع جميع الممليات الحربية وما يترتب عليها ، وهي نتيجة ستنقلب ضد مصر لانها اذا كانت لا تزال تدعى وما يترتب عليها ، وهي نتيجة ستنقلب ضد مصر لانها اذا كانت لا تزال تدعى هجومها الذي ستقوم به يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٨ ،

هل يمكن أن يثار حادث خطير من جراء القبض على بعض الجواسيس في القاهرة في نهاية اغسطس ؟ وهذا ايضا يتجنب المريون المسكلة ، فقد اعلنوا يوم عسميم والمنافذة الجواسيس قد اجلت الى اجل غير مسمى و

والحقيقة أنه ثبين للحلفاء بسرعة أنه لا يوجد غير علد واحد مقبول، وهو كما يتصورون عجز ناصر عن ادارة القناة ، وذلك اذا ترك الرشاون فجأة أعمالهم • ولكن يجب أن تبدو هذه الحركة صادرة من المرشدين أنفسهم وليس موعزا بها من الحكومات التي يتبعها هؤلاء المرشدون •

#### غاوف الشركة :

وضسن الخط تضسافرت الظروف على حمل الشركة المالية لقنساة السويس الى أن تبدى مغاوفها من سير الامور ، فقد نشرت يوم ٢٦ أغسطس بيانا اعلنت فيه انها مقتنعة بانها لا تستطيع أن تضمن أمن موظفيها وسلامتهم ، وقد أضافت انها اللفت الدول التي تقوم ببعث مسالة مستقبل لائحة القناة أنه إذا أضطر الموظفون غير للصريين الى البقاء آكثر من ذلك في منطقة القناة ، فان مسئولية مثل هذا القرار يجب أن تقع منذ الآن على عاتق هذه الدول ،

#### ما حقيقة ما يحدث ؟

في الواقع ان الشركة ازعجتها القرارات التي اتخلت في للندن ، انها تشعر بان الرقابة على القناة ستفلت من بين إيدبها اذا انششت هيئة آخرى يوكل اليها الادارة في الاسماعيلية تحت اشراف الثماني عشرة دولة ، ولن يكون عليها في هذه الخلة غير ان تقبل تعويضا ، ولن يكون لها حتى حق مناقشته ، عليها اذن أن تشبت \_ قبل أن تصل الامور الى هذا الحد من التمقيد \_ انه لا غنى عنها لادارة اللقناة وعليها آت برهن على مقدرتها الفنية ، وكانت عناك وسيلة هي : أن تثبت كانوا في ضعك ان تسير حركة الرود فيها بدون مرشديها وموظفيها الذين كانوا في خدمتها والذين ظلوا مخلصين لها ، ولذلك فقد اطلقت شائمات كثيرة ترعم فيها أن عملية الارشاد في القناة ليست مثل أي عمل آخر ، أنها مهنة صعبة في تعليها وإن اتقانها يتطلب وقتا طويلا م انها فن تقريبا ، وعلى كل حال فان العرين لن يكونوا قادرين تمامازعل ضمان حركة المرود في القناة ، ولم تكتف

الشركة باطلاق مثل هذه الشائعات بل صاغتها ايضا في كلمات مكتوبة ، وفي المذكرة التي كان عل جاك - جورج بيكو أن يرسلها يوم ١٧ سبتمبر ١٩٥٦ الى رئيس جمعية المنتفعين بقناة السويس نقرأ عبارات مثل هذه « لكي تتم الخدمة وتتم حركة المرود عبر القناة كما ينبغي يجب أن تتوافر تلك الميزات الضرورية التالية : الكفاءة الفئية ، والاستقرار والاستقلال وروح التنظيم حتى الآن - أو هكذا على الاقل - ليست في المستوى المطلوب بالنسبة للمشروعات المنظمة التي تدار فعلا في اطار مصرى معين .

ثم يستطرد بعد ذلك قائلا : لن يقبل معظم الرشدين بدون شك التعويفى تحظر ارشاد السفن ف قناة معادية لهم يديرها رؤساء مصريون ، وهم لا يعترفون لا بسلطة هؤلاء الرؤساء ولا بكفاءتهم × •

وفي ٢٨ اغسطس نشرت شركة قناة السويس بيانا جديدا اعلنت فيه أنه اذا تم انشاء الهيئة الجديدة للادارة كما تنوى الثماني عشرة دولة المجتمعة في مؤتمر لندن فان الشركة .. التي لا تزال تملك أموالها وحقوقها المنصوص عليها في عقد الامتياز المسموح لها .. تستطيع فقط أن تتفاوض مع هذه الهيئة و ويميد البيان ذكر الفكرة التي عرضها جورج ببكو من قبل يوم ٢٦ من اغسطس والتي جاء فيها « أنه ليس من حق مجلس ادارة الشركة أن يتحمل للسئولية الادارية المترتبة على الابقاء على موظفيها المصريين ضد رغبتهم » •

پیچپ آن نشیت هنا آن جورچ بیکو نسی النصوص التی ذکرت من قبل وانه عل عکس
 ما نری الیوم حادر کریستیان بینو وزیر اقسارچیة خلال معادثاته التی جرت فی نهسایة
 اغسطس وجایة سبتمبر من الاوهام التعلقة باهمیسة دود الرشدین ، موضعا له آن
 انستاب هؤلا، لا یوقف سے العمل فی القناة ، ( الراجع )

وفى اليوم التساقى ــ ٢٩ أغسطس ــ اعلنت الحسكومة البريطانية موافقتها على البيسان اللئى اصسدته الشركة بشسان موقف المرشددين • انها اشسارة لنسدن الخضراء ، اما البساقى فلم يسكن سسوى مسألة توقيت • يجب الا تتسم حركة رحيل المرشدين الا فى حالة استعداد القوات الفرنسسية ــ البريطانية للهجوم • وحتى ذلك الحين يكونون قد ظنوا أن جميع امكانيات الحلول السلمية قد استنفدت •

#### مشاجرة أم موقف :

وكان رد واشنطن سريعا ، فان فوستر دالاس قرآ باسم الرئيس آيزنهاود 
بيانا يؤكد فيه بصفة خاصة ما ياتى « أن حسكومة الولايات المتحسنة بل الامة 
الامريكية \_ على ما اعتقد \_ تؤيد كل التاييد الاقتراحات التى اعلنتها الثماني 
عشرة دولة في لنسلن وهي اذ تحترم السيسادة السكاملة لمصر ، تعسطى تاكيسدا 
وضمانا بحل هذه الشكلة الكبرى حلا سلميا •

ويعتبر إيضا هذا البيان ردا على مسعى قامت به لنفن ، فقد قررت الحكومة البريطانية في ٢٨ اغسطس ( وابلغت فوستر دالاس فودا بهذا القراد ) عرض هذه المسألة على الأمم المتعدة في حالة فشيل بعثة منزيس، وهذا هو ما يحتمسل وقوعه ، وإنه ليبلو أن اكثر الوسائل سرعة وضمانا هو مطالبسة نجلس الأمن بلاوافقة على القراد الذي اتغذته الدول الثماني عشرة في لندن ، لالباتالمسائدة المعنوية التي تقدمها الامم المتحدة ، أن فرنسا واستراليا ... عضوا هدا المجلس ... ستوافقان بدون أية صعوبة تذكر ، وسيكون من المتوفق أن تعلو الولايات المتحدة حدوهما نظرا للدور الرئيسي الذي لعبته في اعداد هذا البيان ... حما كان يعتقد ابدن ... وقد يصعب على الاتحاد السوفييتي بأن يعلن اعتراضه باستخدام حق الفيتو ، ويؤدى ذلك الى فيام جبهة غربية ... تشمل الولايات المتحدة الامريكية ... بالولوف ضد الاتحاد السوفييتي ، ويؤدى في الوقت نفسه الى الزام الولايات المتحدة الأمريكية ... بالولوف ضد المدر ، أي اطلاق يد الفرنسيين

والبريطانيين • وحينئد قد يمكن القيام بالحملة بكل طمانينة لان لندن ترى أن الاتحاد السوفييتي لن يشمل حربا عالمية في مثل هذه الظروف نظرا لانها لا تمس مصالحه المناشرة •

وقد أبلغ دالاس رده الى الانجليز بعد ذلك بيومين ' وقال ايدن في هسدا الصدد : كان دالاس يوافق بصفة علمة على اخذ راى مجلس الامن قبل اتخساذ أي قراد بشان القبام بعمل عسكرى ، الا أنه كان يعبر عن كثير من الشكوك ، لقد كان يفيد عن كثير من الشكوك ، لقد كان يفيد النظر الى الصعوبات الفنية • وفي ٢٩ أغسطس كان يتساءل عما اذا كانت هذه المشكلة تعتبر في نظر ميثاق الامم المتحدة مشاجرة أو مجرد اتخساذ موقف ،

وبادرت لندن الى العمل لتبديد شكوك وزير الخارجية البريطانية • فقى اليوم التالى ارسلت لنسفن الى واشسنطن نص مشروع القرار اللى اعتزمت ان تقدمه • وجدير بالملاحظة عنا أن هذا كان اتصالا مياشرا بين لندن وواشنطن ، أى بين دولتين كبيرتين لا تشترك فيه باريس • وكان مشروع القرار ينص على أن السلام مهدد ، وكان يدعو مصر الى التفاوض على أسساس الاقتراحات التي اعدتها الثماني عشرة دولة •

ويقول ايدن : يبدو أن مشروعنا قد أعجب الستر دالاس في بادي، الامر، الا أن مسألة عدد مقاعد مجلس الامن أخلت تشغله ، كما أن مسألة عدد الاصوات أخلت تقلقه ، وقد أعلن أننا نستطيع طبعا أن نعتمد على تاييد الولايات المتحدة داخل المجلس نظرا لان عملنا هو عبارة عن تجربة صادقة تهدف الى التوصل الى حل ولبست هي وسيلة للحصول على تغطية ،

وقى حين كانت المناقشة تبور حول بعض التفاهات القانوئية اضطر إيزنهاور الى توضيح بعض وجهات نظر الولايات المتحقة ( وذلك خلال مؤتبوه الصبعلي الذي عقده يوم ٢١ أغسطس • فلي الوقت الذي رفقن فيه التعليق عل وصول القوات الفرنسية الى قبرص: ، آخذ يصر على أنه ليس للقوات الامريكية اى شأن في هذه المسألة ، وأن الشيء الوحيد الذى التزمت به الولايات المتحدة هو العمل على الوصول الى حل سلمى وليس أكثر من ذلك ، وكان تصريح الرئيس الامريكى تقريبا ما أذاعه راديو موسكو يوم ٢٥ أغسطس في هذه الكلمات : الويل لمن يندفع في مفامرة عسكرية !

وفى واشنطن أخلت الدوائر الرسمية تديع تعليقات متعطفة عن الجيش البريطانى وتوضح أن مالدى هلا الجيش من أساليبالاتصال اللاسلكية قدية يرجع البريغة الى فترة الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥-١٩٤٥ • وتعتمد قواته الىحد كبيرق تسلحها وفى تموينها على الحليفة الامريكية • كما أخلت هذه الدوائر نفسها تذكر أنه لا يمكن استخدام أسلحة حلف شمال الاطلاطى بدون موافقة هذه المنظمة أى من الناحية العملية وفى ذلك الوقت بالذات مد بدون موافقة الولايات المتحدة الامريكية •

وفي انتظار مناورة قادمة لغوستر دالاس انتقل مركز الاهتمام الي القاهرة •

# منزيس في القاهرة:

فى ٢ سبتمبر وصلت الى القاهرة بعثة « لجنة الخمسة » التى كان يراسها رئيس الوزداء الاسترالى روبرت منزيس • ويروى التاريخ آن محافك القاهرة هو الله استقبل الوف في المجاز ، وكان يصحبه رئيس البروتوكول في الحكومة المصرية • وقع ساء منزيس الإيرى حوس شرف يهمطف لاستقبال الانداد اللي كان يحمله ، ومن ثم رفض آن يستقبل سيارة مصرية مفضلا عليها سيارة من سيارات السفارة الاسترائية • وفي اليوم التالى ذهب الوفد لمقابلة ناصر • ودامت المقابلة تصف ساعة اقتصرت على تسليم قراد الثماني عشرة دولة ألى رئيس الحكومة المصرية • إلى المقابلة فكان مجرد تاكيدللمبادى، وتكراوا لواقف معروفة • وفي ٤ سبتغير تمت مقابلة ثانية عرض فيها الرئيس ناصر وجهات

نظره على لجنة الخمسة وفى ٥ سبتمبر تمت القابلة الثالثة التي أعلن منزيس على الرها أن المُؤتمر في مازق لان ناصر يرفض التراجع عن موقفه قيد انملة ٠ وفي ٧ سبتمبر سلم روبرت منزيس مذكرة الى الرئيس ناصر ٠

لم يعد احد ينتظر أى شىء من المحادثات ، ولكن هل كان هناك من ينتظر أى شىء في المحادثات ، ولكن هل كان هناك من جهة أى شىء في الى وقت من الاوقات ؟ لم يكن هناك احد يتصور اوهاما سواء من جهة الخلاء أو من جهة ناصر آو من جهة اعضاء اللجنة انفسهم • لم يكن لدى هؤلاء أى تغويض للمفاوضة حول أى موضوع • لقد كانوا فقط مكلفين بتسليم ناصر نص قرارات اللجنة وبابلاغه أن عليه أن يقبلها أو يرفضها ، وكان يمكن ارسال ذلك له برقيا •

وكانت السالة في الحقيقة بالنسبة للحلفاء هي القيام بنشساط دبلوماسي مصطنع بقصد اتاحة الفرصة لهم لاتمام استعداداتهم • اما بالنسبة لناصر فقد سمح له هذا بكسب الوقت والاستعداد لضمان استمراد حركة المرور عبر القناة بواسطة مرشدين لا يخضعون الا لسلطة الجهاز الاداري المصرى الجديد •

وكان يمكن اضفاء بعض الاهمية على بعثة منزيس ، وذلك بتصويرها كانها تعبر عن ادادة مستركة للدول الثماني عشرة ، وكان لتعين لوى هندرسن كمندوب امريكي في هذا الوقد معنى مضاد ، لقد اشتهر لوى هندرسن في الواقع منذ المدود الذي لعبه في مسائة مصلق بانه احد اعضاء هذه القناة المناصرة للعروبة داخل الادارة الامريكية التي كان اول المعبدين لها وذير الخارجية السابق الراحل جيمس فورستال ،

واذا لم يكن في وجود هندسن الآشارة الكافية قربما كانت القابلة التي تمت في ذلك اليوم بين محمود فوزى وذير الخارجية المصرى وبين النشفير الامريكي هنرى بايرود ــ وهو أيضا عضو هام فيهذه الفترة المناصرة للعرب ــ تحمل اشارة أوضح · ولم يكن هناك شك عند ناصر في أن الامريكان يقفون على بعـد · كان منزيس ورفاقه يستطيعون أن يتكلموا · ولكن لم يكن كلامهم مازما لسياســة الولايات المتحدة الامريكية ·

وفي المساء نفسه الذي تمت فيه هذه المقابلة ارسل الرئيس ايزنهاور رسالة الى ايدن وصفها هذا الاخير بانها رسالة مقلقة • لقد تصرف ايدن حتى الآن بناء على الوعود الامريكية التى تقفى بعدم الالتجاء الى القوة الا بعد استنفاد جميع الإجراءات السلمية • وقد وافقت واشنطن مرارا كثيرة على الاحتياطات العسكرية التى يتخدها المفرنسيون والبريطانيون • اما رسالة ايزنهاور هذه فقد كانت بمثابة تراجع عن هذه الوعود • كان الرئيس يبرز لانطوني ايدن أن الرأى العام الامريكي يرفض باصرار الالتجاء الى القوة ، وينصح باللفصل بين تسوية مشكلة القذة وبين تسوية المصرية • المساسة العامة تجاه الحكومة المصرية •

وفي اليوم التالى لهذه الرسالة كان دالاس عائدا من احسلى عطلات نهاية الاسبوع التى كان يقفيها في جزيرة البط على بعيرة اونتاريو حيث كان يفكر في اوضاع المالم وهو يمسك بسنارته في جلسات طويلة يقضيها في صيد السمك، وكان يعجل معه مشروعا جديدا للفاية • كان يقترح أن تترك جانبا فكرة عقد اتفاقية جديدة مع مهر ، في حين كان هذا هو ما طلبه بنفسه في مؤتمر لئنن ، وما طلبه مندوبه الشخصي من ناصر ، وأن يعهد لل جمعية المنتفعين بقناة السويس بتعيين المرشدين وتنظيم الملاحة في القناة وادارتها ، وكان ما يرجو دالاس تحقيقه من وراء ذلك أنه في حسالة ما أذا رفيفي ناصر اقتراحات الثماني عشرة دولة وهذا ما كان محتملا حضوئه لدرجة كبيرة \_ يظل هناك حل سلمي يمكن استغلاله بعيث لايكون رفض مصر مبررا كافيا للقيام بعمل عسكري فرنسي بريطاني ضدها. وقد أضاف دالاس أن اتفاقية سنة ١٨٨٨ لاتعطى لناصر حق تحصيل أرباح من القناة • فاذا لم يقم المنتفعون بدلع رسوم المرور له فسيري المال يختفي هكذا من بين يديه ، وسيكون لذلك تأثير أشد مفعولا من تأثير التهديد باستخدام القوة •

ان أبسط ما يمكن أن يقال عن هذا أنه جدل عقيم • وقد كان ذلك هو رأى المسئولين في لندن • اذ رأوا \_ كما قال أيدن .. أن الاتفاقية لا تتضمن نصا يعطى للمنتفعين الحقوق التي يمنحها لهم دالاس • وقد أوضح دئيس الوزراء البريطاني أن الموقعين على هذه الاتفاقية كانوا متأكدين من أنها أن تحترم الا بفضل الفيلوماسي والاقتصادي ، وفي آخر الامر باستخدام القوة •

وفى ٦ سُبتمبر ابلغ روبرت منزيس لندن أن الفشل المتوقع لمهمته أصبح أمرا شبه مؤكد ، نقلرا لان ناصر يرفض التنازل عن أي شيء ٠

فتقرد اذن دعوة مجلس الامن للانمقاد باعتبار أن هذا الاجراء ـ كما يقول التى ـ هو بمثابة المعاولة الاخرة لاقناع مصر بقبول حل من سلسلة الحلول التى قردها مؤتمر لندن • وفي الليلة السابقة ـ يوم • سبتمبر ـ كان سلوين لويد وذير الخارجية البريطانية ـ بالاشتراك مع كريستيان بينو ـ قد قدم تقريرا الى مجلس حلف شمال الاطلنطى وحصل منه على التأييد المعنوى الذى تجان يسمعى للحصول عليه •

ومن الواضح أن الولايات المتحدة لم تكن لتخاطر داخل مجلس حلف شمال الاطلنطى بمعارضة بريطانيا لأن ذلك كان من شانه تعريض وحدة الحلف \_ التي كانت تتوسك بها للغاية \_ لاشد المخاطر .

فاذا نجح الانجليز والفرنسيون في عرض مشكلتهم على مجلس الامن فانهم يكونون بهذا قد نفلوا الشروط التي فرضتها عليهم الولايات المتحدة الامريكية ، وهي استنفاد جميع الطرق السلمية ، لكي تسمح لهم بالقيام بتدخل عسكري ضد مصر .

وفي هذا اليوم نفسه \_ وهـو يوم ٦ سبتمبر \_ رد اينن على إيزنهاور ، وكانت رسالته عبارة عن مرافعة طويلة للدفاع عن وجهة نظر التدخل المسكرى • وكانت رسالته كانت قائمة على الفكرة التي تشكل أساس عقيدة اينن نفسها،

وهى التى نجع فى نشرها واقاعتها فى القسارة باسرها وبعنة خاصة فى فرنسا • ان ناصر فى نظره عبارة عن العوية مستترة فى يد الشيوعية الدولية وعميل يستخدمه عبقرى من طراز ستالين أو احد خلفائه لتدمير المراكز الغربية وعميل اننا متنعون بان الاستياد على فناة السويس هو نقطة البداية بالنسبة خملة متشعبة يقوم بها ناصر ٬ ويهدف منها الى القضاء تهاما على النفوذ الغربي والمسالح الغربية فى البسلاد العربيسة ٠٠ الله ٠ ثم اخذ ايدن يصف لايزنهاور الستقبل الذى يتنبا به وهو الذى ينتظر الام الغربية اذا ما انتصر ناصر ٠

ويعتبى هذا التفكير في نقل إيزنهاور أو في نقل دالاس أو بالنسبة لوزراء الخارجية الامريكية أو لوزارة أركان حرب القوات السنقة الامريكية أو بالنسبة أيضا لكباد رجال البترول الامريكان سفسطة سياسية غير واقعية وهذه النظرة الى التاريخ التي يتمسك بها رئيس الوزراء البريطاني وجانب كبير من البورجوازية الانجليزية والفرنسية أشبه بحكاية خرافية ترويها أمرأة طيبة وتقول فيها أن مصبى الانسانية كان يتوقف على طول انف كليوباترا ! وقد تصلح هذه القفيية بالاحرى لعمل سيناريو لمشهد يعرض في احدى مساوح هوليوود و

وفي سبتمبر الخطر الانجليز واشنطن انهم بصند اعلان رغبتهم في عرض الامر على مجلس الامن وذلك في خلال أدبع وعشرين ساعة • وقد أثار دالاس بعض الاعتراضات ، بل عادض اعلان ذلك مباشرة • وقد اخطر دالاس السفير البريطاني بأنه لن يتبنى المشروع الفرنسي البريطاني ، وأنه لن يؤيده • وكان كل ما قبله دالاس هو أن يبلغ الانجليز والفرنسيون مجلس الامن بالموقف في خطاب وبدون أن يطلبوا منه أن يفعل شيئا • وحتى على هذا النحو فلن توقع الحكومة الامريكية على هذا الخطاب •

وقى ٩ من ديسمبر غادر منزيس القاهرة ومعه باقى أعضاء لجنة الخمسـة معلنين أن الوقف خطر للفاية ؟ وقد أعاد جي موليه في خطبة له القاها في مدينة فاير بمقاطعة أورن ذكر التصريحات التي لا تحتمل أي غموض التي أدل بها يوم ٣ أغسطس معلنا أن هذه التصريحات لا تزال قائمة وصالحه × •

ان ما كان يؤلم اللرنسيين والبريطانيين هو اعتقادهم أن الامريكيين قد هجروهم ، وفي هذه المرة لم يعد لديهم أى شك في اللعبة الزدوجة التي يلعبها دالاس ، ولذلك قرروا الاتفاق معا ، وكانت معادثات يومي ١٠ و ١١ سبتمبر بداية لتحولهم عن موقفهم ٠

### ماذا حدث في أثناء ذلك:

فى الوقت الذى كانت فيه المحادثات الدبلوماسية تدور بين دالاس وبين الفرنسيين والبريطانين ــ وذلك قبل اجتماع ايدن ولويد وموليه وبيتو الذى تم

<sup>×</sup> لم يكن جي موليه يلقى هكذا بتصريحه في الهوا، ولكن يجدر بالذكر أنه كان في خالال هذه الفترة كلها واقعا تحت تاثير أشهد أنواع الضغط من جانب الأوسهاط السهاسية الفرنسية المناصرة تسياسة التدخل . وهي عناصر عسكرية تريد أن تبعث أيام فيشي وتعد العدة لتغيير النظام القائم ، وهي إيضا من انصار سياسة «اجْزَائر فرنسية» فضلا عن إنها تقم الصار استخدام المفجر الاسرائيل • وكانت الاوساط السياسية الفرنسية تتهم باستمرار رئيس الوزراء بالضعف ، وكانت هناك غالبية كبعة من أعضاء البولمان يدفعونه ال التسرع في العمل مثل أعضاء الجموعة الوسطى لاعضماء مجلس التسيوخ المساصرة للفية الدفاع عن الوحدة الفرنسية والتي كانت تؤيد مشروعات القرارات المنيفة للغاية • وحيتها كان يشار الى رجال السياسة هؤلاء بالاتجاء المقيقي المدعم بثات الشواهد للسياسة الامريكية كالتالاوهام تجرقهم ويتهمون الامريكيين بالهم أطفال وبالهم لا يفهمون، ولكنهم سيقهمون في النهاية • لقد بدأ الامريكان يقهمون 1 ولم يكن تسلط فكرة الخبراء يلعب دوره في الدول الانجلو سكسونية بدرجة يجعلها تنسى ما عداها من الاعتبارات مثلها كان يعدث في قطاعات السياسة الفرنسية هذه ، وكانت حكومات هذه الدول تصطنم بمقاومة • فمثلا منذ القرارات التي اتغلت في بداية شهر سبتمبر أخذ العمال البريطانيون يطالبون الحكومة على لسمان زعيمهم جيتسكيل بدحض الملومات التي تقول ان هنساك تفكيرا في استخدام القوة ، وفي يوم ٦ سبتهبر كان مؤتمر اتعادات العمال البريطاني يطالب يحل سلمي • وكان يطالب ذلك بشدة وبيعقي التهديد ويقول انه اذا اندفعت بريطانيا العظمي في حرب لا كروم لها فستجد الحكومة نفسها امام امة غاضبة غضبا شدّيدا ومريرا وحاقداء انتا نامل في أن ذلك سيكون من شانه وقف همذا الجنون الاجرامي ! أما في الولايات المتحدة فقد دفن الراي العام موضوع السويس وأخلت النقابات تذكر دالاس بوعوده بشأن المعافظة على السلام ، وكانت مجموعة كبار رجال الاعمال بأسرها تسائد الزعماء الجمهوريين وتؤيد ايزنهاور حينها اعلن : أن أفضل وسيلة لكسب الحرب العالية هي تجنبها ا

يوم ١٠ سبتمبر . كانت الاستعدادات العسكرية مستمرة ، فمنسلا يوم ٢٠ اغسطس بدأ شحن المهمات الجوية الاساسية الفرنسية وهى التي كانت قد توجهت نحو شاطئ اقليم بروفانس برا ١٠ لم يكن من الممكن عدم ملاحقة مئات سيارات النقل ، وقد أنزلت هذه الشسحنات في قبرص بين يومي ٢٦ ، ٣٠ أغسسطس ١٠٠٠٠٠ طن من المعلن و ٢٠٠٠٠ رجل بما فيها منشات تصنع الاوكسيجين السائل اللازم للطائرات القاتلة والتي تم يكن من المكن نقلها بدون موافقة الولايات المتعدة ،

ومند يوم ٢٦ اغسطس بدت في قبرص عملية انزال الشعنات الاساسية الخاصة بالقوات المنقولة بالطائرات • وفي ٤ سبتمبر وصلت الى مالطة السفينة جودج ليج ، واجريت يومى • و ٦ سبتمبر مناورات فرنسية بريطانية ، واخيرا في يومى ٦ و ٧ سبتمبر نزلت الدفعات الاولى من قوات المظلات الفرنسية في ميناء قبرص × •

<sup>×</sup> من الأفضل الرجوع فى هذا الشسان الى ما نشرته جريدة النيويورك تايمز فى تسختها الاوروبية يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٥١ فى الصفحة الاولى عمود ٣ بتوقيع هنرى جينيس و لقد وصلت وحدات من فرقتين فرنسيتين الى قبوس ، وهى جزء من الفرقة الماشرة مقلات والمقرفة السابعة المتحركة المسئرية في الجزائر و وفرة الله ذلك أمر وزير الدفاع بالاستياد للأفراض خاصة على ١٣ سطينة تجارية منها ١٩ صلينة لكل البضسالي وسفيتنان تقلل البترول وخمس سفن لتقل الركاب من بينها السفينة باستير التى كان عليها أن تضادر مارسيليا صباح يوم ٣١ أغسطس نجهة غير محددة ـ حل هى الجزائر او قبرس - كما كان على السفينة فقادرة مارسيليا يوم ٣ أو ٣ سبتمبر وقد غلاد الاسطول الفرنسي في البيدور التوسط عناه طولون ما عدا الفرادة جان بار وحاملة الطائرات برابيلوا و وي ٣٧ البعين المتين سبتمبر أدست عمدات عسكرية من مارسيليا على ظهرى السفينية فيرمي ويست اللتين

وفي الصفعة الثانية اشسارت برقية واردة من جبل طارق الى أن بعض الشحشة قسد اتجه الى جهة غير معلومة ربعا كانت قريبة من السويس •

ومن الصحب ان نقبل فكرة الاستيلاء على ٣٠ سفينة تجارية ومن بينها خمس ناقلات للجنود على زعم ان هذا الممل يتملق بأعمال التدريب ·

ثم لا شى، بعد يوم ٧ سبتمبر ، أى بعد أن استدعى فوستر دالاس السفير البريطانى لمقابلة عاجلة فى واسسنطن وأبلغه الانسلاد بأنه لن يتبنى الموقف الفرنسى البريطانى فى مجلس الامن ، بل سيعلن رسميا عسم موافقة الولايات التحدة •

وحتى نستطيع أن نفهم الامور التي جرت في هذه الاثناء يلزمنا هنا أن نشير الم الطريقة التي يتم بموجبها تطبيق خطة اركان الحرب • فحينما نجد انفسنا المام عملية تحتاج الى ايام كثيرة فان الخطة تكون موزعة على فترات بحيث تتطلب كل فترة منها نظاما خاصا • ان هذه القرارات المتنابعة ضرورية ، ولا غنى عنها لسبب واضح هو تنسيق التحركات مع تطور المعارك • فمشلا اذا كانت الخطسة تقضى بالهجوم على مكان ما يوجد فيه العدو طبقا للخطة ي + ٨ ووقعت هذه الخطة في اليني العدو أو اذا فطن هذا العدو الى النيات المعادية فهناك احتمالات كبيرة في فشل العملية ي + ٨ أو في اصطداعها بمقاومة غير متوقعة •

وكان من المكن تعديل الخطة التي يجرى تنفيذها أو الاستمرار فيها بدون ادخال تعديلات عليها ، وذلك وفقا لسبر الاحداث •

يجب علينسا الآن تتبع مجرى سسير الاحسمان والعودة الى يوم ٣٠ المسطس ، وهو التاريخ الذى عرف فيه موضوع القرار الذى يقفى بارسال قوات الى قبرص ، أو على الاصبح نعود الى الايام الاولى من سبتمبر حيث ذهب جاك جورج بيكو لمقابلة كريستيان بينو في مكتبه بوزارة الخارجية الفرنسية ، لقد اعلنت الشركة عن دغبتها في سعب مرشديها في ٨٨ اغسطس ثم تغلت عن ذلك بناء على طلب ملح من الحكومتين الفرنسية والبريطانية ، أما في هساه المرة فقد تفرت جميع الاوضاع وأصبح في استطاعة جاك جورج بيكو أن يحيط الوزير علما بالقروف التي سيسمح فيها للموظفين غير المصريين بمغادرة القناة في يوم ٥٠ سبتمبر ، ونستطيع أن نقول أن هده الزيارة قد تمت حوالي يوم ٣ سبتمبر ، فاذا أخذا أخذا في اعتبارنا وصول البارجة جورج ليج الى مالطة يوم ٤ سبتمبر فان

هذا يعنى أنها أبحرت من طولون يوم ٣ سبتمبر وأن تاويخ ابحاد هذه السفينة التى كانت ترفع لواء القائد العام الفرنسي هو تاريخ الامر بالرحيل و وفي هذه الحالة نستطيع أن نقول أن أمر الشمن يقع في أواخر أيام شهر الخسطس • ويعتبر يوم ٣ سبتمبر اذن تاريخ صدور القرار الثاني • وفي هذه الحالة قد يكون هناك قرار ثائث باستمرار العمليات أو بوقفها ينتظر صدوره يوم ٧ أو يوم ٨ سبتمبر، وهو آمر التحرك النهائي للحملة ، ثم الامر الرابع والاخبر يومي ١٧ و ١٣ صبتمبر وذلك قبل عمليات الفرب الاوئي بالقنابل •

ومع ذلك فان يوم ٤ سبتمبر – اليوم التالى للقراد الثانى – هو التاديخ الدى ادسل فيه ايزنهاود دسالة الى ايدن يغطره فيها بان الرأى العام الامريكى يعارض الالتجاء الى استخدام اتقوة ، ففى يوم ٤ سبتمبر اخترع دالاس – بسرعة وذلك لان الذى عرضه على البريطانيين هو مجرد نواة لفكرة ثم تتم صياغتها بالتفصيل – مشروعه المجيب الذى يقفى بانشاء جمعية المنتفعين بقناة السويس، وقد ابحرت القوات الانجليزية الفرنسية في يومى ٥ و ٦ سبتمبر ، واخلت تقوم بمناوراتها في عرض البحر قرب مالطة ، وفي ٧ سبتمبر استدعى دالاس الساير الانجليزي على عجل وذكر له أن الولايات المتحدة الامريكية غير متضامنة في العمل الغرنسي البويطاني ،

وكان من المفروض أن يتم اتخاذ القراد يوم ٨ سبتمبر الا أن ذلك لم يتم ٠ أما السفن التي أبحرت فقد اقتصرت على القيام بما سماه دؤساء الحملة بتدريب عام على عملية أنزال الجنود من البحر الى البر ٠

ولا تزال هناك بعض الشكوك بالنسبة لصحة التواديخ ، وذلك لاسباب كثيرة أهمها أن جميع نسخ اخطة التي تم تطبيقها بهاء الناسبة ( اخطة الاولي موسكيتير التي تحمل تاديخ ١٨ أغسطس ) قد آخرقت يوم ١٤ سبتمبر • ومع ذلك فان العمل باخطة موسكيتير استمر حتى بعد احراقها ، وسنرى كيف لمبت هذه اخطة دورا كبيرا في هذه الحرب ، ولاذا لعبت هذا الدور • ففى يومى ١٢ و ١٣ سبتمبر كان من انتتظر ضرب القاهرة بالقنابل ، وفى ١٢ سبتمبر أعلن ناصر قائلا « اننا نستعد لاسوا الامور » وكان أجد به ألا يتكلم لان كلامه كشف للحكومتين الانجليزية والفرنسية أنه كان فى هذا التاريخ يعرف خطتهما الهجومية وعل علم بادق تفاصيلها •

كيف حصل ناصر على ذلك ؟ لا يعلم أحد ويؤكد البعض أن التقاط الرموز السرية التي كان يستخدمها الفرنسيون والبريطانيون فيما بينهم هو الذي لعب دورا كبيرا في هذه المسألة ، ولكن الامر قد ظل غامضا .

ومند ذلك الحين اخذ الانجليز يهتمون بسئونهم وقد اتخلوا حينئذ احكم قرار لهم في خلال كل هذه الشهور العصيبة و فقد غيروا الرموز السرية واتخلوا اجراءات أمن ولكنهم احتفظوا بنفس الخطة ، واحتفظوا لها بنفس الاسم مع ادخال بعض التعديلات عليها ، وقد كانت هذه التعديلات كبيرة ، لا نها في الواقع غيت كل شيء ، ولم تحتفظ الا بالمظهر الخارجي ولا سيما بالنسبة للاجراءات الاولى ، ولذلك اصبحت الخطة موسكيتير تسمى موسكيتير المعدلة ، ولم يتخذ لها اسم من هذه الاسماد السرية الكثيرة التي كان يمكن اختيارها بهده المناسبة وقد نجعت الخدعة اخربية ، ويعتبر هذا النجاح بالإضافة الى العمل الذي قام به السلاح الجوى الملكى انتصار الحرب الوحيد ، وهو في هذه الحالة انتصار يمكن التفاخر به وان كان يصاحبه بعض الشعور بالفيق ،

### التفاهم الودي :

تقابل الفرنسيون والبريطانيون في لندن يومى ١٠ و ١٨ سبتمبر ٠ وقد الفوا في ذلك الوقت اوامرهم الخاصة بالهجوم في ضوء الامر الصريح المحدد الذي اصدره لهم فوستر دالاس ، ومن ثم شعروا بالمرارة ولا سيما الفرنسيون ، على الرغم من ان ايدن كان لا يريد اتخاذ أي أمر بنون موافقة دالاس ( انه يقول انه مستمد للسير في المقدمة ، للمحافظة على المسائدة الامريكية وهذا على كل حال هو ما سبحدث ) ٠

### ومع ذلك فماذا كان يريد الامريكان في ذلك الوقت ؟

لقد ارسل دالاس على الفور الى لندن مشروعه اللى أضاف اليه مزيدا من التفصيلات ويقفى بانشاء جمعية المتفعين بقناة السويس • وقد أعلن فى الوقت المنتفسة أن هذا المشروع يتفق مع جميع المقتضيات الملحة التى يطالب بها الفرنسيون والبريطانيون • وكان ينص على التماون بين مصر والهيئة الجديدة وعلى استخدام مرشدى وموظفى الشركة القديمة التى سبق أن دفنت • كما كان ينص فى حالة ما أذا الخارت مصر بعض الصعوبات على أن تقيم ادارة الهيئة الجديدة مكاتبها على ظهرى سفينتين تراسسوان فى كل طرف من طرفى القناة ويجرى عليهما دفع الرسوم ، على أن يدفع التعويض كصر فيما بعد •

وكان الفرنسيون يرون فى اقتراح دالاس فغا جديدا لانقاذ السلام والخيلولة دون الالتجاء الى القوة فى حل الشكلة ١٠ اما بالنسبة للبريطانيين فربما كان وسيلة للاستمرار فى ضمان المسائدة الامريكية مع استعادة القناة ٠ وكانوا يرون أن المشروع صالح اذا تم تعقيق شرطين: أن يكون جمعية المنتفعين فورا « حساب مصرفى خاص » وأن تلزم السفن الملوكة لمواطنين أمريكيين مهما تكن الجنسية التي تعملها سفنهم ( لأن جزءا كبرا من حاملات البترول الامريكية . تعمل أعلم دول آخرى مثل بناما وليبييا ١٠ الخ تهربا عن الضرائب ) باحترام التنظيم الجديد ، أى بدفع رسوم المرود الى جمعية المنتفعين وليس لمر ، وهنا وقعت بسرعة خبية الامل، أن أمريكا بلد حر ولا تستطيع الزام المواطنينالامريكيين مكذا وكذا ١٠ الخ ٠

ومع ذلك فقد كان هناك بعض المزايا من وراء قبول فكرة جمعية المنتفعين ، فهى تهدى، من ثورة دالاس وتعطى للولايات المتحدة الانطباع بان الفرنسيين والبريطانيين لا يزالون يسيرون وفق سياستها • هذا بالاضافة الى ترك الباب مفتوحا للقيام بتدخل في حالة ما اذا رفض ناصر الحلول السلمية • ومع ذلك فان الرفض هنا محتمل ، وقد اندر فوستر دالاس الفرنسيين والبريطانيين بأن الاقتراحات الجديدة لن تنال رضى ناصر كما لم ترضه اقتراحات الدول الثماني عشرة •

#### اليس هناك وسيلة أخرى ؟

لا شك أنه لا توجيد وسيلة أخرى أمام أيلان ، لانه على الرغم من أنه يكرر في مذكراته أننيا كنا نرغب كل الرغبة في أيجياد حل على أساس المفاوضية فقييد أغفل أن يضيف أنه في هيئا اليوم نفسيه ب وفي الوقت الذي بدأت فيه المحادثات الفرنسية البريطانية ب وصله من ناصر اقتراح باجراء مفاوضات ، ولم يكن هذا الاقتراح غير مفاورة نظرا لأن ناصر ب وقد أوضح ذلك في بيانه الذي أصدره يوم ١٢ سبتمبر ب كان يتوقع أسوأ الامور ، وكان يجهل في ذلك الوقت أن الامور الخاصة بالهجوم قد الفيت ، أنها مناورة ، ولكنه أذا كان يرغب الدخول في مفاوضات فقد كان يستطيع ذلك وبصفة خاصة في الوقت الذي كان منزيس موجودا فيه في القاهرة ، بل في الوقت الذي كان فيه لوى هندرسون المؤيد للعرب موجودا فيه في القاهرة ،

ولكن كيف كان ايدن يستطيع أن يدخل في مفاوضات بدون أن يفقد شيئا من مكانته ؟ لقد كان أغلق باب المفاوضات بخطابه الذى القاه يوم ٨ أغسطس وكال فيه الشمتائم لناصر معلنا أنه رجل لا يمكن الوثوق فيه على الاطلاق ٠ والان هو يدعى أنه يريد المفاوضة مع رجل مثل هذا ، أنه لأمر عجيب !

لم يكن القادة الفرنسيون يواجهون مثل هذه المسكلات ، ولم يكن لهم غير هدف واحد هـ و الحرب ، الحرب ؛ ليس المامهم مجال للاختيار ، وقد لا يسع جي موليه أن ينسي ـ وإذا حلث أن نسي فهناك من يذكره بسرعة \_ في أن المظروف تغلب على منديس فرانس بعد الانتخابات التي انتصرت فيها الجبهة المعمودية ، انه الرجل الذي يتمتع بسياسة معينة وبالغالبية التي ستنطلق ثم تنتحر سياسيا وم ١٩٠٨ وهو اليوم الذي اعتقلت فيه انها قد انتصرت مل يساوي الرجل أكثر من ذلك ؟ وهل هضم هذا الرجل ما قاله بشيء من الفخر وهو على علم تام بما يقول ؟ اننا نعترف بأن له رايا وأنه كان واعيا لما يقول حتى النهاية ، ولكن الحرب أمر يختلف اختلاقا تاما ، ومع ذلك ففي ذلك الوقت لم يكن أي دئيس فرنسي للوزداء ليستطيع أن ينتهج سياسية الحرى ،

هل يقبل المشروع الامريكي الخاص بجمعية المنتفعين ؟ لقد قبله الانجليز للمحافظة على العلاقات الخاصة ، أما الفرنسيين فقد قبلوه على مضف لأنهم كانوا يشمرون بأنه لم يكن في وسعهم في ذلك الحن القيام بأي عمل بنون الانجليز ٠ ومع ذلك فلم يكن العرض الذي تقدم به دالاس بمثل هذه البساطة • وقد أضاف اليه عرضا آخر هو القيام بضغط اقتصادي ضد مصر ... وبصفة أساسية .. بأن يجعل حاملات البترول تتفادي الرور في القناة على اساس انها تشكل أكبر نسبة في السفن التي تعبر القناة ، فاذا ما جعلنا نصف بترول الشرق الاوسسط الذي يعبر القناة يغير طريقه ، واذا ما قمنا بشراء باقى البترول اللازم من خليج الكسبيك والبحر الكاريبي ، فاننا نفرض بذلك حصارا على القناة مما قد يجعل عبد الناصر يعيد التفكر في هذا الامر. ويبدو أن هذا الاقتراح كان وجيها لانه كان يعني أنه لا الانجليز ولا الفرنسيون سيدفعون رسوم الرور في القناة لناصر ، وكان يعنى أيضا أن الانجليز والفرنسيين سيفرون كل النظام الذي كانوا يتبعونه بشان البترول ، وذلك خرمان ناصر من ايرادات القناة برغم أن منح ناصر قرضا بالدولارات قد يجعله يتغلب على هذه العقبة ، وهذا يعنى تخفيض مشترياتهم من البترول بالاستركيني وبالفرنك وحرمان حلفائهم في الشرق الاوسط من الايرادات القابلة لها والاكتفاء بدفع مشترياتهم البترولية باللولاد •

ويبدو أن ايدن لم يفهم السبب الذي دفع دالاس الى الاقتراح المفاجي، باجراء هذا التخفيض الارادي في حركة المرود عبر القناة • وعلى كل حال فهو لم يتحدث عن ذلك مطلقا ، ولكن كان من الواضح أنه أذا اتبع الانجليز والفرنسيون نصائعه وقاموا بتفيير خط سير حاملات البترول التابعة لهم سـ كما كان الامريكيون يقترحون \_ فلا يصمب على ناصر ادارة القناة حتى بعدد المرشدين المحدود الذي سيتبقى له بعد رحيل الموظفين المخلصين للشركة العالمية • وقد أخلت الادارة الامريكية تطبق العلم على العمل ، اذ أنها بعد وقت قليل اتخلت اجراءاتها لتغيير خط سير العملد الاكبر من السفن الامريكية التي كانت تمر في القناة بعا فيها \_ حداد المرة \_ تلك السمغن التي يملكها هؤلاء المواطنون الاحراد الذين كان من مصلحتهم أن تحمل سفنهم أعلام دول أخرى •

وبخلاف القرار الذى كان يقفى بقبول الشروع الامريكى الخاص بجمعية المنتفعين بقناة السويس تمخفت المحادثات الفرنسية البريطانية عن نتيجتين خطيرتين: لقد تقرر سحب المرشدين الذين ظلوا مخلصين للشركة ، كما اتخدت بصفة خاصة قرارات باجراءات عسكرية خطيرة للفاية !

# مسألة الرشدين:

فی الیوم اللی امم فیه ناصر القناة ای یوم ۲۳ من یولیو۱۹۰۰ کانت شرکة المقناة تستخدم فی مصر ۹۱۰ من الموظفین به ادارین ومرشدین وههندسین به من بینهم ۹۲۰ من غیر المصریین بالاضافة الی ۲۰۰۰ عامل بینهم ۹۰۰ من غیر المصریین ومنهم ۸۰۰ من المونانیین و کانت الشرکة تستخدم ۲۰۳ من المرشدین بینهم ۱۳ بریطانیا و ۵۰ فرنسیا و ۶۰ عصریا و ۱۶ هولندیا و ۱۱ نرویجیا و ۳۳ یونانیا و ۳ دانمرکین و ۲ من الایطالین و ۲ من الولایات المتحدة و ۲ من البلجیکین و ۲ من السویدین واسبانی واحد ویوغوسلافی واحد وبولندی واحد وکن ستون منهم فی اجازة ، والم یکن معظمهم قد عاد الی عمله ۰

وكانت شركة القنساة تريد سبحب مرشديها وموظفيها فودا و ولكن الحكومتين الانجليزية والفرنسية طلبتا منها الابقاء عليهم وتسهيل المرود عبر القناة الى أقصى حد حتى الوقت الذى تجدان من المناسب فيه اعادة حركة المرود فيها وفى بداية أغسطس رفعت الشركة مرتبات مرشديها ، ثم طلبت منهم التوقيع على بيان يعلنون فيه رغبتهم فى العودة الى أوظانهم باسرع ما يمكن ، اى التوقيع على بيان يعلنون فيه رغبتهم فى العودة الى أوظانهم باسرع ما يمكن ، اى والوظفين سيهجرون وظائفهم حينما تطلب منهم الشركة ذلك، واتضح أن تقديرهم كان صحيحا ، كما كانوا يقدون أن ناصر لن يستطيع ضمان المرود فى القنساة بواسطة السبعين مرشدا الذين يستمرون فى العمل ، وتبين أن هذا التقدير كان خاطئا ، كانوا يتعللون بأوهام كثيرة فى الودوا ولا سيما فى فرنسا بالنسبة لهذا المؤضوع ، ولم تكف الصحف الفرنسية عن التاكيد بأنه لا يمكن ايجاد بديل

لهؤلاء الرجال الذين هم على مثل هذه الدرجة العالمية من السكفاءة ١٠ ان الرشد المسموح له بقيادة السفن الكبيرة هو الرجل الذي قاد سفنا في البحاد ، ثم اجرى تدريبا لمدة سنتين في خليج بور سعيد، ثم عمل بعد ذلك في القناة لمدة عشر سنوات قائدا للسفن ذات الحمولة الخليفة قبل أن يسمح له بقيادة السفن السكيرة في القناة وقد كشيف المسحفي جان فران × الطريقة التي كانوا يتصورون بها مسالة المرشدين • سيؤدي رحيل المرشدين الى اغلاق قناة السويس بطريقة شبه نهائية ، ففي اليوم الذي سيتوقف فيه سير العمل في اتقناة تستطيع الاساطيل المرشدية البريطانية الانقضاض على الدلتا ، وسسيكون الفرنسيون والانجليز حينند في حالة الدفاع الشرعي عن انفسهم •

ولكن أسفا ، فقد قضى دالاس يوم ٧ سبتمبر على كل أمل فى تنفيذ عملية سمعب الرشدين، ولعلهم استطاعوا التعلل بهافيما بعد ولكن نظرا لانهم اضطروا الى قبول فكرة جمعية المنتفعين بالقناة ـ وهى التى تقفى بان تستخدم جمعية المنتفعين مرشدى الشركة العالمية \_ فيجب اذن اما صرف النظر عن كل أمل فى هذه الناحية ونقل هؤلاء المرشدين الى جمعية المنتفعين ، واما ترحيلهم على الفود ، ومن ثم يمكنهم أن يتحققوا مها اذا كانت هذه العلة صاحة أو غير صاحة •

لقد كان يوم ٢٦ سبتمبر هو التاريخ التالى اللى تحدد للقيام فيه بالهجوم الفرنسي البريطاني ، يجب أن يصدر أمر الزحف مساء ١٦ من سبتمبر ، ولذلك تقرر تأجيل تنفيذ التعليمات التي سبق أن صدوت الى الرشدين الذين ظلوا مخلصين للشركة فقضت عليهم بترك عملهم يوم ١٥ سبتمبر .

ومند أن طالبت الشركة مرشديها بنوع من يمينالولاء لها ... أى مند الاسبوع الثانى من أغسطس ... اهتم ناصر بجمع أكبر عدد ممكن من الرشدين الاحتياطيين الدين يستطيعون أن يتلاموا بسرعة كبيرة مع الظروف اقاصة للغاية المتعلقة بالملاحة في قناة السويس • وكان الذين يستطيعون أن يتلاموا بهلم الكيفية مرشدى قناة كبيل في آلمانيا الاتعادية • أن القناتين تتساويان لدرجة كبيرة في

x جان فران فی صحیفة باری ــ ماتش بتاریخ ۸ سپتمبر ۱۹۰۹

مساحتهما اللدخلية ، والعرض الصالح للملاحة والعمق المناسب متشابهان جدا في القناتين بالإضافة الى مزيد من الصعوبة في الملاحة في قناة كبيل • وقد عرض على هؤلاء الرجال كميات من اللهب تبلغ ستة اضعاف أو ثمانية أضعاف ما يتقاضونه من أجور في المانيا • وبللت دعاية كبية شأن احتمال تعيينهم ، ولكن يبدو أن هذه الإغراءات كم تؤت ثمرها ، فمن بين المرشدين الذين ساهموا فعلا في حركة الرور يومي ١٥ و ١٦ سبتمبر لم يكن هناك سوى مرشد الماني واحد •

وفی ۱۰ سبتمبر اعلنت مصر آنها عینت ۵۳ مرشدا جدیدا اعتبادا من آخر یولیهٔ ۱۰ منهم ۲۷ مصریا و خسسهٔ من الیونان وایطالی واحد و ترویعی واحد ، وسویدی واحد والمانی واحد ۱۰ وفی صباح یوم ۱۳ سبتمبر وصل ۱۰ مرشدا روسیا الی بورسمید فی الوقت الناسب تکی یظهروا بعظهر من ینقد الموقف ۱

وقد رحل المرشئون الفرنسيون والبريطانيون وتركوا المصريون يصورونهم وهم يرتبون امتعتهم • اما المرشئون الاخرون – الذين ظلوا في خدمة مصر فقد اخلوا يضاعفون عدد نوباتهم ويعملون ليل نهاد لسدة ثلاثة آيام • وحسن الحفظ كانت حركة المرور اضعف مما كان منتظرا ، اذ غيرت سفن كثيرة خط سيرها واتجهت نحو طريق راس الرجاء المسالح لكي تتجنب الاحداث والصمود المفاجي، في معدلات تأمين شركة اللويد • اما البعض الآخر فقد فعل ذلك بناء على طلب حكوماته ، ولم تكن الشركات الانجليزية هي الاخيرة في اتخاذ هذا القراد ، فقد غيرت شركتا بننسيولار واورينتال لاين خط سير سفنهما ، وبلئك انخفضت حركة غيرت شركتا بننسيولار واورينتال لاين خط سير سفنهما ، وبلئك انخفضت حركة المرور بنسبة ٥٧٪ وعيرت القناة مساء ١٦ سبتمبر ٤٧ سفينة وكسبت مصر بذلك معركة المرشدين • وفي هذا الساء لم يصدر أمر الرحيل للهجوم الذي كان متوقعا ، وكانوا يتكلمون في ذلك الوقت عن تاجيل الهجوم ال يوم اول اكتوبر أو ال يوم اول اكتوبر فيان هناك بعض مشكلات الخشر خطورة ظهرت

### بدون أمريكا:

لقد بدا للفرنسيين والانجليز أن دالاس لن يتركهم لكى يسدوا وحـهم المشكلة عسكريا ، وأن وزارة الخارجية الامريكية التى دابت على اختراع أسباب منع الحرب ستعدل اذا تدخل ظرف خارجى يضع للحلفاء الثلالة وهم ، فرنسسا وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة الامريكية ـ امام الامر الواقع بحيث يضطرون الى التدخل ما أو يتدخل اثنان فقط بالإتفاق مع الثالث ٠

ولذلك يجب أن يكون هناك شرط أساسي هو أن يظهر هذا الظرف الخادجي وكان القدر هو الذي فرضه ، وألا يبدو في أي وقت من الاوقات أن فرنسسا أو بريطانيا العظمى بصفة خاصة قد دفعت عجلة القدد • ويجب أن يكون هذا الظرف حادثا يقع من ثالث ، ويهدد المسالح الفرنسية البريطانية في منطقة القنساة تهديدا مبشرا • وقد كان يمكن أن تكون الحجة عدم مقدرة ناصر على تشغيل حركة المرود في القناة يوم رحيل مرشدي الشركة العالمية ، الا أن الحجة فشلت لأن الانجليز والفرنسيين لم يرغبوا في التظاهر بعظهر من يرغب في تنظيم تزاحم السمن في القناة وذلك بالتضحية بعدد كبير من السفن ، وهي تضحية ضئيسلة الخارناها بالسائة في جملتها ،

اما الحل الثانى فكان يمكن ايجاده في الصورة القديمة التي رايناها تنفلا قبل الحرب، وهي الاستفراز، تظهر بعض الاضطرابات في مكان ما وبتبدخل بلد ما ( وبصفة عامة يتدخل البلد الذي نظم هذه الاضبطرابات سرا ) لاعبادة النظام • وكانت الحالة موجودة في مكان ما لا يبعد كثيرا عن القناة ، وهي النزاع الاسرائيل العربي الذي ظل في حالة مستترة متجددة دائما تحت تصرف الشياطين الدين يرغبون في اذكاء النار • ولم يكن هذا النزاع يمس منطقة القناة وحسما وانما كان يشتعل كثيرا في منطقة تبعد عنها كثيرا من ناحية الشرق وتشفل منذ زمن طويل سجلات الامم المتحدة بشكل مستمر حاولت بين حين وحين تسويتها دون ان تنجع ابدا في ذلك •

وحتى يكون هذا النزاع ذريعة تستدعى التدخل يعب أن ينتقل غربا الى القناة نفسها ، وحينئذ فقط تستطيع بريطانيا التدخل كوسيط وليس كحليف لاسرائيل ، إن هذا الشرط الاساسي هو الذي يفسر هذه الخطة المعقدة التي رسمت بسرعة بين ٨ و ١٤ سبتمبر ١٩٥٦ والتي سيهز خبراء الحرب دوسهم طويلا حين يتدارسونها بعد ذلك ، وهذا ما يفسر هذه المرحلة السيكولوجية التي يريد بعض هواة المنطق الدقيق أن يبردوا بها بطء النقل بين مالطة وبورسعيد في حين لم يكن هذا البطء يهمهم كثيرا حين اعدوا الخطة الاولى « موسكيتي » ،

## الخطة « موسكيتير العدلة » :

مند صدر الامر بوقف الخطة « عوسكيتير » ـ في ١٨ اغسطس وهي تهدف الى الهجوم على الاسكندرية ـ آخذت هيئات اركان الحرب تعد خطة جديدة سيطلق عليها اسم « موسكيتير المدلة » وذلك لتسرب معلومات الخطة الاولى الى ناصر ولكن لم يقدر لهذه الخطة أن تعيش غير اربعة أيام لكى تحل محلها خطة جديدة قريبة منها سميت « خطة موسكيتير المعدلة » الاجل و « موسكيتير المعدلة » وذلك حين يتقرر الغاء الخطة « موسكيتير المعدلة » الاولى و هو غموض ؟ انه كذلك في الظاهر فقط ، ولذلك يجب التوضيح •

لقد بدأوا في اعداد الخطة الاول « موسكيتير المعدلة » التي يرجع تاريخها الى ١٤ سبتمبر بعد العدول عن العملية المباشرة التي كانت تهدف الى الهجوم على الاسكندرية ، اى انهم بدأوا في اعدادها في نعو يوم ٨ سبتمبر • وقد ادخلت على هذه الخطة العناصر الاساسية للخطفة « موسكيتي » التي أعلنت يوم ١٨ أغسطس ، واكتفوا باضافة بعض التدابير فيما يتعلق بالهجوم على بورسعيد • وقد تقرد في ذلك الحين اعداد مرحلة سيكولوجية تمتد من ثمانية ايام الى عشرة تهدف رسميا الى « تحطيم ادادة القتال لمدى المعريين » ولكن كان المقصود منها في الحقيقة نقل منطقة المادك الى جواد القناة بعد الاستيلاء على ما كان يسميه المنزال جاذان « ساق الزهرة » أي بعد استيلاء الاسرائيلين على سيناء • ثم بعد

ذلك « الخطة أ » وهى التى تتم فى حالة ما اذا كانت القاومة ضعيفة أو كانت لا تدكر و « خطة ب » انتى تقفى بالزال الجنود واستخدام القوة اذا لم يتحسن الموقف أو تقرر أمر آخر » ( لقد استخدمت الفاظ رقيقة فى هدا الشسأن ) أى بشكل واضح اذا صادف الاسرائيليون مقاومة أكثر مما هو متوقع ، ولم يستطيعوا الوصول الى مشادف القناة فى نهاية المهلة « السيكلوجية » وقد تقرد بعد ذلك أن يستولى البريطانيون على بورسعيد والفرنسيون على بور فؤاد ثم يتم ذحف مشترك نحو أبو صوير ( من البريطانيين ) ونحو الاسماعيلية والسويس ( من الفرقة السابعة الفرنسية والسويس ( من الفرنسية شرق القناة ويزحف البريطانيون من أبو صوير والفرنسيون من السويس نحو القاهرة • وكانت علم الخطة متصلة بامر تنفيلى صدير يوم السويس نحو القاهرة • وكانت علم الخطة متصلة بامر تنفيلى صدير يوم « ٢ » وبلية هجوم تعدد يوم ٢ ٣ سبتمبر أى أن « ى - ١٢ » كان يتم يوم ١٤ سبتمبر ،

وقبل أن تصدر هذه الاوامر أعطيت تعليمات جديدة يوم ١٠ سبتمبر تنص على تعديل « موسكيتير المعدلة » • وقد تقرر هـذا بوضوح على أثر المحددثات القرنسية البريطانية التي جرت يومي ١٠ و ١١ سبتمبر ونجم عنها « الخطة موسكيتير المعدثة النهائية » بتاريخ ١٨ سبتمبر التي تعدد على أثرها اليوم « ي » في أول آكتوبر ثم في ٨ آكتوبر • ولاحترام هذه التواريخ كان يجب اعطاء أمر التنفيذ يوم ٢٠ سبتمبر بالنسبة للحالة الاولى ويوم ٢٧ سبتمبر بالنسبة للحالة الاولى ويوم ٢٧ سبتمبر بالنسبة للحالة المنابة ، ويجب حفظ هذين التاريخين جيدا ٠

ومع ذلك فالخطتان - خطة ١٤ سبتمبر وخطة ١٨ سبتمبر - تتشابهان لدرجة كبرة ، وليس هناك غير اختلافات طفيفة وتهدف هده الاختلافات الطفيفة - التي تقررت في خلال المحادثات الفرنسية البريطانية التي جرت يومي ١٠ و ١١ سبتمبر - الى القيام بهجوم على الاهداف التكتيكية الوجودة في سيناء ، ومن جهة اخرى تنظيم محطة للنقل الجوى من قبرص ، واستدت هذه المهمة الى الجناح ٢١٥ للسلاح الجوى الملكي البريطاني الذي أضيف اليه تسع طائرات ثقيلة من طراذ هيستنج .

وفى الوقت نفسه اعطيت لقيادة السلاح الجوى اللسكى المداخس فى نطاق قوات الهجوم السلطة العليا ، وهى مسلطة مارشال الجو هادلستون اللى كانت المهمات الجديدة التى القيت على عاتق السلاح الجوى الملكى مبررا لتعيينه مع أنه لم يكن منتظرا •

وفى ٢٠ سبتمبر قام ابيل توماس مدير مكتب وزير الدفاع الوطنى الفرنسى والكولونيل مانجان من نفس المكتب بابلاغ هذه الخطة النهائية الى الاسرائيليين وقد توجها خصيصا الى تل ابيب لهذا الفرض • وكان الاسرائيليون على علم سابق باهم ما فى هذه الخطة ، ومنذ يوم ١٨ سبتمبر اخد الجنوال ديان القائد الاعلى للجيش الاسرائيل ان يستعد للحرب ثم يحارب حتى بدون حلفاء اذا اقتضى الامر ذلك •

# رد الفعل الأمريكي :

كانت الولايات المتحدة على عسلم تام باكثر التحركات سرية من جانب الفرنسيين والبريطانين ، وذلك لان أيز نهاور أشار منذ ١٧ سبتمبر في مؤتمره الصحفي أنه ليس بللعصوب العينين ، وفي ١٣ سبتمبر أدلى دالاس بتصريحه العنيف للغاية عن أزمة السويس ، وهو التصريح الذي قد يبدو غير مفهوم إذا لم تخول في حسابك الوجه الآخر من الموضوع ، تقد ظل أيز نهاور حدرا ثم اعترف في النهاية بأنه أذا وجد نفسه أمام عدوان مصرى أبا كانت صورته فأن الولايات المتعدة ستعلن أن بريطانيا العظمي وفرنسا ليس أمامهما من وسيلة أخرى غير استخدام القوة ،

أما دالاس فقد كان واضحا وعنيفا في مؤتمره الذي عقده يوم ١٣ سبتمبر حقا • لقد رفض ايلن وهو يتحدث في مجلس العموم أن يستبعد الالتجاء الى القوة بل أعلن على العكس من ذلك أنه يعتبر مشروع جمعية المنتفعين بالقناة سـ الذي توافق عليه بريعانيا العظمى سـ بمثابة وسيلة تسمح بالالتجاء الى القوة في حالة

عدم اذعان ناصر لهذا الانذار النهائي الجديد ، وقد قال رئيس الوزراء « يجب على ان أوضح أنه اذا كانت الحكومة الصرية تحاول التدخل في عمليات هذه الجمعية أو ترفض أن تعد لها يد التعاون فان هذه الحكومة تكون قد نقضت مرة الحرى اتفاقية ١٨٨٨ • وفي هذه الحالة ستتخذ حكومة جلالة الملكة والحكومات الاخرى المعنية الاجراءات التي تبدو لها مناسبة صواء كان ذلك عن طريق الامم المتحسدة أو بوسائل أخرى وذلك لائبات حقوقها × » •

وحينما طولب ايدن شرح عبارة « باستخدام وسائل آخرى » رفض ذلك وقال ان الدول الثلاث قد اختارت هذه الكلمات عمدا ، وبدلك دعا الجميع الى آن يظنوا أنه قد حصل على موافقة الولايات المتحدة على « هذه الوسائل الاخرى » اى الموافقة على الالتجاء الى استخدام القوة •

وقد حصل ايدن على غالبيته المنتظرة ولكن فوستر دالاس المغرور بادر مند اليوم التالى الى تكذيب ايدن ، وفي بيانه الصحفي الذي عقده يوم ١٣ سبتمبر الحد يشرح باسهاب مفهوم مشروع جمعية المنتفعين بالقناة ، وكشف في مجسري حديثه أن وؤادة الخارجية ... أي أنه هو نفسه بد لا يريد أن يعيد شرح مفهوم هذا المشروع قائلا : لقد بذل جهد كبير في سبيل اعداده في واشنطن ولكن وزارة الخارجية بالدات لم تفعل شيئا ، ونظرا لا أنه من غير الحتمل أن تكون هيئة أركان الحرب الامريكية هي التي عنيت بمسالة المنتفعين بالقناة فان هذا يحملنا على الاربا الذي قام مباشرة باعداد هذا الشروع هو البيت الابيض ذاته .

وانتقل دالاس بعد ذلك الى التحديرات فقال انه لم يكن قط في نيتنا أن نههد لانفسنا طريقا بواسطة المدافع • وقد يكون لنا الحق في عمل ذلك ولكننا لا ننوى القيام به ، وهذا هو الموقف بالنسبة للولايات المتحدة • فاذا أغلقت القناة بالقوة فسنرسل سفننا عن طريق الكاب ( رأس الرجاء الصالح ) •

وكان يستهدف بتصريحه العنيف هذا ـ كما أوضح دالاس نفسه فيمـاد بعد ـ ان يبرد اسستان جمعية المنتفعين • وكانت صسمة عنيفـة لايدن ، وقد

<sup>×</sup> السبع انطوني ايدن ، الكتاب السابق ذكره ، الجلد الثاني ص ١٤١ ٠

شرح ذلك فيما بعد قائلا «هذه الكلمات كانت بمثابة نصيحة مقدمة الى ناصر بانه يستطيع رفض المشروع دون أن يخشى أى عقاب • أنهم لم يقولوا لنا أن مثل هذا التصريح سيصحب اعلان انشاء نادى المنتفعين • أذا كنا نعلم أن الامريكان سيستخدمون هذا التصريح ليقترن بالإعلان لما كنا قد وافقنا عليه • أما نحن فقد كنا نعتمد على أن المصريين لن يستطيعوا الإفلات بهذه السهولة بعد أن رفضسوا الاقتراحات المعقولة التى قدمتها الدول الثماني عشرة •

« أما بالنسبة للناس فقد استنتجوا من الكلمات التى استمعوا اليها أن الصريين لن يخشوا شيئا مهما يعلن • ثقد كان نادى المنتفعين مشروعا أمريكيا وقد قبلناه مرغمين • كما أننا اتفقنا نعن الدول الثلاث حتى على نصوص الاعلان • وها هو ذا الناطق بلسان الولايات المتحدة يقول الآن أن على كل دولة أن تقرر ما تشاء لنفسها ، ويعلن أنه لا يستطيع أن يتذكر ما أعلنه الناطق بلسان أحد الحلفاء الاساسيين •

« وكانت مثل هذه الوقاحة تجاه الحلفاء كفيلة بتعطيم آية رابطة حقيقية • فهى لا تدع مجالا للاختيار الا بين الانفصال وقبول علاقة التابع للسيد في ميدان السياسة الخارجية × » •

اننا نفهم جيدا رد الفعل السيء لدى رئيس الوزراء البريطاني بقدر ما يبدو انه كان يعتقد أن دالاس قد دبر من قبل هذا التصريح ، وهدا يبدو صحب التصديق لان المسألة تصبح في هذه الحالة نوعا من الفند ، انك أن تدفع حليفا ألى الالتزام علنا بميثاق ثم تضفى عليه بعد ذلك معنى يختلف عن المعنى الذي كان يتضمنه في وقت الانفاق ، فذلك بعد العلاقات القائمة وقد فسدت هذه العلاقات بين حلفاء شمال الاطلنطى بطريقة خطيرة، ويبدو أن هذه لم تكن رغبة فوستر دالاس على الاطلاق .

<sup>×</sup> السير انطوني ايدن ، الكتاب السابق ذكره • المجلد الثاني ص ١٤٣ .

ماذا حدث اذن من جديد في الفترة التي تقع بين الوقت الذي اتفق فيسه دالاس وايدن تليفونيا على مبنا انشاء جمعية المنتفعين وبين هذا المؤتمر الصحفي الذي عقد دالاس ؟ ماذا حدث ليدعو وزير الخارجية الى التصريح بانه يرفض أن يمد لنفسه طريقا بقوة المدافع ؟ نعم • لقد انغذ الفرنسيون والانجليز قرارهم بناء على « المخطة موسكيتير المدائة النهائية » بان يمروا بالقوة في اول اكتوبر من ناحية المبدأ ، ودبا احيط دالاس علما بذلك وبسرعة فائقة • واننا لنعلم الآن عن طريق المدكرات التي نشرها شقيقه الن دالاس الذي كان في ذلك الحين يشغل منصب المدي قلم المخابرات المركزي الامريكي أن الامريكان كانوا يتتبعون عن كشب الاستعدادات الفرنسية الانجليزية بالنسبة لحملة السويس بجميع تفاصيلها •

وقد القى دالاس بنفسه فى الماء مرة أخرى ليمان استنكاره لهلم المفامرة الجديدة وليقترح هذه اختمة الهزيلة الخاصة بانشاء جمعية المنتفعين بقصد وقف البد المنتفعة التى يريد أن يرفعها الفرنسيون والانجليز و وعلى كل حال فهو قد يعتقد ايضا أن مجرد اخفاء آمور بمثل هذا القدر من الخطورة على حليف يدعون أنهم يتمسكون به بشدة سنظرا لأن هذه الامور تعرض سلام العالم للخطر سيعتبر نوعا من النفاق كما أنه يعتقد أن مثل هذه الوقاحة نصو الحلفاء جديرة بأن تعطير أية رابطة حقيقيه •

ولم يكن لهذه اللجان من القوى غير تالير وقى للفاية الما ايدن فقد اعتبر أن التحالف قد اهتز ، وكتب فيما بعد قائلا « لم يكن لنسف االأمريكين لشروعهم ذاته في اليوم نفسه الذي أعلنوه فيه غير مخرج واحدد هو استخدام القوة أو الإذعان لانتصار ناصر » \*

وكان يبدو للحكومتين الفرنسية والانجليزية أن استخدام القوة هو الوسيلة الوحيدة للحيلولة دون فوذ ناصر •

# الفضل أكادى عشرته

### الماطلة

FE.

لقد قضى على جميع الحجج وجميع الاعدار • أما حجة انسحاب المرشدين فقد عاشت حتى هساء يوم ١٦ سبتمبر وذلك حين تم مرور ٤٢ سفينة بنجاح عبر القناة وبقيادة مرشدين موالين للشركة المصرية الجديدة • وأما حجة الزام جميع السفن بدفع رسوم المرور الى هيئة المنتفعين فقد كأل لها دالاس الضربات وسيقفى عليها في الايام القليلة القادمة •

وعل هـذا النحو زالت جميع المفاطر • لم يعد نهرو يرسل لايزنهاور رسسائل تنم عن القداق • وسستميد شركة لويد قريبا الى معدلها العدادى تعريفات التامين بالنسبة للسفن التى تعبر القناة والتى دفعتها المة المرشدين الى قريادتها ، واستمر عبد انتاصر فى تعاشى جميع الاستفزاذات بكل عناية آخذا حذره من جميع الاخطاء • وفى اسرائيل ذاتها أخذ بن جوريون يعلن أنه ما دام فى الحكم فان اسرائيل كن تقامر بخوض حرب عدوانية •

## آخر ورقة في يد الشركة:

اما بالنسبة للشركة العالية فقد كان مستقبلها يبدو مظلما ، فان تشكيل جمعية المنتفعين ـ وهى التى ستعتمدها دول كثيرة ـ يؤدى ال قراد جهاز منافى لها يستمد حقوقه من اتفاق دول ، بل انه آكثر من ذلك مثبثق من اتفاق وقعت

عليه أهم الدول الغربية • وللكك فقد أسرعت الشركة بابلاغ الدوائر التي يعنيها الامر بالملكرة التي سبق أن أشرنا اليها، وذلك في تاريخ ١٧ سبتمبر • وتستهدف المذكرة اعادة تاكيد حقوق الشركة تجاه جمعية المنتفعين الجديدة • وتقول الشركة فيها « لن تجد الهيئة الجديدة تجاه الشركة صاحبة الامتيازات أي تبرير قانوني لتحصيل رسوم المرور » •

ولم تشأ الشركة العالمية هنا أن تذكر الناس بحقوقها التى خولتها لها الفنية التى المرمانات وسبق أن وافق عليها الخديو ، بل ذكرتهم بكفاءاتها الفنية التى لا تستطيع جمعية المنتفعين أنَّ تستغنى عنها على الاقل في مراحلها الاولى • ان ما تتمناه هدو أن ينسى الجميع هدا الحادث الصغير الذى وقع في نهاية شدهر المسمس في الوقت الذى كانت تعد فيه الشركة بالاتفاق مع كريستيان بينو عملية سحب المرشدين في التاريخ الملائم لتبرير الحملة الفرنسية البريطانية • وفي بعداية سسبتمبر ، نشرت الجريدة اليومية الباريسية « تيبرا سيون » صدورة فوغرافية للشيك الذى تبلغ قيمته مائة الف فرنك × الذى تسلمته من الشركة فوتوغرافية للشيك الذى تبلغ قيمته مائة الف فرنك × الذى تسلمته من الشركة العالمية لقناة السويس ثم اخدت تساءل عما اذا ما كانت صحف الخرى قد تمتمت مثلها بهدايا الشركة • وقد اتضح بسرعة أن معظم الصحف اليومية الباريسية تلقت شيكات ما عدا الصحيفة اليومية الشيوعية « لومانيتيه » بل أن بعضها لم يشمع في اعادة الشيكات ، بل ربما صرف بعضها قيمته •

وفي الحقيقة لم يكن لهده المسالة أى اثر ، وقد اوضعت الشركة انها طريقة لطيفة عادية بالنسبة للصحف الباريسية التى تنشر محاضر الجمعيات العمومية التى تعقدها الشركات وتتلقى على ذلك شبيكات كاجور للدعاية ، ولم تكن هده الطريقة سالورفة منذ عهد شركة بناما ستسم بالكياسة فضلا عن أنه لم يراعى فيها اختيار الوقت المناسب ، فاذا كانت الشركة ترغب في شراء ذمة الصحف فما الذي يدفعها الى ذلك في حين أن جميع الصحف تقريبا تدافع عنها بطيب

<sup>×</sup> أنها طبعا فرنكات سنة ١٩٥٦ وهذا المبلغ يعادل الف فرنك من فرنكات اليوم ( المترجم )

خاطر ، وكان فى استطاعتها أن تنشر صفحات كاملة .. بالسعر الكامل .. لشرح وجهة نظرها ؟ وقد نسى هـل الحادث الصفع الذي يدعو الى السخرية نسيانا .. سريعا .

أما في منتصف سبتمبر فقد كانت المسألة خطيرة ولم يكن من المستطاع تسويتها بأدسال شيكات قيمتها مائة الف فرنك بسعر هدا، الوقت الى كبار رجال الحكومة ، ان كل ما كانت تستطيع الشركة عمله هو أن تلجأ الى مهارة القادة الفرنسيين والى حسن نوايا الحكومة البريطانية ،

# مؤغر لندن الثاني:

ماذا كان موقف الحكومتين الفرنسية والانجليزية ؟ يتلغص هذا الوقف في ان ترسل الحكومتان منجديد وفديهما \_ يوم ١٩ سبتمبر \_ الى هذه القاعة الزرقاء نفسها في لانكاستر هاوس بلندن حيث عقد في شهر اغسطس مؤتمر الاثنين والمشرين دولة لمقابلة وفود تلك الدول التي ستشترك في انشاء جمعية المنتفعين بالقتاة ٠

كان فوستر دالاس قد وصل طبعا في الليلة السابقة واجتمع فور وصوله بالمندوبين البريطانيين • وقد ساد هذا الاجتماع بعض الضيق لان دالاس كان قد أدلى بتصريح في غير الموقف الملائم قبل مغادرته واشنطن مباشرة ، فعظم به الآمال التي كان الفرنسسيون والبريطانيون قد عقدوها على جمعية المنتفعين الحديدة •

هاذا تبقى اذن من أمل في سياسة مشتركة بين الحَلفاء الثلاثة ؟

كانت الباحثات تدور حول نقطة واحدة تبدو صفيرة في مظهرها وهي : هل سيكون تسديد رسوم الرور الى جمعية المنتفعين اجباريا أو اختياريا ؟ كان الانجلبز والفرنسيون متفقين على أن يكون تسديد رسوم المرور لجمعية المنتفعين بصفة اجبادية ، وفي هذه الحالة سيحرم ناصر من معظم الرسوم ، وكان ايلن يقول «كانت مسالة رفض تسديد الرسسوم الى مصر ، هى السسلاح الوحيد الأكيسد ـ خلاف سلاح استخدام القوة ـ الذي كنا نستطيع استخدامه للتغلب على ناصر ، ووذا لم نستخدمه فعلا فقد يرى العالم بوضوح ان ناصر قد نجح في ضربته » •

ومع ذلك فقبل أن يفادر دالاس واشنفن أداد أن يرتبط بتمهد الأصرح أنه لا يدهب الى لندن لتنظيم عملية مقاطعة القناة بل لوضع خطة بديلة • وقد أصر بصفة خاصة على تسجيل أنه لن يحاول فرض حل ما على ناصر ، مصرحا ضمئا بأن ما سبيحث عنه هو حل قد يكون مقبولا بالنسبة لناصر • آى أنه حل يصلح لان يكون موضع مفاوضة • وبالمسادفة أعلن الرئيس ناصر في اليوم التسائي في خلال حديث صحفي له مع الوكالة التشبيكية للانباء « تشبيتيكا » أنه من المكن قبول حل مرض •

وحتى اذا كان قد تبقى لدى المرنسيين والبريطانيين بعض الاوهام قبيل الاجتماع الاول فقد القى دالاس على الاجتماع ماه مثلجا منذ بدايته ، اذ صرح قائلا « ليسن معنى تمتع أى عضو بعق الانضمام الى جمعية المنتفعين أن تفرض عليه أى التزام ، ومع ذلك فاننا نامل أن يتصرف أعضاء هذه الجمعية بمحض ادادتهم بالنسبة للأمود الخاصة بسفتهم ويعملون على تسديد دسوم القناة بما يكفل تسهيل عمل الجمعية لدعم مكانتها وسلطتها ، وبالتالى تحقيق الفائدة المرجوة من وجودها » •

لا سبيل أذن الى أى الزام ، وكلمسا تقدمت اعمسال المؤتمر كان يقفى دولها دويدا على كل ما من شأنه اعطاء أية فرصة لجمعية المنتفعين في كسب احترام الفير • وأخيرا توصلوا الى صياغة نص يحدد هدف المنتفعين بالقناة بالنسبة لمسالة الرسوم ، وهو اسستلام وحفظ ودفع الإيرادات المتحصلة من الرسسوم أو الى مبالغ أخرى يمكن أن يدفعها الى الجمعية أى منتفع بالقناة دون أن يؤثر ذلك على الحقوق القائمة للى أن تتم التسوية النهائية • ويستطيع المنتفع أن يدفع الرسوم ال الجمعية ، ولكن ليس هناك ما يلزمه بذلك ، كما أن كلمة « دفع » الإيرادات

ممناها أن الهيئة يمكنها اقتسام الإيرادات مع مصر اذا ما أرادت ذلك • وقد أشار الوفد الامريكي شفويا الى أنه سيعمل على التدخل للعيلولة دون تسديد الدفوعات الى مصر ، ومع ذلك فعينما سئل عما اذا كان سيلزم أصحاب السفن الامريكيين الدين يسددون الآن مدفوعاتهم الى مصر بتسديدها من الآن الى جمعية المنتفعين، اجاب بأنه لا يملك أية سلطة تسمح له بلكك •

ومعنى ذلك أن اأؤتمر قد أنتهى في جو من الفموض التام ، واتلق على أن 
تبدا الجمعية عملها في بداية شهر اكتوبر في لندن ولكن أحدا أم يحسد بوضوح 
سلطاتها • ولذلك اعتقد الفرنسيون والانجليز أن فهم الامريكين لوظيفة جمعية 
المنتفعين يتطور بسرعة نحو نقطة ستكتفى فيها الجمعية بتنظيم المدفوعات طساب 
المنتفعين يتعلور بسرعة ألم المنافر يتضح ويتحسد قدمت بعض الاقتراحات من 
الجانب الهندى تهدف الى اعادة فكرة المفاوضة ، فاستبعدها ابدن مذكرا بان لجنة 
المهسدة التى كان يرأسها منزيس قد قدمت الى القاهرة اقتراحات مناسبة ورفضها 
سكل اندار نهائي ولم يكن لدى اللجنة أى تفويض أو سلطة للتفاوض الم يرفض 
ايدن وموليه جميع أشكال المفاوضة ؟ ألم يقل ايدن لا نستطيع أن نتفاوض مع 
رجل لا يتمسك بما تعهد به ؟ آلم يصرح جي موليه قائلا « سندفعه بالقوة الى 
قبول قراراتنا ؟ » وعلاوة على ذلك ألم يصرح ايدن في الوقت نفسه — الذي ادعى 
فيه أنه من أنصار التفاوض — انه لا يفهم مسائة المفاوضة الا اذا كانت تسمح له 
بالتغلب على ناصر ؟

اما ناصر ... من جانبه ... فقد ظل صامتا صمت الاموات ، ولم يحاول الوصول الى حل وسسط ، بل ترك الاحداث تسير في مجراها • يلم يعد أحد في القاهرة يعتقد في احتمال وقوع الحرب •

وفي باريس كان الامر يغتلف اختلافا تاما، اذ ان الاوساط السياسية اخلت تتوجين خيفة مما كانوا يسمونه « ضعف » الحكومة ، وفي ١٩ سبتمبر قررت اللجئة التنفيذية للحركة الجمهورية الشعبية ارسال وقد الى جي موليه للتحقق من أن أهدافه لا تزال هي التي كانت قائمة يوم ٣ أغسطس •

وفى ٢٠ سبتمبر اعلن مكتب الجمهوريين الاجتماعين أنه يشعر باشد المخاوف بالنسبة لتعثر اجتماعات لندن و وابدى الجميع فلقهم من الاجتماع اللدى تم بين جى موليسه والرئيس التونسى الحبيب بورقيبة يوم ١٩ سبتمبر واعلن على اثره الرئيس بورقيبة باقتناع كبير واستطيع أن أؤكد لكم أن حرب السويس لن تقع» وفى ٢١ سبتمبر اعرب موريس شومان زعيم الحركة الجمهورية الشعبية لرئيس الوزراء عن معارضة حزبه لنظام جمعية المنتفعين و وكانت أحزاب الاغلبية في حالة من المصبية بعيث لو حلث أن فكر جى موليه وكريستيان بينو في ذلك الوقت في اقل احتمال للمفاوضة مع ناصر لقلف بهما في الحال خارج الحكم !

### تجلس الأمن:

لقد انتهى مؤتمر لندن فى جـو من القموض ، الا أن الفرنسيين والانجليز خرجوا منه بقراد يتضمن أنه لن يبقى أمامهم غير أمرين : اما الاذعان واما العمل ، وكانت باديس تطالب بالعمل فورا ولكنها لم تكن تستطيع ولم تكن تحب القيام بأى عمل الا بالاشتراك مع بريطانيا العظمى •

وكانت لندن تريد استنفاد جميع امكانيات الخلول السلمية ، وكان الالتجاء الى الامم المتحدة يعتبر بالنسبة لايدن أمرا اساسيا لانه يسمح له بنزع سسلاح المعارضة العمالية التي بنت موقفها على الالتجاء أولا الى الامم المتحدة ، ومن توافق الامور أن الوفود الاجنبية \_ ولا سسيما وفود دول مثل ايران والنرويج ونيوزبلائمة والبرتفال التي يوجد فيها أصدقاء كثيرون لبريطانيا \_ اخلت تقوم بالفيقط على حكومة جلالة الملكة لكى تلجأ الى مجلس الامن ، ان دالاس لا يفضل هذا الحل ، لأن الفيتو السوفييتي المتوقع سنيجمل الولايات المتحدة مضطرة الى الاختياد بين مسائدة ناصر وبين التضامن الاطلنطى ،

وكثيرا ما كرر دالاس ذلك لابلن، الا أنهذا وبينو أيضا تركا وزير الخارجية الامريكية يعود الى واشنطن لكى يفاجا حين وصوله بان فرنسا وبريطانيا قد أبلغتا مجلس الامن • وقد رفض دالاس الموافقة على الخطاب ( المحرد يوم ٣٣ سبتمبر ) الذي يطالب بادراج مشكلة السويس في جدول أعمال مجلس الامن • الا أنه مع ذلك لم يقم بأى ضغط ضد عملية داراج المسألة ، وهي العملية التي لم يكن يوافق عليها وبا لأنه علم بأنه تم تحديد يوم جديد للهجوم على مصر (ى) في ٨ اكتوبر ويجب على أساس « الخطة موسكيتير المدلة النهاية » أن يحدد القرار « ى - ١٢ » أي يوم ٢٦ سبتمبر • يحدد اذن تاريخ بنه المناقشة في الامم المتحدة ثم الماطلة في الامراث وهذه هي الحيلة الجيادة •

وفي ٣٦ سبتمبر كان ايدن ولويد في اديس يتفاهمان ويتفقان مع شريكيهما الفرنسي ، وقد كتب ايدن فيما بعد يقول : « لقد اتفقنا مع الفرنسيين في خلال اجتماعنا معهم في باديس على آلا ندع قضيتنا تقرق او توجه الى طريق مسدود في الامم المتحدة • وكان الفرنسيون يشكون في الامم المتحدة ويشكون أكثر من ذلك في جمعية المنتفعين وكانوا يؤيدون فكرة القيام بعمل في موعد قريب •

« وكنت افهم فهما ناما وجهة نظرهم ، ولكنى كنت متاكدا أن علينا أولا أن نلجا الى الامم المتحدة وأن نعمل بداخلها بقدر ما نستطيع • ومع ذلك فقد كردت أنا ووزير الخارجية البريطانية أنه في حالة ما أذا اتضح عدم قدرة مجلس الامن على المحافظة على الاتفاقات الدولية فأن بريطانيا العظمى أن تمثل وأن تدع هدم المهود تداس تحت الاقسام ، وقد كنا مستعدين أذا لزم الامر لاتخاذ جميح الاجراءات المناسبة بما فيها استخدام القوة لاعادة الاحتراملهاده الالتزامات» × .

ان مايففله ايدن في كلامه هذا بالذات هو أن هسلم الاجراءات المساسبة ـ بما فيها استخدام القوة ـ قد اتخذها آلوزراء الاربعة ، فقد حددوا تاريخا جديدا للهجوم على مصر وهو يوم ٨ آكتوبر ٠

<sup>×</sup> السير انطوني ايدن ، الكتاب السابق ذكره • المجلد الثاني ص ٥٥٠ •

وقد علم دالاس فورا وهو فى واشسنطون بنتيجة الدسسانس الفرنسسية البريطانية فانفجر غاضبا ، فهو من ناحية يقوم بالضغط لكى يقبل مجلس الامن ادراج الطلب الفرنسى البريطاني فى جدول أعماله ـ وقد أدرج هذا الطلب فورا بالاجماع ـ ومن ناحية أخرى يكرد فى مؤتمره الصحفى جملته المشهورة : « لن ادعهم يشقون لأنفسهم طريقا فى القناة بواسطة المدفى » •

أما حي موليه فلم تكن لديه أسراد يعلى بها الى أعضاء البرلمان ، ألا أنه لا ينسى التزاماته تجاه حزبه ، وقد جمع مجلس ادارة الحزب يوم ٢٧ سبتمبر ، واحيط هذا المجلس علما بالنبا الجديد واسعده أن يلاحظ في النهاية أن الحكومة قد استنفدت جميع الامكانيات السلمية ،

وقد اعلن ابدن عقب عودته من للدن أن الحكومتين قد اتفقتها على القيهام بعمل مشترك في الامم المتعدة وتتقممن هذه الحملة جزءا من السرعة • ان موافقة البدن على شن العمليات العسكرية كانت موافقة مشروطة ، فلي خلال الاثني عشر يوما القادمة سنعلم ما ستقرره الامم المتحدة ، فاذا وافقت على راينا فسنعيد حينئذ قواتنا الى ثكناتها ، اما اذا حكمت بأننا على خطا او اذا اخلت تضيع بوضسوح وقتنا سدى فائنا سنصدر اوامرنا تباعا وفقا القتضيات الامور •

وفي انتظار ذلك اخلت السنفن تعيد تدريباتها • وقد لوحظ يوم ٢٨ سبتمبر في مالطة أن سفنا كثيرة لانزال الجنود قد رحلت متجهة ألى شرق البحر المتوسط تحرسها اللمرة « صودانيز » •

### رسالة الماريشال بولجانين:

لدى عودة ايدن الى لندن وجد خطابا من الماريشال بولجانين ، وهو خطاب على شكل تحدير يتبين منه أن موسكو أيضا على علم باشيساء كثيرة ، وفي حين يكثر ذعماء المحافظين من تصريحاتهم المثرة معلنين أنه لا يمكن أن يخرج ناصر

هكذا من هذا الموقف كان الرئيس العمال هيو جيتسكيل ـ الذي كان على علم تام باعمال وحركات خصومه المحافظين ـ يلقى اعنف بيانله عن مشكلة السويس مؤكدا ان بلاده قد وقفت مرات كثيرة خلال الاسابيع الاخرة على حافة الهاوية ، وان مواطنيه يشعرون بان « قائدهم اما صبى ساذج واما سكي » •

واستمر ايدن يبعث يائسا عن للسائدة الامريكية ، فارسل الى أيزنهاود برقية بتاريخ اول اكتوبر قال فيها : « تستطيع ان تتاكد اننا ندوك ادراكا تاما وجود مغاطر شديدة في الشرق الاوسط تتلخص في كلمة واحدة : روسيا ، اننى والق بان كل ما تستطيعون قوله او عمله لاظهار بعضالصلابة الآن بالنسبة لناصر سيساعد على اقرار السلام ويجعل الروس يتوقفون قليلا » • لقد ارسل الين هذه الرسالة يوم اول اكتوبر وانتظر بيدون جدوى .. اشارة التواطؤ التي قد تسمح له بالاستمراد في مشروعه • الا أنه لم يحصل على هذه الاشارة بل رعا كان جواب ايزنهاود اللي لم يتكلم عنه ايدن واضحا وضوحا ناما ، اذ ايدن حبن تاكد إنه لا يتمتع بالمسائدة الامريكية بدا يلفي آمره السابق الخاص بالمصلية الجارية • وقد وضع المله الاخير في الفيتو الروسي المحتمل في مجلس بالام يعتقد ان ذلك سيضطر الامريكيين للي العودة الي حلائل علم الغربيين •

وقى انتظار ذلك ، أخلت السفن العسفيرة تعود مرة أخرى الى قواعدها وتلقى رؤساء هيئة اركان الحرب الامر باعداد « خطة للشناء » من شانها ان تخلف الخطة « موسكيتير » التى تنتهى مدة صلاحيتها فى تاديغ ٣١ أكتوبر •

وفي اليوم التال ورد ما يؤكد الفيتو الامريكي على شكل مؤقر صعفي عقده فوستر دالاس وشرح فيه الموقف الامريكي ، فقد صرح وزير الخارجية الامريكية قائلا : « لا نستطيع ان نشتقر من الولايات المتحدة الامريكية أن تشبه مائة في المائة الدول الاستمارية أو الدول التي لا يشغلها غير الرغبة في الحصول على استقلالها باسرح وقت ممكن وعلى الامل وجه ممكن ، واني اقر أن هناك اختلافا في الموقف بين الدول الثلاث حول مسألة القناة ، وهي خلافات ربما كانتناتجة عن مفاهيم أساسية للأمود » ،

اننا حقا متضامنون ، واعتقد اننا سنستمر على تضامننا هذا بالنسبة للمجالات التى للملاقات القائمة بيننا خماية حلف شمال الاطلنطى ، إما بالنسبة للمجالات التى نصل بطريقة أو باخرى المسألة التى يطلق عليها كلمة الاستعماد ففى هـلم الحالة تجدون انالولايات المتحدة تتخد لنفسها طريقا خاصا وحدها • أما بالنسبة بجمعية المنتفين التى عقدت أخيرا اجتماعها الاول فى لندن ، فقد أضاف دالاس : « اننا نفكر كثيرا في برد اسنانها • وبقدر ما أعلم فانى لا اعتقد أن لها أسنانا »

وقد انتهز دالاس هده الفرصة ليعيد ذكر آحد آرائه الاساسية حولسياسة الولايات المتحدة الامريكية في البلاد المتخلفة ، انه يعتقد ان عملية الانتقال من الاستعمار الى الاستقلال ستستمر خمسين سنة ، ان ما تامله الولايات المتحدة الامريكية هو ان يتم هذا الانتقال بشكل تدريجي بحيث نتجنب الخوض في عمليات فورية ،

لقد تعقق ابدن من الاوهام والاخطاء التي كان يسير فيها • بل تحقق مما هو آسوا من ذلك ، فقد علم أن الوفد الامريكي في الامم المتحدة يتفاوض في الخفاء وفي الاروقة مع المندوب المصرى محمود فوزى ، ومع الوفد الهندى ، ويتم كل ذلك تحت رعاية السكرتير العام « داج همرشوئلد » ولم يستطع رئيس الوزراء ابدن أن يمنع نفسه من ابداء هذه الملاحظة وهي : أذا كان على الولايات المتحدة الامريكية أن تدافع عن حقوقها في قناة بناما فهي قد لا تعتبسر ذلك نوعا من الامتحاد !

# مسألة البترول في الأروقة :

وقى أدوقة الامم المتحدة كانت هناك مقاوضات تجرى بكل جدية ، وقد تعهد الوقد المصرى أن يعلن أنه حضر وهو يحمل معه تعليمات باعداد خطة لتحسسين القناة وإن الوقد يستطيع أن يخصص فى هذه العملية مكانا مرموقا لكباد رجال البيترول وكباد أصحاب السفن الامريكين وإن ناصر لم يرسل وقدا كيفما اتفق،

بل ان الوقد كان يضم معمود فوزى وزير اقارجية والدكتور بهجت بدوى دئيس الهيئة المصرية لقناة السويس ويضم ايضا ـ وبصفة خاصة ـ قائد الجناح على صبرى ، انهم مفوضون ذوو مكانة عالية ، وهم قادرون على الارتباط بالتزامات، واذا كانت الشائمات صحيحة فان مصر تعنى بدلك ان تقترح على الولايات المتحدة الامريكية أن تنقاسما معا ملكية القناة ، وقد دردت النيويورك تايمز هاد الشائمات يوم ٤ اكتوبر ، وادعت هذه الصحيفة أن مديرى اكبر شركات البترول ونصف ملياد من الدولارات موزعة على خمس عشرة سنة مقابل أن تسمح مصر بن تشترك في العملية هيئة خاصة تمثل المسالح البترولية ومصالح اصحاب بن تشترك في العملية هيئة خاصة تمثل المسالح البترولية ومصالح اصحاب الهيئة بان تستولى على انصبة الشركة العالمية القديمة باستثناء ٤٤٪ وهي قيمة الاسهم التي تملكها الحكومة البريطانية ستنفع قيمتها مباشرة ، وربما سمح الاسهم التي تملكها الحكومة البريطانية ستنفع قيمتها مباشرة ، وربما سمح الها المصالح البترولية الفرنسية والبريطانية بالاشتراك في هذه الهيئة ،

وقد استمرت المناورة الى يوم ه اكتوبر حينسا أعلن الدكتور بدوى الذى الزعجته التفاصيل التى وردت فى اليوم السابق فى صحيفة النيويورك تايمز عن وجهة النفلر المصرية قائلا أن المصريين أكثر تواضعا فى طموحهم ، ولكن المهم فى الامر هو انهم لا ينوون اعظاء أى شخص مهما يكن أقل نسبة فى رسوم المرود وفى اليوم نفسه اشارت وزارة الخارجية الامريكية الى انها لا تعلم شبئا عن الخطة التى تقفى بانشاء هيئة خاصة لقناة السويس ، ومع ذلك فان الاوسساط الدبلوماسية لم تعاول الخفاء تفضيلها لهذا المشروع بقدر ما كان يسمح بالخروج من المائزة ، وتذكر هاده الاوسساط نفسها أن مثل هاذا المشروع كان موضع من المائزة ، وتذكر هاده الاحتصول على تجديد لامتياز شركة السويس ، ولكن بشكل آخر جديد ، وكان للاحتمام الذى اظهره بعض الرجال الجادين بهاذا بالمشروع الاحتمام الذى اظهره بعض الرجال الجادين بهاذا بالمشروع الاحتمام الذى اظهرته علنا وزارة الخارجية الامريكية نتيجة مباشرة ،

ال كلمة رسوم المرور ... اول طائرة متجهة الى نيويورك حيث وصل اليها يوم ٦ آكتوبر لكى يضع نفسه تحت تصرف مجلس الامن ، فلم يعره هذا اهتماما كبيرا . أن المستقبل بالنسبة للمدير العام وبالنسبة أيضا لقادة السويس الآخرين المظلم حقا ، أن جميع الوفود تناقش موضوع السويس وتتقاسم المشروعات حول مستقبل القناة كما لو كانت الشركة العالمية لم تعد غير شبح بعيد يظهر في اروقة الاجتماعات الدولية ساحبا معه صوت سلاسل السفن ، وهناك نقطة تفصيلية غريبة ، فقد أجريت طوال فصل الصيف عمليات منتظمة لشراء اسهم السويس من البورصة على دفعات يبلغ كل منها ٢٠٠ سند وكان الجميع يعلمون أن هذه العمليات تتم خساب الامريكيين ،

# تجلس الأمن مرة أخرى:

وفي ه اكتوبر اجتمع مجلس الامن لمناقشة الطلب الفرنسي البريطاني ، وقد بادر دالاس الى استقبال لويد استقبالا وديا في الليلة السابقة برغم انه أبدى بوضوح الاسف الذي تركه في نفسه القرار المفاجيء الذي اتخذه الفرنسيون والبريطانيون يوم ٢٣ سبتمبر .

والجميع يعلمون أن القرار كان قد اتخد خلافا لما كان يراه دالاس والنساء سفر هذا الاخير عائدا لل امريكا و وقد داى وزير الخارجية الامريكية أن الوسيلة التي اتبعت في اصدار هذا القرار لم تكن لطيفة بالنسسية له و وقد علق لويد على الثمانات التي يقال ان الوفد الامريكي على الثمانات التي يقال ان الوفد الامريكي يجريها مع الوفد الهندى والتي يعتبرها الانجليسز ممثلة بصفة خاصة وجهسة نظر ناصر و وقد كذب دالاس ذلك ، وهمذا التكذيب لم يكلفه شيئما بل كان مفيدا في تغفيف حدة توتر الموقف و

وقد بدأت الجلسة في الساعة الخامسة عشرة بالتوقيت المعلى ، واسستمع المجلس فودا الموذيري الخارجية سلوين لويد وكريستيان بينو اللذين الخدا فسرد ادلتها وشرحها ، ثم قدم الوزيران اقتراحات بمشروع قرار فرنسي بريطاني

يعيد بطريقة عملية القرادات التي اتخذتها الثماني عشرة دولة ابان اجتماع مؤقر لندن يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٦ وتكثها في هذه المرة كانت تشكل اساسا للمفاوضة مع مصر ، ولم تكن على شكل اندار نهائي ، كما ادادوا ان يصوروه في الناء بعثة منزيس ، ولم يستطع الفرنسيون والبريطانيون اخفاء الملاحظة التالية وهي أن أمريكا لم تكن فقط موقعة على هذه الاقتراحات بل ان هذه الاقتراحات قد تم اعدادها على أساس اقتراح أمريكي ، ولم تنفير وجهية النظر كثيرا عصا كانت عليه لبعثة منزيس ، اذ أن الفرنسيين والبريطانيين اعلنوا انهم سيرفضون كل وساطة وكل حل وسعد وكل أمر يبتمد عن نص هذه الاقتراحات ، لقد ظلوا اذ متشددين ، الا انهم اداوا المحافظة على الشكل ،

#### ماڈا ستفعل مصر ؟

لقد تحدث محمود فوئى وزير الخارجية المصرى مع فوستر دالاس يوم ٦ اكتوبر ، وفى ٨ اكتوبر حينما تكلم امام مجلس الامن دفض الاقتراح الفرنسى البيطاني واوصى بانشاء هيئة للمفاوضة . وهذا تمبع غامض للقاية ، وللكنه اعلن أن المبادئ، الاساسية لهده المفاوضة هى الخرية التامة للملاحة فى القناة وواقامة نظام للملاحة يشترك فيه معا للتنفعون والهيئة للصرية التي تقوم بادارة القناة ٠

ربما كان الاقتراحان آكثر توافقا مما يبدو فى ظاهر الامر، ذلك لان الفرنسيين والبريطانين اوصوا فى النهاية اخكومة المصرية بالتصاون مع جمعية المتفعين بالقناة حتى تنتهى المفاوضات المقترح اجراؤها على اساس بيان الدول الثماني عشرة • اما الحكومة المصرية ، فقد اوصت من جهتها جمعية المنتفعين بالتعاون مع الهيئة المصرية الجديدة لادارة القناة •

وقد القى بعد ذلك المندوب الروسى ـ ديمترى شبيلوف ـ خطابا تضمن نقدا شديدا، وقد رفض فيه الاقتراحات الفرنسية البريطانية معلنا انها تشكل انفادا جديدا موجها إلى مصر •

YAV

وتدخلت الدول الاخرى متوخية في عباراتها التواضع الذي يناسب الموقف وقد راى سباك المندوب البلجيكي انه ليس هناك ما يلزم مصر بقبول الاقتراحات الفرنسية البريطانية برمتها ، بل عليها أن تقبلها كاسساس للمنساقشة • وقد رفض المندوب اليوغوسلافي بوبوقيتش مشروع القرار الفرنسي البريطاني وقسك بفكرة تكوين نجنة للمفاوضة ، أي انه تسبك بالاقتراح المسرى •

وقد حدد كل جانب موقفه ، وكان فوستر دالاس هو الوحيد الذي يستطيع تغيير جميع الاوضاع ويرجح كفة الميزان ال هذه الجهة أو تلك • وكان آخر من تكلم واعلن أن قرار الثماني عشرة دولة ينظم في الواقع عملية تعويل القنساة ، وقد تقبله مصر الا أنه يرى عل العكس من ذلك أن الطريقة التي تعرضها الثماني عشرة دولة لادارة القناة .. مع أنه حتى تلك اللحظة هو المحرك الاساسي أهما ، وهذا هو التناقض في موقفه .. لا يعتبر الحل الافضل ، وقد قال وزير الخارجية أن للافتراح المصرى وجها بناء ، انه حقا يقترح اجراء مفاوضسات بين جمعيسة للتنفين المنبثقة من الثماني عشرة دولة وبين مصر ، واذا ما نقرنا الى الامور في أساسها نجد انه لا يوجد اختلاف جوهرى بين اقتراح دالاس والاقتراح المصرى .

وكان الوقف يبدو وكانه لا مخرج له • لم يكن الوفدان الفرنسي والبريطاني مفوضين للدخول في مفاوضات ، بل خمل مجلس الامن ــ اذا امكن ذلك ــ على تاكيد القرارات التي اتخذتها الثماني عشرة دولة •

هل سينتهي الامر بقطيعة قد تدعو امريكا ال التصويت مع روسيا ؟

لقد فهم الفرنسيون والبريطانيون أن ذلك ليس في مصلحتهم ، لأن موقفهم سيزداد صعوبة بعد هذه الاهانة الملئية ، ولذلك اخلوا في اعداد نص يعتبر في ظاهره وكانه حل وسط ، فبعد أن أجروا مناقشة مع المندوب المصرى محمود فوذى والسكرتير العمام همرشوقد عرض كريستيمان بينو وسملوين لويد على المجملس مشروع قراد مكون من جزين ، وكان الجزء الاول يؤكد من جمديد المبادىء السنة التى سبق أن وافق عليها المندوب المصرى ، أما الجُزء الثانى فهو يعيد فكرة الادارة الدولية كما وافقت عليها تندن .

وقد تم صياغة المبادئ، الستة بطريقة تعقق الوافقة عليها بالاجماع ، وهى ان يكون المرود في القناة حرا ومباحا للجميع ودون تفرقة ومع احترام السيادة المصرية ، وتاكيد استقلال القناة عن سياسة أى بلد ، والاتفاق بين المصريين والمنتفعين بالقناة على تحديد تعريفات رسوم المرور وتخصيص نسبة عادلة من هذه الرسوم لتنمية القناة ، واخيرا اجراء تحكيم بالنسبة للمسائل المعلقة بين الشركة العالمية والحكومة المصرية ، وقد حصلت المبادئ الستة هذه على الاجماع حين اخذت الاصوات عليها يوم ١٤ اكتوبر ، اما بالنسبة للجزء الثانى من مشروع القراد فقد نال اجماع الاصوات ما عدا صوتين : يوغوسلافيا والاتحاد السوفييتي، ويتو ، ولكن هسذا الغيتو لا يمس المبادئ الستة ،

وفي مساء ١٤ اكتوبر رفع التعطف الذي كان مفروضا على المسالة بالنسبة للمم المتعدة وقد اعتبر ايدن كما اعتبر الفرنسيون أن جميع الوسائل السلمية قد استنفت ، حقا لقد تظاهر دالاس بآته ياخذ الاقتراح المصرى الجديد ـ الذي يقتضى بالتفاوض داخل لجنة خاصة تعقيد في جنيف ـ ماخذ الجد، وهدا هو الاقتراح الذي سيوخد به بعيد فشسل المفامرة العسكرية ، اما الفرنسيون والبريطانيون فلم يروا فيه الاحيلة جديدة لحملهم على التنازل عن مواقفهم ، وقال دئيس الوزراء البريطاني في مذكراته فيما بعيد « لقد فتحت عصر الطريق الى عملية تهدئة للخواطر بيست لها نهاية » ثم أبدىها والمناخذة « هذا هو ما حصلنا عليه من جراء التجائنا الى الامم المتحدة ، وهو أننا خرجنا نملك المبادى الستة ، ولكن وقد وضع السوفييت الفيتو بالنسبة للجزء من القرار الذي يحدد العمل الذي يجب القيام به فلم يعد هنا أية وسيلة لوضع هذه المبادى الستة موضع التنميذ المنت المدى يجب القيام به فلم يعد هنا أية وسيلة لوضع هذه المبادى الستة موضع التنفيذ الامريكان قد فرحوا بالوقوف عكذا جاملين المبادى السستة بين أيديهم من أن الامريكان قد فرحوا بالوقوف عكذا جاملين المبادى السستة بين أيديهم من أن الامريكان قد فرحوا بالوقوف عكذا جاملين المبادى السستة بين أيديهم

« لقد مات كل ذلك ، لقد دفعونا من مفاوضة الى مفاوضة ومن حجة الى اخرى ومن -دسسسة الى دسيسة اخرى ومن مسألة الى اخرى وذلك للدة شهور طويلة • وكنا نرى أن موقفنا يزداد ضعفا من مرحلة الى اخرى فى أثناء هذه الفترة الإليمة × » •

وفي حين كان الفرنسيون والبريطانيون يضيعون وقتهم في الامم المتحدة كان سفياء الثماني عشرة دولة التي وقعت الشروع الثلاثي لمؤتمر للدن الاول يجتمعون في لندن يوم ٤ اكتوبر ويعتمدون الثقاط الاساسية لتسوية مسانة الجمعية التعاونية لهيئة المنتفعين بقناة السويس • وبعد اعتماد اللائحة الداخلية لها اخلوا يهتمون بتمويل الجمعية في بداية عملها ١٠٠٠و٠٥ جنيه استرئيني للشهور الثلاثة الاولى من عملها تدفع منها كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمي ٢٠٪ أما الفرنسيون فيدفعون ١٠٪ من هذا المبلغ • ومكذا بدات جمعية المنتفعين التي قلمت اصلا لتحصيل رسوم المرور حياتها بان كلفت كل دولة ممثلة فيها بدفع مبلغ من المال لم يكن يدى أحد اذا كان سيحصل عليه ثانية يوما ما • وقد مغلف مؤتمر السفراء يوم ٥ اكتوبر بعد ان التغد هذه الاحتياطات الاولية وبعد ان حد موعدا لاجتماعه التالى في اليوم الثاني عشر من الشهور نفسه • وفي ذلك التاريخ تم تعين مدير لجمعية المنتفعين هو الدانماركي ، م • بارتل ، ثم تقرر انتظار سير الاحداث •

## عواصف في الأردن:

<sup>×</sup> السير الطوني ايمن ، الكتاب السابق ذكره س ٥٦٧ .

قلاح اسرائيلي ، الا أنهم كانوا يفعلون ذلك وكانهم آسفون كما كانوا يظهرون أنهم يفعلون ذلك للتظاهر فقط وحتى لا يتركوا الصدأ ياكل البنادق •

ولكن تغيرت الامور فجاة • واذا ما اعدنا ترتيب الاحداث الخطيرة التي وقمت في هذه الفترة بين اسرائيل والاردن ترتيبا تاريخيا يظهر لنا أنها ترجع ال تاريخ معدد • انه تاريخ المعادثات الفرنسية البريطانية التي جرت يومي • ۱ و ۱۸ سببتمبر ١٩٠٦ وتقرد في خلالها اسستيماد فكرة الهجوم المباشر على الاسكندية وقبول فكرة الهجوم على بود سعيد والشروع في العمل السيكولوجي المعروف الذي من شسانه أن يدع الموقف يتطور تطورا يكفى لتبرير التسلخل البريطاني ويكون ذلك باسم الام المتحدة إذا لزم الامر ذلك •

وفي مساء ١٨ سبتمبر نصح السفير البريطاني في عمان موظفيه بمفادرة البلاد فورا اذا لم يكن هناك سبب جوهرى يلعوهم للبقاء في الاردن ١ انها فضيحة غربية الله لم يفهم احد ما قد يحدث فجاة في هذا البلد البعيد عن قناة السويس ، في حين أخلت الامور تزداد سوءا من الناحية الاخرى غربا ، وفي اليوم نفسه نصبت الفرقة الاردنية ـ وهي الفرقة المربية القديمة التي كونها جلوب بأسا بالاشتراك مع القيادة البريطانية ـ كمينا الاحدى اللوريات الاسرائيلية ، وقد أكد الاردنيون أنهم هوجموا ، واتفق الحصمان على رقم الضحايا ، ستة قتل وثلاثة جرحي بين الاسرائيليين ، وفي اليوم التالى ١٠ ١٧ سبتمبر ـ وقع الحادثان وثلاثة جرحي بين الاسرائيلين ، وفي اليوم التالى ١٠ ١٠ سبتمبر ـ وقع الحادثان المفاود الاسرائيل ) في حين وقعت في قطاع هبرون ـ الذي وقع فيه الحادث الاول ـ غارات انتقامية اسرائيلية ترتب عليها قتل تسمة عشر شرطيا من افراد الشرطة الاردنية ،

وفي ١٣ سبتمبر وقع حادث غريب ، فقد دعا الملك حسين رؤساء البعثات الدبلوماسية لبريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية للاجتماع به وطلب منهم ابلاغ حكوماتهم تفاصيل الجريمة التي ارتكبتها القوات الاسرائيلية في الاراضى الاردنية ، واجتمع الملك بعد ذلك برؤساء البعثات الدبلوماسية العربية ودعا جُنة الدفاع العليا الى عقد اجتماع عاجل وطارى، • انها خُركات عصبية غريبة بالنسبة خوادث على الحدود •

وفى اليوم التسائى ١٤ سبتمبر ذهب الملك حسين الى الحبانية لمقابلة ملك العراق والقادة العراقيين ( كان سيد العراق في ذلك الوقت هــو نودى السعيد أكبر عميل للانجليز في الشرق الاوسط ) •

وفى اليوم نفسه وقمت غارة انتقامية اسرائيلية جديدة موجهة في هذه الرة ضد الركز العام للقيادة المتحركة للفرقة الاردنية في شارائدال • وهنا أيضا وجه الاسرائيليون ضرباتهم بكل عنف فسقط • ٤ قتيلا اردنيا •

وفي ٢٣ سبتمبر فتحت القوات الاردنية نبرانها على مجموعة من رجال الآثار الاسرائيليين بجواد بيت لجم ، فقتلت ثلاثة وجرحت سبعة عشر من أعضاء المؤلمر، وفي يوم ٢٤ سبتمبر وقعت حوادث كثيرة اسفرت عن قتسل اثنين من المدنين الاسرائيليين ، ونقرا لا يتبعه الاسرائيليون من طرق انتقامية كان من المتوقع أن يقوموا بهجوم قاس على الاردن ، ولم يتأخر هذا الهجوم ، ففي ٣٦ سبتمبر هاجم الاسرائيليون قطاع حسام بجواد القسدس وقد اعلنوا انه نتج عن ذلك مقتل خمسين اردنيا في حين ادعى الاردنيون انهم قتلوا تسمين اسرائيليا ،

وكان الحادث من الجدية بعيث اصدر الملك حسين بيانا صحفيا قال فيه: ان جيشنا محتشد الآن على الحدود وهو مستعبد لمواجهة العبدوان الاسرائيل المنتظر! وحينما سأله احد الصحفيين: لماذا طلب مساعدة العراق ولم يطلب مساعدة مصر، أجاب الملك: لان العراق تستطيع أن تقدم الى الاردن مساعدة فعائة، اما مصر فهي مشغولة بمسائة القناة .

وفى اليوم نفسه اعلنت وزارة الخارجية البريطانية انها تستنكر الغادات الانتقامية الاسرائيلية من الانتقامية الاسرائيلية من الانتقامية الاسرائيلية من جانبها بالاعراب عن دهشتها لان الحكومة البريطانية لم تفكر في ادانة عمليات العدوان الاردنية •

وفي اليوم التنال وصل وزير خارجية الاردن الى المراق حاملا رسالة من الملك حسين الى الملك فيصل ، وأمضى الوزير خمسة آيام في بغداد لاعتداد تفاصيل للساعدات التي ستقدمها العراق الى الاردن .

واستمرت الحوادث على مطلع اكتوبر ، فقى الثالث منه وقع قطار اسرائيل تحت نيران المدافع الرشاشة الاردنية ، وفى الرابع من اكتوبر قتل خمسة من الاسر ائيلين للدنيين بجوار الحدود ، ومرة اخرى اخسة الجميع ينتظرون وقوع غارة انتقامية اسرائيلية ، وقد سبق هذه الغارة تحدير وجهته جولدا ماثير وزيرة خارجية اسرائيل فى السابع من اكتوبر قالت فيه : « اذا كانت الامم المتحدة غير بلحافظة على شعبها » وفى اليوم التالى اجاب عليها نورى السعيد بتصريح يهده فيه ، وفى الماشر من اكتوبر وقعت الشارات الانتقامية المنتظرة ، فقد هاجمت أسرائيل بشمدة مركز قلقيلية الاردنى ، وقد سبق ذلك عملية مبارزة بالنيان دامت ساعات طويلة ، وقد أدى الهجوم للى القضاء على هذا المركز كما أدى الى قتل ١٨ اددنيا و ١٦ اسرائيليا علاوة على النين اعتبرا مفقودين و ٢٦ جريحا اسرائيليا ، وقد دعا الملك حسين رئيس الوزراء الاردني واعضاء وزارته للاجتماع به ليلا بالقصر الملكي ،

وفى ١٦ اكتـوبر شرت وزارة اخـادجية الاسرائيلية بيانا ذكرت فيه الاعتـدادات التى بررت قرار الدفاع الذى اتخذه الاسرائيلين ، كما أبرز أن عملية الدفاع عن النفس حق يتمتع به كل بلد لكى يحافظ على حياة مواطنيه ، وفى اليوم نفسه أخطر ممثل للسفارة البريطانية فى اسرائيل أحكومة الاسرائيلية

بان هناك جيوشا بريطانية على وشك الدخول فى الاددن • ( ويلاحظ هنا صبيغة التاكيد وتجنب استخدام الصيغة الشرطية ) • وقد دأت اسرائيل ان الاتفاق الاسرائيلي الاردنى أصبح بطريقة آلية غير ذى موضوع . ومعنى ذلك أنه قد اصبح للاسرائيليين حرية العمل بالنسبة للاردن • وقد أعاد المثل البريطاني الى الذاكرة الحلف الذى يربط بين بريطانيا والاردن والذى يتضمن احتمال تدخل بريطانيا العظمى عسكريا فى حالة اتخاذ أى عمل ضد المملكة الهاشمية •

وفى ١٣ اكتوبر اعادت وزارة الخدارجية الاسرائيليسة ذكر المسداعي التي بدلتها بريطانيا لديها يوم ١٣ اكتوبر وما تحمله التصريحات الصادرة من نودى السعيد يوم ٨ اكتوبر من تهديد لكيان اسرائيل نفسها • وقد جاء في هذا البيان ما يل : « انه لمن الواضح ان عملية دخول وحدات عراقية في الاردن تدخل ضمن خطة موضوعة من قبل يقصد بها تحقيق الماني المراق التوسعية ، وان الحكومة الاسرائيلية مصممة على مواجهة هذا التهديد » •

هذا هو الموقف يوم ١٣ اكتوبر: تقول اسرائيسل ان الاردن تهددها في الموقت الذي تستعد فيه علنا منسذ بضعة أيام للقيام بغزو الاردن ، وهنساك جيوش عربية \_ عراقية \_ تستعد في الجانب الآخر لنجدة اشقائها الاردنيين ، وفق كل ذلك أعلنت بريطانيا العظمى حامية العرب تدخلها العسكرى •

## الحيلة العسكرية:

ماذا سيعمل ناصر ؟

ها هى ذى اسرائيل التى وعد ناصر مشات المرات أنه سيدمرها تستعد للهجوم على بلد عربى شقيق • اليست هذه هى الفرصة التى طالما حلم بها لكى يتدخل ، بخاصة أن بريطانيا المقلمى قد اعلنت أنها ستقف بجانب ناصر ـ ذلك فى البيان السابق ذكره والذى يشكل تحذيرا لاسرائيسل ـ وانها سترسسل جيوشها الى الاددن ؟

ان الاردن « مهدد » وقد طلب علنا مساعدة العراق كمما طلب مساعدة البلاد العربية الاخرىولا سيما معر . وقد ذهب وزير خارجية الاردن الىالقاهرة يم ١١ اكتوبر لهذا الغرض وتباحث مع ناصر حول التهديدات الاسرائيلية ضد بلده • هل سيرسسل الرئيس ناصر جيوشسه ؟ ان باريس ولنسان تحبسمان الفاسهما • وقد تحست مجلة برسيكتيف فكرة القادة الفرنسيين والبريطانيين حيما كتبت تقول : « هل سيقوم ناصر بعمل ما وهو الذي كثيرا ما صرح بانه لن يدع اى هجوم اسرائيل على الاردن يمر هكذا دون عقاب ؟ » •

ولم يكن ناصر ليستطيع أن يرفض مساعدة الاردن ، وهينما يتدخل سيتلقى قوة الجيش الاسرائيل كله لان هذا الجيش لن يتخذ من الاردن غير مجرد عدر ، ولكنه سبركز كل نيرانه على مصر ، وهنا أيضا تستطيع بريطانيا العظمى ان تتدخل « مدعية حماية مصر » ضد التهديد الاسرائيل وتنزل في المصركة للفصر، من المتحادبن ،

انها تحطة كلها دهما، ولكنهما انتهازية ، أي انهما معرضة للفشل أذا ما اعترضتها أدنى عقبة ، وستقوم أكثر من عقبة ،

واولى هذه العقبات أن مصر ستكون حدرة من الوقوع فى الفخ ، لقد أعدت الخطة كلها .. في مكاتب لندن .. بناء على فرض واحد هو أن ناصر طائش ومندفع ومعب للمغامرة ، أنه هكذا فى نظر من يقرأ خطبه السابقة ، ولكن من يتصود ذلك يكون قد تسمم ذهنه بأن يرى فيه ديكتاتورا ماسكا بزمام السلطة وحاكما بأمره وهتلر وادى النيل ، هذه الفاظ للدعاية ، لكنها تصبح الفاظ انتحارية حينما تنخذ اساسا لرسم سياسة معينة ،

ذلك لان وزير الخارجية الاردني ـ الذي يلعب لعبة الستغيث لدى ناصر ـ خرج من القابلة حامــلا كلمات معسولة ووعودا ٠ مصر ستساعد الاردن هـــلا

البلد الشقيق ، وستقدم كل الساعدة التي تسمح له بالدفاع عن نفسسه ، ومع ذلك فلم يتخذ ناصر في ذلك الوقت أي إجراء معدد •

والعقبة الثانية جات من اسرائيل نفسها • ال اين ستجرها هذه الخطة الخداعة التي اشتركت في عدادها بكل همة وحرارة وذارة الخارجية الاسرائيلية ؟ انها ستؤدى الل مهاجمة مصر مع شن حملة على الاردن في الوقت نفسه • أى الى الاندفاع في حملة على جبهتين ، والفسمان الوحيد وعد غامض من ايدن ابلغ لاسرائيل عن طريق الكولونيل هنريك اللي اكتشف في نفسه حبا مفاجئا للصهيونية غداة نقل جلوب من الاردن • وبناء على هذا الوعد وبرغم أن بريطانيا العظمي ستتدخل كحامية لحمى العرب ، ستعمل على أن تكون معاهدة الصلح والسلام في مصلحة اسرائيل • اما الاسرائيليون فهم يرون أنه من الواضح للفاية أن هذا الموقف سيؤدي الى اعادة قيام تضامن مؤقت بين جبع العرب ضد اسرائيل، واكثر ما يمكن أن تأمله اسرائيل بعد ذلك هو استعادة الحدود التي حددها قرار التقسيم الذي اصدرته الامم المتحدة ، أي أن تقل مساحة أرضها بالنسبة للمساحة التي كانت تسيطر عليها بالفعل في ذلك الوقت •

ومع ذلك فانه على الرغم من أن هذه اختطة كانت مقبولة بقدر ما ستجعل بريطانيا تشترك في الاندفاع في عملية ضد مصر ( أي بصفتها حليفا أواديا أو غير ادادي لاسرائيل ) فانها لم تكن مقبولة من جانب بن جوريون ما دامت تجعل بريطانيا المظمى تندخل باعتبادها عدوا لاسرائيل في الظاهر •

وعلى كل حال فقد أصبحت هذه الخطة نفسها غير ذات موضوع ، لانه في يوم ١٠ اكتوبر ته توقيع اتفاقيات بين هيئات أركان الحرب تجعل من اسرائيسل حليفا لفرنسا ، فاذا دخلت اسرائيل اذن في حرب كان على بريطانيا العظمى أن

تسرع لنجدة الاردن ، وكان على فرنسا أن تساند اسرائيل ، وقد يؤدى ذلك اذن الله حرب فرنسية بريطانية عن طريق هذا التدخل والتشابك ، اى انها ستكون حربا لا عسلاقة لها باى تدخل فرنسى بريطانى فى القناة ، لقسد تمخفست كل الحدعة التى اعدتها وذارة المستعمرات البريطانية الى موقف لا مخرج منه والى عقدة دبلوماسية لا حل لها !

## العقدة التي ليس لها حل:

ولكن هناك رجلا سيقوم بعل هذه العقدة ، وهذا الرجل هو بن جوديونه فلى يوم ١٥ اكتوبر القى امام الكنيست ــ البرلمان الاسرائيل ــ خطابا استغرق ساعتين ابرز في خلاله اهمية الخطر المصرى وازمة السويس دون أن يبلى اهتماما بغطر التدخل العراقي في الاردن • أن العدو هو معر ، وبرغم أن بريطانيسا العظمى قد هدت أخيرا اسرائيسل بالتدخل لمسائح العرب فأن بن جوديون قد تحاشى النطق باية كلمة غير مقبولة ضد لندن • بل لقد بلغ به الامر أنه أخد يشكر بريطانيا العظمى ويشكر في الوقت نفسه بالادا أخرى للمساعدات التي قدمتها لبلده • يجب أذن أن نتذكر جيدا هذا التاريخ • لقد القي هدا الخطاب يوم ١٥ اكتوبر أي في اليوم التال للجلسة التي عقدها مجلس الامن والتي دفئت فيها الإمال الاخيرة التي كان يعقدها الفرنسيون والبريطانيون للحمسول على مساندة دولية لسياسة التي ي يتهجونها ، وهي أيضا وفي الوقت نفسه الخلسة التي « استنفدوا » فيها جميع الخلول السلمية •

وهناك توافق آخر ، فقد تم في هذا اليوم نفسه اتفاق بين الاردن والعراق يؤجل الى أجل غير مسمى كل تدخل عراقي في الاردن ، لقد ماتت الحجة الاردنية وكان هذا فشلا جديدا لسياسة القوة ، وقد ضاع شهر آخر في الماطلة وكان من اثر الانتقال من مماطلة الى أخرى كما اتضح ذلك لايدن بجلاء • ان الموقف الداد ضعفا بالنسبة لما كان سائدا فى بادى، الامر ، بل لدرجة انه حتى اذا كانوا فى ذلك الوقت يريدون الدخول فى مفاوضات حقيقيسة ، كان لزاما عليهم أن يسلموا فيها لناصر على طول الخط •

كان يجب اذن اما ترك المكان الفريق آخر يتكفل بالقيسام بهذه العمليسة الشاقة \_ وهى تصفية السلطة الترتمتع بها بريطانيا العظمى فى الشرق الاوسط \_ أو الاقدام والعمل • وبما أنه يبدو أن زعيم المؤامرة \_ أيدن \_ غير قادد على اتخاذ أي قراد في هذا الشان فيجب اذن أن يتخذه آخرون غيره •

# الفضل الثانی عشر ً القسواد

اشارة البداية العظيمة ٠٠

ان بن جوريون هو الذي يعطيها ، وذلك في الخطاب الذي القساه يوم ١٥ اكتوبر وأشار فيه الى احتمال وقوع هجوم اسرائيلي لا مفر منه ، نعم ، كان اختيار الوقت مناسبا جـ1 « لقد استنفسات الامم المتحـدة جميع الحلول السلميسة » ، وتوقفت التمثيلية العراقية الاردنية في اليوم الذي تبين فيه لاصحابها أنها ستشير الخربين بعضهم ضد البعض الآخر بدلا من أن توحيد بينهم ،

قال البريطانيون انهم مستعدون للتدخل • هذا هو اساس فكرتهم التى صمم على تنفيدها مجموعة من السادة العجائز مساء يوم ٢٦ يوليو فى داوننج ستريت • وقد طالبوا ... على هدى هذه الفكرة ... أن يتولوا هم انفسهم قيادة هذا التندخل • ونجحوا فى ذلك • كما أنهم من أجل هذه الفكرة ساوا جميع المثافلة واحلا بعد واجهد ، وأغلقوا جميع المخارج الدبلوماسية • على أنهم ... وقد دبطوا حلفاهم معهم ... يترددون فى اجتبائ الخطوة الوحيادة التى بقيت أمامهم ، وهى خطوة الحرب • انهم يتداولون فى البرئان ويفكرون ويترددون ، ويشعر المرء بأنهم مستعدون للمعاب الى « العم سام » والاختفاء بين رجليه ليدرفوا اللموع • لم يكن بينهم وبين ذلك مسافة طويلة • كان يكفى أن يقول دالاس كلمة صغيرة رقيقة • بينهم وبين ذلك مسافة طويلة • كان يكفى أن يقول دالاس كلمة صغيرة رقيقة • نا يبين لهذي الأمبراطورية الفابرة » لكى تسوى الامور •

ولكن دالاس هذا يريد كل شى ، وهـو يمتلك السلطة ومظاهرها ، بل يمتلك أيضا الكبرياء ، وهذا هو الشيء الوحيد الذي كان يحتكره المحافظون في بريطانيا، وكانوا سعداء به ، ولكنه يجرد منهم . ان دالاس لا يريد الاقتناع بصحة معلومات المخابرات البريطانية ، وعندما يؤكلون له أن « ناصر » عميل سوفييتي يجيب : ان معلوماتكم غير صحيحة واني أعلم من ذلك اكثر منكم ! ويؤكلون له أن العرب سيؤممون البترول في خلال الاسابيع المقبلة ، ولكنه يقول : انكم واهمون فالعرب لا يحبون الانتحاد ، فأنا أعرفهم أكثر منكم ! انه بدلك يشتمنا ، اننا نسمح له بأن يسحقنا ، ولقد نرفى منه أن يدفعنا خارج الباب ، وقد نسكت عنه حين بان يسحقنا ، وقد نسكت عنه حين يستمرنا ، اما أن يدعى أنه يعرف العرب اكثر مما تعرف لندن فهذا مالا يعتمل، وهل هكذا يعاملنا حليفنا الإطلنطي ؟

ولكن بن جوديون العجوز لا يشعر بمثل هذه المضايقات • ان الشمتاء يقترب والجيوش مستعدة • فالى الامام ! لقد القى خطابه وانتهى الامر وبينها هــو على المتصة يكون الجنرال « شال » قد وصل الى لندن وعرض على الانجليز خطة المهجوم الاسرائيلية ، وكان البريطانيون يعرفونها ، فقد درسوها فى لنسدن على مستوى الحلفاء منذ يوم ١٣ اكتوبر حتى ١٩ اكتوبر •

وقد رأى ايدن أن السالة من الخطورة بحيث تستدعى ذهابه الى باديس فى اليوم التالى ، وقد تناقش مع جى موليه ست ساعات على انفراد أحيانا ، وفي وجود لويد وبينو أحيانا أخرى ، ومن المعروف أيضا أن « القرار العظيم » قد اتتخذ فى ذلك اليوم ، وهذا صحيح وغير صحيح معا ، نعم لقد اتتخذ قرار وظهرت بعض آثاره العملية وهى : اعطاء أجازة لبعض موظلى وذارة الخارجية من معارضي هذا التنخل ، واسستقالة وذير الدفاع البريطاني « لاسسباب صحية » وهو السسير والتر منكتون ، وعين بدلا منه أحد زعماء الجانب المتحمس ، وهو انطوني هيد أحد اللواءات السابقين ، ولم تذهب آثار هذا القرار الى أبعد من ذلك ، حتى لكانها صدر فجاة قرار مضاد ، وتوقف كل شيء مرة آخرى !

## الضغط الأمريكي:

ذلك لان واشنطن كان قد استولى عليها اللعر ، وفى ١٦ اكتوبر ارسل ايزنهاور الى ابدن رسالة سرية وشخصية كان راندولف تشرشل اول من كشف مضمونها × ، وتنضمن هذه الرسالة الوعد الآتى : آخروا كل عملية حتى تتم انتخابات الرئاسة يوم ٦ نوفمبر ، وبعد هذا التاريخ فانى أتعهد شخصيا بتكوين جبهة مشتركة مع بريطانيا العظمى ، لكى اجعلها تحصل على تسوية مناسبة فى مسالة السويس ،

وقد كان هذا وعدا مبهما والاكثر من ذلك انه كان سريا ، واذا كان ايزنهاور يريد اعظاءه القيمة الرضية حتى يتجنب اى تدخل عسكرى فرنسى بريطانى فقد كان عليسه أن بلتزم بتعهد علنى ، وبدون هدا فان ما يمكن أن يقول يدهب الى مستوى وعوده التى قدمها حينما كان يضغط على البريطانيين للجلا، عن منطقة الله الفتاة

أما انتظار انتخابات الرئاسة فهذا يعنى قبول التأجيل الجديد المتضمن في الاقتراح المصرى الذى أيدته واشنطن ، وهو الدخول في مفاوضات مباشرة تعقد يوم ٢٩ اكتوبر في جنيف • وهذا يعنى أيضيا بصفة خاصية التعرض لظروف عسكرية أكثر صعوبة نظرا لضرورة القيام بحملة في الشيتاء •

ولكن في الوقت الذي كان ايزنهاور يعد فيه ايدن بمساعيه الحميدة بعد انتهاء الانتخابات ، كان يترك فوستر دالاس ينشد اغنية اخرى مختلفة اختلافا الما . ونعلم جيدا لا سيما عن طريق اعترافات تشيرمان ادامز ـ الذي كان احد مساعدى الرئيس ايزنهاور ـ از هذه المناورات الدبلوماسية لم تكن لتجرى دون تبادل الرئيس ايزنهاور ، ولو عن طريق التليفون ٠

<sup>×</sup> كتاب راندولف تشرشل : قيام السع انطوني ايدن وسقوطه ·

كان فوستر دالاس يتميز غيظا • في اليوم نفسه الذي ارسل فيه ايزنهاور الى ايدن رسالة باكية كان هو يفرب بيده على المنفدة • فقد أعلن يوم ١٦ في مؤتمر صحفى أن الولايات المتحدة مصممة على تقديم المساعدة والمعونة لجميع البلاد التى تكون ضحية أي عدوان في الشرق الاوسسط • وذلك في اطار الإجراءات المستورية • وإضاف أن الولايات المتحدة تنتظر خطوة – من جانب بريطانيما المعظمي وفرنسا – لكي تجعل من جمعية المنتفعين بقناة السويس مشروعا وطيبا» ولكن هذا الوعد الاخير قد نسخته خطودة التصريح السابق الذي كانت آثاره واضحة : اذا نفلت المختلة الفرنسية الإسرائيلية التي عرضها الجترال الفرنسي «شال » على ايدن ، فان الولايات المتحدة ستتدخل من أجل « ناصر » وربما لم «شال » على ايدن ، فان الولايات المتحدة وبريطانيا ، الا ان في أوهامهم عن العلاقة الحاصة التي تربط بين الولايات المتحدة وبريطانيا ، الا ان هاد النتيجة ستلعب في باريس وفي تل ابيب دورا رئيسيا ، لانها ستساهم في العمل ؛

وفي اليوم التسائي يعطى دالاس مالذي ازداد عنفا مدرسا قاسيا لسفير اسرائيل آبان ايبان موقد استدعى بعد ذلك الى تل ابيب موقال له: « اذا كنت تفن أن العطف على اليهود الامريكيين سيكون له أى تأثير على انتخابات الرياسة الامريكية أو عليه شخصيا بحيث يغير ما قررت الحكومة الامريكية اتخاذه لتجنب الحرب ، فعليك أن تتخلى عن أى وهم من هذه الناحية » ويبدو أن دالاس كان يقيم لاصوات اليهود وذنا أكبر مما كان يعطيه لها ابان ايبان نفسه أو حكومة اسرائيل مجتمعة .

ان التأثير المُنتظر الاصوات اليهود قد لعب دورا اقل بكثير مما كان يقل في باديس ولندن وواشنطن • ولا يتجاهل الرؤساء الاسرائيليون حقيقة امر ابنساء ديانتهم المتشرين في انحاء المالم ، لأنهم يعلمون علما تاما مشاعرهم النفسية ، وهم لا يتوقعون منهم شيئا كثيرا سوى بعض النقود ، وربما بعض المعلومات •

اما السبب الرئيسي لمعارضة ايزنهاور استخدام القوة فهو انه كان قد قام بحملته الانتخابية متخداً شعارا هو أنه « رسول السسلام » وبلنك فانه حتى تاريخ ٦ نوفمبر كان يستحيل عليه القبام بلى عمل عسكرى لتنفيذ تهديدات فوستر دالاس بدون أن يفقد هيبته ومن ثم النجاح في الانتخابات •

#### ناصر ينتظر:

وفى لنسن اسستقال السسير والتر مانكتون وظل ايدن مترددا وفى القاهرة كان ناصر يعلم كل ذلك وهذا مما يطمئته، وكان لا يعتقد في احتمال وقوع هجوم عليه وان كانت تصله تقادير سولا سيما من باديس ستشير الى اهساك شيئا يجرى اعداده فى الخفاء وان عبد الناصر مشغول باصدار تصريعاته الملتهبة بشان الدفاع عن الاردن التى لم يعد احد يهدها وفى ١٤ أكتوبر قلبت صفحة الاحلاث السسابقة بتوقيع الاتضاق العراقي الاردني ، وفى ١٦ منه أعلن المسيد الحكيم عامر سقائد الجيش المصرى سان مصر ستتدخل اذا ما وقع أى اعتداء أو أى تهديد باعتداء ضد الاردن ، وفى ١٩ أضاف ناصر أن مصر ستدخل المركة وارا و وقو صدرت هسده التصريحات قبل ذلك بثمانية أيام لاعتبرت وقتشد أما جنونا واما غباوة ، ولكن أن تصدر في هذا التاريخ فلابد أنه كان يقصسه بها فقط التائير على الانتخابات الاردنية التى كانت ستجرى يوم ٢٣ أكتؤبر ،

## الشبعور بالقلق في باريس:

ها قد حل يوم ١٩ اكتوبر وبشأت الدوائر التى تعبد التدخل تشعر بالقلق، ولا سببها الدوائر العسكرية التى لديها أسباب واضعة وسرية تثير قلقها : انها هسئلة ، خطة الشنته » • حينها رفض ايدن في أول أكتوبر - تحت الضغط الامريكي - أن يستمر في العملية التي كان يجب أن تبدأ يوم ٨ أكتوبر كان رد الفعل شديدا في باريس ٠ وفي الوقت نفسه قررت لندن وضع « خطة للشناء » وكان يجب أن يتم اعداد هذه الخطة يوم ٥ أكتوبر بالنسبة خطوطها العامة ، وفي ١٢ أكتوبر بالنسبة للتفاصيل. وقد أثارت التعليمات الصادرة من القائد العام بشيأن اعدادهذه اخطة ثائرة حلفائه الفرنسيين • والحقيقة أن خطة الشيتاء كانت تحمل أعذارا مختلفة لدفن العملية التي كانت قائمة حنى الآن • وقد وجه الاميرال بارجو نقده على ذلك شفاها يومي ١ و ٢ اكتوبر ، ثم بمسلكرة حررها يوم ٣ اكتوبر رئيس أدكان حربه الجنرال جازان وهو الشخص الذي ساهم في استبعاد العملية الموجهة ضد الاسكندرية ، وقد أشار بارجو الى أن العملية القررة حتى الآن عملية مزدوجة : برمائية وجوية ، وانه لم يكن من المكن تنفيه ها الا اذا صادفت ظروفا ملائمة بسبب طابعها البرمائي والجوى • ويما أنه لا يمكن تصور الاولى دون الاخرى ولا يمكن ـ كما يقول بارجو \_ الاكتفاء بالراحل الاولى ... الجوية فقط ... فلم تكن خطة الشبتاء هذه في نظر القيادة الفرنسية سوى خطة دفاعية تقرر في حالة احتمال قيامناصر بهجوم قبل الربيع ، ومن شائها الإعداد لعمليات ربيعية محتملة • ولكن ماذا سيسكون الموقف السياسي وقتبَّه ؟ إن ما كان بارجو يطالب به ـ باسم القيادة الفرنسية ـ هو تأجيل العملية المسماة موسكيتر لللة خمسة عشر يوما ، أي حتى يوم ١٥ نوفمبر ، مع الاشارة الى أنه من الافضل جعل يوم البله لاحقا لانتخابات الرياسة الامريكيـة التي كانت ستجرى يوم ٣ نوفمبر ٠ وقد رفض كيتلي طلب بارجو ، ولعب هذا الرفض دورا أساسيا في الاحداث التي وقعت حوال ٢٠ اكتوبر ٠ وكان من بين النتائج السريعة لهذا الرفض التقريب بين الفرنسيين والاسرائيليين ودعم تصميمهم الشترك في أن يعملوا باسرع ما يمكن •

. وكان بارجو يتمنى أن تتخذ الحكومتان قرار البدء فى العمليات فى الايام الاولى من شهر نوفمبر فى حين لا تنفسد التحركات الاوليسة للعمليسات الا بعد يوم ٦ نوفمبر .

اذن لم يكن في عزم القيادة الفرنسية اتفاذ أي قرار قبل الايام الاولى من شهر نوفمبر \*

وقد وقع أمر ــ لأول مرة ــ ادى في تعديل هذه الفكرة ، وهو الاتفاق الفرنسى الاسرائيلي الذى عقد يوم ١٠ اكتوبر ، ومنذ هذا التاريخ تيقن الفريق الاسرائيلي المندفع دديان بيريه، والذى وجدق شخصية بن جوريون المعجوذ جيموليه آخر، أنه يستطيع أن يعمل بفضل المسائدة الفرنسية ، وقد قرر أن يعمل في أسرع وقت مكن ، ولكن فترة انعقاد « مجلس الامن » كانت لا تزال قائمة ، وكذلك « الحركة الاردنية » وهي تلك الورقة التي كان يلمبها فريق وزارة الخارجية المناصر لبريطانيا في اسرائيل ،

وفى ١٤ اكتوبر استبعد هذان العائقان ، وفى ١٥ تدخل بن جوريون واتخد خطابه ... من وجههة النظر الاسرائيلية ... صسورة المؤيد لدعاة الحماة العسكرية بالاشتراك مع فرنسا ، وهم الذين ضمنوا اتفاقا صريحا مع باديس في حين كان فريق وزارة الخارجية الاسرائيلية المناصر للبريطانيين لم يحصسل على أي شي، سوى أنه ظلى قابعا في موقف لا مخرج منه !

وق ١٦ أكتوبر فتح البات لبده العمل، ولكن بريطانيا كانت لا تزال جاهدة ومتشدحة ليس فقط سياسيا مع ايدن بل أيضا عسكريا و والحقيقة أنه وضعت اللمسات الاخيرة للعقطة في باريس بن الفرنسيين والاسرائيلين، وذلك بن يومي ١٧ و ١٩ اكتوبر، وكان الفرنسيين يعيطون الدوائر البريطانية علما بها في لندن يوما بعد يوم وكانوا كلما مر الوقت و ولا سيما بعد نهاية الخدمة الاردنية - يشعرون بان أصدقامهم البريطانيين يزدادون جمودا وتشددا وكان ذلك يرجع الى أسباب كثيرة، ولم يكن السبب الاساسي ظاهرا في هذا الوقت الن خطة «موسكتير المعلة بصفة نهائية» والتي حملها الى اسرائيسل يوم ٢٠ سبتمبر «آبل توماس» والكولونيل هانجان» لم تكن تعدد تاريخا لبد العملية ، كما لم تحدده اية خطة لاركان الخرب، الذان تحديد تاريخا لبد العملية ،

الإعلى وفقا لما تقتضيه التعليمات السياسية • وسرت شائعة ـ وقد رددها بعد ذلك راندولف تشرشل ـ انه قد اقترح أن تتم العملية في بداية نوفمبر • وهذا ما كانت تنطوى عليه فكرة خطة انشتاء التي كانت تهدف الى استبعاد العملية الفرنسية الإسرائيلية لاسباب فنية وكذلك لاسباب جوية ( فقد قبل أن ميناء ليماسول بقبرص لا يمكن استخدامه بعد أول نوفمبر ، كما أن مطار تيمبو بصبح غير صالح بعد هذا التاريخ ويصبح نزول القوات بالمظلات أمرا صعبا وتصبيح الملاحة رديثة نظرا لسوء حالة البحر) وعلاوة على ذلك لم تكن الروح المعنوية لدى البريطانين قوية مثلها عند الفرنسيين ، اذ كان المتحسون منهم للحرب يعملون بقوة ، فقد قامت مظاهرات جماعية وحركات اضراب وتمرد ضعد العرب داخيل الوحدات البريطانية المسكرة في قبرص ومالطة •

واخيرا تقرر أن تنفذ خطة الشتاء يوم ٢١ أكتوبر بعسد أن اعتمدها القادة يوم ١٢ أكتوبر واعتمدها رئيس أركان الحرب البريطاني يوم ١٩ أكتوبر •

وهكذا علم انسار التسدخل الفرنسيون في باريس مسساء ٢٠ اكتوبر أن آمالهم بشان القيام بتدخل عاجل قد تعظمت • وقد اخطروا البريطانيين بانهم لن يوافقوا على تأجيل جديد ، وانهم سيبداون العمل مسساء ٢٠ اكتوبر مهما يكن من أمر •

وحينداك يقح حادث غريب فقد تقرر يوم ۱۹ اكتوبر مد مدة خطة «موسكتر» ال تاريخ ابعد مما كان معددا لها × ، وبدون الغاء «خطة الثستاء » فيبدا الغموض يظهر وتبدأ الخطط تتعدد • انها ستتداخل حاملة اسماء غريبة • وفي بعض الاوقات لم يعد أحد يستطيع أن يتبين الامر ، وهذا ما كان يضغي على العملية طابع السرية النسسة •

با يوم ۲۰ اكتوبر في منتصف الليل لاعظا، امر الاستعداد - وتشير مسألة الامر في ۱۹ اكتوبر بادجا، التاريخ المحدد لتنفيذ علم الحقة الى انه ثم يكن قد تقور في ۱٦ اكتوبر تنفيذ ش، يسفة عاجلة -

## الى الهجوم:

ووقع في اليوم التالي - ٢٠ أكتوبر - حادث أكثر غرابة • لقد علم في المساء في الوقت نفسه في لنسدن وفي باريس وفي تل أبيب أن أمر الاستعداد لتنفيذ العملية « موسكيتي » قد أعطى في الجزائر • وقد صدر هذا الامر قبل أن يواجه العسكريون مؤيدو التدخل بخطة الشتاء بفترة قصيرة تبلغ بضع ساعات فقط وفي ٢١ أكتوبن نفذ أمر شحن السفن • وقد استمر شحن المدات والرجال طوال النهار بحجة القيام بأعمال التدريب • وفي ٢٢ أكتوبر تحركت السفن التي تحمل الوحدات البرمائية لقوات الهجوم ، وقد وصلت الى ميناء بون الجزائري يوم ٢٣ اكتوبر ، حيث استكملت حمولتها وأخلت معها قوات الكوماندوز البحرية الكلفة بالهجوم الغعلى ، وسمار الجميع بحرا نحو النقطة المتفق عليها، أي نقطة تجمع السمفن التي ستشترك في الهجوم • وفي ٢٢ اكتوبر أيضا تحركت الطائرات المطاردة التي تقرد أن تتجه من فرنسا الي اسرائيل في آخر خطّه ، ثم توقفت الحركة ، واستؤنفت بعد ذلك بخمسة أيام ، أما بالنسبة للفرنسين فانهم يعتبرون أن عملية السويس قد بدأت ، في حين لم تكن أية قوة بريطانية قد صدر اليها أمر الاستعداد • ولناخذ مثلا لذلك : كان اللواء الثالث من قوات الـكوماندوز التي عهد اليها بالهجوم على بور سعيد تقتل الوقت كما تشاء في مالطة حيث كانت تتدرب منذ شهرين × « لقد بدأ الجيش الفرنسي في التحرك ولا يعلم أحمد اذا كانت الحكومة الفرنسية كانت تعرف ذلك وقتئذ » وتروى في هذا الصدد قصص عن بعض الاعمال التي قام بها أحد الجنرالات الفرنسيين ، وهي أعمال لم تغفرها له وزارة الخارجية الفرنسية بعد ! ولم يكن من السهل اغضاب وزارة الخارجية ، بل لم يكن ينبغي أقل من حدوث ثورة لكي لا تغفي وزارة الخارجية أمرا ما •

ومع ذلك ففى حين كانت القوة البرمائية الفرنسية تسير بعرا فى اتجاه الشرق يوم ٢٤ أكتوبر ٬ صندت اليها أوامر مضادة وعادت أدراجها الى ميناء بون بالجزائر ،

انظر كتاب د الهبوث على السويس ، بقلم د • كلارك احد ضباط صده الوحدة ( لندن ، بنتر ديغز ) •

هناك رجل لا يوافق على ذلك ، وهو بن جوريون الذي لا يريد جر بلاده الى حرب دون اتفاذ ضمانات الامن اللازمة والتاكد مند الساعة الاولى من استطاعته مواجهة خطر قاذفات القنابل الاليوشن التي يملكها ناصر ، وإذا كان بن جوريون قد رفض التقدم في هذا التاريخ فهذا دليل على أنه لم يكن قد بدا حملته بعد ، فبين ٢٠ و ٣٤ أكتوبر لم يكن قد بدا العمليات المسكرية الا الفرنسيون فقط الذين ذهبوا للحرب بحجة الفصل بين المتحاريين الذين لم يكونوا قد تحاربوا بعد، ويبدو من غير المعقول أن يكون جي موليه قد أصدر مثل هذا الامر بدون استشارة ويبدا من وبصفة خاصة بدون استشارة بريطانيا لانه كان يدرك ادراكا تاما خطورة النتائج المترتبة على ذلك ،

ولقد راينا حروبا عالمية تقع بسبب اعداد تافهة • ويبدو اننا لم نر بعد حروبا تقع من جراء عمل يخالف التظام حتى ولو كان هداد العمل يحمل توقيعا مبهما لمسئول مدنى •

## حان وقت العمل:

ان هذه الايام الواقعة بين ٣٠ و ٢٤ اكتوبر هي على كل حال اوقات القيام بالعمل • فغي اكتوبر قطعت الطائرة العسكرية الفرنسية الطريق على طائرة مغربية كانت تحمل اهم زعماء الثورة الجزائرية وارغمتها على التوجه الى الجزائر وسيق بن بيئلا ورفاقه الى السجن ، وقد اعرب عشرات الملايين من ضعاف التفكير عن فرحهم لهذا الحادث اعتقادا منهم بأن هذه المعجزة سستضع نهاية الكابوس الجزائرى ، والحقيقة كانت على المكس من ذلك : ان بن بيئلا كان مسافرا باتفاق ضمنى مع الحكام الفرنسيين ، وذلك بعد محادثات جديدة تمت بين مندوبي جي موليه وزعماء التمرد الجزائري في بداية سبتمبر ،

ان جي موليه کان يعلم ماذا کان يفعل بن بيللا في تونس، ولم تکن هناك خفاة افضل من هذه لاتمام تسوية الشكلة الفرنسية الجزائرية تسوية تبقى على وجود القوات الفرنسية فالجزائر ، ولكن القادة التطرفن والعسكرين ـ الذين كانوا يريدون الحصول فيالجزائر على ما فقدوه فيفيشي ـ ركبوا رؤوسهم وارتكبوا هذه اخماقة دون تبصر ٠ ومع ذلك فهؤلاء الذين قاموا بهذه العملية كانوا يعرفون خطورة ما يفعلون ، وكانوا يعملون بالمحادثات التي كانت تجرى بين بيللا وكبار رجال البترول الامريكان ، وقد اعتقه وا أن بن بيللا يحمل معه - أو أن أحد مرافقيه يحمل في حقيبته \_ مستندات دامغةتكفي لاحراج رجال البترول الامريكان وحثهم على تقديم النصبيحة لصديقهم فوستر دالاس لكي يلتزم الهدوء والاعتدال، وقد خاب هذا الامل لان هذه المؤامرة لم تثمر شبيئًا • وسرت في باريس في ذلك الوقت .. في الدوائر المطلعة على بواطن الامور .. شائعة مؤداها أن السغير الامريكي ذهب مندفعا الى احدى الشخصيات الكبرة الفرنسية التي ربما كانت تدين له بجميل ما وطالبها باعطاله خطابا تعلن فيه أنه لم يضبط في أوراق بن بيللا شيء يدين أي مواطن أمريكي أو أية شركة أمريكية • ومهما يكن من أمر هذه الشائعة فمن المحقق على كل حال أن الامر بتفتيش طائرة بن بيللا قد صدر ، ليس فقط بدون أن يكون لرئيس الوزراء الغرنسي أي دخل بل حتى دون أن يغطر بذلك • اما ما يجب أن نستنتجه ، فهو أن هذا الحادث كان وسيلة قصد بها الضغط على الزعماء الامريكيين لاحراجهم وارغامهم على ترك حرية العمل لنا في السويس • وهي فكرة بوليسية رخيصة ، ولكن يالها من بساطة في التفكر وياله من نقص في معرفة طياع القادة الامريكان!

لقد قبض على بن بيللا ورفاقه يوم ٢٧ اكتوبر ، واندلمت يوم ٢٣ الثورة في بوداست ، ومن الواضح اننا لا نسب قيام هذه الثورة الى هيئة اركان اخرب الفرنسية ، اذ لا يمكن وقوع مثل هذه الثورة الا اذا كانت قائمة على اسساس تستطيع بفضله أن تثبت وأن تنمو، وقد كان هذا الاساس موجودا في بودابست كان نظام القمع الذي فرضه الانتصار السوفييتي وعدم الذكاء اللهبي الذي يسمم به هؤلاء القادة الاجانب الذي لم يغترهم الشعب الجرى مما يؤدى الى قيام حركة

انقلاب وهنا فقط يقع التوافق ، ففي يوم ٣٣ اكتوبر في حين كانت التحركات التحركات العسكرية جارية في البحر المتوسط نشبت في بودابست حركة لعب فيها الاشتراكيون المجريون دورا هاما بحيث كانت النتيجة المباشرة لذلك أن التفتت روسيا ال بودابست وادى تدخلها الى استثكاد العالم ، وفي الوقت نفسه شفلت الثورة مجلس الادن لدرجة كبيرة .

## طائرات كامبيرا:

وفي أيام ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٢ أكتوبر كان بن جوريون موجودا في باريس ومعه قائد الجيش الاسرائيل ، الجنرال « ديان » ومسدير عام وزارة الدفاع « شسيمون بيريه » • وقد قابل بطبيعة الحال القادة الفرنسيين ، وهذا لا يثير مشكلة خاصة • ونظرا للاتفاق المعقود بين الطرفين على المستوى العسكرى ، فلم تكن هذه الزيارة لازمة ، لقد تم في باريس التنسيق بن الإعمال الفرنسية الاسرائيلية المرتبطة مع القوة وذلك بن الكولونيل « نشري » الملحق العسكري الإسرائيل والجنرال بوفر • وكان هذا الاتفاق يتضمن ثلاث نقاط هي: أن يلقى الفرنسيون للقوات الاسرائيلية التي تحارب في سيئاء اسلحة مضادة للدبابات بواسطة الظلات ، وأن يلقي أيضًا بالمظلات مواد التموين وخاصة الله للقوات الاسرائيلية التي تقاتل في الصحراء ولا سيما الفرقة الاسرائيلية التي ستطلق في اليسوم الاول على موقيع « متسلا » بسيناء ، وأخيرا يقدم الفرنسيون للاسرائيلين الساعدات البحرية التكتيكية ويقومون بضرب مواقع رفح المحصنة • أما باقي التعباون الفرنسي الاسرائيل المتمثل في وجود المجموعات الفرنسية من طائرات « ميستر » الفرنسية في اسرائيل واشتراكها في القتال بعد ذلك ، فقد كان يدخل في نطاق الاختصاص المساشر لكتبوزير النفاع الفرنسي ولم يكن مناختصاص القوة (1) • وعلينا أن نتذكر أن النقاط الثلاث التي تنص على التعاون بين فرنسا واسرائيل عن طريق القوة ( أ ) تدخل تحت عنوان خفي في خطة « موسكتير النهائية » التي وضعت بين ١٤ و ١٨ سبتمبر ، وشكلت الفرق بين خطة « موسكتير المعلق » و « موسكتير النهائية » •

وكانت هيئة أركان الحرب البريطانية قد أخلت بهله النقاف يوم ١٨ سبتمبر على اكثر تقدير ، بل الادهى من ذلك أنه نظرا لان القيادة كانت انجليزية فهى نفسها التي أضافت هذه النقاط .

ولكن بن جوريون كان في حماجة ال اكثر من ذلك ، فهو يطلب حماية ضيد تهديد ناصر الجوي ، وهذه حماية لا تضمنها له طائرات السيتر الفرنسيسية شبكل كاف: والحقيقية أن سرعة قاذفات القنايل الحديثية وصغر رقعة الارض الاسرائيلية واستحالة اعداد جهاز فعال للكشف عن الطائرات المهاجمة يجعل أي هجوم مركز تقوم به طائرات ناصر « الاليوشن » ضد اسرائيل خطرا جسيما ، ولا يمكن صده الا جزئيا ، ولكن يمكن صد هذا الهجوم على نحو أفضل اذا وضع نظام للرقابة فوق الطارات المرية ، بل قد يمكن صده بشكل افضل من ذلك بكثر اذا كان نظام المراقبة هذا يستطيع أن يتحول الى جهاز للهجوم بحيث يترك أكبر عدد ممكن من هساء « الطبور » جائمة بدون حركة على الارض ومتعهسا من الطران الى المدن الاسرائيلية ، ولا يمكن أن يقدم مثل هسده الحمساية ومثل نظام المراقبة هذا ـ في سيلاح الطران الفرنسي البريطاني كله ـ سوى قاذفات القنابل الخفيفة من طراز « كاميرا » التي يملكها سلاح الجو الملكي البريطاني ، وقد وعدت اسرائيل بهما وهي تعلم علما تاما أن هذه الطائرات سمتكون أولى الطسائرات البريطانية التي ستفتح نيرانها • ولن يتم هذا التدخل الا عجرد دخول البريطانين مسرح الاحداث ، أي بعد نهاية مهلة الاندار النهائي المقررة ، أي باثنتي عشرة ساعة على الاقل بعد هجوم القوات الاسرائيلية على مصر • وكان بن جوريون يرى أن مهلة الالنتي عشرة ساعة لا لزوم لها ، لأنه اذا كان ناصر هو كما تصفه النعاية الفرنسية الاسرائيلية البريطانية وكما يصفه جي موليه حتى الآن - أي بعد ثماني سنوات من حملة السويس ـ هو هتلر وادى النيل أي بمعنى آخر اذا كان التهايد بالقضاء على اسرائيل x تهديدا جادا ، فإن ناصر سيلقى فى الحال بجميع قاذفاته

على المدن الاسرائيلية ، وسيجد بن جوريون نفسه قبل نهاية مهلة الاندار النهائي مسئولا عن قتل خمسمائة الف نفس •

ان ما يطلبه بن جوريون من البريطانيين ومن سلوين لويد: × بصفة خاصة ليس فقط تدخل طائرات « كامبيرا » الذي وعد به ولكنه أيضا يطالب بأن تطير هده الطائرات قبل المعاد بالنتي عشرة ساعة وتنفل العمل فوق المطارات المصرية وتكون مستعدة للفرب الشامل بمجرد اعطائها أول اشارة ، أى فى الوقت الذي تجتاح فيه القوات الاسرائيلية الاراضي المصرية • هذا هو أحد أسباب الرحلة السريعة التي قام بها بن جوريون لباريس ، وهمذا هو أحد أسباب الرئيس الاسرائيلي من ابدن ، وهو شيء أبعد من الوعود وقد تم الاتفاق عليه فى أواخير المسطس مع الرئيس السابق الاستعلامات جماعة الارجون الاسرائيلية ، واعطى عنه تأكيد للكولونبل « هنريك » وهذا يتعنى الحياد العاطفي بالنسبة لبداية الموامنات الاسرائيلية ليتحول الى تدخل قرنسي بريطاني المباشر لمساندة اسرائيل

وبمجرد عودة بن جوديون الى اسرائيل يوم ٢٥ اكتوبر اتفغلت الإجراءات المسكرية التى ادت الى القيام بالهجوم يوم ٢٩ اكتوبر ، ولقد التغلت فى الواقع الدول الثلاث القرادات النهائية والمنسقة بمناية تامة يوم ٢٥ اكتوبر ، والجدير باللاحظة هو أن الوعد الذى كان يقفى باشتراك طائرات « كامبيرا » فى الممليات منذ الدقيقة الاولى قد نفذ تنفيذا تاما ، ففى الوقت الذى هاجمت فيه القيوات الاسرائبلية مصر ، كانت طائرات كامبيرا التابعة للسلاح الجوى الملكى تحلق فوق المطادات المصرية ، ان المسألة رسمية ، وقد اعترف ايدن نفسه بهذه الحقيقة فى المسل من فصول مذكراته × × وقد قال رئيس الوزداء فيها « كان علينا ان تتحقق من سير الاحداث بقدر ما نستطيع ، وقد كنا فى بعض الوقت نقوم برقابة مائمة

يوم ٢٤ أكتوبر ( كان بينو في كندن يوم ٣٣ ) إن المسالة موضع البحث كانت مسالة ثانوية ، أذ أن التعاون كان عل مستوى أدكان الحرب منذ أكثر من شهر .

<sup>× ×</sup> ايدن : مذكراته ص ۸۸ه .

ـ الى حد ما ـ على القناة وعلى تعركات القوات المصرية ، وذلك بواسطة طائرات كامبيرا التى كانت تطير على ارتفاع شاهق مع ملاحظة معازاة الشاطئ، في معظم الاحيان ، ولم يكن لهذه العمليات الاستكشافية أي رد فعل ، وكنا نعتقد أنها لم الاحيان ، وفي ساعة متاخرة من يوم ٢٩ اكتوبر تحدثت مع وزير الدفاع ورئيس اركان حرب الطيران ، وأبرزت لهما أهمية حصولنا في اليوم التائى على معلومات نستطسع أن نعتبرها مؤكدة ، وذلك باسرع وقت ، وقعد صعدر الامر بالقيام بعمليات استكشاف في اللعبر ، وكان من المقرر أن تقوم بها أدبع طائرات من طراز كامبيرا ، تعلي على ارتفاع يتراوح بين ١٠٠٠ و و ١٠٠٠ متر ، بعيث تصاول الكشف عن القدوات المعادية وتصويسرها أن أمكن ، وقد نفذ الطبارون هاد العلياوات الادبع التعليمات ، وقد اكثن على الرغم من ارتفاعهم الشاهق ، فقد اكتشفت الطائرات الادبع وتصدت لها طائرات معادية واطلقت على بعضها المدافع الرشاشة » ،

وهكذا يشرح لئا رئيس الوزراء البريطانى بكل حدوء كيف اخترق سلاح الطران الملكى المجال الجوى المصرى فى الايام التى سبقت الهجوم الاسرائيل وذلك بناء على أوامر صادرة منه تشخصيا ، وكيف حلقت قاذفات القنابل البريطانية فوق الاراضى المصرية فى اثناء الساعات الاولى من الهجوم تلبية لطلبه أيضا •

له يكن هذا هو الهدف الوحيد الذي سعى بن جوريون الى تحقيقه من وداء سفره الى باديس • تقد دفعه للسفر ايضا اسباب دبلوماسية خطيرة ، اذ جرت فى الواقع فى الامم المنحدة محادثات عن طريق التسكرتير العام لهده المنظمة بين وذير الحارجية المصرى والدبلوماسيين الانجليز والفرنسيين ، وذلك على اثر قرار مجلس الامن الصادر يوم ١٣ آكتوبر • وكانت هذه المحادثات قد تقدمت بدرجة تبعث على الاعتقاد يوم ٢٣ أو ٢٣ آكتوبر يقرب الوصول الى اتفاق ، وقد استماع السكرتير العام أن يحرر يوم ٢٤ آكتوبر خطابا يلخص فيه النتائج التي تم الوصول الىها ، ولم يكن ينقص هذا الخطاب غير الوافقة المصرية حتى تتم تسسوية مشكلة السويس عن طريق المفاوضات ، وكان يكلى في هذا الوقت اشارة من ناصر لكى

تنهار خطة الحرب الاسرائيلية ، وكان بن جوريون وهشجعوه من الاسرائيليسين والفرنسيسين يمتقدون أن هناك «خطر سلام » جسيما للغاية ، أى أنهم كانوا يخشون استقراد السسلام ، وكان بن جوريون يعلم أن موليه وبينو وبورجى يخشون استقراد السسلام ، وكان بن جوريون يعلم أن موليه وبينو وبورجى مونورى لن يدعنوا لهذه الرغبة في السلام ولكنه كان يشك في رغبة ايلان في الحرب ، وكانت النزعة الدبلوماسية عند الذي أصبح رئيسا لوزداء بريطانيا أقوى من النزعة العسكرية التي كانت تبعيش في صدر هذا الفسابط السابق في الجيش من النزعة العسكرية التي كانت تبعيش في صدر هذا الفسابط السابق في الجيش الاستعمارى البريطانيا ستدخل الحرب حتى اذا قبل ناصر بروتوكول اتفاق همرشسلد ، وتشير جميع الدلائل الى أن « الاسبد المجوز » قد حصسل في باريس عل جميع هذه الفسانات ،

#### الخطة « أوميليت » :

اتضح للحلفاء أنهم وان كانوا قد أعدوا كل شيء للحرب فأنهم لم يفكروا في النصر ، أو على الاقل في النصر السريع • كما أنهم لم يفكروا في احتمال قيام تدخل أجنبي أو قيام الأمم المتحدة بعمل ما قبل أن يستطيع الحلفاء أن يحصلوا على « الضمان » الذي يحلمون بفرضه على القناة •

ولذلك تلقى رؤساء اركان الحرب يوم ٢٥ اكتوبر تعليمات تطلب منهسم استكمال خطف العملية ضد مصر ، مع التفكير بصفة خاصة فى وضع خطة لاحتلال بور سعيد وبور فؤاد بسرعة ، بحيث تنفذ بمجرد صدور الامر بتنفيذ العملية «موسكيتير» و وهذه الخطة التي ستسمى « اوميليت » ستكون جاهزة يوم ٢٧ اكتوبر ، وستنص على القيام باحتلال سريع الدينتي بور سعيد وبور فؤاد فى حالة عمم وجود مقاومة ، أو حتى فى حالة وجود مقاومة ظفيفة لا تذكر ، وهذه هى الحقظة المزمع استخدامها منذ الايام الاولى للهجوم الاسرائيلى ، وهى مقررة فقيط ليوم ٣ و ٤ نوفمبر على شكل احتمال ، ذلك لان القرار سيتخد مساء يوم ٢ ( أو يوم ٣ لكى تنفذ الخطة المحتملة يوم ٤ ) ولكن هذه الخطة لا تعوق العملية موسكيتير

#### القسراد:

وفى ٢٥ أكتوبر بعث مجلس الوزواء البريطاني « احتمال قيام نزاع بين اسرائيل ومصر » وقسد حسده موقف بريطانيسا الذى يقفى بدعوة المسسكرين المتجاورين الى وقف القتال وبالتدخل للفصل بين المتحاربين اذا لم يلعنا لهساء السعوة ولتحقيق هذه الغاية ينبغى : « احتلال الراكز الرئيسية فى بور سسعيد والاسماعيلية والسويس » التى لا تفصل فى الواقع بين المتحاربين بل توجد غربا داخل الاراضي المصرية • « ان هدفنا سـ كما يقول ايدن سـ هو المحافظة على حرية المرود فى القناة ، وليس الخطر بالنسبة لنا فى النزاع نفسه بل فى احتمال انساعه لتدخل الدول العربية الاخرى • وافضل طريقة لتجنب انساع نطاق الحرب هى أن نتخل بانفسنا » • وقد حددت اخكومة البريطانية خطة عملها بناء على هذا النطق نتدخل الذي يفتقر الى قوة الاقناع •

وفى ٣٦ أكتوبر صدرت الاوامر الاولى ، وفى ١٧ وضعت اقطط لموضع التنفيذ ، وقد صدر الامر فى الواقع يوم ٢٧ الى المجموعة البرمائية لقوة الهجوم ، التى سنبق أن تعركت يوم ٢٧ أكتوبر ثم عادت للى مينا، بون الجزائرى يوم ٢٥ بالابحار مرة ثانية ، وفى هذا اليوم نفسه صدرت أوامر الاستعداد الى لواء الكوماندوز الثالث البريطانى المسكر فى مالطة ، ووصل اخيرا الى اسرائيل فى ذلك اليوم الموظفون الفرنسيون الكلفون بصيانة طائرات « ميستير » التى ستقوم بوظيفة « المظلة الجوية » للقوات الاسرائيلية فى اثنا، زحفها فى سيناء ،

Strain.

وبصفة علمة كان كل شيء على ما يرام ، وقد آخلت تناثج معادثات سيفر التي چرت يوم ۲۲ ، ۲۳ ، ۲۲ اكتوبر والتي انتهت بما يسمونه الآن بروتوكول سيفر Sòvre تؤتي ثمارها على النعو الرغوب ٠

## الفزع في واشنطون:

لم تمر هذه النتائج دون أن يلاحظها أحد ، وكان الامريكيون الساورهم الشكوك في أن شيئا يوشك أن يحدث ، ففي ٣٦ اكتوبر ذهب سفير الولايات المتحدة دوجلاس ديلون لمقابلة لويس جوكس السكرتير العام لوزارة اتخارجية وساله عن حقيقة الشائمات التي تملا باديس ، وقد قدم جوكس للسفير الامريكي جميع التاكيدات التي طلبها ، وتلقت واشنطن معلومات أخرى بنفس المعنى من فرنسا واسرائيل وبريطانيا ، ويؤكدون بهذه المناسبة أن الاجهزة الدبلوماسية السوفييتية نفسها قد نقلت الكثر الى أصدقائها الجدد الامريكيين × ،

ومهما يكن من أمر فقد أرسل الرئيس ايزنهاور يوم ٢٧ آكتوبر رسالة الى بن جوديون يطلب منه فيها أن يتحاشى تعكير صفو السلام في الشرق الاوسعة • وفي اليوم نفسه قابل السفير الممرى أحد الديلوماسيين الفرنسيين الكباد وهو السيو ماياد في حلق كوكتيل دبلوماسية وقال له بلهجة سخرية واستنكاد «بيدو ياصديي العزيز انكم ستهاجموننا » وكان السفير يؤكد أنه استقى هذا اخبر من الدبلوماسيين التابعين للدول الشيوعية •

وفى اليوم التالى ـ ٢٨ اكتوبر ـ وصلت رسالة ثانية من أيزنهاور الى بن جوريون دون أن تعدث أثرا دوليا أكبر مما أحدثت رسالته الاولى • وقد دعت وزارة الخارجية الامريكية الرعايا الامريكيين الى مفادرة دول الشرق الاوسط ، كما أعلنت وزارة البحرية أن الاسطول السادس الامريكي موجود فى شرق البحر المتوسط ، وأنه كلف باعادة الرعايا الامريكيين الى بلادهم •

وفى اليوم نفسه اشارت انباء الصحف الى ان اسطولا قويا من السالاح البحرى الملكى البريطاني غادر مالطة فى اتجاه الشرق الاوسط ، وكان هذا التحرك يهدف من الناحية الشكلية الى اجراء تدريبات ، ولكنه فى الواقع كان يهدف الى التجمع عند النقطة « ى » وهى نقطة فى عكان ما فى البحر تقرر ان تتجمع عندها

<sup>🛪</sup> مجلة ۽ لاترپيوڻ دي ناسيوڻ ۽ ٠

سفن الحملة التى ستحتشد أمام بور سعيد يوم ٧ أو ٨ نوفمبر ، وقد حمل المترال بوفر على هذا التاريخ عنوة من الجنرال الانجليزى ستوكويل قائد القوات البرية في الناء المحادثات التي جرت بينهما في باديس يوم ٢٦ اكتوبر ، وقد أمكن فيما بعد اقناع لندن بتقديم هذا التاريخ ال يوم ٦ نوفمبر .

وقى ٢٩ اكتوبر انتقل مركز قيادة القوة « أ » من الجزائر الى قبرص •

## الفضل الثالث عشرته

## الشرارة

بدأت الحرب باعتداء كان مقصودا به قائد الجيش المصرى المشير عبد الحكيم عامر فى اثناء عودته من دمشق الى القاهرة ، وكانت تصبحب طائرته طائرة اخرى تحمل باقى اركان حربه ، وهلد الطائرة الثانية هى التى سقطت فى البحر ، وقد علقت الدوائر المسكرية الفرنسية والاسرائيلية فى اسرائيل على ذلك قائلة : لقد الحطانا الطائرة :

وصل عبد الحكيم عامر الى القاهرة ليعلم أن أمورا غربية تجرى في مصر • ان طائرات كثيرة تخترق المجال الجوى المصرى ، ففي غرب القنساة تظهر طائرات كامبرا التابعة للسلاح الجوى الملكى البريطاني وعلى الضفة الشرقية تظهر دوريات طائرات الميستير الاسرائيلية ، وفي الشرق سـ فوق سيناء للهور سيل ميستير تقريبا من طائرات داكوتا تطير على ارتفاع منخفض متجهة من الحدود الاسرائيلية نحو مدينة السويس وتعرسها على ارتفاع متوسط طائرات عطاردة من طراز ميتور وتحلق فوقها أيضا طائرات احدث منها من طراز اوراجون •

ماذا کانت تفعل طائرات داکوتا فی سینا، مصر ؟ هیدا ما سنطه بعد قلیل ، ففی الساعة السابعة عشرة .. ای اخامسة مساء .. انزلت عند مدخل ممرات متلا علی مسافة اربعین کیلو مترا تقریبا من مدینة السویس ... ای من القناة فی نقطة قریبة من البنا، المقام علی تل احیاء لذکری الکولونیل بادکر الذی کان حاکما

انجليزيا على سينة - كتيبة من جنود الظلات التابعين للواء ٢٠٢ من الجيش الاسرائيل وقد انتشر رجال الظلات بسرعة وعسكروا بين هذا البناء وممر متلاء وهو طريق ضيق يمتد ثلاثين كيلو مترا تقريبا بين المسخور الوعرة وقد ارسلوا دوريات في مدخل المر وقضوا الليل وجزءا من نهار اليوم التالى في حفر الخنادق في هذه الاردن الجرداء الصخرية وهم لم يكونوا يحملون معهم غير اسلحتهم الشخصية وقليل جنا من المعلت وبعض مواد التموين ، وكان موقفهم حرجا و انهم لم يكونوا غزاة بل كانوا بالأحرى رهائن !

ولكن هذا آم يمنع تل أبيب من نشر بيان تتحدث فيه عن أنها تقوم بهجوم في اتجاه قناة السويس و الذي سيبود في اتجاه قناة السويس و الذي التهديد الوجه ضد السويس هو الذي سيبود شكليا الإنفار الفرنسي البريطاني الذي أعد نصه في الإيام السابقة و وكان ينبغي نشر هذا النص بصفة عاجلة بحيث يستطيع الفرنسيون والبريطانيون التشاور وبحيث يعتطيم طائرات الاليوشن المعرية باسرع ما يمكن و وكن في الوقت الذي نشر قعيم هائرات الاليوشن المعرية باسرع ما يمكن و وكن في الوقت الذي نشر فيه هذا النص ظهر البيان الاول في تل أبيب ، وهو من الناحية الفنية عبارة عن مهزلة و بل ان كل الناس تسادوا كم من الوقت يستطيع جنود المقالات هؤلاء الذين القوا هكذا على شكل مفامرة أن يصمدوا ومتي سيلحق بهم باقي جنود اللواء ٢٠٧ الذين عبروا اخدود في الساعة الرابعة مساء أي قبل نزول رجال المقالات ساعة و والواقع أنه في الوقت الذي دخل فيه اللواء ٢٠٧ ادض مصر فانه أصيب بغسائر تزيد على جملة اقسائر التي أصيبت بها القوات الاسرائيلية في باقي الحملة و

ولاحداث عامل المباغتة ركز الاسرائيليون غنلف وحدات هذا اللواء في منطقة عين خصب على حدود الاددن • وكان التوقيت يقفى بأن يفادر هذا اللواء منطقة عين خصب يوم ٢٩ أكتوبر في الساعة الثالثة صباحا ليصل الى الحدود المرية في اليوم نفسه الساعة السادسة عشرة • وقد تم تعبئة اللواء بسرعة بعيث لم تصل نصف المعدات اللازمة الى عين خصب في الوقت المعدود ولا سيما العربات

المصفحة اللازمة التى تصلح للسير على كل نوع عن الاراضى • ونظرا لا نه كان يجب المحافظة على توقيت المملية بأى ثمن ، فقد تقرر الزحف الى الحدود باية وسيلة ، وأرسلت السيارات فى عجلة شديمة الى منتصف الطريق الى الحدود حيث كانت تشحن بما يمكن شحنه من معدات ، ومن هنا نتج سوء التقدير والاخطاء وأخيرا اللوضى • لم يكن هناك جيش بل خليط غير معقول من سيارات النقل المدنية والسيارات العامة راحت تتقدم مسعورة نحو الحدود المصرية كأنها تسير نحو أرضى الميعارات المامة راحت

والمسببة أنه كان على الطابور أن يعبر ممرا رمليا بين جيرافي وسويلمة ، والمعبنة اللهر سهل العبور بالنسبة للسيارة الصاخة لكل أدض والمجهزة بالواح لمنع انفراسها فقد كانت بمثابة مقبرة حقيقية للسيارات العادية وقد غرست فعلا وتوقف معظمها، فكانوا ينقلون أهم حمولتها الى السيارات التي لا تزال تستطيع السني ، ولكن هذه غرست هي الاخرى وتوقفت عن السير و أما العربات ذات العجلات الست والتي استطاعت أن تعبر المر الصعب بسلام فقد وصلت الى جيرافي ولكن بدون قطع غيار أو آلات ، بل أن كثيرا منها قد أكمل رحلت سائرا على الحديد بدون اطارات و آلات ، بل أن كثيرا منها قد أكمل رحلت متوقفا في مؤخرة الطابور و

ومن حسن حفل الاسرائيليين أن المصرين لم يظهروا ، لان اكثر مراكزهم تقدما كان في الكونتيلا على مسافة عشرات الكيلو مترات من الخسدود ولأن قوة الحدود الصحراوية ـ أى القوة الخفيفة ـ التي كانت تعرس الحدود لم تتنبه الى ما كان يجزى •

وكان الطريق بين «جيافي » واخدود يزدحم بسيادات اللواء ٢٠٢ كما لو كانت الوحدة قد وقع عليها هجوم جوى عنيف • ولم يمنع هــنا القوة الطليعة من ان تهاجم فورا موقع « الكونتيلا » بمجرد وصولها الية حين الغروب • وقد دافعت الحامية الصرية الصغيرة عن نفسها بقدر ما استطاعت أمام هذه الجموع المهاجمة ثم استفلت الظلام لتختفى فى الصحراء دون أن يعرف بسيرها أحد • وهكذا استولى الاسرائيليون على الكونتيلا ، وانتهت المهمة بنجاح • وكان هذا هو مضمون البلاغ الجميل الذي نشرته تل آبيب فى هذا الصدد •

وللزحف الى أبعد من ذلك كان يجب على الاسرائيليين أن يأخذوا حدرهم ، فقد بعثروا على الطريق سياراتهم كما يبعثر الطفل الصفير الحصى الذى يلعب به • كان نصف العربات الحربية الخفيفة واقفا بدون حركة ، ومن ثمانية عشر مدفعا لم يبق غير مدفع واحد !

وقد احتاجت القوات الاسرائيلية الى خمس ساعات للخروج من هذه الفوضى غير المقولة • وخسن الحفظ انزلت الطّائرات الفرنسية من طراق « نورد – اطلس » القادمة من قبرص عواد التموين والماء والبترول بالمظلات • وفى الوقت نفست كانت طائرات « نورد – اطلس » نفسها تلقى بالاغذية والمعدات لرجال المظلات المسكرين بجواد بناء « بادكر » وقد فرحوا بما اللقى اليهم من ماء وسيادات جيب وبطارية من مدافع المورتر عباد ١٢٠ ملليمترا التى وصلت لتحقيق التفوق في المسحراء •

وقد ادى دخول ثلاث دول فى الحرب مرة واحدة وبشكل منسق \_ ولو أن ذلك لم يكن الا بشكل سرى من جانب فرنسا وبريطانيا المظمى \_ الى نجاح العملية ، فقد ضمنت طائرات كامبيرا البريطانية لاسرائيل عدم تدخل طائرات الإلبوشن المصرية كما أنها احتجزت غربي القناة الجانب الاكبر من الطبران المصرى وقد أنزلت طائرات « نورد \_ اطلس » بالمقالات الاسعافات اللائمة • أما طائرات « ميستبر » القادمة من مدينتي ديجون وسان ديزييه بغرنسا فقد وصلت فى اليوم نفسه وكانت مستعدة لأن تحل محل طائرات « ميستبر » الاسرائيلية حيث عملت مجموعة صغيرة منها فوق اراضى ضفة القناة الشرقية أما الباطي فكان يقوم بحراسة الاداضى الاسرائيلية • وفى منتصف الليل تقريبا استطاع اللواء ٢٠٦ أن يتحرك ثانية فوصل فى الرابعة صباحا من يوم ٣٠ اكتوبر أمام المواقع التى تحيط بمنبع أأياه فى التمد التى كانت تضم مراكزا للتدريب وكان الاسرائيليون يعلمون ذلك جيا

وفى اثناء هذه العمليات كانت الكتيبة الملحقة باللواء ٢٠٢ لمساعدته تعير الحدود جنوبا في انجاه فركز رأس النقب لتعود ثانية الى التمد •

#### اخطة:

وعلى الرغم من أن تل أبيب قد نشرت بالغا تشرح فيه أن قواتها تتجه نحو قناة السويس فأن الهجوم الاسرائيل صور وكانه حملة تاديبية ناجعة ، وذلك من قبيل الاحتياط أذا ما فشل من جراء أى تدخل دول .

وفى ٢٩ اكتوبر كانت قدائف المدفعية قد بدات تدق الراكز المرية على الجبهة الوسطى ، ولكن كان يمكن اعتبار هذا أيفسا كانه من قبيل الاستعداد للقيام بحركة انتقامية ٠

وحتى ذلك الوقت لم يظهر التوفل الا فى اتجاه واحد على جبهة الجنوب ، ولللك احتفظ بطابع غارة واسعة النطاق تستهدف منع المعريين من تجريد الجملات الانتقامية التى قد تقوم بها طائرات اليوشن المصرية فى الساعات الأولى من القتال. أى فى الوقت الذى كانت اسرائيل تعارب فيه وحدها من الناحية النظرية، وأعطيت تعليمات مشددة للطيران الاسرائيل بعدم القيام بأى عمل غربى القتاة مهما يكن الامر ، وذلك لتجنب احتمال الغارات الانتقامية ،

اما عملية اللحاق برجال المظلات الذين انزلوا في متلا فقد كانت بالنسبة للواء ٢٠٢ معيرد عقبة جغرافية يجب اجتباذها ١ انهم كانوا يعلمون أنه لا يوجد أمامهم غير ثلاثة مراكز هي كونتيلا والتمد ونغسل ، وهي مراكز ثم يكن يقسوم بحراستها سوى بضع مئات من الجنود يفتقرون الى المدفعية الثقيلة والسيارات

الثقيلة ، والصعوبة في خط الاقتحام هذا بدأت عند ممر متلا ، في حين كان هناك في الجبهة الوسطى الفرقة الثالثة الصرية مشاة ، وفي الجبهة الشمالية الفرقة الثامنة مشاة ، واذا ساحت الأحوال فقد يكتفى باللحاق برجال المظلات واعدادة الجميع الى القواعد الأولى ،

#### كيف تسوء الأحوال ؟

لا يعتاج الأمر في هذا الل شيء كثير • كان يكفي مثلا أن يرابط الاسطول السادس الامريكي عند بور سعيد في حين يعيد ناصر بكل هدوء القوات المصرية من منطقة غرب الثناة ، القوات التي أجبرتها الخدعة الحربية على مفادرة سيئاء • كانت القوات الاسرائيلية ... في الواقع ... قد هاجمت بميزة عددية اثنين ضد واحد أو ثلاثة ضد واحد ، نظرا لأن بعض الوحدات المصرية كانت ذات قيمة ضئيلة للدجة أن الاسرائيليين أنفسهم لم يهتموا بها واكتفوا بالتقاطها في نهاية الحملة وكانت أيضا تدوك جيدا أن فتح أجهزة المخابرات البريطانية نجح × • وكان ناصر قد حصل على خطة هجوم الحلفاء ... الخطة موسكيتير ... التي تشسير الى أن الهجوم الرئيسي سبكون على الاسكندرية مع احتمال القيام بهجوم على بور سعيد لبشرة القوى بحيث يكون الهدف الاساسي القاهرة • وقد رتب جميع قواته على هذا الاساس ، ولم يترك لمواجهة اسرائيل غير مجرد ستار من القوات في حشد معظم قواته في وسط مصر •

كانت بعض القوات تحمى الاسماعيليه وهى المنفذ لبود سعيد وكانت قوات اخرى اهم منها تحمى مغارج الاسكندرية ، ولكن أهم جزء من الجيش المصرى كان يعمى القاهرة ، ولما لم يكن في وسع ناصر أن يفعل غير ذلك فان الاسرائيليين

 <sup>«</sup> المخابرات الاسرائيلية : الله أدرسل المعربون الى سينا، من قوات اكسمات

 الاشر مما أدرسلوا من الوحدات الحادية ، اقرأ الهجوم الخاطف الاسرائيل ، يقام جورج
 جاليان ، في جريدة لومونك بتاديغ ١١ يتاير ١٩٥٧ ،

كانوا واثقين من اهكان احتلال سيناء بالسهولة التي تقطع بها قطعه من الزبد ، حتى ولو بعشروا سياراتهم ومدافعهم على طول الطوق • وكان كل هذا يتوقف على رد اللعل عند ناصر وعند أيزنهاور •

# اجتماع مجلس الوزراء في القاهرة :

وفى ٢٨ اكتوبر اجتمع ناصر بوزرائه فى الساعة الثامنة عشرة والنصف ... السادسة والنصف مساء ـ اي بعد ساعتين ونصف ساعة من دخول اللوا، ٢٠٢ الاراضى المصرية وبعد ساعة ونصف ساعة من نزول رجال المثلات عند مبنى بادكر ٠

وكان الكل لا يزال تحت وطأة المفاجلة ، فقد كان الوزراء يتوقعون مناقشة مسائل دبلوماسية وكان الرئيس يعتقد أن المسلومات الواردة من باديس والتي كانت تنبي، بهجوم بريطاني على مصر ليست الا خدعة ، وعلى أي حسال فاذا كان هذا الهجوم سيعدث فانه يعلم أسراده مقدما وقد أعد المدة لمواجهته ، كقد أخليت سيناء وتركت في حراسة لوائين ، وكان جيشه ينتظر الاعداء أمام القاهرة لكي يواجه العدو الذي انهكه السير الطويل في الصحراء ،

اما الوقف مساء ٢٩ اكتوبر فلم يكن يتوقعه أحد ، غارة شديدة على سيناه ، وقد اتضح أن الفرض منها هو شطر القناة نصفين • وفى شمال سيناء أم يتحوك الاسراتيليون مما يشير الى أن العملية كانت محلية برغم أنها تبدو واسعة النطاق وقد قرر معلس الوزراء المصرى مواجهة التهديد المباشر بارسال الامدادات على وجه السرعة ، فاتجه لواء مشاة نحو ممرات مثلا لوقف تقدم رجال المظلات الاسرائيليون وكتيبة مشاة نحو الشمال الى العريش لدعم الدفاع الساحل • وتقرر بصفة خاصة نقل كتيبتين مدرعتين ثقيلتين ومعهما الدبابات التشييكية ت ٢٤ والمدافع الروسية المتنقلة على عربات من طراق سى ١٠٠٠ ومعها أيضا بعض وحدات الشساة شرقى القناة عن طريق كوبرى الفردان ، واتجه أكبر قسم عن هذه الوحدات نحو الحدود سالكا الطريق المركزي السمى طريق الاتراك والمؤدى الى بير روض سائم •

ويعنى الدفاع عن القناة أساسا فى اتجاه الشرق اغلاق نهاية الطرق الثلاثة التى تمبر صحراء سيناء والتى تنتهى من الشمال الى الجنوب ، واحدها ينتهى عند القنطرة ، والثانى عند الإسماعيلية ، والثالث عند السويس ، وكان الطريق الاول يسير موازيا لحافة الصحراء وهو طريق البحر ، أما الطريق الثانى وهسو الاوسط فيسمى طريق الاتراك ، والطريق النالث الجنوبي هو طريق الحجساج اللي يتجسه مباشرة الى مكة ، انه الطريق الذي قطعه رجال المفلات الذين انزلوا شرق متلا ،

وفى جنوب الصحراء يتفير طابع سيناء ويصبح سلسلة جبلية ليس لها قيمة عسكرية كبيرة ، ويحيط بهذه السلسلة شرقا وغربا طريق يحانى البحر بحيث يكفى السيطرة عليه للاشراف على شبه الجزيرة عن الوجهة الاستراتيجية ،

وقد انشغل المصريون بمواجهة الهجوم الاسرائيلي مستفيدين من المهلة التي تركها لهم الفرنسيون والبريطانيون وقد بلغ القاهرة نبا هذا الهجوم بسرعة البرق، ولما كانت اسرائيل هي التي تقوم وحدها بالهجوم (ظاهريا) فقد شحيد هذا طاقات المصريين وخلق نوعا من الاتصاد المقدس أمام الخطر الصهيبوئي وسيكون لذلك أهمية سياسية كبيرة ، لان كل آمال الفرنسين والبريطانيين كانت تتركز في احتمال قيام بعض الضباط الاحراد الفاضيين بثورة ضسيد ناصر يساندهم فيها بعضي بقايا رجال حزب الوفد والاخوان السلمين ، ولكن قدد لهذه الأمال ان تغيب ، ولو افتضح أمر مؤلاء الرجال لقذف بهم تياد الاجماع القومي اللي اطلقه الهجوم الاسرائيل من عقاله ،

وكان هذا بدون شك خطأ سيكولوجيا ارتكبته بريطانيا • فلكى تعافظ على سممتها أمام أصدقائها العرب دفعت اسرائيل لكى تهاجم مصر حتى تتــدخل هى بعد ذلك كوسيط ، ولكنها بهذا ضبعت جميع الجهود التى بذلت لفسمان قيام انقلاب سريع ضد نظام ناصر • هذا الانقلاب الذي كان البريطانيون يتصورون أنه سيجنبهم القيام بحرب حقيقية ضد مصر ، وهى حرب لم يكونوا يرغبون فيخوضها في حين كانت الهدف الاول للدوائر المسكرية الفرنسية المؤيدة للقتال •

#### ضرية واشنطن:

لقد انتهت على كل حسال المعجزة التى كانت محتملة الوقوع . يجب على لنسدن اما ترك الاسرائيلين لمسيرهم الحتوم لكى تدموهم طائرات الاليوشن المسيرة ، واما التدخل على نطاق اوسع ، وكانتلندن \_ اى يدن \_ لاتزال وهى على حافة الهاوية مترددة وتنصت بأذنها الى واشنطن ، وانتظرت لندن ثمانى عشرة ساعة لكى تتخذ القرار النهائى ، وهو التعول بتدخلها الذى ظل سريا حتى الآن ال تدخل علنى ، نهم لتتخذ هذا القرار الذى كان يكفى أن يقطب ايزنهاور حجبيه حتى يدفن فى الحال ، حقا أن واشنطن تزمجر ، وتكنها زمجرة لا تذهب بعيدا فى الوقت الراهن ،

ذلك أن أيزنهاور اكتفى بتوجيه رسالة الى ايدن يذكره فيها بالبيان الثلاثي الصادر عبام ١٩٥٠ ولا تتذكره احدى الدول الثلاث التى أصدرته \_ كمسا لاحظنا ذلك \_ الا اذا كان يتفق ومصافها ، في حين يظل في جميع الحالات الاخرى في النسيان ، وهو ينص على اجراء مشاورات بين الحلقاء الثلاثة قبل أي تدخل في الشرق الاوسط •

وبدلت الحكومة الامريكية الجهد الكثير منذ ذلك الحين لتقول أنها لم تكن 
تعلم شيئًا عما حدث ، وبلغ الامر بايزنهاور أن أعلن أنه لم يتحط علما بنبا الهجوم 
الا عن طريق برقيات المسحافة ، وسيؤكد جون فوستر دالاس قائلا : لم تصلنا 
أية معلومات سسابقة من أى نوع بالنسبة لهذه المسالة ، وسيكتب شرمان آدمز 
مساعد الرئيس أيزنهاور ما ياتى : لم يخبرنا بذلك فرنسا أو بريطانيا أو أحسد 
مندوبينا في أوروبا أو في البلاد المتاخبة للبحر المتوسط × وقد كرد دوبرت مودفي

<sup>×</sup> تشيرمان أدامز في كتابه الذي سبق أن أشرنا اليه •

هذا الكلام الصادر عن الحكومة الامريكية • وتظاهرت واشنطن بانها تتمسك بظواهر الامور وتكتفي بشرح ايدن الواهى الذي يقول أنه مضطر الى التدخل •

ومع ذلك فان واشنطن كانت تعلم بكل ما حدث ، فمنذ يوم ٢٩ اكتسوبر ذهب السفير الامريكي ديلون الي لويس جوكس طالبا منسه شرحا اللاحدات الجارية ، وقد صرح مورفي بأن الملحق المسكري الامريكي في اسرائيل ادسل الجارية ، وقد صرح مورفي بأن الملحق المسكري الامريكي في اسرائيل ادسل اسرائيل ، وآخيرا فاذا كان هناك حاجة الي مزيد من الايضاح فقد أعطاها لهم الرجل الملكي كان وقتئد رئيسما للمخابرات الامريكية وهمو ألن دالاس × × مقيق فوستر دالاس ما اللهي يؤكد أن المخابرات الامريكية كانت على علم تام بالمعلية كلها ، ولقد اوضحنا أنه لن يكون هناك هجوم اسرائيل ضد الاردن ، بل هجوم من الدول الثلاث ضد السويس ، وفي ليلة الغزو نفسها قلنا أن الغزو أصبح أمرا حتميا ،

ولم ينس احد كيف قدم جنرالات وزارة الدفاع الامريكية في اثناء الصيف اكبر التسهيسلات للفرنسيسين والبريطانيين لسكى يعصلوا على المعدات الحديثة للقاية التي لم تسكن في حوزتهم ، وكانت مع ذلك ضرودية لهسم للصمسود امام أحداث النماذج الروسية التي كانوا سيصادفونها في مصر ، ولم يبق اخبرا غير الانذار الذي قدمه دالاس الى آبا ايبان يوم ١٧ اكتوبر ،

کانت واشنطن تعلم ولکنها کانت تتجاهل • ومن المکن أو من المحتصل أن الامريكيين لم يقسدموا في أي وقت من الاوقات وعودا ايجابية الى ايدن ، وذكتهم لم يغعلوا أي شيء جاد لمنعه ، وذلك حتى تاريخ مصين سنرى فيما بعسد أهميته •

<sup>×</sup> روبرت مورفي في كتابه الذي سبق أن أشرنا اليه •

<sup>× ×</sup> آئن دالاس : فن الشابرات ( روبدِ الافون ) ،

يجب أن نعود الآن الى تسلسل الاحداث: حينها وصل الى واشنطن نبا الهجوم الاسرائيل جمع ايزنهاور اهم مستشاريه ، وقد نشر يسان بصد هسدا الاجتماع وضح أن الولايات المتحدة تتشاور مع الحكومتين الانجليزية والفرنسية بشان المتعريح الثلاثي الصادر عام ١٩٥٠ وأن الحكومة الامريكية تفكر في عرض التدخل الاسرائيل في مصر على مجلس الامن في اليوم التالى .

وفى ثندن اجتمع ايدن بوذير الدفاع وبرئيس ادكان حرب السلاح الجوى الملكى وتعقق من أن طائرات كاميرا تحلق فى تلك الساعة فوق مصر • واجتمع مجلس الوزداء صباح اليوم التائى ـ ٣٠ اكتوبر ـ ليقرر رد الفعل البريطانى ، ثم قابل ايدن كلا من موليه وبينو اللذين حضرا لتناول الغذاء فى لندن ،

ومن قبرص حضرت هيئة أركان حرب القسوة (1) للاقامة هناك ، وقامت طائرات « نورد ـ أطلس » الفرنسية بمهمة تموين القوات الاسرائيلية في متسلا وكونتيلا ،

# في صباح ٣٠ أكتوبر:

وفي متلا انتظر رجال المظلات الاسرائيليون وصول باقي اللواء ٢٠٣ وهو لواء شارون ، ولكنه تأخر عن موعده المقرر لانه صحادف في التهد مقاومة أكبر مما كان يتوقع ، وقد هاجم في الفجر ولمحتله اصطلم باحدى دوريات الصحراء المصرية حيث قتل منها ستين رجلا ، ثم واجه في الصباح هجوم اربع طائرات مصرية من طراز فامير التي كبدت الاسرائيليين خسائر فادحة (دبابة واحدة ، وه ١٠ سيارة محملة بمدافع رشاشة و ٢٠ سيارة نصف جنزير ، وهذا منقول عن المصريين ، أما الاسرائيليون فقد اعترفوا بان خسائرهم كبيرة دون الاشارة للى أي تحديد ) وقد استانف اللواء سيره نحو نخسل حيث قاتل لمدة ساعتين للتغلب على الخامية الصفيرة ، ولم يتصل برجال المظلات المحجوزين شرقي متلا الا في الساعة التاسعة والنصف مساء، حيث قابل هدؤلاء مقاومة مصرية اكثر الا في الساعة التاسعة والنصف مساء، حيث قابل هدؤلاء مقاومة مصرية اكثر

صلابة مما كان متوقعا وقد هاجمت طائرات فامبير للصرية جنود المظالات هؤلاء طوال النهار وكان هؤلاء الجنود في موقف حرج ، لأن الامدادات المتحركة المصرية وهي امدادات اللواء المشاة اللى نقل من السويس مسله الليلة السابقة للاسترين وقد دمرت بعض طائرات مستدير الاسرائيلية ( أو الفرنسية الاسرائيلية ، فقعد كانت خليطا منذ يوم ٣٠ أكتوبر ) جزءا كبيرا من الطابور المصرى وتركته دون حركة و واخيرا وصلت طلائع اللواء ٢٠٧ لتنضيم الى المظلين متاخرة عن موسيدها المحسدد بعشر ساعات و ونقرا الأن العدو قد دعم قواته فقد قرر راس حربة اللواء ٢٠٧ انتظار التاني بالمظلات الذي كان ينتظر وصوله على طائرات « نورد للها المهجوء فجر يوم ٣٠ أكتوبر ٠

وفى الجبهة الوسطى شن اللواء ٣٧ مشاة الاسرائيسل هجسومه يوم ٣٠ اكتوبر فى الواحسة والنصف صباحا • وقد فشسل الهجوم ، وارتد اللواء الله اخلف نتيجة الهجوم المضاد • ثم عاود الهجوم فى الساعة الرابعة والنصف صباحا وفشل من جديد ، وارتد ثانية للخلف • فطلب معاونة العليان حيث جادت طائرات موستانج \_ جابو ، والقت قنابل « النابالم » على الرتفعات التى تحكم المركز • وقد أصدرت القيادة المصرية أمرها بالانسحاب ، وانسحبت قوانها بنظام الل ابو عجيلة ، وهو ملتقى طرق محصن سيقوم بالدفاع عنه خمسة آلاف مصرى مسلحون ومدربون • ان محاولة الهجوم على مثل هذه القوات الدفاعية بواسطة لواء شناة معناه السمى وراء الهزيهة • وهكذا استبعد اللواء ٣٧ مشاة مؤقتا لترك المواء السابع المدرع الذي سيقوم بالهجوم على الجبهة •

وقام الاسرائيليون بهذا الهجوم ، ولكنهم ددوا على اعقابهم وخسروا دبابتين شديمان وخمس دبابات نصف جنزير ، غير انهم نجعوا في تسدف القناة التي بمون ابو عجيلة بالله العذبة ، والاهم من ذلك انهم اكتشفوا ممرا كان ينفل انه غير صالح للسيارات - وقد سمح لهم هذا المر باللوران حول المركز والاندفاع نحو مؤخرة المدافعين في الوقت الذي تظاهروا فيه بالقيام بهجوم

جديد على الجبهة • وبعد الظهر كانت الحلقة محكمة بغضل وصول لواء اسرائيل جديد هو اللواء الرابع مشاة ، ولكن المدفعية المعربة صدت الهجوم بنجاح • وفى يوم ٣١ أكتوبر كان الاسرائيليون لا يزالون عاجزين عن القتحام أبو عجيلة •

ويمكن أن تزداد خطورة الموقف بالنسبة للاسرائيليسين اذا حضر بسرعة اللواء المدرع المصرى ــ المسمى اللواء الروسي لنوع معداته ــ الذي كان يزحف على طول طريق الاتراك لنجدة الحامية المحاصرة ·

أما في الجبهة الشمالية فقد ظل كل شيء هادئا حتى يوم ٣٠ أكتوبر ٠

# الاندار النهائي:

فى صباح ٣٠ أكتوبر علم مجلس الوزداء البريطانى أن القواتالاسرائيلية دخلت الاراضى المصرية فى اليوم السابق • وكان توافقا جميلا أن يكون الوقف المسكرى فى هذا الوقت هو بالضبط نفس الموقف الذى آواده مجلس الوزداء البريطانى عند خمسة آيام !

وقدم ایدن ای مجلس الوزراء البیان الذی سیلقیه فی مجلس العموم بعد الظهر وحصل علی موافقة مجلس الوزراء بذلك ، كما وافق مجلس الوزداء علی نصی الرسالة المزمع ارسالها الی الرئیس ایزنهاور ، وهی الرسسالة التی طلب منه ایدن فیها تاییده الكامل ، وتقول هذه الرسالة ان مجلس الوزداء یوافسق علی عرض هذه المسالة علی مجلس الامن ، ولكن مجلس الوزداء الانجلیزی یری ضرورة القیام بعمل مباشر وحازم لوفف الاعتداءات ،

ثم قابل ايدن جي موليه وكريستيان بينو وتعدن معهما قبل الفيداء ، واستمرت المحادثات في اثناء تناول الطمام وبعده ، حيث تقرر بعد ذلك توجيه رسالة ثانية للعومة الامريكية لابلاغها بتصوص الانداد النهائي الذي سيرسل للجانبين المتحاربين ، وفي الوقت الذي وجهت فيه صده الرسالة الى واشنطن

وصلت رسالة من ايزنهاور • كان الرئيس الامريكي يطلب أن تتبادل الدولتان بسرعة وبوضوح وجهات النظر حتى لا تجدا نفسيهما في أذمة خطيرة وفي حالة عجز عن الممل مما نتيجة حدوث سوء فهم بينهما • أما بالنسبة لايدن فالدخول في مشاورات قد يؤدى بسرعة الى مفاوضـة جديدة وفي هـدا قد يـكون رئيس الوزراء البريطاني على حق •

وحينما تقررت جميع نقاط العمل ومواعيده بالاتفاق مع القادة الفرنسيين جمع ايدن زعماء المارضة وسلمهم البيان الذي سيلقيه امام مجلس العمسوم ، يغطرهم فيه بنص المذكرة التي وجهها الى أسرائيل والى مصر .

ومها لا شك فيه أن لهجة التهديد التي كانت تتضمنها المسلكرة المرسلة لهاتين الدولتين دون أن تتضمن صراحة اعلان الحرب كانت تشير الى أن فرنسا وبريطانيا تنويان القيام بتدخل عسكرى ، أى خوض حرب قد تنجم منها حرب علية ، ومها لا شك فيه أن هذه الاشارة قد تمت دون أن يرى رؤساء السلطة التنفيذية في لندن وباريس أنه يجب عليهم استشارة البرلمان قبل القيام بها وحقا أن كلا من رئيس الحكومتين كان يعلم أنه يستطيع الاعتصاد على غالبيسة معدودة ، بل كانت حالة جي موليه أكثر خطورة وأن لم يعن الحرب ( هذا العمل الذي كان من حق رئيس الجمهورية ) ولكن القرار الليقدمه للبرلمان للاعتماد كان قرارا دبلوماسيا يؤدى الى تدخل عسكرى ، وحينما بدا هذا التدخل من ناحية قرارا دبلوماسيا يؤدى الى تدخل عسكرى ، وحينما بدا هذا التدخل من ناحية المبدأ في نهاية مهلة الانداد ، لم يكن البرلمان الفرنسي قد اصدر قرارا ، أى أن المبدأ في نهاية مهلة الانداد ، لم يكن البرلمان الفرنسي قد اصدر قرارا ، أى أن اكتوبر

وعلى كل حال فان كل هذا مجرد معركة كلامية ، لأن العمليات الحربية كما داينا ــ سواء بالنسبة لبريطانيا العظمى أو لفرنسا ــ بدات فى الوقت نفسه الذى بدأ فيه الجيش الاسرائيل عملياته ، قامت بريطانيا العظمى بخرق المجال الجسوى المصرى بواسطة طائرات كامبيرا ، كما قامت فرنسا بانزال جنود المظلات يوم ٢٩ أكتوبر في منتصف الليل فوق متلا وكونتيلا • كذلك انزلت معدات حربية
 واغدية للجيوش الاسرائيلية التي تقوم بعملياتها الحربية في الاراضي المصرية •

وهكذا تحمل رجان مسئولية اتخاذ قراد استبدادى يكن أن يؤدى الى حرب عالمية دون أن يكون هناك اشراف جدى على قرارهما • اننا لسنا في مجال معاكمة ايدن وموليه ، لكن علينا أن نعدد المرحلة الحرجة التي بلغها النظام السياسي للعمل كما داينا في هذين البلدين • أن ما اتضبح هو وجود تغرة في الرقابة البرلمانية في فرنسا وفي بريطانيا ، ولكن الواقع بالنسبة لفرنسسا بُ أن البرلمان فيها كان يدفع العجلة بكل قواه وكان يؤيد التدخل ( ما عدا الشيوعين وبعض الانعزاليين ) أكثر من الحكومة نفسها •

# ذهول في القاهرة :

اعتقد الوزراء المصريون في الليلة السابقة أنهم سيناقشون في اليوم التالى مسائل دبلوماسية واذا هم يفاجاون بالهجوم الاسرائيل ، وحينما جمعهم ناصر مرة آخرى بعد ظهر يوم ٣٠ آكتوبر اعتقدوا أنهم سيطلعون على العمليات الوجهة ضد اسرائيل فاذا هم يخطرون بان عليهم أن يعملوا حساب عدوين آخرين هما بريطانيسا العظمى وفرنسسا و وتباحث الوزداء نصوص الاندار النهائي ، فوجدوا أنهم لا يستطيعون قبوله ، لانه يعنى الاعتراف بان الجيش الاسرائيل قد تتقدم لمسافة ما كياو مترا داخل الاداخى المصرية وأن القوات المصريةانسحبت الى مسافة تزيد على ما تتى كيلو متر داخل الحدود .

وفى هذا الوقت ادتكب ناصر خطا جديدا فى تقديره للموقف • كقد تصور أن ايدن لا يزال يخدعه ، وإن الانذار النهائى خدعة حربية تهدف الى منع مصر من ارسال المدادات الى سيناء ، ومن ثم قرر رفض المذكرة الفرنسية البريطانية وارسال قوات جديدة الى جبهة سيناه •

وهناك تفصيل مهم في ض الملكرة الفرنسية البريطانيسة : فقد كانت تشير الى انه اذا لم ينسحب الطرفان خالل مهلة اثنتي عشرة ساعة الى خارج النقاط التى حددت لهما ، فستقوم القوات الفرنسية البريطانية باحتلال المراكز الرئيسية في بورسعيد والاسماعيلية والسويس ، وهذا ما يسمونه « الافصاح عن اللون » »

وبرغم استمرار اعتقاد الصريين بان هناك خسعة ، فقد وضعوا هذا الاندار موضع الاعتبار ، وقربوا قواتهم من القناة ، وقد اتخذ ناصر اجرا، آخر كان آكثر اهمية ، اذ سلم ال بعض السفرا، خطابات شخصية ليسلمها كل منهم الى رئيسه، وكانت هذه الرسائل موجهة الى الرئيس ايزنهاور والمارشال بولجانينوالمارشال تينو والمانديت نهرو ،

## عراك في الأمم المتحدة :

فى الوقت الذى كان مجلس العموم يوافق فيه على نصوص الاندار النهائى الوجه الى مصر والى اسرائيل بفاليية ٥٢ صوتا ، كان نجلس الامن مجتمعا لمناقشة مشروع القرار المقدم من الوفد الامريكي والذى يدعو فيه الجانبين الى وقف اطلاق النار فورا ، ومع الزام اسرائيل بسحب قواتها خلف خطوط هدنة عام ١٩٤٨ ، ويوصى الدول الاعضاء بالامم المتحدة بالامتناع عن التهديد باستخدام اللوة ، أو باستخدامها بطريقة لا تتفق مع أهداف الامم المتحدة . \*

وبمجرد افتتاح الجلسة طلب ممثل الملكة المتحسدة من المجلس الموافقة على الاجراءات التي اتخذتها كل من الحكومتين الفرنسية والانجليزية ، ورجا مندوب الولايات المتحسدة أن لا يصر لكي يقترع المجلس في اليوم نفسسه على مشروع القراد الذي تقدم به ، وقد اعلن المندوب الفرنسي أنه سيمادض في التصدويت مشروع القراد الامريكي ، وتمت اللعبة والجميسج يلتزمون الهدوء ، وكانوا يمتقسدون أنه نظرا لان بريطانيا المظمى وفرنسا لن تتمزها بدون موافقة

أمريكية سابقة فسيقبل للندوب الامريكي ارجاء مناقشة مشروع قراره ، وهكذا تكون الولايات المتحدة قد قامت بمعركة شرفية للدفاع عن المبادى، الديمقراطية وقامت ايضا بالمناورات اللازمة داخل الامم المتحدة • وتستطيع اذن بريطانيا وفرنسا أن تصفيا بكل عدو، حسابهما مع هتلو وادى النيل •

وفجاة أصيب الجميع بدهول ، اذ قام للندوب الامريكي واصر على الاقتراع مباشرة على مشروع قراره ، وقد تضاعف اللهول حينما قام المتدوب السوفييتي واعلن أنه يؤيد تأييدا تاما الموقف الامريكي والتزم المندوب اليوغوسلافي الموقف نفسه ،

وقد اعلن السير برسون ديكسون الذي يقوم بمهمة صعبة ... وهي تمثيل بريطانيا المقلمي ... انه سسيمترض على القراد بموجب حق الفيتو ، وقد حاول مقابلة المندوب الامريكي كابوت لودج مقابلة شخصية، ولكن هذا الاخير دفف ذلك بخشونة ، وبعد التصويت اودج للنسدوب السسوفييتي مشروع قرار جسديد لا يختلف كثيرا عن المشروع الامريكي ، وقد صوتت جميع الوفود تقريبا ضد بريطانيا وفرنسا ، فاستعملتا من جديد حق الفيتو ،

وقد اثر احتمام المناقشة على صحة المندوب الفرنسى ــ المسيو كورنو جنتى ــ تأثيرا سيئًا ، فاضطر الى أن يترك مكانه لنائبه السيو جيرانجو ، في حين أصيب السير بيرسون ديكسون بالذعر !

ان الانباء تتلاحق • فقد عرفت جميع دول العالم أن بريطانيا وفرنسا قامتا يعمل لا تقره أبدا حليفتهما الامريكية • والطامة الكبرى هى أن كنسدا والهنسد وسيلان قد أعلنت رسميا عدم رضائهما عن هذا العمل البريطاني ، وفي اليوم التالي اتخلت بلاد كثرة هذا للوقف نفسه للتسم بالاستنكار •

وكان داج همرشلد عل وشسك أن يقسم استقالته من السكرتيية العامة للامم المتعسدة ، واقترح مندوب يوغوسلافيسا دعوة الجمعية العامة للامم المتحدة لعقد اجتماع ، وقد تقرر فعلا أن تعقد الجمعية العامة اجتماعا بعد ظهر يوم أول نوفمبر ، وقبل ذلك التاريخ عقد مجلس الآمن جلسته يوم ٣١ آكسوبر في الساعة الثامنة هساء بتوقيت جرينتش ، ونشرت معظم بلاد العالم في أثناء الليل بيانات تستنكر فيها العمل الفرنسي البريطاني ، اما بابيس ولندن فلم تأخذا هذه البيانات الاستنكارية ماخذ الجد ، ألم تؤجر ايطاليا سرا مطاراتها الوجودة جنوبي شبه الجزيرة للطائرات الحربية الفرنسية المتجهة ألى اسرائيسل وهي تعلم علما تاما أنها تحمل معها الموت الى مصر في حين أنها في اليوم نفسه تعلن شدة أنها تستنكر كل عمل يتخذ في الشرق الاوسط خارج نطاق الآمم التحدة ؟ ألم يقل ملك المغرب والرئيس بورقيبة لكباد الزعماء الفرنسسيين حينما علما بالزحف الذي تعرضت له مصر « انكم ستقدمون لنا خدمة جليلة الذا خلصتمونا من هذا الرجل » ؟

وقبل أن تعرف نتيجة التصويت داخل الأمم المتحدة وجه ايزنهاور رسالة الى الدن ، حررت بعد أن أحيط علما بالاندار النهائي الفرنسي البريطاني ، وقال الرئيس الامريكي أنه يقلقه كثيرا احتمال القيام بحركة عنيفة ، وعبر عن اقتناعه بأن الطريق السلمي يمكن بل يجب أن يتبع • والشيء الغريب أن البيت الابيض أذاع في المساء نفسه نص هذه البرقية • ومن المسلاحظ أن الرئيس لم يوجه دعوة رسمية للعدول عن المشروعات التي يجرى تنفيدها ، وقد كتب إيدن فيما بعد يقول : لم يكن هناك ما يسعونا للتفكير في أن الولايات المتحدة ستمارضنا داخل الأمم المتحدة معارضة شاملة على جميع النقاط تقريبا ، وبمعني آخر كان لدينا أسباب تدعونا لل الاعتقاد بأن الحكومة الامريكية في تمارض العصل الذي الخوم به ، ويمكن ترجمة ذلك بأن الحكومة الامريكية جملتنا نفهم ضمنا ها أنها قدم قدمت لنا تأكيدات ، ولندع التاريخ يثبت ذلك ها ان تعارض عملنا الذي نقوم به ،

والواقع أن زعماء الحزب الجمهـورى ورجال الاعمال الامريكيـون ذعروا ، لانهم راوا انفسهم مشتركين في الارة حرب كورية جديدة ، وهم الدين اسسوا كل دعايتهم الانتخابية على أن الرئيس ايزنهاور «رمز السلام» • لقد راوا اعداءهم الديمةراطين يضعون فوق رحوسهم الطاقية ويعاقونهم على القصلة • وهدا يفسر العجلة غير العادية في نشر الرسالة الموجهة من رئيس الولايات المتحدة الى دئيس الولايات المتحددة الى دئيس الولايات الذي يارز الدور الذي كان يلمهم الرئيس الامريكي باعتباده رئيسا للسلام •

# رجال البترول:

ومن جانب آخر كان رجال البترول الامريكيون في حالة قلق ، ذلك انه اذا سيطرت على القناة قوة متحالفة انجليزية فرنسية اسرائيلية فقله يتعرض الاستفلال السلمي لمنابع بترول الجزيرة العربية للمشكلات ، وتقوم اضطرابات مدنية طويلة الأجل ، وحرب عصابات غير محددة المعالم ، وكلها ليست في صالح عمليات استفلال البترول ، هذا هو مصير الشرق الاوسط كما يبدو لهم في حالة انتصار التحالف الانجليزي الفرنسي الاسرائيل ، انهم لايقرون كل ما من شانه اعادة الاستغلال السلمي للبترول وزيادة الارباح، لقد كشف البريطانيون فهم عن أسراد كثيرة منذ شسهور عدة ، وكان ابدن يعلن لهم ذلك في رسسائله الموجهسة الي ايزنهاور وللي فوستر دالاس ، وقد دفعتهم المعلومات الواردة الى لندن بان يؤكدوا أنه « ذذا استطاع ناصر أن ينجو » فلن تهر شهور بل أسابيع حتى يتم التأميم الشمال لبترول الشرق الاوسط ، لقلد سمم الانجليز الكارمم هم انفسهم من فرط معاولتهم تسميم اقكار الامريكيين ، وأمنسوا في النهاية بالاكاذيب التي يرجونها ، وكان ايدن أولهم في هذا ، وانتهي بهم الامر بأن الاروا الشك في صحة معلوماتهم »

وكانت النتيجة أن المارضة الامريكية اشتدت وطاتها في هــذا الساء • وإذا كأن الرئيس أيزنهاور قد احتفظ بلهجة مهدبة في رسالته الى ابدن فأن عباراته كانت تنم عن الالم ، والروايات الخاصة تقول ... وهذا منقول عن جيمس

دوستون مراسل النيويروك تايمز ... انه « حينما أخلد الرئيس علما بالاندار النهائى ، دب فى البيت الابيض دنين اللهجة العسكرية التى لم يسمع مثلها منذ عهد الجنوال جرانت » -

وفى منتصف الليل ، علم ان مصر دفضت الانداد النهائى فى حين قبلته اسرائيل بشرط ان توافق مصر عليه • وهذا التحفظ يسمح لها بالاستمراد فى عملياتها الحربية لأن القوات الاسرائيلية كانت لا تزال بعيدة عن خط « الستسة عشر كياو مترا شرقى القناة » الذى حسده شركاؤهم الفرنسيون والبريطانيون على أنه الهدف المنشود •

# صباح يوم ٣١ أكتوبر:

 هجوم جديد شنته طائرات ميتور التي نسفت سيارتين لنقل البترول ، وسدت بدلك الطريق . واستمرت سرية اسرائيلية في القتال في الظالم ، ولم تكنالنتائج مفسمونة ، وانتهى النهار مسجلا خمسين قتيلا اسرائيليا ومائة جريح وثلاثمائة قتيل مصرى ، وكانت هذه المركة من اعنف المعارك الدموية في هذه الحرب ، وبعد أن فشيل الاسرائيليون في التقدم بسبب المقاومة المصرية تشتت قواتهم من جديد شرقي متلاحتي لا تتعرض لهجمات جوية جديدة ، ولكي تتلقى في اثناء الليل دفعة جديدة من التموين تلقيها عليهم بالمظلات طائرات « نورد ب اطلس » المقادمة من قبرص ، وفي صباح أول نوفمبر تجمعت القوات الاسرائيلية ثانية في نصف دائرة دفاعية لمواجهة هجوم محتمل قد تقوم به المصلحات المصرية التي شوهدت قادمة من الشمال ولكن لم يقع أي هجوم ، فاقتربت دورية منالمر ولم شوهدت قادمة من الشمال ولكن لم يقع أي هجوم ، فاقتربت دورية منالمر ولم أن المعدو أخل مواقعه في اثناء الليل ( وفي الواقع تلقت الكتيبتان المصريتان الموريتان الموريتان المورية الاردور حتى أول نوفمبر ) فاستانف اللواء الإسرائيلي زحفه وتقدم نحو القناة ، اكتوبر حتى أول نوفمبر ) فاستانف اللواء الإسرائيلي زحفه وتقدم نحو القناة ،

وفى حين كان اللواء ٢٠٧ يغترق مهرات متلا التى الخلاها المعريون دخلت المعركة فى اقعى الشرق ـ أى فى الطرق الجنسوبي من الحسود الاسرائيلية المعرية \_ وحدة اسرائيلية جديدة هى اللواء التاسع للسيادات الذى يضم١٨٠٠ رجل واكثر من مائتى سيارة و وزحف هذا اللواء على الطريق الساحل الوعر متجها نحو اقعى طرف الشبه جزيرة سيناء، ولم يكن يتوقع نشوب معادك كبيرة قبل وصوله الى داس ناوانى حيث حولت حامية مكونة من الف جندى مصرى هسده المدينة الى قلعة و الما بعد ذلك وحتى شرم الشيخ \_ أى على بعد ثمانية عشر كبو مترا جنسوبا \_ فكانت ثعة مغابى، بالاسمنت المسلح واوكاد للمدافع

<sup>×</sup> كان ذلك تواجهة هجوم بريطانيا وفرنسا ( الراجع ) ٠

الرشاشة ، وقد وصل اللوا، التاسع الاسرائيلي الى رأس النقب يوم ٣١ أكتوبر في السابعة صباحا واستانف زحفه على انظريق متجها نحو الجنوب ·

وفى هذا الوقت كان فى ميناء جيبوتى بالصومال الفرنسى اثنان وسبعون مدنيا وصلوا يوم ١٧ اكتوبر فى طائرة تجادية كونستليشين ، وقد وذعوا يوم ١٣ اكتوبر فى طائرات استؤجرت من شركة هندية واتجهوا الى هصوع فى اريتريا حيث تسلموا سفينتى نقل اليوبيتين هما « ابينا » و « كاترينا مادى » وكانت الحكومة الاسرائيلية قد استاجرتهما منذ وقت قصير ، واسندت لهما مهمة حربية هى ايصال مواد التموين الى وحدات اللواء التاسع الاسرائيل بمجرد استيلائه على شرم الشيخ ،

وفى سيناء على الجبهة الوسطى كانت الوحدات المعرية الصغيرة التى تحرس القسيمة قد انسحبت بنظام بعد معادك مع اللواء الاسرائيلي الذي فقسد في الطريق كثيرا من معداته الحربية فوق مناطق الرمال الهشة •

وفى الشمال قليلا كانت الراكز المحصنة المصرية التى تحيف بابو عجيلة لا تزال صامدة تحول دون أى تقدم فى هذا القطاغ ، وكان أشد هسده المراكز صلابة « الجسر » ومركز « أم هشام » ·

وبدا الهجوم الاسرائيل فجر يوم ٣١ اكتوبر ، واستمر طوال النصفالاول من النهار •

وحوال الظهر لم يتم احراز أى نجاح فيما عدا تقدم محلى صغير ، ولكن مركز الجسر أمكن الالتفاف حوله ، وظل الاسرائيليون يهاجمون طوال فترة بعد الظهر وهم معرضون تضربات طائرات المطاودة المعرية من طراز موستانج ، وفى حوالى الساعة الثامنة مساء سقط مركز الجسر ، وفى ساعة متاخرة من الليل لاحظ الاسرائيليون أن المدافعين عن مركز أم هشسام يجلون عن الموقع بمجموعات

صفيرة × ٠ وقد فتح طريق الاسماعيلية أمام الاسرائيليين ، ومنل مساء ٣٠ اكتوبر انتقلت العناصر التقلمة من اللواء المدرع «اللواء الروسى » وفي للاستياك مع الدبابات الثقبلة المصرية للواء الاول المدرع « اللواء الروسى » وفي اليوم السابق وكذلك في هذا اليوم نفسه ــ اى قبل نهاية مهلة الاندار النهائي بكثير بل حتى قبل ادسائه ــ تعرضت الدبابات المصرية لهجوم متواصل من طائرات ميستر التابعة للسلاح الجوى الفرنسي التي كانت تتخد من منطقة الله وضواحيها قاعدة لها • ثم شوهلت الدبابات المصرية تحول طريقها نحو الجنوب في اتجاه رجال المظالت الاسرائيليين وباقى اللواء ٢٠٢ الذي كان لا يزال مجمدا ومتوقفا عن الحركة امام ممرات متلا • وفي ساعة متأخرة من الليل ، صند امر مساد جسديد × × ، وقد لاحظت الجهزة المرائيلية أن طابور الدبابات يصعد ثانية نحو الشحال في اتجاء بر جفجافا • وفي مساء ٣٦ اكتوبر وصلت المناصر المتقدمة من الطابور المصري كل بثر روض سحالم شرقي بير جفجافا • وفي مساء ٣١ الاسرائيلي حرية الحركة لكي تتجه بكل قوتها نحو الغرب، وكانت كل الدلائل تشير الى ان نوفمبر سيشاهد مهركة عنيفة لدبابات في وسط شبه الجزيرة • الى ان نوفمبر سيشاهد مهركة عنيفة لدبابات في وسط شبه الجزيرة •

وعلى الجبهة الشمالية لم يعنث شيء ذو بال ، ففي الليلة السابقة ... أي مساء يوم ٣٠ أكتوبر ... حاول فدائيو ازالة الالفام التسابعون للواء المدرع الاسرائيل ( آلاى لاسكوف ) فتح الثفرات في خطوط الدفاع المعربة المليئة بالالفام وتعيط بمركز رفح المحصن ، ويبدو أنهم فشاوا في مهمتهم لأنه حيثما بدأت أدبع كتائب مشاة اسرائيلية زحفها مساء ٣١ أكتوبر أصبيت بخسائر شديدة ،

يلاحظ هذا أن المؤلف بريد أن يقرر سقوف أبو عجيلة في يد الاسرائيلين ، والواقع أن
 أسرائيل ثم نستول على هذا الموقع الا بعد انسحاب القوات المعربة منه يوم ٢ نوفمبر .
 ( المراجع )

 <sup>×</sup> حين إمر بالانسحاب الى غربى الثناة بعد الهجوم الفرنسى البريطاني يوم ٣١ أكتوبر سنة
 ١٩٥٦ ٠ ( الراجع )

وفى البحر ، لم يكن أحد يتوقع أعمالا باهرة تقوم بها البحرية الصرية ، التى لم يكن لديها غير بعض المدرات والفرقاطات ، وهذه لم يكن لها وزن كبير فى حالة نشوب معركة بعرية ، ومع ذلك فقد كانت هذه السغن تشكل تهديدا على الاراضى الاسرائيلية التى كان الجزء الإهل بالسكان منها معرضا لمضربات مدافع البحرية ، وبناء على طلب الحكومة الاسرائيلية ـ عن طريق ملحقنا المسكرى فى باريس الكولونيل نشرى ـ قررت الحكومة الفرنسية دعم القبوات البحرية الاسرائيلية بتزويدها باسطول خفيف مؤلف من المدمرات «سوركوف» و «بوفيه» و «كرسانت » فى حين وصلت من جيبوتى متجهة نحو شرم الشيخ في البحر الاحر المدرسة الفرنسية « جاذيل » ،

وفي ٣٠ أكتوبر الساعة الثالثة والنصف مساء بتوقيت جرينتش ـ أي قبل انتهاء المهلة التي حددها الانذار النهائي بساعة .. تعرضت المدمرة الغرنسية « كرسانت » للمدمرة المرية « ابراهيم الاول » التي تسللت وسط دورية من الاسطول السادس الامريكي • وقد صويت « كرسانت » مدافعها نحو الهــدف وريما يجانبه قليلا ، فابتعنت المدرات الامريكية وضربتالمدرة « ابراهيمالاول » بمدافعها دون أن تحرز نجاحا كبرا • وقد ظلت الممرة « كرسانت » مشتبكة مع المدرة المرية ثم استنجعت بدورية اسرائيلية بحرية ، وحتى مطلع الصباح كانت الفرقاطات وسفن الراقبة الصغيرة وحتى طائرات فرنسية من طراز أوراجان ترشدها طائرات « داكوتا » للمراقبة تركز ضربها على النمرة الصرية القديمة التي توقفت عجلة قيادتها حتى استسلمت ، وسلحبت في اتجاه مينا، حيف ، وقد فكر الاسرائيليون كثيرا جدا فيما كانت تفعله هذه المدرة في عرض البحر وحدها ، وكان من رأى البحرية الاسرائيلية أن هــله السفيئة ربما كانت تريد حتى لا يفطن أحد الى أن ثمة تدخلا وقع قبل انقضاء المهلة التي حددت في الاندار النهائي • ولهذا أعلن حينتُذ أن ابراهيم الاول حاولت ضرب حيفًا بالقنابل وأن البحرية الاسرائيلية قد أسرتها • ومع ذلك فان القلق ساور الانجليز ، لأن هذه العملية كشفت أن الاميرال بارجو لم يكن يتجنب الاسطول السادس الذي يزحم

المنطقة بل على العكس من ذلك حاول اثارة حادث وتحين الفرصة للتصويت على السفن الامريكية ليدفعها الى اخلاء منطقة شرق البحر المتوسط قبل العمليات الكبيرة المنتظر وقوعها فيها وعلى كل حال سيضطر السلاح البحرى الملكى تحت ضغط القلروف الى اتخاذ الوقف التهديدى نفسه امام خطر القواصات ـ أى اخطر المفروض وجوده ـ الذى يواجه القافلة العظيمة التى توشك أن تنزل مهماتها وعتادها الى الشاطىء •

# في هذا اليوم ، في قبرص :

وفى هذا اليوم نوقست فى قبرص عملية الهجوم التى نص عليها فى الخطة « موسكتير المعدلة » وحدد مبدئيا تاريخ الهجوم بيوم ٢ نوفمبر • كما تمتالوافقة على الخطة العاجلة « أوميليت » أى انزال قوات المظلات على الجميل وبور فؤاد ، كم المتقاد نحو بور سعيد تحت حماية مدافع البحرية • ومما يثير الغفىب فى هدا اليوم هو أن الهجوم الجوى على مصر – اللى كان مقررا القيام به فى فجر هذا اليوم بو أن الهجوم الجوى على مصر – اللى كان مقررا القيام به فى فجر هذا اليوم عو أن الهتاب على أو بمنى ادق بدات العملية كما كان مقررا لها أن تبدأ ، ولكن فى حين طارت طائرات « كامبيرا » من مالطة متجهة نحو غرب القاهرة لقلفها بالقنابل وصل أمر استدعائها الى قواعدها من لندن ولم تستطع مالطة استدعاء طائراتها فى حين نجعت اكروتيرى – وهى اصدى القواعد الجوية فى قبرص – فى اعادة طائراتها فى آخر لحظة • كان توافقا زمنيا القواعد الجوية فى قبرص – فى اعادة طائراتها فى آخر لحظة • كان توافقا زمنيا عجببا ، لانه كانت هناك على مطار القاهرة ، الذى كان سسلاح الطيران الملكي سيدقه بقنابله ، خسى عشرة طائرات نقل أمريكية تحمل بعض الوعايا الامريكيين وكان من المكن أن تتمرض مثات عديدة من الاسر الامريكية للفناد بقنابل الطائرات البيريكانية لولا أنهم انقلوا بفارق بضع دقائق ودبما بعشرات الثوانى ، وعلاوة وكان من المكن أن تتمرض مثات عديدة من الاسر الامريكية للفناد بقنابل الطائرات البيريكانية لولا أنهم انقلوا بفارق بضع دقائق ودبما بعشرات الثوانى ، وعلاوة

<sup>×</sup> كانت الدوائر المقلمة تروى في ذلك الحين ... بهنامبة هذا الحادث ... هذه الرواية : ابرق بلاجو لوزير الدفاع الوطني ( بورجيس مونوري يقول له : ، غواصة امريكية تمتـرض الشريق » • وكانت اجابة الوزير الموجزة هي ، اغرقها ، وطبعا لم تكن هذه الا كرد قصة .

على ذلك كان الطريق الذى يمر بجانب مطاد غرب القاهرة يستخدمه الامريكيون لاجلاء اسر مواطنيهم القيمين فى القاهرة الى الاسكندرية ، وفى الاسكندرية حيث كانت تنتظر سفن الاسطول السادس الامريكى – الذى كانت بجواده كل البحرية المصرية تقريباً – صدرت الاوامر الى قاذفات القنابل من طراز كامبير! ( من مالطة ) ومن طراز فاليانت ( من قبرص ) لهاجمتها وذلك يوم ٣١ اكتوبر الساعة الرابعة بعد الظهر بتوقيت جرينتش ، ويعدد هذا الامر الاهداف الاربعة الاولى : الماظة وانشاص بالقرب من القاهرة وابو صوير وكبريت فى منطقة الثناة .

وفى هذه اللحظة كان مطار غرب القاهرة هو أهم قاعدة مصرية لقاذفات القنائل من طراز اليوشن و وكان وجود الطائرات الامريكية فى هذه القاعدة × التى تضم الله اسلحة الجيش المصرى تدميرا ، يضغى على هذه القاعدة قداسة تمنع عنها أذى الفرنسيين والبريطانيين و وكان ناصر يستطيع فى هذه الليلة ـ اذا الد ـ أن يقوم بغازة انتحارية تسبب خسائر جسيمة جدا للاسرائيليسين ، بل لراكز القيادة العامة ومراكز تجمعات رجال المقالات الفرنسيين والبريطانيين فى قبرص ، هذا إذا كان حقا يمك قاذفات قنابل !

ولكن ايدن كان يشك في ذلك • ان المقاومة التي صادفتها المثائرتان البيطانيتان من طراز « كامبيرا » التي ارسلتها للاستكشافات في مساء الليلة السابقة فوق عصر خساب بن جوديون وصفت كانها عمل بطول غير متوقع من الطيادين المصريين الذين لم يكن لديهم التدريب الكافي في هذا الوقت للدخول في معركة مع الطائرات البريطانية • وبمعنى آخر اوضح له مساعدوه ضمنا أن طائراته من طراز كامبيرا قد تصدى لها طيادون روس لا طيادون مصريون • وهذا يعنى أيضا أن الطائرات المصرية التي يفترض أن الروس × × يقودونها تتمتع بعماية فعلية من الامريكان •

لم تكن هناك طائرات أمريكية في أي وقت من الاوقات في مطار غرب القاهرة ، واستخدمت الطائرات الأمريكية التي أرسلت لاجلاء الامريكيين مطار القاهرة اللولي ( المراجم )

<sup>× ×</sup> لم يشترك اى طيار روسى في معركة السويس · ( الراجع )

وكانت المسألة التي تثير قلق هيئات اركان الحرب انه في الوقت نفسه الذي صدرت فيه الاوامر بعدم قلف القنابل على غرب القاهرة ، صدرت أوامر أخوى بعدم المساس باذاعة القاهرة حتى لا تلعق أضرار بمنشئات أمريكية مجاورة لها ( وقد الفيت هذه الاوامر في الايام التائية ) ×

# قنابل على القاهرة :

لقد روى ناصر القصة التالية × > كنت استقبل بمنزلى سفير اندونيسيا حينما اطلقت صفادات الاندار وحلقت بعض الطائرات النفائة فوق المنزل - كان ذلك بالنسبة للرئيس حادثا له مقزاه - ولما كانت اسرائيل لا تملك قاذفات قنابل نفائة ، فلا يمكن الا أن تكون قاذفات القنابل هذه انجليزية ، اذن فجميع التقادير التي وصلت من لندن وباديس وجميع الاسراد التي نقلتها الينا السفارات الصديقة، كل ذلك كان حقيقيا ، لقد ارسل افضل آلايين مدوين الى الجانب الاحر من القناة المصرية الاسرائيلين ، كم يكن الهجوم الاسرائيل اذن غير فغ بجلب معظم القوات المصرية الى شرقي القناة واخلاء طريق القاهرة امام اخلفاء ، لقد ناقش ناصر قواد الانسحاب من سسيناء في الحال مع قواده ، ولكن احساء منهم لم يعبد فكرة الانسحاب وقالوا أن الجيش المعرى قاوم حتى الائن ببسالة وصد الهجسوم الاسرائيل بنجاح على جميع الجبهات وأن الانسحاب المفاجىء سيبدو كانه هروب عام وسيسىء الى سمعة الجيش ، تلك السمعة التي عمل على المحافظة عليها بكل قواء منذ سنوات ،

<sup>«</sup> وبالنسبة للبد، في العمليات بلاحف أن القائد العام الجنرال السبح شاول كيتل قد صرح في تقريره أن قواته قد أبعرت أثلاً الليل من ٣٠ لل ٣١ أكتوبر ( أي بعد تسليم الالذار اللغائي) وقد تلاعب الجنرال هنا بالخبيقة بكل حرية ، أذ أننا أعام اليوم ( أذا أوانا بما رواه المعاديون وبصفة خاصة ما رواه كلاوك) أن الإيجاز قد تم في الحقيقة يوم ٢٧ أكتوبر الساعة الحادية عشرة ، وقد انتظال الهرنسيون كذلك العادر الآني : أبحرت القوات للقيام بتعريبات الحلق عليها اسم « بوت هوك ، وهذه التدريبات لم تعدن ، والسبب معروف عيما .

<sup>× ×</sup> في حديث الخر ساعة ( ٥ ديسمبر ١٩٥٦ ) وفي حديث للسائداي تايز (٢٤ يولية ١٩٦٢)

وقد اضطر ناصر الى آن يهدد بالاستقالة قائلا « انى اعطيكم مهلة نصف ساعة ، اما آن تعترفوا بى كقائد، وفى هذه الحالة يجب آن تطيعوا آمر الانستحاب العام الذى اصدره ، واما آنكم لم تعودوا تطيعونى وساتصرف بنساء على ذلك ، ولكن تذكروا أن العدو يعتمد على تفككنا » ،

وبعد نصف ساعة خضع الضباط على الرغم منهم • لقد قضى الامسر ولن يثور الجيش المصرى في هذا اليوم ضد ناصر • لقد انهارت جميع الآمال التي كانت تعقدها لندن بالتسبة لحدوث انهبار مفاجىء ا

وفى أثناء الليل يوم ٣١ اكتوبر صدر الامر بالانسحاب العام من جبهة سيئاء ، كما صدر امر بتشتيت قاذفات القنابل المعربة من طراز اليوشن وادسالها الى الصعيد والى الملكة العربية السعودية × وفى الصباح يتبن من الممليات الاستكشافية الجوية التى قام بها الفرنسيون والبريطانيون اختضاء المعليات الاستكشافية الجوية التى كانوا يزمعون ضربها فى اثناء النهار وهى رابضدة على الارض .

# ذعر في العالم:

لم يكتف ناصر فى ذلك المساء بتحديد ابعاد الاستراتيجية المتجانسة للحملة الجديدة على مصر ، بل حدد أيضا خط سلوكه السياسى ، وهو انارة العالم بأسره مع الاهتمام بعدم طلب المساعدة من الاتحاد السوفييتى ، أما متابعة هذا الاتجاه الاخبر فقد قام به الرئيس السورى « شكرى القوتلى » حيث ذهب فعلا الى موسكو فى زيارة رسمية ، وقد نصحه ناصر بالا يؤخر سفره هذا ،

اما بالتسبة للطائرات من طراز ، ميج ، فقد اوضح ناصر التسدوب السسانداى تابعز ان معظمها اخطى في مطارت سرية في الصحراء ، والواقع أنه منذ صباح اول نوفمبر في حين كانت معظم الطائرات سليمة لم تحس ( كانت النتائج الاولى للضرب مطيبة للامال وقد فلنت جميع المرات صافة للاستعمال ) اختفت الطائرات المصرية من السماء ، ولم تتدخل الا في بعض المعازك اللموية .

وفى الساعة التى انقضت فيها مهلة الانداد النهائى وبدا عبه الهجوم البريطانى الفرنسى على مصر كلفت اخكومة المصرية مندوبها الدائم فى الامم المتحدة بابلاغ مجلس الامن أن فرنسا وبريطانيا بداتا هجومهما على الاداضى المصرية ، واعلنت مصر انها قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا ومع فرنسا •

وفى أمريكا أعلن الرئيس ايزنهاور فى حديث أمام الاذاعة والتليفزيون أن الولايات المتحدة ستكون بمناى عن الاشباكات فى الشرق الاوسط، وابدى الرئيس المله للتدخل المسكرى الفرنسى ــ البريطانى ، وابرد أن الولايات المتحدة لم يؤخد رايها وهى لا توافق على أن استخدام القوة وسيلة حكيمة ومناسبة لتسوية الخلافات المولية ، وقد أشار فى ختام حديثه الى أنه برغم الاستفزازات المصرية فان التدخل الذى يجرى الآن يتعارض الى حد يعيد مع مبادئ، الامم المتحدة ، ومناسبة هنات عند من التحديث المام المتحدة ، ومناسبة هنات المربة المام المتحدة ، ومناسبة هنات المدرية هنات هنات المدرية هنات المدرية هنات المدرية هنات المدرية هنات المدرية

وفى اليوم نفسه — ٣١ اكتوبر — تكلم السير انطونى ايدن مرة اخرى أمام معلس المموم ، وقد التزم فى مذكراته تكتما غريبا بالنسبة لهذه الجلسة بقلاف البريطانية ، وشرح فى الوقت نفسه السبب الذى دعا بريطانيا الى عدم مشاركة البريطانية ، وشرح فى الوقت نفسه السبب الذى دعا بريطانيا الى عدم مشاركة وجهة النظر الامريكية فى الامم المتحدة ، وقد سأل هيوجيتسكيل زعيم المعارضة — الذى يستحق ثناء أكبر على موقفه — ما اذا كان قد صدر الامر للقوات الفرنسية والبريطانية باحتلال منطقة القناة بعد انقضاء مهلة الإندار النهائى ، فرفض ايدن الاجابة عن هذا السؤال الحسد ، وكان جيتسكيل يرى أن رئيس الحكومة قد ارتكب عملا « جنونيا يؤدى الى اخراب » وانه أم يضح فى تقديره أهم اسس السياسة البريطانية اخارجية المتبعة فى هذه السنوات الاخيرة ، وهى المحافظة على السيافة مع الولايات المتحدة والحصول على موافقة الكومتولث ومسائدة الام

# كشف الحساب الاسرائيلي:

فى الوقت الذى تقرر فيه أن تلقى بريطانيا العظمى وفرنسسا فى المعركة بقوات تعادل قوات الجيش المصرى فى مجموعه، ماذا كان موقف الاسرائيليين من الناحية العسكرية ؟

ما التاريخ الآن ؟ انه يوم ٣١ أكتوبر •

وما الساعة الآن ؟ الرابعة والنصف بتوقيت جرينتش × •

ان طائرات كامبرا البريطانية كانت تقترب اذ ذاك من المطاوات التي ستلقى عليها القنابل ، وفي الجبهة الجنوبية في سيناء كان اللواء ٢٠٣ الاسرائيل لا يزأل معجمدا في مكانه امام ممرات مثلا بعد أن صدته كتيبتان مصريتان • وفي اقصى الجنوب من سيناء لم يصادف لواء السيادات الاسرائيل المنفع نعو شرم الشيخ اى اشتباك حاد • وفي الجبهة الوسطى أوقف مركزان من مراكز أبو عجيلة اللواء السابع المسلمة ، والمركزان هما : الجسر وام هشام • وفي الجبهة الشمالية كانت المراكز المصرية لا تزال سليمة ولم يقم بنشاط هناك سوى المغدثين الاسرائيلين

وافقت ضمائر جسيمة بالصرين بسبب الفارات الجوية التي وقعت على دبابات اللواء الاول الصفح المصرين بسبب الفارات سلاح الجو الفرنسي من طراز ميستج بهذه الهجمات قبل انقضاء مهلة الاندار النهائي • وكان الاسرائيليون قد اخفقوا حتى هذه اللحظة في كل مرة هاجموا فيها القوات الممرية النظامية التي دافعت في مجموعها عن نفسها بامتياز وشرف • اما القوات التابعة لقوة المدود في الصحراء فقد هربت بسرعة من المركة ، ولكنها كانت وحدات صفيرة تعادل

x اى الساعة السادسة والثمض بالتوقيت التحل ، وفي نهاية اكتوبر بخط عرض القــاهرة تصادف هذه الساعة غروب الشمس :

قوة سربة كانت مسلحة خفيفة ولم يكن في طاقتها أن تقاوم آلايات تزخر بالمدفعية والمسفحات • وكل ما كانت تستطيع عمله على آكثر تقدير هو القيام بعمليات من شانها تأخير تقدم العدو ليتسني لها الانسحاب بنظام • فلم يقع اذن الا اشتباكان: محاولة المرور بالقوة من ممرات متلا التي ترتب عليها قتل المثات من الجانبين ، ومعركة المسفحات في الجبهة الوسطى حيث كانت الحسائر المادية جسيمة هنا وهناك ، وقد فقد كل من الجانبين نحو ثلاثين دبابة لم تعد صالحة للحرب •

ولا يمكن في هذه اللعظة التكلم عن نصر اسرائيلي لان القوة المصرية لم تمس تقريبا ، حتى أن الكولونيل هنريك وهو اسرائيلي اكثر من الاسرائيليين انفسهم اعترف بأن الموقف لم يكن مشجعا ، ولكن هذا كان الموقف الذي أدادوه لانفسهم، وكانت الحطة تقفى بجذب أقصى ما يمكن جذبه من القوات المصرية داخل سيئاء ، وذلك لاخلاء طريق القاهرة لائه لا يمكن عبور القناة الا من كوبرى الفردان ـ الذي ينوى الحلفاء هنمه في الوقت المناسب ـ أو بواسطة المعديات التي ستكون هدفا ممتاذا للطائرات المتحالفة ، يجب على الاسرائيليين اذن أن يتقدموا بدرجة معقولة حتى يجعلوا التهديد أمرا جادا يبرر ارسال التعزيزات المهم ،

وقد نجحت الخطة • وحتى اللحظة التى أصدر فيها ناصر أمره بالانسحاب كان قد نقل الى شرقى القناة اللواء الاول المدع ( الروسى ) واللواء الاول المشاة الخفيف واللواء الثالث المشاة ، حتى أنه لم يبق لديه قوات حقيقية للدفاع عنباقى الاراضى المصرية الا لواءين مصفحين ولواءين للمشاة علاوة على قوات أخرى ليست ذات قيمة كبيرة والكتاب الشحبية • وقد نجح بقفسل الامر الآدى أصدده بالانسحاب في انقاذ اللواء الاول المدع واللواء الاول مشاة الخفيف واللواء الثالث مشاة ولو كانت القيادة اللرنسية البريطانية (أي القيادة البريطانية ) قد قامت في أثناء ضرب المطارات المصرية بنسف كوبرى الفردان لكان معظم الجيش المصري قد حجز في سيناء وأصبح في مصيدة كبيرة • ومن حسن حظ ناصر أن الخلفاء كانوا قد قرروا تخريب المطارات فقط في خلال ثمان واربعين ساعة وعدم القيام بعمل أي شيء غير ذلك في هذا الوقت •

# الفص*ل الرابع عشرٌ* الاشتباكات

بمجرد سقوط القنابل البريطانية الاولى اتخذ ناصر احتياطه من الناحية الداخلية و لقد اعلن الاحكام العرفية وعين نفسه بقراد من مجلس الوزداء حاكما عسكريا على مصر و كما قطع علاقاته الدبلوماسية مع بريطانيا العظمى وفرنسا واستولى على الممتلكات البريطانية والفرنسية في مصر ، ودعا هاتين الدولتين \_ حتى هؤلاء الذين اكتسبوا منهم الجنسية المصرية \_ الى التقام للسلطات المحلية في خلال ثلاثة آيام و وقد اعاد الرقابة على الصحافة وعلى المواصلات السلكية واللاسلكية و ولم تعلن هذه الاجراءات الا في اليوم التالى ، ولكنها نفلت فورا و وأخيرا أعطيت تعليمات مشددة الى رجال الامن قماية حياة الإجانب و

وأفرغت طائرات كامبرا وفاليانت حمولتهامن القنابل فوق المطارات المعربة وبعد قليل قام السلاح الجوى الملكى بغارة أخرى ــ آكثر سلمية ــ على مدينة القاهرة نفسها ، اذ ألقت ملاين المنشورات عليها • ويدل نص هــدا المنشور ــ الذي لم يفهمهضمونهمعظم الدين التقوم على ادراك غريب للحرب السيكولوجية. لقد أنلغ المعربون أنهم سيفربون بالقنابل أينها وجعوا ، أي أنه كان يتوعــد بعبارات ضريحة بضرب السكان المدنيين بالقنابل • وقد أصدر هذا الحكم عليهم للسبب الآنى: لقد ارتكبتم خطبئة حينها منحتم ثقتكم لجمال عبد الناصر! وكان أول أثر عمل لهذا المنشون أنه في صباح يوم أول نوفمبر خرب طيار من السلاح الملكى البريطاني طائرته من طراز كامبراحتى لا يقوم بضرب السكان المدنين ،

كذلك حدث بعد ذلك بيضعة أيام أن طيارى السلاح الجوى الملكى شربوا الشمبانيا احتفالا بنبا وقف اطلاق النار واثقين بعد ذلك أنهم لن يتعرضوا هم أيضا لارتكاب خطئة •

وقبل أن يطلع الشعب على هذه المنشورات الموجهة اليه كان ناصر يتكلم في الاذاعة ويقول أن الانجليز جعلوا المعركة اكثر متعة الآن، نعم أنه سيقاتل بجانب شعبه حتى آخر قطره في دمه • كلا، أنه أن يقبل تسليم بور سعيد أو الاسماعيلية أو السويس ، وأن جميع البلاد الصديقة ستمد يد المعونة لمصر • ويمكن أن نستخلص من هذا الخطاب نتيجتين هما أن الخطاب نفسه نناء لتوسيع نطاق النزاع وذلك بالحصول على مساندة التضامن الافريقي الآسيوي ضد هذا النوع الجديد من شرود الاستعمار • وأنه أيضا نداء يهدف ألى القيام بحرب عصابات في حالة ما أذا رأت الحكومة الحالية نفسها أن طوفان الاعداء الاجانب قد أغرقها • ويعتبر هذا النداء الاخير مناورة ماهرة من مناورات السياسة الداخلية • أن أي فريق يحساول أذن أخد مكان ناصر سيدفع منذ السياسة الداخلية • أن أي فريق الستعمر •

# الحرب الجوية :

وفى صباح أول نوفيس ، كانت الصور الفوتوغرافية التى التقطتها طائرات السنكشاف الفرنسية التى حلقت فوق المطارات المصرية مغيبة للآمال ، كانت الحسائر التى سببتها القنابل التى القيت من ارتفاع شاهق قليلة نسبيا ، فمعظم المطائرات كانت سليمة ولا تزال المرات الارضية فى المطارات صافحة للاستعمال، وقد اختفت الطائرات المصرية من طراق اليوشن التى لم يمكن ضربها بالقنابل فى الليلة السابقة ، كما اختقى عدد من الطائرات من طراق ميج ،

وفی الحال بنا سباق جوی لان اکثر من مائتی طائرة ـ اربعون فرنسیة من طراز ثاندر ستریك ، وستون بریطانیة من طراز فینوم قا<sub>م</sub>مة من مطار اکروتیری بقبرص والباقى من حاملات الطائرات البريطانية ايجل وبولوورك واليبون - كانت ستتناوب التحليق فوق الاداضى المصرية بمعدل غادة جوية كل دبع ساعة، لضرب الطائرات الوجودة على الارض والمنشات باللدافع وبالصواريخ وفي الفترة الووقعة بين شروق الشمس وغروبها وقع على كل مطاد من المطادات المصرين أربعين الى خمسين غادة جوية و وبرغم توالى الهجمات وشدتها ، فان المصريين نجحوا مع ذلك في انقاذ بعض طائرات الميج و وقد ضحى ناصر بالطائرات القديمة لانه رأى أن تعويض المعدات اسهل من تعويض الرجال الليين يتطلب تكوينهم ملة طويلة وجهدا ثمينا و وفي نهاد يوم ٢ نوفمبر استمر الهجوم على المطادات المصرية وذلك للحيلولة دون عودة الطائرات المصرية للقيام بضرب هذه المواقع بالقنابل للم أدان واربعين ساعة وان أي تغير في ذلك كان من شانه افسساد الخطط والغ و وكانت هيئة اركان الحرب البريطانية قد حسبت حساب الوقت ، وللنك وقد كانت تنفذ هذا التوقيت بدقة و

# انسعاب في سيناء:

ماذا اسفر عنه القتال داخل سيناء ؟ في الجبهة الجنوبية لاحظ اللواء ٢٠٠ الاسرائيل في صباح أول نوفمبر أن العدو قد انسحب من ممرات مثلا • وقد ارسلت حملة للتثبت من علم وجود مصريين ثم كلفت بعفيو حداث المشاة باحتلال المرات وبالسير في الارض التي غادرها العدو حتى تصل الى مسافة عشرة أميال ( ١٦ كيلو مترا ) من القناة طبقا للخطة التي تضمنها الاندار النهائي الفرنسي واتجه اللواء الاسرائيلي نفسه نحو الجنوب • وفي هذه الالناء استمر اللواء الاسرائيلي التاسع سيارات في زحفه نعو الناحية الاخرى من سيناء أي من جهة الشرق ، ووصل الى عين فرتاجة في اول نوفمبر الساعة السادسة مساء دون أن يصادف أية صعوبات سوى طبيعة الارض الوعرة • وفي الجبهة الوسطى لم تعد المقاومة في أم هشام تضايق اللواء السابع المدوم الاسرائيلي لان المدافعين عنه كانوا أخلوه ليلا بمجرد استلامهم أمر الانسحاب ، فهو يستطيع الذن الآن أن يلقي بثقله أخلوه ليلا بمجرد استلامهم أمر الانسحاب ، فهو يستطيع الذن الآن أن يلقي بثقله

ضد اللواء الاول المدرع المصرى اللى كان قد تقدم ثم أخذ هو أيضا فى الانسحاب، واستطاع الاسرائيليون اللحاق بالدبابات المصرية المنسحية حوالى الساعة الثانية مسله بالقرب من بئر جفجافا ، وقد ارتفعت حرارة المركة المسلمورة بين الدبابات حتى جاء الليل ، فصارت الحسائر جسيمة هنا وهنساك ، وقد سسمح المفالم للمصريين بالافسات واسستثناف حركة الانسلماب ، وفي الصباح كان المصريون قد تخطوا خط الستة عشر كيلو مترا اللى ثم يستطع الاسرائيليون الوصول اليه ، وبينما كانت الدبابات الاسرائيلية تتجه بسرعة نعو هذا الخط كانت لواءات المشاة الاسرائيلية تطهر الارض من خلفها وتحتل في المساء مطار روض سالم حيث استولوا على معدات حربية مهمة مكدسة في مخازن تحت الارض، ومن الناحية المحلية توقفت المعارك في الجبهة الوسطى يوم أول نوفمبر حين جاء الليل ،

وفى الجبهة الشمالية كانت عملية الاستكشاف الصعبة التى تمت يوم ٣٠ أكتوبر ثم الهجوم المفاشل الملاي وقع يوم ٣٠ قد أوضح للقيادة الاسرائيلية أن الاستيلاء على معود رفح المحصن لا يمكن أن يتم بدون هجوم شهديد تقوم به المدفعية وقرر الاسرائيليون أن يطلبوا من البحرية الفرنسية القيام بهلا الهجوم، فجردت البحرية الفرنسية للإنافاق مع القائد العام الجنرال البريطانية التى كانت في طور الاستعداد وبالاتفاق مع القائد العام الجنرال البريطاني كيتل المدعة جورج ليج التى كان يقودها القيائد البحرى × ، وقد اقتربت المددعة جورج ليج من الشاطئ، وشنت هجوما وحشيا على رفح ملقية عليها نحو اربعمائة قنبلة من مدافعها التسعة من عيار٥٠ ولم تقاوم الحامية هذا الطوفان منالصلب. وضعفت أيضا مقاومتها بعد أن تسلمت هي الاخرى أوامر بالانسحاب المباشر الذي وضعفت أيضا مقاومتها بعد أن تسلمت هي الاخرى أوامر بالانسحاب المباشر الذي كانت تقوم بتنفيذه و وحن بعا الفرب ينصب عليها ، اشتبك في القتال اللواء السابع والمشرون المدرع الاسرائيل ، وبعد بضع ساعات وصلت دبابات

<sup>×</sup> وهو حاليا أميرال ورئيس هيئة اركان البحرية الفرنسية .

لاسكوف الى عطة سكة حديد رفح واقمت بدلك حصاد الفرقة الثامنة الفلسطينية x التي كانت في جيب غزة • أما المدافعون عن رفح الذين استطاعوا التوجيه غربا فقد خقوا بلواء السيادات المصرية السمى اللواء الألماني الذي وصل الى نقطة مستخاج على بعست ثمانين كيلو مترا غربي العريش والذي كان قتد وصله أمر بالانسحاب • فاتجه اللواء المصرى بسرعة نحو القنطرة ولم يستطع الاسرائيليون الالتحام معه في معركة لانه وصل بسرعة عند خط السنة عشر كيلو مترا •

اما الغرقة الثامنة الفلسطينية المحاصرة في جيب غزة فهي التي ضعى بها الجيش المصرى ، وهي التي فيهم بها احد ، لا القيادة المصرية ولا العلو ، لقد مر اللواء الاسرائيل لاسكوف امامها بمدعاته دون أن يوجه اليها طلقة مدفع واحدة ، والحقيقة أنها لم تكن فرقة بمعنى الكلمة ، فهي تضم فقط لواءا من الحرس الوطنية نصفه من الكتاب الوطنية ونصفه الآخر من كتائب الشباب ، يضاف اليهم الكتببة الفلسطينية التي يعتبر تكوينها مسالة سياسة تهدف الى الاحتفاظ باكثر اللاجئين الفلسطينية تعصبا داخل نطاق نظام عسكرى ، وفي هذه الساعة لم يكن المام هذه الفرقة ما تستطيع الدفاع عنه سدوى نقطة خان يونس المحصنة لكي تدخل معركة لاهدف من ووائها سوى اللفاع عن الشرف ،

وفى مساء أول نوفمبر تم الاستيلاء على رفح ، وعلم أن بلدة خان يوسس محاصرة ، فقد شعر اللواء السابع والعشرون المصفح الاسرائيل أنه حر في تحركاته فهجم على العريش على مسافة خمسة وخمسين كيلو مترا غربا حيث فاجا بعض الوحدات المسحبة واستولى على مراكزها بسهولة واكتشف مخزنا هاما للمعدات الحربية -

وكانت الدلائل تشير الى أن الاسرائيليين سيبلغون في نهار ٢ نوفمبر خط السنة عشر كيلو مترا ٠ فاذا اعتبرنا أن النصر هو الاستيلاء على مسماحات من

لا م يكن في غزة الا اللوقة الفلسطينية واغرس الوطنى المعرى وسيوضع الؤلف ذلك فيما
 بعسة • ( المراجع )

الصحراء فان انتصار الاسرائيليين يصبح شيئا لا شك فيه • اما اذا اعتبرنا أن النصر هو في قهر العدى فيعتبر ماوصلوا اليه ضربا من الفشل \* لقد تركوا فرقتين من صفوة قرق الجيش المصرى تفلتان منهم ، وظلت الاولى منهما سليمة لم تمس أما الثانية فلم تفقد سوى عند من دباباتها وكان معظم هذه الحسادة ناتجا عن هجوم الطائرات الفرنسية • ولكن العملية الاسرائيلية لم يكن المقصود منها ذلك ، كان المقصود منها جلب معظم القوات المصرية الى سيناء لفتح طريق القاهرة أمام الفرنسيين والبريطانيين • وبعملها هذا كانت اسرائيل تسعى لتحقيق أهدافها السياسية الخاصة ، وهى ابعاد طاعون الفدائيين عن حدودها • ولكن هذا أمر آخر وحرب اخرى •

# العركة غير التكافئة:

وفى هذه الليلة كانت السفينة الحربية البريطانية « نيوفاوندلاند » بقيادة الكابتن هاميلتون فى البحر الاحمر عند طرف خليج السويس مطفئة انوارها وتسير بارشاد الرادار وتتبعها السفينة الحربية « ديانا » وفجاة ظهرت انوار سفينة ، فتعرفت «نيوفاوندلائه» بسرعة على هويتهاوتبين انها الفرقاطة التعليمية المصرية « دمياط » وكانت مدافع «دمياط» مغطاة بفطاء من القهاش ، وكان واضحا أن هذه السفينة التى تسبح فى انوارها المضاحة مثل أية سفينة لنقل بضائع لم تكن تفكر فى وجود العدو هنا ، أو حتى تخشى وجوده •

فاقتربت « نيوفاوندلاند » وعلى مسافة بسيطة اصدر قائدها امره بالانوار الكاشفة الى السفينة المصرية طالبا منها التسليم ، وقد استولى اللعر على السفينة المصرية • كان الرجال يرقدون على سسطج السفينة ويرفعون الاغطيسة القماش ويستعدون للضرب • وقرر الكابتن هاميلتون فتح النيران واطلق جميع مدافعه عن قرب وتناثرت أجزاء الفرقاطة التعليمية المصرية دمياط • وقتل نصف طاقهها، أما الذين نجوا منهم وعددهم ٧٧ فقد التقطتهم السفينة ديانا • وطلبت الحكومة

الانجليزية التي لم تكن تستطيع أن تفخر كثيرا بهذه العملية ارسال هؤلاء الناجين الى ميناء جيبوتى الفرنسي بالصومال ، لانها كانت تخشي وقوع اضطرابات مدنية في عمل الذا انزلوا هناك •

#### خلافات في قبرص:

وفي قبرص تلقت هيئة أركان الحرب المتحالفة أخبسار الجبهة الاسرائيلية بسرور وارتباح ، ولاحظت أن الهجوم الجوى الفرنسي البريطاني يتقسم بدون معارضة تذكر • لقد سقطت رفع، وما هي الا ساعات قلائل حتى يبلغ الاسرائيليون خط السبتة عشر كيلو مترا الذي حدد لهم • يجب اذن الفصل بن الجانبن التحارين عل وجبه السرعة • ولكن هناك شبئن يحولان دون القيسام بذلك : اولا وجود القوات المصرية على الضغة الشرقية للقناة وهي القوات التي لم تنتقل بعد الى الضفة الغربية ، فلن يكون التدخل اذن بهثابة «فصل الجانبن المتحاربين» كما كانت الجكومة البريطانية تتمنى ذلك بل سيكون هجوما مباشرا على جيوش ناصر ع والسبب الثاني وهو الاشد خطورة هو عدم الاستعداد لمثل هذا الهجوم ، فلا يمكن الدخول في معركة ضد القوات الصرية الجهزة بمصفحات والتي ستقاوم هذا الهجوم الا بعسد انزال الديابات الفرنسية البريطانية على الارض ، أي أنه لا يمكن أن يتم ذلك قبل يوم ٦ نوفمبر ، وهو اليوم الذي يعتقد الحلفاء أن الجانب الامريكي سيطلق يدهم فيه، أو على الاقل هذا هو ما فهمهالفر نسيون والبريطانيون من تفسير الخطاب الوجه من ايزنهاور الى ايدن يوم ٢٦ أكتوبر • ولقد أدى تدخلهم العسكري السابق للأوان في الوقت الذي كانت حملية النعاية الامريكيية على أشدها ( اضطر أيز نهاور الى الغاء جميع ارتباطاته الانتخابية الاخرة ) الى اثارة غضب الولايات التحدة ، وتسبب أيضًا في رد فعل عدائي داخل الامم المتحدة الامر الذي لم يكن متوقعا حنوثه تهذه السرعة •

واقطة العاجلة الوحيدة التي كانت لدى الحلفاء في قبرس هي الخطة الوميليت • وهي خطة تعتمد أساسا على عدم المقاومة من جانب العدو ، وذلك في حالة نجاح الانقلاب الذي اعدم الحلفاء ضد ناصر في القاهرة •

ولللك كان قادة قوات الهجوم يدرسون يوم اول نوفمبر ترتيبا للغطة التراطلقوا الوميليت ويعدون خطة لا تهدف الا للاستيلاء على بود سعيد • انها الخطة التراطلقوا عليها « اوميليت ٢ » ثم اسم « سامبلكس » • وقد اقترح قائد القوة ( أ ) الجنرال بوفر المرسى كسب ٢٤ ساعة بالنسسبة لعملية انزال القوات الى البر • وذلك بتوجيه عناصر الهجوم المباشرة نحو بود سعيد بدلا من جعلها تتوقف امام قبرص • وبدلك يمكن النزول للبر يوم ٥ نوفمبر والهبوط بالمقالات فوق بود سعيد يوم و وبما يوم ٣ نوفمبر • وقد اعترضت البحريتان الفرنسية والبريطانية على هذا الحل ، فقد خشيت البحرية البريطانية أن يؤدى احتلال بود فؤاد السابق لاوانه الى الحيلولة دون اطلاق قذائف الاسطول لاحتلال بودسعيد، واما البحرية الفرنسية فقد كانت ترى – كما قال الاميرال لانسلو — أن الكراكات لن تصل الا في يوم ٥ نومبر ، وهي لا تريد المغاطرة بعملية انزال القوات الى البر قبل الاوان اى قبل أن يكون لديها الكراكات اللازمة لتفريخ شحنات السفن من الهمات والعتاد •

وقد رفض ستوكويل قائد القوات البرية الفرنسسية البريطانية الاقتراح الفرنسي ، وفي مساء اول نوفمبر لم يكن لدى هيئات اركان الحرب المتحالفة في قبرص آية خطة محددة مباشرة للقيام بهجوم قوى • ولم يكن لديهم سوى الخطتين اوميليت وسامبلكس اللتين وضعتا على أساس استغلال الانهياد المفروض حدوثه في عصر ، وليس على أساس خوض قتال واسع النطاق •

وقد أذعن الفرنسيون ووافقوا، لأن الكلمة الاخيرة كانتمن حق البريطانيين وكان الفرنسيون المتحسون للتدخل قد احنقهم ذلك ولا سسيما الجنرال مارتان اللى تنخل في مساء الليلة السابقة \_ ٣١ اكتوبر \_ لدى القيادة الفرنسية باعتباره ممثلا شخصيا لوزير الدفاع الوطنى بورجى مانورى لالقاء رجال المظلات باسرع وقت ممكن عل ضفتى القناة •

ونظرا لان عمليات الاستكشاف الجوى قد كشفتعن أنه تم تعميرستين طائرة معادية وأن سلاح العايران المعرى لن يكون له وجود بعد وقت قصير في المركة ، فقد قرد بله الهجوم الجوى فى اليوم التاتى على الصفحات التى اكتشفت تجمعاتها غربى الاسماعيلية • ولكن لم تكن هناك أية خطسة لانزال الجنود الى البر بسرعة بل أن هذه الخطة لم يكن من المكن فى نظر بعض الضباط تصورها •

اما فى نيويورك فكانت الاحداث تسير بسرعة ، وفى لندن كان يصعب على ايدن أن يحصل على تاييد لما يقوم به من أعمال .

# غضب في مجلس العموم :

فى مجلس العموم قدم وزير الدفاع الجديد انطونى هيد الى البركان الذى يتميز سخطا تفاصيل عن الفارات الجوية الاولى التى شنها السلاح الجوى الملكى على الاراضى المصرية وقد انتهزت المعارضة هذه الفرصة لهاجمة المتكومة بعنف والتنديد بايدن و وصاح زعيم حزب العمال هيو جيتسكيل: نستطيع ان تحتل مساحة من الارض وان نهزم الجيوش المصرية ولكن تركة المرارة والحقد التى ستخلفها وراءنا سستكون أضغم مما كانت فى يوم من الايام! وقد رفع الثائب «ويدجود بن» بيده المنشود الذي القام على القاهرة السلاح الجوى الملكى والذي اذاع داديو قبرص نصه وكان هذا النص ــ كما نتذكر جيدا ــ يتوعد السكان المدنيين بان القنابل ستلقى عليهم و ولذلك ساد اللهول قاعة المجلس ، وسالت المارضة سلوين لويد وزير الخارجية اذا كان على علم بهذه الإحداث؟ وكل ما استطاع لويد سلوين لويد وزير الخارجية اذا كان على علم بهذه الإحداث؟ وكل ما استطاع لويد الن يجيب به ــ وهو فى حالة ضيق شديد ــ أنه لم يحط علما بذلك ، وإنه سيامر باجراء تحقيق و

وقد أعاد جيتسكيل الكرة قائلا ان ملايين من الانجليز قد اسببوا بصدمة شديدة واعتراهم الخجل من هذه الغارات الجوية التى لم تتم باعتبارها من وسائل الدفاع الجماعى والقومى ، ولكنها كانت تحديا لسلطة الامم المتحدة • وقال الزعيم العمالى اليسارى انورين بيفان ملقيا بسسهامه النافذة ومهاجما ايدن : حينما

كانت جميع دول العالم تقف في الماضي ضدنا كنا ـ على الاقل ـ نحتفظ بالشرف، ولكن ماذا نستطيع الآن أن نقوله للائم التحدة ونحن نلقى القنابل على شعب أعزل ؟

ومع ذلك تدخل التضامن في التصويت وحصلت الحكومة على الثقة بغالبية 
٢٢٤ صوتا ضد ٢٥٥ والامر الخطير بالنسبة لايدن هو التذبلب الذي ظهر في 
صفوف حزب الحافظين • وقد استقال أحد وزراته المفضلين في الليلة السابقة 
وهو انطوني ناتنج ، وبرغم أن هذه الاستقالة لم تكن قد اعلنت رسميا فانها لم 
تعد خافية على الدوائر الحاكمة التي بدات تعتقد أن مستقبل السير انطوني ايدن 
قد ترغزع •

وكان لروح التوتر العصبى التى أصابت مجلس العموم صداها فى الشارع • فقد اخذ الاثمائة طالب يصبحون حول مقر الحكومة « تسقط اخرب ـ يسسقط اين » • وأرسل سبعون استاذا من السفورد الى السير انطونى ايدن برقية يستنكرون فيها الحرب ، كما وقع ١١٨ صحفيا من لندن بيانا اعلنوا فيه انهم يشعرون بيشاعة الهجوم الذى قامت به الحكومة البريطانية على الشعب المرى والاراضى المصرية • حتى اللوردات تدخيلوا فى الامر ، فضيلا عن أن أستقف كانتربيرى أعلن قائلا « يعب أن نعترف بأن لدينا أسبابا قوية تدعونا للقول بأن العمل الذى تقوم به بريطانيا يتنافى مع روح ميثاق الاعم التحدة ونصه » •

واذا كان ايدن قد اصطلم بمشكلات داخلية ، فلم يكن هــدا هو الحال بالنسبة لجى موليه ، اذ لم يصادف آية معارضة من ناحية البدا الا من جـانب الشيوعيين وبعض المستقلين ٠

# الأمم غير التحدة:

والامم التحدة هل ظلت متحدة حقا ؟

كان الامر يختلف اختلافا تاما • لقد اجتمعت الجمعية العامة في أول نوفمبر، ونظرا لأن الاجتماع كان غير عادى فقد استطاعت أن تناقش السالة منذ الجلسة الاولى وبدون احالة هذا الوضوع المدج في جدول الاعمال الى اللجنة السياسية • وقد طرح طلب الولايات المتحدة الذي عرض على مجلس الامن للتصويت وتمت الوافقة عليه بغالبية 22 صوتا ضد 2 ( فرنسا وبريطانيا ) وامتناع تسعة أعضاء من بينهم اسرائيل • وقد حاولت فرنسا وبريطانيا اطالة المناقشات ، بل لقسه بلغ الامر بالندوب الفرنسي أن اقترح الدعوة الي عقد مؤتمر جديد • ولكن الاتحاد السموفييتي اعترض على ذلك وقال أنه توجد حالة عدوان بمعنى الكلمة • وهـذا معناه أن الناقشية كانت حامية • وامام لهجة الهجوم التي سادت الاجتماع التزمت فرنسا وبريطانيا موقف الدفاع اارن ، وطالبتا باستاد مهمة الفصل بن الجانين المتحاريين الى الامم المتحدة • وكانتا تأملان من وراء ذلك أن تختار الامم المتحدة قواتها لهذا الغرض وهي القوات الوحيدة الموجودة في ساحة النزاع • وقد أعادت الحكومتان ذكر السابقة الكورية بنوع من التلميح الخبيث فقالتا: انه يبدو من المحتم أن تقوم دولة أو مجموعة من الدول باتخاذ اجراءات جدية لمواجهة الشكلات وذلك كما حدث من قبل في مشكلة كوريا • وبرغم هذه الاشارة الى التدخيل الامريكي في كوريا الذي حجب بمهارة تحت علم الامم التحسدة ، فقد صسدمت الدولتان في مساء أول توفمبر بعداء شبه جمساعي من الدول الاخرى ، وكيف لا يكون الامر كذلك وهناك بالاضافة الى كراهية الغول الشبيوعية والافرو-آسيوية كانت الادانة الامريكية • وحتى لا يشبك أحد في ذلك ، فقد التي الرئيس أيزنهار في ذلك اليوم خطابا في فيلادلفيا أعلن فيه أن الامريكيين لا يستطيعون أن يبردوا ولن يبرروا العدوان السلح مهما يكن العتدى ومهما تكن الضحية .

ومن الجل أن السائة لم تكن الاحالة عنوان • فمثلا حين تدخلت القسوات الامريكية في جواتيمالا ، لم تكن السالة عنوانا بدليل أن بريطانيا وفرنسا لم تعتجا على ذلك •

## السيطرة على الجو:

استمر الهجوم الجوى على مصر • ففى نهار ٢ نوفمبر كانت الاهداف الجوية البحتة قد بدأت تتشبع من فرط ما القى عليها من قنابل ، ولهذا تقرر توجيبه الفرب الى تجمعات الدبابات ولا سيما تلك المدرعات التى كانت تحمى القناهرة وكلك القوات المرابطة فى معسكرات الماظة • أما بعد موجة الهجوم الاولى ضد معسكر هاكسب ، فقد توقف الفرب بامر صادر من لندن لانها خشيت تعرض السكان المدنيين خسائر فادحة بخاصة بعد أن شعر ايدن بان بلاده أصبحت حساسة من هذه الناحية ، وقد اتفح ذلك جليا من مناقشات مجلس العموم ، وتعرضت طائرات كامبرا في هذا اليوم لقوة ضاربة من المدافع المضادة للطائرات، وعلاوة على هذه المخاوف التى تقوم على اعتبارات انسانية كانت هناك رغبة واضحة فى المحافظة على مستقبل العلاقات الانجليزية المصرية !

وكانت المصود التى التقطت خلال الغادات الاستكشافية فى النهاد تشبر الى ان المرين يستعدون لاغلاق القناة باغراق بعض السفن والمستادل فيها بالعرض ، وكانت تشير ايضا الى حالة انسداد بجواد بور سعيد ، وحالة اخرى بجواد الغردان .

وفيما يتعلق بالاسطول المصرى المتجمع فى الاستختدرية صدرت الاوامر فى الليلة السابقة الى الطائرات من طراق كورسير الوجودة على حاملتى الطائرات الفرنسية « ارومانش » و « لافاييت » باغراقه » ولكن سفن الاسطول الامريكي السادس التى جات لنقل الرعايا الامريكيين الذين تقرد أن يفادروا مصر كانت تمرقل هذا العمل الحربي بوجودها فى الميناه، وفى يوم ٢ نوفمبر ظهر الفرنسيون مرق اخرى » ولكن السفن الامريكية كانت لا تزال موجودة هناك

#### العمليات شرقي القناة:

وهى سينا چرت المعارك فى الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة ، فقد وصل اللواء الاسرائيلى ٢٠٢ يوم ٢ نوفمبر فى الساعة الثانية بعد الظهر أمام مراكز البترول فى رأس سعد واحتلها بعد معركة قصيرة ، ثم استانف فورا سيره على الطريق الساحل الذى يواذى البحر الاحمر • وفى الساعة الخامسة مساء انطلقت نحو المطور – وهى مركز آخر للبترول المصرى – سريتان من رجال المظلات الاسرائيليين طليعة هذا اللواء واستولت على المدينة وعلى المطار ، وفى حوالى الساعة الشامئة مساء القت المطائرات الفرنسية من طراز « نورد – اطلس » القادمة من قبرص على هماء المقار جميع المناصر التي تؤلف كتيبة كاملة : وحدة متحركة ، ومعدات ، وبصفة خاصة سيارات جيب وسيارات نقل • وفى الساعة الثامنة صباح اليوم التالى – ٣ نوفمبر – انضم باقى اللواء القادم من الطريق الساحل الى السريتين من جنود المقالات •

وفى هذا الوقت وعل الفبقة الشرقية وصل اللواء التاسسع سسيادات الى «الدهب» واستمر فى زحفه نحو شرم الشبيغ •

وفي الجبهه الوسطى توقفت المارك فيما عدا بعض عمليات التطهير •

وفى الجبهة الشمالية بالقرب من البحر المتوسط نجعت القوات المصرية فى الموريش فى مفادرة مركزها وتنفيذ أمر الإنسحاب صباح يوم ٢ نوفمبر • وفى الساعة الثالثة مد الظهر سلمت السلطات المدنية المدينة الى جنود لواء لاسكوف وفى العريش اكتشف الاسرائيليون مغازن كبيرة من المعات الحربية المسنوعة فى روسيا ومن البترول واجهزة الراداد • • الغ •

# الاقتراح الأمريكي:

وفى ٣ نوفمبر استمرت الناقشات فى الامم المتحدة ، وجاء دور دالاس لكى يعدد موقفه ، ولكن خطابه كان يختلف فى لهجته عن خطاب الندوب السوفييتي الا أنه استرسل فى الكلام فى المنى نفسه وتضمن مشروع القواد الذى اقترحه دالاس على العجلس اتخاذ التوصيات الاتية :

#### ان الجمعية العامة ، اذ تأخذ في اعتبارها •••••

- تطالب باصراد وبكل سرعة أن تقبيل فورا جميع الأطراف الشيتركة حاليا في النزاع في هذه المنطقة وقف اطلاق الناد ، ويترتب على ذلك أن تمتنع عن ارسال أية قوات عسكرية أو أية أسلعة ألى المنطقة •
- تسعو الاطراف المعنية في اتفاقيات الهدنة الى سحب جميع قواتها دون
   ابطاء خلف خطوط الهدنة × والامتناع عن كل غزو للأداضى المجاورة
   واحترام احكام اتفاقيات الهدنة بكل دقة •
- ـ توصى جميع الدول الاعضاء بالامتناع عن ارسال اية معدات حربية الى منطقة النزاع وبصفة عامة الامتناع. عن القيام بأى عمل قد يكون من شائه تأخير أو منع تنفيذ هذا القرار •

وكما نرى فان هذا النص يهدف الى ادانة سابقة لكل عملية يتخدها الفرنسيون والبريطانيون لانزال الجنود في مصر ، والى وقف الحرب الجوية ووقف ادسال الاسلحه الى سيناء ، كما يستهدف اعادة اسرائيل الى قواعدها السابقة ، وقد طرح مشروع القرار للتصويت يوم ٣ نوفمبر في الساعة الثانية صباحا وقت

<sup>×</sup> أن الامر يتعلق بالهدنة ألاسرائيلية العربية التي وقعت في رودس سنّة ١٩٤٩ •

الموافقة عليه بغالبية ٦٤ صوتا ضد خمسة أصوات (أصوات الدول الثلاث العنية. اسرائيل ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وانضمت اليها استرائيا ونيوزيلاندا ) وامتناع · سنة اعضاء عن التصويت هي اتحاد جنوب افريقيا وبلجيكا وكندا وهولندا والبرتغال ولاوس ٠

وفى الوحت نفسه أعلنت الجمعية العامة أن دورتها مستمرة ما دام هذا القرار يشر تنفيذ ٠

ثم قدمت المجموعة الافرو ... آسيوية من جانبها الى السكرتير العام داج همرشولد مذكرة تطالب فيها بأن تتخذ الجمعية أشد الاجراءات لوقف الهجوم الذى تشنه بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر ، وهى الدول التي لم تمتشسل لقرار الامم المتحدة •

وفى نهاية الجلسة اعلنت كندا على لسان ممثلها « المستر بيرسون » أنها مستعدة لارسال قوات مسلحة للاشتراك فى الحملة التى قد ترى الامم المتحدة اعدادها لارسالها الى مصر ، وقد اعطى دالاس فورا موافقة على ذلك ، واعلن ان هذا أيضا هو راى الرئيس أيزنهاور وانه يتمنى أن تقدم كندا اقتراحات بناءة فى هذا الممنى ، اننا اذ ذلك فى ليلة ٢ – ٣ نوفمبر ، او بصورة ادق فى الساعات الاولى من يوم ٣ نوفمبر ، وفرق التوقيت جعل هذا اخبر يصل الى بلايس فى الصباح المبكر اللى يستيقظ فيه اعضاء الحكومة ، وقد استقل كريستيان بينو وبورجى مانورى (وتلك اول رحلة له بصفته وزيرا)، والجنرال شال طائرة خاصة الى لندن لانه لم يكن امام انصار التدخل وقت لاضاعته فاذا كانت حملة الحلفاء تريد النزول فى مصر فلا يتبقى عدم الإبطاء اكثر من ذلك ،

# تضامن عربي:

وفي مصر اعلن ناصر الهام جموع الناس في الجامع الازهر أن جميع القوات الصرية التي كانت في سيناء قد انسحبت للدفاع عن قناة السويس • كما أعلن أن الجيش السودى وضع نفسه تحت القيادة الصرية • ومن ناحية أخرى عـلم • من مصدر رسمى أن الوظفين البريطانيين وعددهم ٤٥٠ اللين كانوا يحرسـون مغازن قناة السويس قبض عليهم وتم اعتقالهم •

اما البلاد العربية - التي اعتادت الجلبة والضوضاء - فانها لم تظهر انها متعجلة لنجدة مصر • ولكن هذا السكوت وهذا الحذر كان لهما معان سياسية ، لان ما يدور امامها حول نقطة السويس الحساسة كان صداما بين دول عظمى • والأطفال المقلاء يعلمون أنه حينها يتشاجر الكبار فان من مصلحتهم أن يلزموا السكوت والهدو، حتى يتجنبوا أن تصبيهم ضربة طائشة !

وفى سوريا وفى الملكة العربية السعودية كثرت المظاهرات • وفى مساء ٢ نوفمبر اعلنت الحكومة السورية قطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا وبريطانيا واكدت مسالة وضع الجيش السورى تحت تصرف القيادة المعرية •

وهكذا وضعت بطريقة آلية انابيب البترول الفرنسية البريطانية القادمة من العراق والتي تغترق الاداخي السبودية تعت اشراف وحمساية القوات التي يملكها ناصر • وفي هذا الوقت نفسه كان الرئيس السوري شكرى القوتل يمقد في موسكو الاجتماع بعد الاجتماع مع الماديشال جوكوف وزير الدفاع والماديشال سوكولوفسكي المدى تعدل قيادة جميع الجهاز الروسي المعد فسند حلف بغداد ، والجنرال كازاكوف الذي قد يمين قائدا لفرق المتطوعين المكلفة بالتدخل في الشرق الاوسط • وقد وجه الاتحاد السوفييتي من جانبه رسائل الى نهرو وسبوكارنو يقترح فيها توجيه دعوة مباشرة لمقد اجتماع للدول التي حضرت مؤتمر بأندونج ،

وفي المستكر الاغر كانت تدور ايضها مفاوضهات • فقه اقترح رئيس جمهورية لبنان كميل شمعون العروف بانه صديق بريطانيا الى اقصي الحدود x -

<sup>×</sup> يصفه الجنرال كاترو في مذكراته بانه « صنيعة الانجليز » وليس هذا مجرد عراء •

الدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربى فى لبنان لناقشة الموقف • وكان الهدف الواضح لهذا الاقتراح هو دفع ناصر الى ترك القيادة العامة خضور مؤتمر فى لبنان حيث يمكن شغله بالخطب والناقشات ديثما يتم تدبير انقلاب فى القاهرة يبعدم عن الحكم •

# تباطؤ في قبرص:

لقد أثار سير المناقسات داخل الامم المتحدة قلق الجماعسات المتحمسة في باريس التي أحنقها أن ترى الجنرالات في قبرص وهم معزولون عن العالم الخادجي لا يقدرون الضرورة الملحة في التدخل قبل اعداد قوة الامم المتحدة أو عل الاقل قبل البدء في اعدادها • ولذلك أرسل الجنرال ايل رئيس هيئة أدكان الحسرب المعامة ، برقية عاجلة في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ مساء ألى الاميرال بارجو القائد العام الفرنسي في قبرص يطلب منه فيها بحث احتمالات كثيرة للتدخل على أرض المحركة ، كما أشار الميه بأن الموقف السياسي العام يقتضى انزال عنساصر عسكرية في مصر خلال ٢٤ ساعة ،

وقد تحرى بارجو الامر فتبين أن هيئات اركان الحرب قد أمضت نهاد اليوم السبابق في مناقشة خطتى أوميليت وساميلكس وانتهت المناقشة دون الوصول الى نتائج ايجابية ، لقد قرروا فقط أن يستعدوا ١٠ أن يكونوا مستعدين للقيسام بالعملية أوميليت ، أى باحتلال أي فراغ يتركه لهم الانقلاب الذي قد يحدث في القاهرة الصلحتهم !

وفي صباح يوم ٢ نوفمبر حاول بارجو الاتصال ببوفر ، ولكن هذا الأخبر كان قد ذهب تنفقد القاعدة التي نقلت بالطائرة الى قبرص • وفي بداية فترة بعد الفقهر استفاع بارجو الاتصال بقائد القوة ( أ ) وقدم له نص البرقية التي تسلمها من باديس واشار عليه بأن يحصل من الانجليز – بأى ثمن – على موافقتهم للبدء في العملية اوميليت فورا ، وذلك في أثناء اجتماع قادة القوة ، وهو الاجتماع الذي كان مزمما عقده بعد وقت قصع •

ومند بداية الاجتماع قدام الجنرال بوفر اقتراحه باتضاد اجراء مباشر واستخدام الخطة اوميليت وقد اصطلم فوزا بمعارضة شديدة من جانب الاميال دانفورد سلاتير ومن الجنرال ستوكويل ، وكانت المعارضة قائمة على حجج عسكرية و وفي الواقع كان الاستكشاف الجوي قد اظهر وجود تجمعات قوية جدا من الدبابات شمالي القناة وقد اعلن ستوكويل أن هذا العمل يشير الى مدى رغبة العدو في المقاومة كما يشسير الى أنه لا يمسكن القيام بعملية انزال قوات بالمقلات وتركها منعزلة ، وأنه ليس من المكن تنفيذ الخطة اوميليت ، ثم استدار الى الفرنسين وقال ساقاوم كل ضغط في هذا الاتجاه !

وقد تمسك ستوكويل بالخطة العتيدة التي ظالت دراستها ، وهي موسكتير المعدلة • تمسك بفكرة تنفيذها يوم ٦ نوفمبر ، واستمرت الغارات الجوية وقلف القنابل على مصر يومي ٣ و ٤ نوفمبر ، وفي يوم ٥ نوفمبر ازدادت هذه الغارات قوة تمهيدا للهجوم في اليوم التالي • وقد فكر ستوكويل في عدم استعمال قوات المغلات في بداية العمليات وحجزها لاستخدامها فيما بعد حين يحين وقت القيام بعركة شاملة وقوية • كما فكر في الابطاء في ارسال قوافل الدفعة الثانية ، لا نه توقع ازدحام السفن في مدخل بود سعيد • واخيرا فانه لم يستبعد امكان انزال القوات يوم ٧ نوفمبر في الاسكندرية •

وعع ذلك فقد اتخذ القرار التالى : سيكون مقر القيادة العامة على السفينة « ثين » يوم ٤ نوفمبر ابتداء من السادسة مساء ، ثم تبحر هذه السسفينة في اليوم نفسه في منتصف الليل .

وتقرر رفض الخطة أوميليت ، واسرع الجنرال الانجليزى هويس فى الساعة الرابعة مساء بعد نهاية الاجتماع الى الاتصال تليفونيا ببارجو وأبلغه النبأ السعيد طالبا رفع حالة الاستعداد من رجال الفلات ٠

وقد ذعر بارجو ، واعتقد أن بوفر لم ينهم أهمية اعداد عملية عاجلة ، فذكره بتعليمات باديس وطلب منه جمع قسادة القوة فورا لوضم حل يتفق مع المعنى الذى تضمنته برقية الجنرال ايل •

واجتمع قادة القوة – أى بوفر نفسه وجنرال الطيران بروهون والاميرال لانسو ثم انفيم الجنرال الان جيل وماسو – وفكروا فى الاستيلاء على الكبادى القائمة جنوبي بور سعيد يوم ٤ نوفمبر • وكان من راى بروهون ولانسلو انه لا توجد اية صعوبة خاصة بالنسبة لقطاعهما • أما بوفر فكان غير متحمس ؛ أن عدم وجود دبابات يمنعنا من الاستيلاء على الكبارى لان سريتي رجال المقالات اللتين سيجرى انزالهما قد لا تستطيعان الصعود يومين بدون مساعدة ( وقد اثبت الاحداث التالية أن هذا الاعتراض كان وجيها ) • كان بوفر يرى أنه يحسن الاستيلاء على مطار الجميل يوم ٤ أو الاستيلاء على الكباري وعلى بود فؤاد يوم • وقال أن تاريخ ٦ نوفمبر هو الانسب من الناحية العسكرية وأنه أن يمكن تعديله الاستوى الحكومي •

وقد فشلت كل الساعى التى بذلت لدى القيادة البريطانية ، ورفضت هذه الموافقة مادام لم يصلها تعليمات جديدة من حكومتها في هذا الشان •

وقد تدخل ماسو ، فبالنسبه له لا توجد اية صحوبة فى الاستيالاء على الكلادى يوم ٤ نوفمبر والصمود هناك ، وعلى العكس من ذلك ، فهو يصارض عملية الاستياد على ارض الجميل ، ستكون هناك خسائر جسيمة فى دجال المفلات ( وفى الواقع كانت خسائر الانجليز الذين انزلوا على الجميل أكثر منخسائر الفرنسيين الذين نزلوا على الكبادى ) ، اما ماسو فقد اختار الحل الحدر السليم وفضل الانقضاض على الكبادى ،

أما اجْنَرال بوفر فقد ناقش هذا الموضوع في السناء مع اجْنَرال ماسو ورئيس اركان حربه ( ورئيس آركان حرب بوفر قد يكون الكولونيل سانت هيلييه ، ما دامت المسألة تختص بالتخطيط ) وقد أبدى ارتياحه وتفضيله لعملية انزال جثود المظلات جنوبى بور سعيد ـ بور فؤاد ، باعتبار أن النزول فى هذه المنطقة أفضل من النزول فى الجميل ، وقد استبعد استخدام المصفعات قبسل يوم ٦ نوفمبر ، نظرا لأن الحملة ستكون فى عرض البحر ولا يمكن النزول الى البر قبل هذا التاريخ ،

#### وماذا كان موقف هيئات أركان الحرب مساء يوم ٢ نوفمبر ؟

انها لم تقرر شيئا سوى انقضاض رجال المظلات ، لقد اتفق الفرنسيون على ان يكون مشروع الانقضاض يوم ٤ نوفمبر ثم يكون انقضاض آخر يوم ٥ تظاهره عملية صغيرة برمائية موجهةضد بور فؤاد وتنفيذ ما تبقى من عملية «موسكيتي» يوم ٦ توفمبر ، وحتى يقبل الانجليز هذه اقطة قدم لهم المشروع مقلوبا : قد تنفذ العملية « موسكتير » يوم ٦ ولكن قد تسبقها ضربة شديدة على الكبارى يوم ٤ نوفمبر ، ويتم الاستيلاد على بود فؤاد يوم ٥ للسيطرة على منشات الميناء ،

وفى هذا الوقت تدخلت الامم المتحدة بالقرار الامريكى الذى يدين التدخل الانجليزى الفرنسى الاسرائيل فى مصر ، كما ظهرت التهديدات الاولى بادسال قوة دولية •

# يوم ٣ نوفمبر:

انتشر نبا التهديد بتكوين قوة دولية طوال يوم ٣ نوفمبر وكان له اسسوا النتائج ، وكان هذا اليوم هو يوم الخطط النهائية والقرادات السياسية •

وقد طاد كريستيان بينو وبودجى مانودى والجنرال شال الى لندن بمجرد أن عرفوا النتائج التى اسفرت عنها جلسة الامم المتحدة • يجب الاجتماع بالقادة البريطانيين للقيام بدراسة مشتركة حول افضل وسيلة لمواجهة وصبول قوة الامم المتحدة السابق لاوانه ، تلك القوة التى شجع على قيامها دالاس وايزنهاور، وقد وجد ايدن الحل السياسي • ففي هذا اليوم اعلن أمام مجلس العموم أنه يرى

من الضرورى انشاء قوة بوليس ، وهو مستعد أن يتنازل عن مكانه الى قوة دولية ولكن بناء على بعض الشروط • وأعلن أيضا أن الحكومات المتحالفة غير مستعدة لوقف عملياتها مادامت المعادك مستعرة • ثم استطرد قائلا «لقد درست الحكومتان الفرنسية والبريطانية بعناية القرار اللى أصدرته الجمعية العامة كلائم المتعدة يوم ٢ نوفمبر ، وهما متمسكتان بوجهة نظرهما في أنه يجب تنفيسد العملية البوليسية على وجه السرعة لوقف المنازعات التي تهدد من الآن قناة السويس » • أما الشروط التي حدها ابعن اللازمة لوقف العمليات المسكرية المتحالفة فهي عقد اتفاقيات مرضية لتسوية المشكلة الاسرائيلية المربية ، ولتسوية مشسكلة قاة السويس » ويجب أن يقبل الجانبان المتحاربان بأن « تقسوم قوات انجليزية قرنسية محدودة العدد والعدة بالفصل فورا بين وحداتهما المحاربة » •

لقد تم التدخل مساء ٣ نوفمبر، وعلم الشعب البريطاني انهسيغوض الحرب مرة اخرى ، وقامت مظاهرات يوم الاحد ٤ نوفمبر وكان بعضها عنيفا • وقد كشف جي موليه نبض الرأى العام الفرنسي ورأى أنه منقسم بشدة على نفسه ، وأن نصفه يؤيد التدخل والنصف الاخر يعارضه •

ومع ذلك فقد لوحظ أن السير انطوني ايدن ، حيثما أعلن في مجلس المعوم 
حيث سيصفر له بانتظام في الايام التالية - قراره بانزال قوات في بور سعيد 
ذكر أن المسألة تتعلق بقوات معدودة المعدد • وكان من الصعب اعتبار القوة 
البالغ قوامها • • • • • • والتي تقرر توجيهها ضد مصر قوة معدودة • وهكذا تقرد 
ارسال وزير الدفاع انطوني هيد على وجه السرعة الى قبرص لابلاغ الجنرالات 
التعليمات الحكومية إلجديدة التي كانت تتصارض في نقاط كشيرة مع الاوامر 
السنايقة • وهذا يفسر أن أنطوني هيد استقل فورا طائرة كامبيرا يوم ٣ نوفمبر 
في منتصف الليل بعد مناقشة طويلة مع الجنرال شال واتجه الى مركز القيادة 
العامة في أبيسكوبي في جزيرة قبرص •

## استمرار الجدل:

لقد استمر الجدل في قبرص ، وأحيط الامبرال بادجو علما يوم ٣ نوفمبر بالمشروع الذي وافق عليه قادة القوات الفرنسية في الليلة السابقة ، وقد وافق هو أيضا عليه وقرر اللهاب بنفسه مع الجنرال بوفر القابلة القائد العام الجنرال كيتل ، وقد اظهر كيتل الاهتمام الذي يتفق مع حليف يتعجل نوعا ما كسب الحرب ولكنه – كاى دبلوماسي – قرر عقد اجتماع جديد لقادة القوات المتحالفة لوضع خطة جديدة لا تنفذ بطبيعة الحال الا بناء على تعليمات الحكومة ، وسيسمح عدا بكسب الوقت وبالمحاففة على حسن العلاقات مع الفرنسيين ،

لقد عقد الاجتماع من الساعة الحادية عشرة الى الثانية عشرة والنصف ، وحضره عملاوة على قادة القوات الانجليزية والفرنسسسية الجنرال جيسل الذى يقوم بالادارة التكتيكية للقوات الفرنسية المنقولة عن طريق الجو ، والجنرال ماسو قائد الفرقة الماشرة مظلات والاميرالاى بتلر قائد اللواء السادس عشر مظلات البريطاني .

وقد بدا الجنرال ستوكويل فاشار الى انه بناء على اقتراحات الفرنسييين سيقوم بدراسة عملية قد تتم يوم ٥ نوفمبر ، وتسبق العملية الاساسية التي . ستتم يوم ٦ نوفمبر ٠

والفكرة الاساسية لهذه اخطة التى ستسمى تيلسكوب هى أنها عملية مزدوجة للانقضاض بالمظلات تتم فى اليوم السابق لنزول القوات الفعل على البر ، وسينقض البريطانيون على مطار الجميل غربى بور سميد بقوة قوامها ٤٠٠ رجل، فى حين ينقض الفرنسيون بعدهم بمدة خمس عشرة دقيقة على الجانب الشرقى بقوة قوامها ٤٠٠ رجلا، وفى يوم ٤ نوفمبر سيتم القضاء على البطاريات الساحلية المصرية بواسطة الطيران ، وفى صباح يوم ٢ نوفمبر يقل الى اقصى حد اطلاق قلدائف الاصداد لعمليات انزال جنود القوة الضاربة ٠

وساد المناقشة شعود من الفسيق وعلم الارتياح، وكان يبدو للفرنسيين ان زملادهم البريطانيين يدرسون هله اتخطة عن غير دغبة وانما يفعلون ذلك لأن التعليمات قد صدرت اليهم من لندن بدراستها • واقطة الوحيسة التي كان الجنرالات الانجليز يرونها صاححة هي انزال القوات عن طريق البحر بقوة ضاربة يوم ٦ نوفمبر ، وكانوا يتمنون في قرارة انفسهم الا تنفل الخطة « تيلسكوب » • وقد حاول الفرنسيون ابراز المزايا السيكولوجية خصار بور سعيد والخطر الناتج عن اي عمل دول يسبق المحاولات الفرنسية الانجليزية ، ولكنهم لم يستطيعوا اقناع الانجليز الذين كانوا أبرد من الثلج •

وكان بارجو فى موقف صعب لقد ثلقى تعليمات من حكومته باعداد خطة عاجلة ، ولكنه اصطلام بمعارضة الجنرالات البريطانية الذين اسندت اليهم يوم المسطس اولوية القيادة فارسل بارجو برقية يوم ٣ نوفمبر فى الساعة الثالثة والربع مساء بتوقيت جرينتش يطلب فيها سحب وحدات المظلات الفرنسية من القيادة المتحالفة ووضعها تحت قيادة فرنسية مباشرة ، والا فأنه لن يستطيع تنفيذ التعليمات الصادرة من باريس .

ونظر؛ لأنه كان والقا من أن باريس ستقبل هذا الطلب المنطقي ، فقد أدسل رئيس هيئة أركان حربه - الجنرال جازان - ألى معسكر ميشيل لوجران بقبرص لاعظاء أمر الاستعداد الى كتيبتين من كتائب الظلات الفرنسية ·

ومع ذلك استدعى الجنرال ستوكويل بعد ذلك بوقت قليل عند القائد العام الجنرال كيتل ، حيث ابلغ بأن تعليمات لندن تامر بالاستمرار في اعداد العملية •

فعقد الجنرالات اجتماعا جديدا ، ولم يعد الوقت كافيا لكى يبدأ الانجليز العمل صباح يوم ٤ نوفمبر بناء على أمر صدر في مساء الليلة السابقة بتاخر العمليات بسبب سوء الاحوال الجوية ، فاعدت اذن الخطة « تيلسكوب » للنزول بالمقلات صباح يوم ٥ نوفمبر قبل انزال الجنود عن طريق البحر على نطاق واسع يوم ٦ نوفمبر وفقا للخطة « موسكتي » •

وفى نهاية العشاء ظل الجنرالات فى حالة عسدم استقرار تام ، وقبل منتصف الليل بقليل بدا التصميم ، ثم أحيط القائد العام الجنرال كيتلي والقائد العام المساعد الامبرال بارجو علما بان وزير الدفاع البريطاني سيزورهما ليلا حاملا معه بعض التعليمات السياسية ٠

#### خط الكيلو ١٦:

اذا كان اليوم قد انقضى فى قبرص فى حالة عدم استقراد فان الاسرائيليين فى سيناء كانوا على عكس ذلك ، اذ كانوا يعلمون جيدا حقيقة موقفهم • ففى الشمال لم يكن باقيا سوى اخضاع « جيب » غزة ، وقد سقطت هذه المدينة فى خلال بضع ساعات • وستكون آخر نقطة مقاومة هى مركز خان يونس الحصين من الحرس الوطنى • وبعد معركة بالدبابات لم تستمر اكثر من ساعتين استسلم المصريون من الحرس الوطنى بعد أن وجدوا أن المقاومة ليس لها أية فائدة عسكرية اذ أن جميع القوات المصرية المتعاربة كانت قد انسحبت الى ضبغتى القناة •

وفى جنوب شبه جزيرة سيناء استانف اللواء ٢٠٢ الاسرائيل زحفه على طول الساحل الغربي متجها نحق شرم الشبخ • وقد بلغ لواء السيارات الزاجف على الشاطىء الشرقى « النقب » وازاح من أمامه سرية مصرية واستانف زحفه نحو قلعة راس ناراني ، التي سيصلون صباح يوم ٤ الى مشارفها •

وفى مساء ٣ نوفمبر كان الاسرائيليون يشرفون على شبه جزيرة سسيناء كلها ، فيما عدا راس نادانى وشرم الشيخ • وبشكل يتسم بالانانية رات الحكومة الاسرائيلية أنه لم تعد لها مصلحة فى استمرارها فى موقف التحدى للامم المتحدة فيما عدا اعترافها بانها مرتبطة مع فرنسا وبريطانيا •

#### مهمة ليلية:

لقد انقفی یوم ۳ نوفمبر فی الام التحدة فیما یسمی بلغة المؤتمرات نشاط الکوالیس ۰ و کان الجمیع ینتظ ون الرد الفرنسی البریطانی علی القرار الذی صدر في الليلة السابقة ولكن لن يكون هذا الرد سوى « دفض مشروط » • لقد قردت فرنسا وبريطانيا العظمى في الواقع ـ بعد مشاورات جرت بين الينن وانقوني هيد وباقي الاعضاء فيما نسميه و وزارة الحرب » من ناحية وبين الوزراء القرنسيين « بينو وبورجي مينوري اللذين حضرا في هذا اليوم المكنن يعاونهما المخترال شال » من ناحية اخرى الاستمراد في العمليات المسكرية من اعالن استعمادهما لترك مكانهما لقوات الامم المتعدة على أساس شروط معينة • ويعتبر هذا الاقتراح في الواقع أساسا للمفاوضات المقبلة كما يعتبر وسيلة للخروج من هذا الاقتراح في الواقع أساسا للمفاوضات المقبلة كما يعتبر وسيلة للخروج من هذا الاقتراع في الواقع أساسا للمفاوضات المقبلة كما يعتبر وسيلة المخروج من قوة دوليسة للامم المتعدة بعيث تدخل ضمنها القوات التي تم انزالها • وحتى يتحقق هذا الاحتمال يعب الا تكون القوات البريطانية والفرنسية قد دمرت كل يتحقق هذا الاحتمال يعب الا تكون القوات البريطانية والفرنسية قد دمرت كل ما صادفها في الطريق ، والا تكون قد شقت طريقها في مصر على أشلاء الجثث • وكانت هذه هي التعليمات التي حملها وزير الدفاع البريطاني انظوني هيد اثناء زيارته لقبرس •

وفى المساء علم أيضا أن جون فوستر دالاس قد نقل الى الستشطى لاجراء عملية جراحية عاجلة له ، وكان المتقد أنه مصاب بالسرطان ·

# تعليمات من ثلاث نقاط:

وبنا انطوني هيد الكلام فودا وقدم للمسكريين عرضا من الناحية السياسية للموقف ، وكان المستشادان السياسيان على علم طبعا بما سيقول ، ثم أصر على ثلاث نقاط هي في الواقع ثلاثة أوامر سياسية رسمية :

- ( أ ) يجب النزول الى البر عن طريق البحر في أقرب وقت ممكن •
- (ب) من الفرورى تجنب كل عمل من شانه أن يصيب السكان المدنين بغسائر ، وبصفة خاصمة تجنب الغارات الجوية واطلاق منافع الاسطول •
- ر ج) يجب تعديل اقطة الاساسية التي كانت تقفى بعطادرة ناصر والقفاء عليه لانه يبدو أن ناصر يريد أن يتحصن في الدلتا ويترك حرية احتلال بور سعيد والاسماعيلية والسويس •

فاخد المسكريون حينتلا يدرسون اقرائط والمسود الجوية التى التقطت لبور سعيد والقطاعات الجاورة ، كما درسوا اقطوط الاساسية للتعليمات التى يعب اصدارها لقادة القوة الضاربة ، وانفق على وضع اقطة النهائية صباح يوم ٤ نوفمبر ( وفي هذا الوقت اضاف الجنرال بوفر عملية انزال مظلات فرنسية اخرى على أن تتم بعد ظهر يوم ، نوفمبر في بود فؤاد ) وتقرر أن تصدد الاوامر دون الطاء ظهر يوم الاربعاء × ،

وقد عاد الوثير البريطاني الى تناول الموضوع الذي يهمه الى أقصى حــد ، وهو تجنب حدوث مديحة في بور سعيد وتجنب تنمير المدينة والتقليل من اطلاق مدافع الاسطول مع العمل على اندار السكان المدنين .

وقد أجاب القادة بأنه لا مانع من التقليل بقدر السنطاع من قدائف البحرية. واوضح كيتل أن البحرية الملكية تنوى من وراء قدائفها تحقيق مهمتين : الاولى تنفيد برنامج محدد سيلغى فيما بعد والثانية مساندة القوات البرية في بلوغ الأهداف المطلوبة و وستقوم الممرات بذلك ، اذ ستتقدم نحو الشاطى، بقدر ما تستطيع وسيطلب منها توجيه الفرب بقاية الدقة ، وقد اعلن بارجو انه

<sup>×</sup> ما عدا عملية بور فؤاد التي ظل اتمامها خاضما للظروف وينبغي البت فيها نهائيا يوم

ه اكتوبر على اكثر تقدير ، وقت قيام الطائرات بمهمة الشرب ،

لا ضرورة لتدخل الطرادة الفرنسية « جان بار » وحصل على تصريح باستخدام القطع البحرية لقذف بطاريتين مصريتين تضايقانه ، ووعد في الوقت نفسه باتخاذ التداير اللازمة حتى لا يصيب الاحياء الآهلة بالسكان •

وقد أوضسح انطوني هيسه أنه لا يزال أمامهم الوقت السكافي لابلاغ هده التعليمات الى الاسطول ، وأصر على أن لهسلاه التعليمات أهمية سياسية كبيرة ، فقدم له القائد العام التاكيد المطلوب ،

أما بالنسبة للاندارات التي ستلقى على السكان المدنين القيمين بجسوار الاهداف المرضة للضرب فقد أوضح هيد أن لندن لا توصى فقط بتوجيه مثل هده الاندارات الى سكان منطقة الاسكندرية لان ذلك قد يؤدى الى حدوث حالة ذور فى مناطق لن تجرى فيها عمليات حربية ٥ وقد استفسر هيد أيضا عن عسدد الإيام اللازمة لاحتلال الاسماعيلية ، فاجاب كيثل ٤٨ ساعة ٠

وآخيرا اظهر هيد رغبة اكيسة في ضرورة اعسادة فتح القنسسسة باسرع وقت ممكن • وكانت الآراء هنسا مختلفة ، فقسد قال اكثر المتفائلين خمسسة عشر يوما ، وقال اكثر المتشائمين شهرين • وقد أصر الوزير على ضرورة جمسع المعنات اللازمة لتعويم السفن الفارقة من الآن ، وهي السفن التي أغرقت لاعاقة الملاحة فيها ، وكذلك اعداد المدات اللازمة لتطهير القناة ، وشرح بارجو أنه سيقوم باستدعاء الاميرال شامبيون وخبرائه الذين يمكنهم أن يسكونوا في قبرص في خلال ٢٤ ساعة •

وانتهى الاجتماع بعد مناقشة جميع نقاط جدول الاعمال ، وكانت الساعة اذ ذاك قد بلغت السادسة والنصف من صباح يوم ؛ نوفمبر ·

#### هدف آخر:

لم يشمر احد بمهمة انطوني هيد في قبرص ، بل أن الذين أخلوا علما بها اعتقدوا أنها نوع من الرحلات التلتيشية التي تسبق أية عملية هجوم ، هل حضر الوزير للتثبت من أن جميع أزرار الملابس العسكرية في أماكنها وأن الحساء جيد ؟ بطبيعة الحال لا ، وأنها كانت هذه الرحلة ذات أهميسة جوهرية ، لانها كانت تتضمن ادخال تعديلات على أهداف البريطانيينالعسكرية الذين لم يعودوا يرغبون من الآن في مطاردة ناصر والقضاء عليه ، كما يريدون تجنب كل تهسديد موجه ضد نقط أخرى في مصر خلاف شواطيء القناة بحيث يتقدمون نحو القناة باكثر هدوء ممكن • هل عدل البريطانيين وجهة نظرهم تحت تأثير الانتهازية السياسية أو تحت تأثير الانتهازية السياسية بوحت تأثير مناورة محبوكة قد حملتهم على الاعتقاد بأن موقفهم الجديد قد يعطيهم بعضى فرص للنجاح ؟ هل سنعرف ذلك يوما ما ؟

وعل كل حال لم يتبين للفرنسيين بوضوح هذا التحول السياسى الذى قام به حلفاؤهم ، وكانت هذه الاحتياطات الانسانية التي يتخدها السير انطوني هيد مدعاة لسخريتهم ، ولا اكثر من ذلك •

لقد كانوا مشغولين بالاستعداد للعمليات العسكرية التي وضعوها نصب اعينهم •

## الاستعدادات الأخرة:

وفى بداية صباح يوم ٤ نوفمبر اخلت هيئات اركان الحرب توفق بحرادة 
بين اقطة « تيلسكوب » وبين التعليمات الجديدة التى صدرت اليهم • وقد اضاف 
بوفر عملية انزال جنود لمغلات على بور فؤاد ، واعيد توجيه عمليات الطبيران 
والبحرية • وفى العاشرة صباحا كان كل شىء قد اعمد ووزعت على كل مسئول 
خطة تعديل تيلسكوب على العملية موسكتير « مع » اضافة رقم ١ على التعليمات 
الصادرة بالنسبة للعملية ٧ وفى الحال بدأ تعميل السفن بصفة نهائية فى ميناء 
ليماسول • وكانت الطرادة الفرنسية جان بار قد وصلت فى الفجر ، كما وصلت 
بعد ذلك بساعة سفن المجموعة البرمائية المكلفة بالقيام بعمليات انزال الجنود الى 
البر • وفى الظهر تم تحميل السفن ، وصعد الجنوال بوفر فوق الطرادة جان بار

لاصداد تعليماته الاخيرة الى الضباط الذين سيشتركون فى العملية • وفى الساعة السادسة مساء صدر أمر الابحار فتركت السفن فى هدوء أسبية جميلة وانوادها محجوبة عن الانتقار فى هيئة طابورين • فمن جهة اليمين تحمل السليئة أوديسه بصفة خاصة الجنرال ماسو وهيئة أركان حربه ثم المكمرتان ل٠٠٠٠ ٢٠٨٤ و « لايتا » ومن جهة اليساد السفن شريف ، رانس وفورد • وكان يحرس القافلة ثلاث سسفن حربية هى بيربير الى اليساد وطوادج الى اليمين وأمامهما المسلمرة لوسودانى ، التى تقود المقافلة البحرية • وفى ذيل القافلة كانت تسبر المسلمرة باشيدر • وكانت القافلة كلها تسبر بسرعة سبع عقد فى الساعة فى اتجاه شواطىء مصر •

ولم تكن هسلم السفن تعمل الا العناصر الاولى التي يعب انزالها الى البر منذ اليوم الاول ، اما باقي الحملة الاساسية فستجىء بعد ذلك في الرحلة التالية • وفي اليوم التالى التقت الحملة الفرنسية في النقطة العسدودة « ي » مع الحمسلة البريطانية التي ابعرت من مالطة وسادت الحملتان البخريتان في خمسة طوابير سـ ثلاثة بريطانية واثنان فرنسيان سـ خلف ستاد من سفن الكراكات •

ومواحيها أن القناة عقلة بسفن كثيرة ، اغرقها المصيون عهدا ففسلا عن أنه وضواحيها أن القناة عقلة بسفن كثيرة ، اغرقها المصيون عهدا ففسلا عن أنه يجرى دعم الوسسائل الدفاعية عن المدينة ، كما تبين وجود مسافع كثيرة وأن المصريين يبثون الالفاعية بقصد استعمالها بدلا من بطاريات السواحل ، وأن المصريين يبثون الالفام على الشواطي، ، وقد هاجمت الطائرات اهم الاهداف المسكرية طوال الميوم ، ولم تكتف بههاجهة منطقة بور سعيد فقط فقد كانت تجمعات الكدابات بجانب الاسساعيلية وبجانب اهرام الجيزة موضع هجوم متواصل شديد القسوة ، ومن ناحية آخرى اكتشف وجود ٢٤ طائرة اليوشن في مطال الالاقصر ، فقامت طائرات كاميرا البريطانية بغارتين عليها كانت نتيجتها أنها تنبهت فهربت ثمان منها الى العربية السعودية ، اما الطائرات الباقية فلم تعد صاحة للخدمة على آثر مهاجمتها بطائرات فرنسية من طراؤ «ميستر» ،

#### المعارك الأخرة في سيناء:

وكانت المعادك الاخديرة تدور في ذلك الوقت في جنوب سينا، • وكان الاسرائيليون يسيطرون سيطرة تامة حيثند على الجزء الشمالي من شبه الجزيرة ، ما عدا شريط السنة عشر كيلو مترا الواقع شرقي القناة •

وقد وصل اللواء التاسع سيادات الاسرائيل ـ الذي ساد عل طول الشاطئ، الشرقى لشبه الجزيرة ـ أمام دأس ناداني التي كانت الطائرات الاسرائيليسة تهاجمها بدون توقف و ونظرا لان القائد المصرى كان يعلم أنه لا يستطيع الاعتماد على أية معونة ترسل اليه من القاهرة فقد قرر علم الدفاع عن هذا الموقع بالقوة التي احتفظ بها للاستمراد في المقاومة ، وكان قوامها ١٠٠٠ جندى ، وقد نجح في اجلاء معظم قواته بحرا في اتجاه شرم الشيخ حيث ينتظر أن تدور المسادك الاخرة .

وفى اليوم نفسه غادرت مصوع سفيتنا الشعن الأيوبيتان اللتان استاجرتهما اسرائيل و ولما ذهب الملحق المسكرى المصرى لدى حكومة النجاشي لاستطلاع الامر طرده المسئولون الاثيوبيون في الحال ، وكان على هاتين السفينتين - من ناحية المبنا - تموين المفيرين الاسرائيلين على شرم الشيخ وراس ناراني ، و لما وصلت السفينتان يوم ، وفهير الى هاتين النقتطين ، كانت رأس ناراني قد سقطت ولم يكن باقيا على سقوط شرم الشيخ سوى وقت قليل. ولذلك ارسلت سفينتا الشحن الملكورتان اللتان اطلق عليهما من قبيل الزهو اسم فرقاطات قوة صغيرة لاحتلال جزيرتي خليج نيران ، ولتغطية التواطؤ الاثيوبي ، أعلن أن الفرقاطتين قد قامتا بالدوران حول رأس الرجاء الصالح ومن أضرار هذا الادعاء أنه يفترض أنه كان هناك سبق اصرار اسرائيل ،

## في جبهة الأمم المتعدة:

وفى حين كان الفرنسيون والبريطانيون يستعدون لالقا، جنود المفللات على بور سعيد ، اخلوا يقوعون في الأمم المتحدة بمعركة لكسب الوقت، فقد تضمن دهم على مشروع القراد الامريكى الذى قبلوه يوم ٢ نوفمبر موافقة مشروطة فى ظاهرها ، ولكنها تهدف فى الواقع الى عدم قبوله ، وقد اعلنت وفود البسلاد الشيوعية ويوغوسلافيا ومصر أن هذا الرد الوقح يهدف الى ضمان كسب الوقت للقيام بالمدوان ، وحينئذ قدمت تسع عشرة دولة مشروع قرار جديدا يكرد الى حد كبير نصوص مشروع القراد الامريكى الذى تمت الموافقة عليه يوم ٢ نوفمبر مع مهلة قدرها اثنتا عشرة ساعة يحصل فى خلالها السكرتير العام على وقف اطلاق النار ووقف ارسال الاسلحة ، وقد ووفق على مشروع القراد هذا بغالبية ه م صوتا ضده ( هى بريطانيا المغلمي وفرنسا واسرائيل ، علاوة على استرائيا ونيؤيلاندا ) وامتناع ٢ اصوتا ،

ووفق من ناحية اخرى على الشروع السكندى ـ الذى ايده دالاس ويقفى بانشاء قوة بوليس دولية ـ وذلك بغالبية ٥٩ صوتا ضـد ٩ وامتناع ١٩ ( من بينها البلاد الشيوعية ) ٠

وينص مشروع القراد هــلا على تكليف السسكرتير العام بان يعرض على الجمعية العامة بكل سرعة، وخلال ٤٨ ساعة مشروع تكوين القوة البوليسيةاللولية. ويلاحظ في المفقرة التي تقول « بكل سرعة وخلال ٤٨ ساعة » والتي عرضت في بداية نهاد يوم ٤ نوفمبر أن المقصود من مشروع هذا القراد هو تشكيل القسوة الدولية قبل صباح يوم ٦ نوفمبر ، وهو الموعد المعدد لتنفيذ الخطة « موسكتير »

وبعد مفى النتى عشرة ساعة على الموافقة على مشروع القسراد الاول ـ أى بعد نهاية المهلة المعطاة له ـ اعلن السكرتير العام نتيجة الساعى التى قام بها أن مصر وحدها هى التى وافقت على « القراد المقدم من التسع عشرة دولة » • ولقد أعلنت عن استعدادها لوقف اطلاق الناد ، واقترح السكرتير العام تعيين الجنرال الكندى « بيرنز » قائدا لقوة البوليس الدولية لوجوده في الشرق الاوسط باعتباره رئيس هيئة اركان حرب منظمة الامم المتحدة ومكلفا بمراقبة عمليات تنفيذ الهدنة على الحدود التي تفصل بين اسرائيل ومصر ، (ويلاحظ هنا أن الاسرائيليين وجهوا جهدهم العسكرى على الجبهتين الوسطى والجنوبية ، وذلك لتجنب التعقيدات الدلية ) ،

وفى الحال قدمت النرويج وكندا وكولوةبيا مشروع قراد يقفى بتكليف الجنرال « بيرنز » بقيادة القوة البوليسية التابعة للامم المتحدة وتغويضه بان يعين فورا هيئة الموظفين اللازمة لهله المهمة • وقبل الموافقة على مشروع القرار بقليل ناشد المندوب الامريكي ـ هنرى كابوت لودج ـ الدول المتحادبة وبصفة خاصة اسرائيل وفرنسا والمملكة المتحدة احترام الالتزامات التي ادتبطوا بها بموجب ميثاق الامم المتحدة ، مطالبا اياهم سميثاق الامم المتحدة ، مطالبا اياهم سميثاق الامم المتحدة ، مطالبا اياهم سميثاق الامم المتحدة ، مطالبا المحدد المتحدة التيام المحمية المعمية المعامة بشان وقف القتال •

وفى لندن كانت الحكومة البريطانية تتبع باهتمام تطور المناقشات داخل الامم المتحدة ، وفى حين كانت الاضطرابات تزداد حدة واتساعا فى كل مكان ، لقد تجمعت جماهير غفيرة ( بضعة الاف كما زعم اينن ، واربعون الفا كما جاء فى برقيات الصحف ) فى هيدان ترافاجار للتظافر ضدد الحرب واصدروا قرارا بالتصفيق يقضى بالمطالبة باستقالة رئيس الوزراء ، وهذا هو الطلب نفسه الذى تقدم به الزعيم العمال هيوجيتسكيل بعد ذلك بقليل فى حديث له بالتليفزيون البريطانى ، وقد اجتمعت وزارة الحرب مرتين فى خلال هذا اليوم ، وفى المساء الجمعت الحكومة بكامل هيئتها ،

وفي السادسة والنصف مساء وقع نبا على الوزراء البريطانيين كانه حبل النجاة - لقد قبلت اسرائيل تدخل الامم المتحدة : أن الاوامر الصحادرة لانزال

. 37

الجنود ال البر في بور سعيد هي الآن موضع التنفيد ، وفي اليوم التال سينزل رجال المظلات من الجو للفصل بين المتعاوبين الذين سيكونون قد اوقفوا القتال .

على أن اسرائيل لم توافق صراحة على وقف القتال ، فقد اجابت على السكر تبر العام المتحدة بأنها مستعدة للدخول في مفاوضات لافراد السلام مباشرة مع مصر • وكانت هذه مناورة بارعة تهدف الى الاستفادة من الموقف الذي تعانى منه مصر وهي مهددة بهجوم عباشر من جانب فرنسا وبريطانيا وذلك لجرها للمخول في مفاوضات ثنائية ترغم في خلالها الحكومة المصريه - بعد ان تعرضت لبوادر الهزيمة المسكرية - الى الاعتراف من ناحية بوجود اسرائيل ومن ناحية اخرى تتناذل لها عن أشياء مههة وبصفة خاصة عن مساحات من الارض • وقد يتر تب على الدخول في مثل هذه المفاوضات ان تصبيح عملية انزال القيوات الفرنسية البريطانية × غير ذات موضوع • واذا كان ناصر في حالة ياس سيمتبر ذلك فرصة دائمة لم يكن يعلم بها •

ولم يكن هذا هو واقع الموقف • ذلك أن قهر العدو معناه تعظيم جيشه • وإذا كانت اسرائيل قد نجعت في ارسال عدة آلاف من جنودها بعيدة داخل الاراضي المصرية فإن عدد المصريين الذين أصبحوا غير صالحين للقتال يبلغ نصو عشر الجيش المصرى، بل أقل من ذلك بكثير اذا وضعنا في تقديرنا الحرسالوطني، نم أن الحسائر في المعدات كانت جسيمة الى حد ما ، ولكن المخائزن الإنجليزية في منطقة القناة التي استول عليها ناصر كانت كافية لسكى تمنسح الجيش المصرى مباشرة آوبعة أو خمسة أضعاف المعدات التي فقدها في سيناء • وهذا رأى يخالف الرأى الذي كان سائما حيثند ، ولكن من يفكر بهدو، ولا يترق نفسه للحماسة تحت تأثير الوان الدعاية التي من شانها ارضاء الطموح السيساسي في اسرائيل بفسيها فسوف تنضح له هذه الحقائق • فيعد الحملة التي استمرت سنة أيام وعل

<sup>×</sup> من بين العوامل التي دفعت اسرائيل في هذا الطريق ، الضغط الامريكي الشديد •

الرغم من الحسائر الجسيمة التى أصابت الجيش المصرى ، فانه ظل سليما على وجه التقريب و لقد أنقد أهم جزء من سلاح الطيائ المصرى حين هربت الطائرات تبحث عن ماوى فى الخارج و أما السلاح البحوى فلم يكن له أى حساب، وبالنسبة للجيش البرى فقد رأينا موقفه و وجهلة القول أن ناصر احتفظ بجميع الكرات التى يلعب بها و ولعبته هى أن يحتفظ بجيشه أطول وقت مهكن مع القاء أقل عدد ممكن من هذه الكرات واثارة العالم باسره و لم يكن هناك أذن أمل فى أن يقع عد ممكن من هذه الكرات واثارة العالم باسره و لم يكن هناك أذن أمل فى أن يقع فى الفغ ، ولم يكن الاقتراح الاسرائيل سوى خطة غير بارعة وغير مثمرة ، ولاسيما أن الحكومة الاسرائيلية قد أغضبت حلفاءها وادبكت خطط العمليات ، وبهذا ساهمت فى أضعافها و

وبطبيعة الحال اتصل جى موليه تليفونيا ببن جوريون ، وقد تفادى هــلا الاخير حرج الموقف ، فوضع بدوره الشروط الخاصة بالموافقة التى تظاهر بانه اعطاها لقراد الامم المتحدة ، هل مصر مستعدة للدخول فى مفاوضات ؟ وهــل ستقبل وقف الحصاد الاقتصادى على اسرائيل ؟ وهــل تنــوى سحب عصابات الفدائيين الخاضعين لاشراف البلاد العربية الاخرى ؟ ومعمل القول أن هذا يعنى التسليم بدون قيد أو شرط ، و « لانقلا ماء الوجه » اعلن الوفد الاسرائيل فى الاسماليل فى الاسماليل فى العمل التحدة أنه لوحظ أن اطلاق النار قد توقف ، وهذه الحلوبة كبيرة لان سلاح الطيان الاسرائيل كان يدك فى هذه اللحظة تحصينات شرم الشيخ الدفاعية ، عبد استمرت المعارك الاخيرة هناك حتى يوم ه نوفمبر ،

وفى انتظار توضيح هذه المسألة قامت الحكومة البريطانية بدراسة مختلف تطورات الموقف ، فاذا ثبت أن اسرائيل قد وافقت على اطلاق الناد فيجب اذن اصدار أمر عكسى للعملية المقرر اتمامها فى اليوم التال حتى تتجنب السخسرية وتحدى الأمم المتحدة بالنسبه لمسألة قد تمت تسويتها ، ولذلك ارسلت الحكومة فى الساعة الثامنة والربع مساء بتوقيت جريئتش برقية الى القائد العام تطلب منه فيها تحديد الساعة التى يمكن فيها اصدار الامر بتاجيل تنفيذ العملية لفترة قدرها ٢٤ ساعة ، وقد أبلغ رؤساء هيئة اركان الحرب مضمون هذه الرسالة الى

كيتل وهى تشتمل على أدبعة أجزاء واضافة واحدة • وقد أحيط القائد العام علما الخدومة تقوم الآن ... بالاشتراك مع الزعصاء الفرنسيين وكان بينهم بينو وبورجى مينورى علاوة على الاتصالات التليفونية التى كانت تتم مع جى موليه ... فى مناقشة مسألة اصدار امر بالنسبة للعملية القرر أن تتم فى اليوم التسال ، وهى احتمال اصدار أمر عكسى نظرا لان أمر تنفيذ المملية قد صدر فعلا من قبل وستحمل د البرقية قائلة • وبرغم أن الامل كبير فى أن تسير الامور كما تشتهى فانه دبما يكون من المهم ارجاء عملية الغد للدة ٢٤ ساعة • فصا هى اقصى مهالة نستطيعون فيها تسلم مثل هذا القرار ؟ سينقل لكم الامر الذى سيصدر واضحا ، فاذا تقرر تأجيل العملية فستكون كلمة السر ء نون » × ، أكرر «نون» • أما الذا كانت العملية ستنفذ كما هو مقرر فإن كلمسة السر صتكون « مارش » •

وقد تطلبت الاضافة من كيتل أن يرسل الاجابة باسرع ما يمكن ، وقد حدد القائد العام أقصى وقت ممكن لتلقى الاوامر الساعة ٢٣ ( الحادية عشرة مساء بتوقيت جرينتش ) أى الواحدة صباحا بالتوقيت المحل ، وهى الساعة التي يكون رجال المظلات فيها في طريقهم الى المطادات ، واخذ يعدد بعد ذلك الاسباب التي تدعو الى عدم تاجيل العملية ، ولن تلعب على كل حال عده الاسسباب دورا ما بالنسبة للقراد اللى سستتخده الحكومة ، ولكن تطور حده الاسسباب التي على عاتق الجنرال كيتل هسئوليات لم يكن ينبغي أن يتحمل وزرها وصده ، وكانت النتيجة أنه اعفى من منصبه دون أن ينال المجد اللى كان يصبو اليه ،

وقد قال الجنرال كينل أن الاحوال الجوية الجيدة في الوقت الراهن قد تزداد سوءا كما أن الحالة المعنوية والجسمانية لجنود المظلات الذين ينتظر أن يمضوا ثلاثة أيام وثلاث ليال بدون نوم ، والمقاومة الصلبة التي يبديها العدو والتي ستسمتلزم بكل تأكيد القيسام بطارات جوية وبحرية أهم وأعنف مما كان مقسدرا من قبل والاحتفاظ في البحر بالقوافل السائرة نحو تحقيق مهمتها ، وأخيرا سخط الفيادة الفرنسية وحنقها ٥٠ كل ذلك من شأنه أن يزيد الموقف الحالى سوءا وخطورة ٠

None × ومعناها لاشيء •

وبعد ابداء هذه الاسباب بغرس دقائق ، وصلت الاجابة من الحكومة البريطانية : مارش ، آكرر مارش ا

لم تكن الاعتبادات التى ساقها الجنرال كيتل هى التى أثرت بثقلها على القراد الذى اتخذته الحكومة ، ولكنه الاعتقاد السائد عنسه ايدن سوهو اعتقاد كانت تنساركه فيه الحكومة الفرنسية والقيادة الفرنسية سبانه اذا ارجئت العملية ٢٤ ساعة فقسد ترجا الى مالا نهاية وتنهار جميع الخطط التى وضعها الفرنسيون والبريطانيون منذ استولى ناصر على القناة ، وتصبح فرنسا وبريطانيا موضسع سخرية العالم مع ما يترتب على ذلك من نتائج سياسية وداخلية وخارجية وخيمة .

وكان على الحكومة البريطانية اعطاء رد قبل منتصف الليل على القراد الذى السلم الميا على القراد الذى الدى السلم اليها همرشلد ( مشروع القراد المقدم من البلاد الافريقية والاسيوية الذى وافقت عليه الجمعية العامة ويدعو السكرتير العام الى العمل على وقف اطلاق الناد خلال اثنتي عشرة ساعة ) كما كان عليها ارسال رد الى الجنوال كيتلي قبل الساعة ٢٣ الى الحادية عشرة مساء ٠

ويقول ايدن « لقد فضلت الحكومة الاستمراد في العملية مع تحمل جميع المخاطر السياسية • وقد أملت هذا القرار علينا الاخبار التي وصلتنا في نهاية اجتماعنا • وإذا كانت اسرائيل قد وافقت من ناحية المبدأ على قرار وقف اطلاق النار فهي لا تزال ترفض فكرة انشاء قوة دولية • كان الغموض يحيط بكل شيء وكانت جميع الاسباب تدعونا الى الاستمرار في عملنا × » •

وبجرد اتخاذ القراد لم يفت ايدن أن يخطر أيزنهاور ببرقية موجزة : « اذا تقهقرنا الآن فان نسستطيع تجنب الفوضى • ستشتعل النساد في كل مكان في الشرق الاوسط » ثم آخذ يلقنه درسا بهذه المناسبة « يجب أن ترشدكم خبرتكم

الدان: الكتاب الذى سبق أن أشرنا اليه و ويجدر بنا أن نذكر هنا ولا سبما في هذا اللقام
 أن مخطوط مذكرات السبح أنطولى ايدان عرض قبل نشره على جي موليه وحدف منه كل
 ما يضايقه • ( المراجع )

الى أننا لا نستطيع أن نسمح بوجود فراغ عسكرى حتى يتم تقوين قوات الامم المتحدة وتنقل الى هناك • وهذا ما يدعونا الى التفكير في وجوب السيطرة على الموقف حتى الوقت الذي يمكننا فيه تسليم مسئولياتنا الى الامم المتحدة » •

ما أبعد موقف اليوم عن آمال البداية ! كانوا يتكلمون عن تسوية الحساب مع هذا « الدكتاتور » الذي نهب أموال الشركة ، ويصل بهم الامر الآن الى الالقاء بيضمة آلاف من الرجال على بور سعيد مع الوعد بأنهم لن يذهبوا الى أبعد من ذلك وأنهم سيتناذلون فورا عن مكانهم الى الامم المتحددة بمجرد أن تصبح مستعدة للاضطلاع بهذه المسئولية ، أي خلال بضعة أيام .

لقد كان ايزنهاور رجلا طيب القلب • انه لم يعتج على هذه العملية ، وفي هذه اللبلة باللات صدرت الاوامر الى الاسطول السادس باخلاء الحوض الشرقى للبحر المتوسط فورا ، وهذا يعنى أن يغترق الاسطول الامريكي طريق الحملة القرنسية البريطانية القادمة من الشمال الى الجنوب لانه سيتحرك من الشرق الى الخرب • وقد تسبب ذلك في حدوث سو، تفاهم وأرسل أميرال بريطاني وهو في ثورة القضب برقية ملاها بالسباب الى زميل أمريكي ، ولكن الواقع أن الامريكيين لم يحقدوا على رؤساء الحملة بل تقد أرسل قائد عام الاسطول السادس الاميرال براون برقية الى القرنسيين والبريطانيين ضمنها اطيب تمنيات الاسطول باسره لنجاح العملية التي يقومون بها •

وقد وقع حادثان في ذلك اليوم وهو يوم الاحد ، ففي الرابعة صباحا وفي الوقت الذي وصل فيه انطوني هيد ال قبرص كانت القوات الروسية تزحف على المجر ، وفي بداية فترة بعد الظهر كانت هذه القوات قد اصبحت سيدة الموقف، وفي بدريس اتصل مكتب وزير الدفاع الوطني بتل أبيب للسؤال عن حالة الطقس ثم اتصل مباشرة بالاميرال بارجو قائلا : « نفلوا الحطة أوميليت الا اذا تعلد ذلك وعليكم وحدكم يقع عبه تقدير الوقف » وهذا معناه تجاهل أن الخطة أوميليت هي خطة دفاعية معضة ، وهي لا تفترض وقوع أية معركة جادة ، وجدير بالذكر أن

هذه الخطة كانت قد استبعدت منذ يومين • وكانت الاوامر الصادرة بشأن تنفيذ العملية « تيليسكوب » قد تم توزيعها في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم وأن القوات كانت على ظهر السفن وكانت السفن على استعداد للرحيل •

وهناك شيء صغير يجب الا ننساه، وهو إنهاذا كان ايزنهاور قد أغمض عينيه وترك هذه العملية تتم بعد أن وافق على سحب الاسطول السادس فقد تم ذلك على أساس الالتزامات التي تعهد بها ايدن في برقيته الاخيرة : بور سعيد فقط الي وقف اطلاق النار بعد الاستيلاء عليها ثم الاختفاء بمجرد وصول قوات الامم المتحدة الى هناك ،

وهنا نرى أن التسامح واضح ومحدد ، ومحدود المدى •

# الفضل *كخامِش عشرٌ* جلد الدب

بدا يوم ه توفمبر بأن بادر مائة ألف رجل بتاخير سساعاتهم في وقت واحد بمقدار ساعتين من الزمن • لقسد تركوا السساعة الزمنية المعلية وهي ساعة ناصر • تلك الساعة التي تسميها هيئات اركان الحرب الساعة ( ب ) والتي كانت حتى هذه اللحظة تنظم حياتهم الشرقية • وكان التوقيت الجديد يعني أن يصبح الظهر في الساعة الرابعة عشرة ( الثانية بصد الظهر ) • انهم يعرفون التوقيت الجديد حيدا فهي ساعة خط جرينتش التي تحكم بريطانيا والتي يسمونها في ريفنا الفرنسي الجنوبي « الساعة القديمة » ( وقد احتفظت فرنسا منذ الحرب « بالساعة الصيفية » حتى في فصل الشناء ) • أما بالنسبة لهيئات اركان الحرب فهذه الساعة هي التي تنظم جميع خطفهم انها الساعة « ي » × •

« مارش ، اكرر مارش » لقد وردت البرقية بوضوح كما تم الاتفاق عليه • لم يكن هناك فائلت من اخفاء الامر ، فقد كان العالم باسره يعسرفه • وكان قسد أصبح من الضرورى في الايام السابقة اصسدار الاندارات اللازمة لتحريم المرور المبحرى والجوى • وقد ترتب على ذلك احتجاج مباشر من موسكو وجه الى لندن وباريس بسبب انشاء مناطق محرمة على الملاحة في البحر المتوسط وفي البحر الاحمر • كما نتج عنه سكوت واشنطن على مضض ( وقد اصدرت أوامرها الى الاسطول السادس بالجلاء عن الحوض الشرقي للبحر المتوسط ) •

بـ سَتَحَمَّقَل مِنَا بِالسَّامَاتِ و ب ء أي السَّامَتِ الْفَيْقِيَّةِ التِّي دارت فيها الاحداث مع الإشارة
 إلى المساعات دوي » وهي السّامات المتودة »

ولما تحقق الامر بالهجوم تجمع رجال المقالات بن كانوا قد تجمعوا قبل صدور هذا الامر بقليل ـ وتليت عليهم بيانات القادة العامين • ثم صعدوا الى سيادات النقل التي اقلتهم الى المطادات ، وفي نحو الساعة الرابعة صباحا اى الثانية بتوقيت « ى » أى جريئتش حلقت الطائرات متجهة الى الجنوب •

وفى السابعة والربع - الخامسة والربع « ى » - تم القاء ستمائة من رجال المتلات البريطانيين التابعين للواء السادس عشر الستقل ( اى الكتيبة الثالثة كلها والقيادة العامة التكتيكية لهذا اللواء وعلى داسها الجنرال بتلر ) وذلك في منطقة الجميل على مسافة عشرة كيلو مترات غربي مدينة بود سعيد • وقد استقبل البريطانيون بنيان جهنم • ان المدافع المضادة تصدت للطائرات بمجرد ظهورها ووجهت اليها نيرانا عنيفة ، فاصيب تسع منها ، ولكنها استطاعت المودة الى قواعدها وكانت قلائف المدافع الرشاشة تنهال على دچال المظلات المدين القوا على الرض تزخر بالمقبات التي تتالف من براميل بترول قديمة مليئة بالرمال •

الما من ناحية الشرق ، فقد قامت طائرات السلاح الجوى البحرى الفرنسى من قواعدها فى حاملات الطائرات لتضرب كل شىء تبدو منه اية حركة ، كصا دمرت جميع الاهداف الظاهرة فى النطقة التى عينت لنزول الفرنسيين ، وفى الساعة السابعة والنصف - الخامسة والنصف « ى » - انزل من الجو ٤٣٧ رجلا بقيادة الكولونيل « شاتو جوبي » ( أى السريتان الاولى والرابعة من اللواء الثانى لقوات المظلات المؤلفة من جنود الستعمرات ونحو ١٠٠ جندى من السرية ١٠ ما صاعقة وسرية الاتصال الانجليزية بقيادة الملازم كللى ) على شريط رمل جنوبي بود سعيد بعد أحواض التطهير التابعة لشركة المياه ، وكانت الارض الطينية الرملية صاحة ، ولا سيما أن فجواتها كانت تشكل مخابىء طبيعيسة ، وكانت الرياح خفيفة والسماء صافية ، وكان هذا من حسن حظ رجال المظلات ، لانه تم الرياح خفيفة والسماء صافية ، وكان هذا من حسن حظ رجال المظلات ، لانه تم يكن من السهل المقاء نعو في مسائة من رجال المظلات من ارتفاع منخفض في مثلث يبلغ طول ضلعه نحو اربعمائة متر ، لقد القيت المدات اولا تم القيت قنابل تطلق حولها سحبا من الدخان ،

وحينما أطلق الرجال فتحت عليهم نيران المدافع الرشاشة ، واا نزلوا على الارض أخذ رجال المظلات ينزعون مظلاتهم وينظفون أوامر رؤسائهم وينظمون صفوفهم للزحف من حفرة الى أخرى في ثلاثة اتجاهات : السرية الاولى غربا في اتجاه كوبرى يزن نعو ٧٠ طنا ( وهنا يوجد طريق وخيط سكة حديد ) وهو الهدف الاساسي من هذا الهجوم، والسرية الرابعة شرقا ناحية المعدية، اما الرجال المائة التابعون للسرية ١١ صاعقة فكانوا يتجهون في الوسط بينهما ، نحو وابود المائة التابعون للسرية المرافقة هبطت جنوبي منطقة النزول في حين عسكرت السرية الانجليزية في نقطة آكثر جنوبا من سابقتها ، اى أفعى نقطة متقدمة على الأشاة فقاة الداد الفرنسيون الزحف على الاسماعيلية ، كان عليهم أن يمروا فوق جثث رجال مظلات صاحبة الجلالة البريطانية ( كما كان يوجد ضباط اتصال بريطانيون يعادربون مع السريات التي تشن هجماتها شمالي الارض التي نزلت فيها القوات الفرنسية ) ،

وكان الهدف الاول هو الجسر الواقع على بعد كيلو عتر واحد من المنطقة التى استطاع رجال المظلات أن يتجمعوا فيها ، وكان الكولونيل « انجلز » يقود رجاله من حفرة الى أخرى اتجاه هذا الجسر ٠

وقد تحصن العدو أمام هذا الجسر الذي كانت تعيط به مالا يقل عن ١٣ قطعة مدفعية مصرية علاوة على المدافع الصغيرة والمدافع الرشاشة ، ويبدو أن سد التبران كان منيما بعيث لا يمكن عبوره ، بل كان كذلك بالفعل ، فتوقف الزحف، ووجه نداء الى سلاح الطيران الذي ارسل طائراته لتنقض على بعد منات من الامتار امام رجال المقالات وتسعق الاسلعة التي تدافع عن الجسر بما القته من صوارية وقنايل ،

وقد انبطح المدافعون المصريون ارضا تعت هذا الوابل من الحديد والنار المنصب على وؤوسهم • وبعد مرور الطائرة الاخرة اتصل مركز القيادة الموجود في طائرة الجنرال « جيل » نفسه برجال المظلات ، فاندفعت قوة من السرية الاولى وعلى راسها الكولونيل انجلز الهاجمة الجسر ، وقد فوجى، العلو من جراة الهجوم ولم يكن لديه الوقت الكافى لنسف الجسر الذى سقط سليما فى ايدى السرية الا الاولى ، وفى هذه الاثناء كان بالتى افراد السرية بالاضافة الى جنود السرية الا قد تسللوا الى حديقة وابور المياه واستولوا عليها شجرة بعد شجرة ، ثم استولوا على « الوابور » نفسه سليما حتى أنه استمر يعمل تحت اشراف بعض المدنيين المصريين ، ومن جهة الممين ، تقدمت السرية الرابعة حتى المعدية فوجسدت ان العدو قد نسغها وقت وصولها اليها فى الساعة الثامنة والنصف ،

وبعد الاستيلاء على الجسر في التاسعة صباحا والسيطرة على « وابور » المياه بعد ذلك بقليل وجد رجال المظلات أن الفرورة تقفى بتطهير الارض التي استولوا عليها وتنظيم صفوفهم • وفي نحو الساعة الحادية عشرة أقام الكولونيل شاتو مركز قيادته في فيلا مدير الوابور ـ الذي كان يقفى اجازة في فرنسا ـ وطلب تعزيز الجناح الشرقي لقواته باسرع وقت يمن، وذلك بانزال رجال مظلات آخرين في بداية فترة بعد الظهر على بود فؤاد •

وقد حدث إيضا أن استطاع رجال المقلات في الساعة الحادية عشرة السيطرة على أرض الجميل التي نزلوا عليها ، ولكن كان لا يزال يفسلهم عن بور سعيد عشرة كيلو مترات يجب الاستيلاء عليها شبرا شبرا ، وفي الساعة الثانية عشرة الا الربع تلقى الجنرال بوفر وهو على ظهس المدوة « جوسستاف ذيديه » طلب التعزيز من شاتو جويع ، وأكد في الفلهر الامر الذي أصدره بانزال جنود المفلات القريبة على بور فؤاد في فترة بعد الفلهر في حين قرر تعزيز حملة رجال المفلات القريبة من قناة التوصيلة ، وذلك بارسال حملة جديدة من الفرقة الثانية لم كز القيادة، وقد اعترض الجنرال « ستوكويل » الوجود على ظهسر الطرادة « تين » على الامر ودفس انزال جنود مفظلات اضافيين الى رجال شاتو جويد ،

وفي الظهر لم يصدق البريطانيون الذين عسكروا على ارض الجميل أعينهم حيثها شاهدوا طائرة « داكوتا » فرنسية تحلق في الجو ثم تنزل على الرض المطار وكان يستقلها ــ علاوة على طاقمها ــ الكولونيل « بيك دى فوكبير » احد معاونى الاميرال بارجو ٠ وقد عسادت الطائرة حاملة معهــا بعض الجرحى البريطانيسين فاصدت القيادة الانجليزية فودا أمرا رسميا بحظر نزول الطائرات في الجميل ٠

وفي حين كان مركز القيادة الطائر للجنرال جيل يعود أدراجه الى قبرص ، بدأ الكولونيل شاتو جوبير يلعب بجهاز التليفون الذي كان معه .

وكان البريطانيون من جانبهم مشسقولين بالهجوم على معسسكر للبوليس البحرى وقد اضطروا الى توجيب نداء الى الطيران البحرى والسسلاح الجوى للاسعطول الساعدتهم فى الاستيلاء على هذا المبنى ، فتدخلت فى الحال طائرات من طراز « ويفرن » و « سى هوك » • وهكساء استطاع المهاجمون الاستيلاء على الكتات حرس السواحل ، ولكن كان هناك خطر آخر يهدد جنود المقلات ، هو المداعم المحمولة على سيارات س ـ ي ١٠٠ وكان المعريون قد اخفوها عند شاطى، بور سعيد لاستخدامها كقطع مدفعية ضد المغزو البحرى الذي كانوا ينتظرونه ، وقد اخرجوها من مخابئها ووجهوها ضد المغيرين القادمين من الجميل .

وكان شاتو جوير قد نجع في خلال ذلك في الاتصال بالسلطات المصرية ، وتناقش معها في مسالة عقد عدنة ، وقد اخذ شاتو جوير داي رئيسه الذي عين له بالنسبة للعمليات الاولى وهو الجنرال الانجليزي بتل الذي أحيط علما بما حدث عن طريق ضباط اتصاله ( لم يصبح شاتو جوير وفوسي فرانسوا تحت قيادة ماسو ، الا بعد وصول هيئة أركان حرب المرقة الماشرة أي بعث نزول القوات القادمة عن طريق البحر ) وقد وصل بتلر في الساعة الرابعة والنصف – أي الثانية والنصف مساء « ي » – الى مركز قيادة وابور المياه وفهم اهمية الحصول على المدنة على وجه السرعة لان هذا سيحرر القوات المتحالفة ويسمح لها بالرحف على طول القناة وقد راى أن من واجبه صياغة شروط التسليم بعماونة شاتو جوير والصحفي الفرنسي شادل فافريل الذي سبق الا اطلع في كوديا على نصوص جوير والصحفي الفرنسي شادل فافريل الذي سبق الا اطلع في كوديا على نصوص

الموجود على ظهر الطرادة « تين » وقد احاط شاتو جوبير من جانبه الجنرال بوفر الموجود على ظهر المدمرة جوستاف زيديه ، بجميع ما حدث • وكان ستوكويل وبوفر يهنئان بعضهما بعضا وكل منهما على ظهر سفينته ، فقد لاح النصر وأخلاً - كل من جانبه - يصوغان شروط التسليم •

وكان من الطبيعى أن يبلغ ستوكويل النبأ الى رئيسه فى قبرص الجنرال كيتلى ، فى حين قام بوفر بابلاغ مجريات الحوادث الى الاميرال بارجو • وقد فسرت الانباء فى مركز القيادة فى قبرص بأنها تسليم رسمى ، بغاصـة أن بتلر كان يتكلم فى تقريره عن اجراءات احتياطية تتغذ لوقف اطلاق النار • وقد نقلت قبرص الى لندن وباريس أنباء النصر ، فاستغدم ايدن فى الحال هذه الانباء لاظهار تفوقه فى هذه النقطة بالذات على خصومه ، لان ايدن كان يواجه رايا عاما متصلبا ضده بشكل متزايد ويواجه أيضا مجلس العموم الذى بدأ يزداد عنفا وعداء ،

وقد كان هذا خطأ فاحسا ، وظهر ذلك بوضوح فيما بعد لرئيس الوزداء • كان خطأ فاحسا لان اينن حينما باع جلد اللب قبل صيده آخذ يتعجل الاحداث وكان ابدن حسن النية حينما اعلن أمام مجلس العموم نبأ تسليم بور سعيد وكان يمتقد أنه قد ضمن النصر •

ولكن النصر كان بعيدا عنه ، لان رجال المظالات الانجليز توقفوا غربى المدينة ، وكان رجال المظالات الفرنسيون التابعون لشاتو جوبير معصورين في نصف دائرة حول « وابود المياه » ، وكانوا لا يطمعون في أكثر من المحافظة على المراكز التي استولوا عليها لانه ثم تكن لديهم المعدات الكافية لمواجهة الدبابات المصرية والمدافع عياد س عي - ١٠٥ ، ولم يغير الموقف كثيرا هبوط افواج جديدة من جنود المظالات في الساعة الثالثة والربع مساء ـ الواحلة والربع « ي » جنوبي بود فؤاد ـ وكانت هذه القوة التي تتالف من ٥٠٦ ، وجال بقيدادة الكولونيل « فوسي فرانسوا » هي باقي الكتيبة الثانية مظلات أي السريتين الثانية والثالثة والسرية الاول كوماندوز والسرية المساعدة ، وقد قفز فوسي فرانسوا على داس

قوته (قفز من الباب الآخر في الوقت نفسه مصور كلة بارى ماتش ، دانييل كامو) وزخلت السرية الثالثة يسارا ، أى إلى الشمال الفربي حتى مركز المعدية ، واتجهت السرية الثانية يمينا نحب مسمسكر قوات البوليس البحرى ، وزحفت السرية المؤلفة من قوات الكوماندوز بين السريتين، واصطدمت بمقاومة عنيفة امام مسكر الفائيين ، واتجهت السرية المساعدة جنوبا ، حين رابطت هيئة اركان الحرب شرقا بجوار الملاحات ،

وبعد نصف ساعة من ذلك انزلت مجموعة آخرى من رجال المقلات الانجليز على الجميل فى الساعة الرابعة الا الربع ــ أى الثانية الا الربع بتوقيت جرينتش ــ وكانت هذه القوة تتالف من مائة رجل من الكتيبة الثالثة التابعة للواء السادس عشر ، وكانت مستقلة وتعمل معها مزيدا من السيارات ومن المهمات والمسدات الثقيلة ،

وفى هذه الالناء تقابلت فى عرض البحر القافلتان البريطانية والفرنسية اللتسان كان مقررا أن تنزلا دجالهما فى اليوم التسال على شساطى، بود سسميد وبود فؤاد ، وكان ذلك حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وبعد أن تبادلتا التحية سارتا معا نحو الجنوب ،

وفى عرض البحر ايضا وعلى مسافة الرب من السواحل المعرية كان الجنرال ستوكويل منهمكا على ظهر العارادة «تين» في صياغةشروط التسليم التي سيارضها على القيادة المصرية المنهزمة ، وكان يصر على أن يكون هسادا التسليم متفقا مع القواعد النظامية ، وخاضما جُميع اجراءات البروتوكول •

#### وأملى ستوكويل شروطه وهي :

يجب أن تلقى القوات المصرية سلاحها بالكيفية الآتية : تتجه القوات الموجودة شمالا من الحمل اللي يمتد من « وابور » الفاز الى حوض شريف على الطريق الفربي نحو مطار الجميل بان يتقدم المساة تتبعهم السيارات

ثم الدبابات • وتفى السيارات انوارها وتدير الدبابات مدافعها الى الخلف وترفع علما ابيض • أما القوات المعرية الوجودة جنوبى الخط المسار الله فتخرج الى الطريق الجنوبى نعو الجسر غربى الحوض الداخلى متبعة النظام السابق نفسه •

- قوات بور فؤاد تتجه بهذا النظام نفسه نحو الملاحات •
- حينها تبلغ القوات المعرية المناطق الثلاث الشاد اليها المطاد والجسر والملاحات تلقى سلاحها وتبقى فى تشكيلاتها وتغضع لاوامر الفساط البريطانيين والفرنسيين ، وتصدد الاوامر الى هذه القوات عن طريق الضباط المعريين ،
- .. يفرض حظر التجول على بور سعيد وبور فؤاد ويظل هذا الحظر نافيد المفعول لحين صدور اوامر جديدة • ويظل الاهال داخل مساكنهم وكل من يغرج منهم يكون عرضة للقتل • وتقدم الشرطة مساعدتها للقوات العسكرية للمحافظة على حظر التجول وتعمل وفقا للاوامر التي تصدر اليها من القيادة العسكرية الفرنسية البريطانية •
  - يحظر القيام باعمال التخريب في منطقة قناة السويس
    - ـ تلقى جميع الإسلحة •
- تقدم جميع المعلومات عن الإماكن التي تعوى الغاما على الشباطئ، وعلى
   أرضفة الوائي ومداخلها ٠٠٠

وقد سلمت هذه الشروط ال الجنرال بتلر في المساعة الخامسة والنصف مساء ، وسلمها هذا الاخير بعد قليل الى اللواء المصرى الموجى الذي استولت عليه الدهشة ، لقد حضر في سيارته الكاديلاك للاتفاق على هدنة محلية بقصد تجنيب السكان الدنين اخطار الحرب، هدنة تهمج له بان يقول أنه دافع عن نفسه وانه

فى الوقت نفسه ينطوى على شعور انسانى ولكنه لم يسلم المدينة بدون معركة ان ما كان يريده اجمالا هي توقيع اتفاق معلى يسمح له بان يعلن « بور سعيد
مدينة مفتوحة » أى عقد اتفاق واقعى يحقق به كل من الطرفين أهداف اخرب باقل
خسائر ممكنة لكل منهما : هل تريدون الرور ؟ مروا ! هل تريدون القنساة ؟
خدوما ، انها مسدودة وليغرقكم فيها الله !

وجد اللواء الموجى نفسه اذن أمام طلب تسليم رسمى ومهين من أناس هدفهم يتعدى الرسميات والتقاليد العسكرية ، أناس كل ما يهمهم في التسليم الرسمى ليس الشكل الرسمي بل أنهاء المعركة .

واعلن الوجى انه يجب عليه ان يستشير القاهرة ، فاعطيت له مهلة توقف فيها المارك مؤقتا ، وتنتهى هذه الهلة فى الساعة التاسعة مساء ــ توقيت « ى » اى جريئتش ــ وقد نجح فى مدها حتى الساعة التاسعة والنصف سساء ــ توقيت « ى » ــ ولكنه لم يخف عن مفاوضيه وهو يفادرهم انه سيكون من الصعب عليه الحصول على موافقة القاهرة ، بل انه لا يريد القول بأن ذلك قد يكون مستحيلا ،

# استراتيجية الصعراء:

كان هناك أمل ضغيل في الواقع في أن توافق القاهرة على التسليم لان ناصر يعلم الى اين يتجه ، ويعلم أن مفاوضات الوجي تدخل ضمن خطة من شانها تاخير المعلم اللحق الكبيرة الوقت الكافي للتظاهر بل للتدخل أيضسا اذا دعت الحاجة الى ذلك • لقد سحب ناصر معظم قواته من بور سعيد وبور فؤاد ، وهي القوات التي عادت منذ يومين من سيئا، وحشدها حول القاهرة • كان ناصر يعتقد حقا أن المدو سينزل جنودا في الإسكندرية ، ولقد أوضحت تصريحات ايدن الاخيرة بشان بور سعيد والاحتماعيلية والسويس ان الاستيلاء على القناة يعتبر ايضا من أهداف الحلفاء • ومن الشائعات التي كانت تسمود التوائر الفرنسية البريطانية ـ الدوائر التي كانت تسمود التوائر الفرنسية البريطانية ـ الدوائر الفرنسة المربطانية ـ الناصر كان يستعد

للهرب مساء يوم ٥ نوفمبر ٠ وهنا إيضايجد داء الكلب العوامل الكافية لتبريره ، لانه اذا كانت قد مرت لحظات من اللحر في القاهرة فقد حدث ذلك فجر يوم ٤ نوفمبر ، إلى قبل ذلك بيوم ونصف يوم ، في الوقت الذي تبين للجميع فيه أن المكومة الامريكية قد وافقت على السماح بانزال جنود متحالفة في مصر عن طريق البحر ، وقد اتضع هذا بصفة خاصة حينما وافقت على انستحاب الاسطول السادس من شرق البحر المتوسط بدون أي اعتراض ، وذلك لاخلاء المكان للقوافل البريطانية والفرنسية التي تحوم بحراستها ، ولي فعر هذا اليوم تجمعت أسر الدبلوماسيين السوفييت العاملين في القاهرة في سبع سيارات كبيرة تنقل الركاب واتجهت ألى جنوبي مصر ٠ وفي هذا اليوم نفسه استدى ناصر السفير الامريكي ديموند هير وعاتبه بشدة على موقف حكومته وقال له حرفيا « هل تعتقدون انني ساسقط لانكم تخليتم عني ؟ انكم مخطئون ونني ساحارب وساحارب امام القاهرة ستأينجراد جديدة » ٠

ومع ذلك فقد غير ناصر موقفه في فترة بعد الظهر من يوم ٥ توفعبر ، اذ أنه بعد أن كان قد قرر في الايام السابقة أن يحشد جميع وسائل الدفاع التي يملكها أمام القاهرة والا يدافع عن بود سعيد الا بمعركة تهدف الى تأخير العدو ، فقد أصدر أمره بالقتال في شوارع بود سعيد نفسها ٠

13tl ?

لان الموقف أصبح يسمح له بذلك ، فمن ناحية لم تكن القوات التي أنزلت في ذلك اليوم على المدينة لديها الوسائل الكلزمة لمهاجمة الدبابات والمدافع المصرية ومن ناحية أخرى خرج الاتعاد السوفييتي من تحفظه ، ولقد ظلت في الواقع الملمة السوفييتية في الامم المتحدة تسبر حتى ذلك الوقت بمنتهى الحلام مؤيدة الاعمال الامريكية دون المخاطرة بكشف اوراقها ، وفجاة تحرك الاتحاد السوفييتي، لقد حدثت بعض الامور وراء الستار ادت الى اعادة تقييم القرارات والمواقف ، واثبتت أن هناك تحولا في مجرى الامور ، ولكن كل هذا حدث خلف الكواليس ،

## معركة الكواليس:

لم يكن التفاضى الذى ابدته الولايات المتحدة تجاه الخملة الفرنسية البريطانية قد تم من أجل سواد عينى اينن • فالواقع أن الزعماء الامريكيين كانوا يكرهونه من أعماق قلوبهم ، كما كانت وزارة الخارجية الامريكية تكرهه دون مواربة • وقد ظلت وزارة الخارجية الامريكية وبدول ثابتين في معارضتهم لحملة السويس ، وذلك بعكس الدوائر العسكرية الامريكية • ويبدو أن هؤلاء العسكريين المريكيين قد وقعوا تحت تأثير الدوائر العسكرية الفرنسية وزملائهم البريطانيين الدين هددوا بأن تصدح روابط التحالف بينهم سيترك فراغا واسعا في شبكة الراداد التي انشاعا الامريكيون في أوروبا ، وهي الشبكة التي كانت وقتئد رقد تفيت الامور منذ هذا الوقت ) لا غنى عنها مطلقا لمراقبة التحركات الهجومية المحتملة من جانب الجيش السوفييتي •

واذا كان التهديد الذي وجهوه الفرنسيون والبريطانيون للامريكين قد نجع حزئيا فان التهديد الذي وجهوه للسوفييت اثبتانهم يتصرفون بعقلية العصافي، فقد فسروا سياسة التراخى التي يتبعها خروشوف بأنها ضعف وتفطية للصراع الداخلى على السلطة الذي قد ينفجر بمجرد القيام بدلامة جسدية وان ما قام به الجيش السوفييتي يوم ٤ نوفمبر باعادة الاستيلاء على المجر قد تم بشيءين التباهى والمفلاة في اظهار القوة، فقد هاجم المجر ٤٠٥ الف جندي روسي وكان هذا الهجوم بمثابة الذار لمنظمة حلف شسمال الاطلنطى اكثر منه عمليسة موجهة ضد المجر نفسها ه

وكان أمام السوفييت تحالف منقسم على نفسه انقساما عميقا وينعى مع ذلك أنه يتكلم بصوت مرتفع ، وكان يكفى أن يرفع السوفييت صوتهم فوق صوت حلفاء الاطلقطى والقيام اذا لزم الامر ببعض المظاهرات ــ وكانت المجر اليائسة أول مظاهرة من هذا النوع ــ لافراغ الانتفاح الاطلقطى الزائف !

وقد دفع ناصر مرتب شهر مقدما لجميع عمال وموظفى بور سعيد وبور فؤاد وسيجعلهم هذا مستعدين لحرب العصابات وكان يعلم أنه أذا قاتل وطلب المساعدة في الوقت نفسه فمن المعتمل أن يكون لندائه صدى و وبادر حينئذ الى تنظيم قواته في القاهرة لتقوم بحرب عصابات طويلة الامد ، واغلق قناة السويس وجعلها غير صالحة للملاحة لمنة طويلة ، ونسف أنابيب شركة البترول المراقية التى تخترق سوريا ولبنان وعظلها عدة اسابيع ، وفي اليوم الذي نسفت فيه هذه الانابيب وقعت بريطانيا العظمى وفرنسا تحت رحمة أصحاب شركات البترول الامريكين فيما يتعلق باستمراد حرب كانوا هم يعارضونها على طول الخط ، نظرا لقلة الكميات المغزونة من البترول في فرنسا وبريطانيا ، وأخيرا فان ناصر كان يعد أن من مصلحته أن تستمر المعارك لكي يمكن الارة الانم التحدة ، ومن هنا صدرت الاوامر الى رجال بور سعيد بالاستمراد في القاومة باي ثمن ،

ومناك عامل آخر ساعد عصر، ونعنيه المضادبات الشديدة التي وجهت ضدا الجنبيه الاسترليني في سوق نيويورك وقد قال راندولف تشرشل أن الاسترليني عرض في هذه السوق عل شكل كتل قيمة كل منها خيسة ملايين من الدولارات وكان بنك انجلترا يسرع الى شرائها بمبالغ من المال تبلغ قيمة كل منها مليونا من الدولارات من الدولارات وبهذه اللمبة الصغيرة كان ينبغي – في اليوم التالى – توفير ٢٠٠ من الدولاد لمنع انهياد اللغة البريطاني و ولم يكن هذا الافراط في البيع صادرا من الجماهير بصفة عامة ، فمثلا في يلايس صعد الجنبيه الاسترليني في السوق من الجماهير بصفة عامة ، فمثلا في يلايس صعد الجنبيه الاسترليني في السوق المفاديين البادعين هم الذين الكاروا في بيع المساويين المساويين المالين الوعزوا اليهم بذلك ، الجنبيهات الاسترلينية ، وقد يكون السوفييت هم الذين اوعزوا اليهم بذلك ، وبالإضافة الى أن هذه الوسائل لم تكن لها اهمية كبيرة فان بنك الفيدرال ديزرف وبالإضافة الى أن هذه الوسائل لم تكن لها اهمية كبيرة فان بنك الفيدرال ديزرف ( أي بنك الاحتياطي الفيدرالي الدولة انقاذ الفطاء المصوفي الذي كان يعتطي حليفه البريطاني لتدفئه نفسه ، وكانت لندن يصودها الذهول ، ليس فقط لان البنك الفيدرالي الامريكي لم يغمل شيئا لانقاذ الجنبه الاسترليني ولكن فقط لان البنك الفيدرالي الامريكي لم يغمل شيئا لانقاذ الجنبة الاسترليني ولكن

لائه تبين أن الحكومة الامريكية قد صمعت للبنك الفيدال ببيع ما يريد بيعه من جنيهات استرلينية ، أى أنها سمعت له بكل وضوح بالاشتراك في موجة المضاربة التي ستؤدى الى انهيار الجنيه الاسترليني • والاسوا من ذلك أن الحكومة الامريكية اثارت بعض الصعوبات حينما أدادت بريطانيا المظمى سعب جرء من ودائمها ـ وهو المال الذي دفعته وتمتلكه ـ في صندوق النقد الدولي •

# الأمم المتعدة غاضبة:

لم يكن الجو أحسن حالا أذ ذاك في الامم المتحدة ، وتأكد لدى الوفود 
انه برغم عشرات قرادات الادانة التي صدرت بأغلبية ساحقةضد بريطانيا وفرنسا 
فانهما نفذتا كل ما كانتا تريدان القيام به دون أية مبالاة « بمبادى، الامم المتعدة » 
المشهورة التي تعظال بها الامم الاخرى والتي تضربان بها عرض الحائط حينها 
يتعلق الامر بمصالحها الحاصة •

وفى صباح يوم ٥ نوفمبر قررت الجمعية العامة للائم المتعمد باغلبية ٥٧ صوتا وامتناع ١٩ من بينها الاتحاد السوفييتس ــ انشاء قوة للامم المتحدة وتكليف السكرتير العام بسؤال بريطانيا وفرنسا ١٤١ كانتــا تعترفان بان قرار الجمعية العامة بانشاء قيادة عسكرية للامم المتحدة يحقق الشرط اللدى وضمتاه لوقف اطلاق النار، وجاء في ترسالة همرشوك الى الحكومتين البريطانية والفرنسية ان مصر وافقت يوم ٤ نوفمبر على وقف اطلاق النار بنون ابناء أى شرط وأن الحكومة الاسرائيلية ابلفت بعورها آنها مستعمة للموافقة على شرط أن تفي الحكومة المصرية قد ابلفت في هذا المصرية قد ابلفت في هذا الميم المتحدة واليم موافقتها على تكوين قوة دولية وفقا للشروط التي حددتها الامم المتحدة و

وبناء على طلب جى موليه ارسلت الحكومة الاسرائيلية بعد ارسال موافقتها على الهدنة مجموعة اسئلة تشتمل على خمس نقاط : هل هناك موافقة صريعة لا غموض فيها من جانب مصر على وقف اطلاق النار ؟ هل ما زالت مصر متمسكة بووقفها الذى تعتبر نفسها بهوجبه فى حالة حرب مع اسرائيل ؟ هل مصر مستعدة للتى للدخول فى مفاوضات مع اسرائيل ؟ هل تقبل مصر وقف المقاطعة الاقتصادية التى تفرضها على اسرائيسل ؟ هل تنوى استتدعاء عصابات الفدائيين التابعين لها والموجودين فى بلاد عربية آخرى ؟ ولكن هذه الاسئلة لم يترتب عليها اللهاء الموافقة على الهدنة التى سبق أن أعلنتها اسرائيل وستجددها فى ذلك الساء نفسه بدون أى فيد ، بعد أن تسلمت رسالة بو بجانن .

وقد حدث فجاة تعول مسرحى اذ طلب شيبيلوف وزير الخارجية السوفييتى في رسالة له موجهة الى رئيس مجلس الامن موافقة المجلس على مشروع قراد يدعو حكومات بريطانيا العقامي وفرنسا واسرائيل الى وقف العمليات المسكرية في مصر في خلال مهلة قدرها اثنتا عشرة ساعة تل قراد الموافقة ، والا فان الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة تقومان بعمل مشترك ضد هده الدول ، وتعتبر هده المهلة هامة لانه اذا تمسك الاتحاد السوفييتي بما اعلنه فهمني ذلك أنه سيقوم بهذا العمل سواء بالاشتراك مع الولايات المتحدة او بدونها لتطبيق سياسة وافقت عليها الام المتحدة موافقة شبه اجماعية ، وذلك بناء على طلب الولايات المتحددة لفسها ، وأنه سيقوم بهذا العمل في خلال اثنتي عشرة ساعة ، وبالنسبة للولايات المتحدة الامريكية فانعدم القيام بعمل ما ئيس معناه فقط أن تهدم بيديها سياستها المتسمة بالعطف نحو العرب ، بل انها ستضع نفسها موضع السخرية × في نظر الاسترة برتها معها في مقامرة ضد بريطانيا العظمي وفرنسا ،

ومعنى ذلك أنه فى نهاية هذه المهلة لن يقوم الاتحاد السوفييتى بالتدخل فقط باسم شبه اجماع الامم المتحدة ، ولكن اذا تعرضت له الولايات المتحدة فى هذا الوقت فعناه أن هذه الاخيرة تعمل ضد سياستها الخاصة التى تدافع عنها منذ ثلاثة شهود مضت وبصفة خاصة فى خلال الإيام الاخيرة .

اى انها تفقد فى الوقت نفسه مكانتها وقوة تاثيرها .

ومن بين الاسمباب التى دعت السموفييت الى تعديد مهلة معينة هو أن الفرنسيين والبريطانيين أسرعوا فى صباح ٥ نوفمبر الى ادسال ردهم على الحقاب الصادم الذى بعث به اليهم السكرتير العام للامم المتحدة ٠ وكان هذا الرد بادعا لانه ادى الى ارجاء تسوية المشكلة الى فترة لاحقة ، لانه تضمن اقتراحا بعقد مجلس الامن على مستوى الوزراء لمناقشة هذا الموضوع ٠

ولكن زمن الحيل البارعة كان قد انتهى كما سنرى في الساعات القادمة!

# الحرب السيكولوجية :

وبرغم كل ذلك كانوا في باريس لا يزالون يعيشسون في الخيسال • انهم يناقشون فيما بينهم مسألة احتلال مصر ويعربون عنقلقهم لقشل الحرب النفسية • فلقد انتهت حملة المنشورات التي آلقيت على القاهرة وعلى أهم المن المصرية بفشل ذريع ، ثم عهد الى معطة اذاعة قبرص بمواصلة الحملة في حين قلفت معطة اذاعة المقاهرة بالقنابل • واخل راديو دهشق يلايع على موجاته برامج الأذاعة المصرية الجريعة ، وبدا الملايعون العرب في قبرص يهجرون عملهم لينضموا الى العصابات القبرصية التي تعارب البريطانيين والتابعة لمنظمة ايوكا السرية • وعلى كل فقد كانت القيادة المفرسية تنظر بعلم الارتياح الى ادادة هذه المحتلة و تتهمها بأنها واقعة تحت سيطرة عناصر عمالية وبالتالى بأنها غير متحوسة للتدخل ضد مصر • والمنافيين الفرنسيون من جانبهم غير قادرين تقريبا على البجاد موظفين عرب فيما عدا وكان الفرنسيون من جانبهم غير قادرين تقريبا على البجاد موظفين عرب فيما عدا النقص في الملايمين فقط ، فالقوات الفرنسية التي يزيد عددها على أدبعين الف ورحل لم يكن بينها خبير واحد في الشئون العربية • واخيرا أرسل الى قبرص خبير رجل لم يكن بينها خبير واحد في الشئون العربية • واخيرا أرسل الى قبرص خبير في الشدون العربية • واخيرا أرسل الى قبرص خبير وللك قررت باريس في هذا اليوم ارسال مفوض بسلطات كاملة في مسسالة في مسسالة

الدعاية الى قبرص هو النائب موريس شومان الذى أعيسه تجنيده طوال فترة عمليات الشرق الاوسط ، وقد: ارتدى فورا زيه الرسمى برتبة صاغ واستعد للسفر الى قبرص فى أسرع وقت ممكن ،

وفى هذه الاثناء آخذ المستشار اديناور مستشار المانيا الغربية ــ وهو أحد اللدين سيلعبوندورا رئيسيا في الجزء التال منالمسكلة ــ يستشير رؤساء الجماعات السياسية في بلاده بشان الرحلة التي يعتزم القيام بها الى باريس ، ولم يحصل بصفة عامة الا على آراء تتسم بالتحفظ فيما يتعلق بفائدة هذه الرحلة التي سيكون لها تاثير كبير في قرارات وقف اطلاق الناد ، أما سباك ــ السياسي البلجيكي ــ فانه سيلعب هو أيضا دوره ، فقد قرر القيام بزيارة الى موسكو ،

وفى موسكو كان الجميع سساخطين على الموقف ، فالقادة غير راضين لائهم علموا في هذه اللحظة أن البولندين فصلوا فجاة من الجيش البولندى ٣٣ قائدا برتبة لواء من أصل سوفييتى » كما أن الشعب السوفييتى كان غير راض بسبب ما يشعر به من سخط حقيقى للمناورات التى يقوم بها « تجاد الاستعماد » في بور سعيد .

وفى ذلك الوقت كان هؤلاء الاستعماريون يعانون المساعب فى بور سعيد وكانوا عاجزين الى حد ما عن المتلورة ، فالانجليز قد توقفوا عن التقام غربى المدينة • أما شاتو جوبير فكان يحاول بهمة القيام بمفاوضات • واستمرت العمليات العسكرية فى بور سعيد ، ففي الساعة الرابعة والنصف بالتوقيت المعل استولت القوة الفرنسية على الملاحات حيث أقامت هناك هيئة أركان الحرب ، في حين كانت كتيبة الكوماندوز قد قضت على مصسكر الفدائيين من ناحية الشمسمال • وقد أعلن أنه قتل ٨٧ مصريا واعتقل ٤٩ وتم الاستيلاء على معملت حربية ضعفة ، أعلن أنه قتل ٨٧ مصريا واعتقل ٤٩ وتم الاستيلاء على معملت حربية ضعفة ،

وقد ارسل شاتو جوبير الملازم الانجليزي « كلل » ليقوم بغارة استكشافية على القناة واوصاه بعدم الذهاب بعيدا عن الكيلو متر ه ( وهو الخط المدي تطلق

بعسده طائرات الحلفاء مدافعها على أى شيء يتحرك ) ولسكن المسالام ذهب حتى الكيلو متر ٢٥ وقد عاد وقدم تقريرا عن مهمته فنقلت رسالته من مستوى الى مستوى حتى وصلت الى باديس وهنساك تبلورت وأصبح مضمونها « تجاوزنا الخطة موسكيتير » •

وفى الساعة التاسعة والدقيقة الخاسسة والشرين سساء بتوقيت جرينتش اتصل اللواء الموجى ثانية بالقيادة المتحالفة وابلغها أن القيسادة المصرية رفضت الشروط المقترحة ، واستؤنف اطلاق النار • ومع ذلك لم يصل هذا النبية الى الطرادة « تين ، حيث يقود الحنرال ستوكويل الحبلة ، الا في السباعة الماشرة والربع مساء • وقد استشاد ستوكويل الفرنسيين ثم قرد الفاء عملية انزال جنود المظلات التي سبق أن اصدر أمره بأن تتم في الساعة الحادية عشرة الا الربع وقرر تاجيلها لليوم التالى بحيث تتم المملية في القطرة ، وذلك على فرض استمرار وقف اطلاق النار في بور سعبد • وفي الوقت نفسه أكد أمر انزال الجنود من البحر بقوة كبرة وهو الامر الذي كان مقروا تنفيده في اليوم التالى •

وفي الامم المتعدة سلم المندوب السوفييتي سوبوليف خطابا من شيبيلوف يقترح فيه القيام بعمل أمريكي سوفييتي مشترك ، وقد أبدى المندوب الامريكي قدرا من السخط المناسب وتكلم عن الوقاحة السوفييتية التي تدعى الدفاع عن اخرية في مصر في حين تدوسها في المجر ١٠٠ الغ ؛ وهذه كلمات خطابية انشائية يلقيها كابوت لودج لانه يريد أن يتجنب الظهور بعظهر من يوافق عل اقتراح شيبيلوف في حين أنه لا يستطيع رفضه ٠ ومن شأن هذا الاقتراح تنفيذ كل ما سعى كابوت لودج الى افراده في الايام السابقة ، وهو ما انضح أيضا أنه غير قادر على تنفيذ مل وقد وجد مغرج بطرح الموضوع للتصويت عليه من الناحية الشكلية ، بعيث يؤدي ذلك الى عدم طرحه للتصويت من حيث المضمون ويسمح بلك ناستيماد الاقتراح بدون رفضه ٠

وقد القى المندوب السوفييتى نظرة على ساعته ونهض وهو يلقى تحديرا الى كابوت لودج قائلا: يجب على أعضاء المجلس الذين رفضوا ادراج الطلب السوفييتى في جداول الاعمال أن يقدروا السئولية الملقاة عليهم ، وسستقع عليهم مسئولية احتمال اتساع النزاع وزيادة خطورة الوقف في هذه المنطقة من العالم !

وقد بدت هذه الجُملة غامضة حتى اللحظة التى فتح فيها سوبوليف حقبته ووزع البيان على مندوبى الدول ١٠ انه نسخة من الرسائل التى وجهها فى هذه اللحظة « بوجُانين » الى كل من باريس ولندن وتل ابيب وواشنطن ٠

### رسائل من موسكو:

لقد ارسل بولجانين في ذلك المساء اربع رسائل ۱ الاولى موجهة الى الرئيس ايزنهاور والثانية وتحمل بعض التهديد الى جى موليه والثالثة وتزداد عنها قسوة الى انطونى ايدن والرابعة وتتضمن تحقيرا صريحا وعنيفا ليس له مثيل في التاريخ الدبلوماسي الى بن جوريون

وقد أبرز بولجانين على موليه أن الحرب التي آثارتها بريطانيا وفرنسا واستخدمتا فيها اسرائيل ضد الدولة الصغيرة المرية ستترتب عليها نتائج غاية في الخطورة بالنسبة للسلام العام .

واستطرد بوباً أنين يقول « انى اعتبر من واجبى ان احيطكم علما بان الحكومة السوفييتية مصممة تصميما تاما على استخدام القوة لسحق المعتدين واعادة السلام الى الشرق •

ولا يزال الوقت سانحا لتحكيم العقل والتوقف وعـدم السماح للنزعة
 الحربية بالاندفاع في طريق معفوف بالمغاطى » .

« اننا نامل أن تبادر الحكومة الفرنسية \_ في حالة السكوليات الجسيمة هذه
 التي نجتاؤها \_ الل بحث الموقف بكل هدوء ، وتستخلص النتائج التي يملها
 عليها هذا الموقف » •

وكانت الرسالة الموجهة الى انطونى اين مشابهة تقريبا للرسالة التى وجهت الى جى موليه مع بعض الاختسافات الطفيفة ، فاذا كان الروس يتكلمون عن الصواريخ فذلك لانهم يعلمون جيدا أن بريطانيا لا تجهل ما أحرزه الروس من تقدم فى هذا الميدان فى حين كان الامر يغتلف فى باريس التى كانت قد ارسلت قبل ذلك بقليل خبيرا قرنسيا لاستطلاع مسالة تقدم روسيا فى ميدان الصواريخ فاعلن بعد عودته « انهم متاخرون جدا » ، وقد ذكرت الصواريخ هنا لكى تبهر خيال هؤلاء الذين بعث اليهم المارشال بوجانين برسالته لائه لم يكن من المحتمل كثيرا أن يتم التدخل السوفييتى عل هذا الشكل ،

أما الرسالة الوجهة الى بن جوريون فقد كانت جافة جما وقد جاء فيها « ان أعمال العدوان التى تقوم بها الحكومة الاسرائيلية تثبت بوضسوح كم هى خادعة تلك التأكيدات التى تدعى فيها اسرائيل أنها دولة ترغب فى السلام وفى التعايش السلمى مع جرانها العرب، ان اسرائيل لا تهدف الا الى تخدير الشعوب الاخرى ، لكى تستعد فى الوقت نفسه لهاجة جاراتها مستوحية فى ذلك التوجيهات الاجنبية ،

« ان اخكومة الاسرائيلية المجرمة التى تفتقر الى الشمهور بالمسئولية تتلاعب
 الآن باقدار العالم وبمستقبل شعبها بالذات • ان هــذا العمل يجلب على دولة
 اسرائيل كراهية شموب الشرق • تلك الكراهية التى ستترك الرها على مستقبل
 هذا البلد باعتباره دولة » •

لم يكن بن جوريون قد تعود تسلم مثل هذه الرسالة العثيفة من قبل .
 انه يقدر لهجتها وقيمتها بخاصة انه يعلم علما تاما من اين ياتي البنزين اللئ

يسمح للجيش الاسرائيل بالقيام بجولاته الصحراوية ، هـذا البنزين الذي ترفض الشركات البتروئية الغربية تقديمه لها خشية المقاطعة العربية ، ومع ذلك فقد اكد الرئيس الاسرائيل ... الجرى، ولكن ليس الطائش ... للامم المتحدة موافقته التى اعلنها في اليوم السابق على توصيات الامم المتحدة ، ولكن موافقته على وقف اطلاق النار في هذه المرة كانت بدون اي قيد ،

استحبت بذلك اسرائيل من اللعبة ولكن موقفها هذا وضع الفرنسيين والبريطانية في موقف سيى، ، اذ لم يعد ادعاؤهم « بفصل الجانبين المتحادبين » قائما على أساس بعد أن أعلن الاسرائيليون بعسوت مرتفع أنهم قد انفصلوا انفصالا تاما •

كان الغرنسيون والبريطانيون يقفون في ذلك الوقت على رمال بور سميد . في حين كانت مياه البحر تنسحب بميدا عنهم .

وقد اللارت رسائل بو البن بعضى القلق في باريس وفي لندن، وقد يكون جميلا اليوم الادعاء بان الحكومة الفرنسية قد احتفظت بهدوئها ، وان وزارة القارجية في لنسدن لم تر النبا هاما بحيث يستدعى الخلاق ايدن وايقاظه من نومه ، ان هذا كلام ياتى «بعد الصدمة» ويهدف الى تدارك الموقف، مثل الشخصيات الذي يصلح من هندامه لتفطية القلق الناتج من انفمال شديد، اما الشخصيات التي يصلح من كثب في ذلك الوقت رد الفعل لدى القادة الفرنسيين فقد صرحوا لتي دات عن كثب في ذلك الوقت رد الفعل لدى القادة الفرنسيين فقد صرحوا لن قائلين « كان يجب ان تراهم – في مقر الحكومة الفرنسية – حين استلموا برقية بوجانين ١٠٠ لقد تحولت وجوههم جميعا الى لون اخضر » ، وفي لندن اذا كانت الحكومة قد تنظاهرت بانها لم تستيقظ فان المعارضة قد استيقظت ، وليس فقط المعارضة الممالية ولكن الاخطر من ذلك المعارضة ذاك المعارضة الممالية ولكن الاخطر من ذلك المعارضة دام المقامرة ،

وقد اضطروا مع ذلك الله « ايقاظ » ايدن واكبر دليل على قلقهم أنه في الواحدة صباحا ـ بالتوقيت الفرنسي اى نصف الليل في لندن ـ عقد مجلس الوزراء اجتماعا لم يكن متوقعا - دار حديث تليفوني بين ايدن وجي موليه ، واتفق الرجلان على اعتباد التهديد اللدى الروسي خدعة ولكنهما اتفقا أيضا على أخد احتمال التدخل الروسي في الشرق الاوسعل ماخل الجد • ولواجهة تحدى الشرق يصح مع ذلك أن يعملوا على « تغطية انفسهم من جهة الغرب » فقرروا أن يطلبوا ضمانات مرة آخرى من الولايات المتحدة بعوجب حلف شمال الاطلنطي •

وهل كانت الولايات المتعدة في حالة تسمح لها حفا بضمان هذه اخمايه الاطلاطية في هذا الوقت ؟ وماذا كان الموقف الاستراتيجي العالى في بأداية نوفمبر سنة ١٩٥٦ ؟ القوتان الجويتان الهجوميتان - الروسية والامريكية - متعادلتان من الناحية العملية والميزة الخليفة التي تتمتع بها القيادة الاستراتيجية الجوية المريكية يعادلها التقدم الروسي في ميان الصواريخ • أن الصواريخ الروسية في هذا العهد كانت بدائية ولكنها تعمل ، أما الصواريخ الامريكية في هذا العهد نفسه فقد كانت صواريخ « الجيل الاول » من طراذ « ثور » و «جوبيتر » فقيمتها اذن انها في دور التجربة والدعاية • ولم يكن الروس ليبنوا اوهاما عليها وكذلك الامريكيون الذين سيقومون باسرع ما يمكن وبطريقة خفية بسحب صواريخهم •

تبقى اذن القوات البرية ، وهنا يبنو الامر مشيفا ، فى مواجهة ٣٠ فرقة يستطيع الروس تنظيمها فى ساعات ( مظاهرة القوة التى قاموا بها فى المجر تهدف الى الذار الفرب لائه كان يكفى نصف القوات التى ارسلت الى المجر للاستيلاء فى هذا الوقت وفى خلال بضمة إيام على أوروبا الفربية باسرها ) كان حلف شمال الاطلنطى لا يقدم سوى فراغ يثير الشهية ، وكان الفرنسيون والانجليز يرون معظم قواتهم مجمدة فى طرفى البحر المتوسط ، ولم يكن فى وسط أوروبا غير بعض الفرق الالمائية التى لا تعقد عليها سوى آمال قليلة ، كما توجد بعض قوات الاحتلال الامريكية، والحقيقة التى كان لا مناص من الخفائها حيثك على الشعوب ــ وبجب الاستمراد

فى اخفائها حتى اليوم - أن القادة العسكريين الفربيين قد أصابهم الدوار • لقد تركوا تيار المفامرة الافريقية يجرفهم فى فخ السويس ، واخلوا الجبهة الاوروبية حيث يمكن أن يؤخلوا فيها على غرة •

وحتى اذا أداد أيزنهاور اشعال ناد الحرب فى أوروبا ليسساعد الفرنسيين والبريطانين على جعل موقفهم جديرا بالسخرية فى الشرق فقد لا يستطيع ذلك ، بل أنه فعلا لا يستطيع ٠

ان كل ما يستطيع عمله هو أن يتحمل التدخل الروسي وذلك باخفاء تراجعه بقد ما يستطيع والاغرب أن مايصر عليه الروسي هو أن يطبق آيز نهاور سياسته اللاتية التي دافع عنها مع دالاس خطوة تلو الاخرى لمدة ثلاثة شههور ، وهي السياسة نفسها التي غضب من أجلها كل الغضب حينما دفض الفرنسيون والانجليز التزامها يوم ٢١ اكتوبر ١٠ أن أيز نهاور قدر الموقف بكل تبصر ١٠ أن في موقف حرج ٠ يجب عليه أن ينفذ السياسة التي التزم بها ، وبذلك ينقذ السلام « التمايش السلمي » وكان أيز نهاور يرى مثله في ذلك مثل معظم القادة الانجلو حساكسونين أن من واجبه اخفاء أحكامه الرصينة خلف سستاد من المبردات الاخلاقية ٠

نعم أنه في الواقع « درس في الاخلاق » ذلك الذي قام به دوجلاس ديلون السفير الامريكي في باديس الذي حضر ... فجاة وعلى غير موعد ... الى دياسة مجلس الوزداء في منتصف الليل وطلب مقابلة جي موليه على انفراد ٠ ان هذه الزيارة غير العادية تتفق مع منطق ساعات الجنون التي كان يعيشها العالم وقتئذ ، ومع ذلك فان اللوم سيوجه قيما بعد الى جي موليه والى ديلون حينما يتحدث الناس عن « العهد الذي كان السفير الامريكي يملى فيه الاوامر على باديس » ٠

ولم يكن في موقف ديلون شيء من الفطرسة ١ انه موقف كله الم وضيق وعطف ٠ ولكن الرسالة التي يعملها كانت صريعة لا غموض فيها ٠ ويبدو أن نص هذه الرسالة كان قريبا من النص الذى نقله جان ريموند تورنو × حرفيا « اذا طّللتم هكذا في موقفكم الخاطئ، فيجب عليكم الا تعتمدوا عل مساعدة الولايات المتحدة ١٠ أن الامم المتحدة هي الجبهة الوحيدة التي يمكن الالتجاء اليها ١٠ أوقفوا حملتكم والا فلا تعتمدوا علينا بعد الآن » ٠

ومن الواضح أن مثل هذا المسمى الامريكى قد بلل فى لنسلن فى الوقت نفسه ، وقد امتنع الانجليز والامريكيون عن التحدث عن هذا الامر حتى الآن •

وهناك حقيقة أخرى • فى السناعة الثانية والنصف صباحا بالتوقيت الفرنسى من يوم ٦ نوفمبر ـ أى الساعة الواحدة والنصف بتوقيت جرينتش ـ كانت اخكومة الفرنسية تعلم علما تاما أنها لا تستطيع الاعتماد بعد ذلك على اخماية الامريكية الااذا أوقفت اطلاق النار على مصر فى اقرب فرصة •

# فزع في واشنطن:

فى الوقت الذى وجه فيه الماريشال بولجانين رسائله الى موليه وايدن وبريون بلهجة تختلف من رسالة الى اخرى وان كان لها العنى نفسه أوسل ايضا رسالة الى الرئيس ايزنهاور زميل الحرب القديم للجنرال جوكوف ، وكانت اللهجة اكثر ودا ، واكن اذا دققت النظر فيها تجديما ايضا لا تقل عجرفة عن الرسائل الاخرى ، ان ما يقترحه بولجانين على أيزنهاور هو أن يتخل بالتعاون مع الاتحاد السوفييتي \_ اجراءات سريعة وحاسمة من شانها أن تضع حدا للعدوان وتمنع الحرب ، وإذا لم تتخل من الاجراءات ، فستنقد الامم المتحدة هيبتها في نظر الإنسانية بل انها سنتهار، وقال بولجانين الالاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية دولتان عظيمتان ولديهما جميع أنواع الاسلحة الحديثة بما فيها الاسلحة الخديثة بما فيها الاسلحة الخديثة بما فيها الاسلحة النووية والهيدروجينية ،

x انظر کتابه « اسرار دولة » •

جميع التلميتات موجودة ولكنها معجوبة بلباقة ، لقد وجانت واشنطن نفسها امام رسالة مزعجة من بولجانين ومعها صورة من برقيات التهديد التي ارسلها هلا الاخير الى باريس ولندن وتل أبيب ، وأمامها ايضا طلب فرنسى انجليزى بتأكيد ضمان الحهابة الاطلقطية ، ان جميع عناصر الموقف التفجر متمثلة هنا ، وقد طلب أيزنهاور من مستشاريه على الفور أن يعدوا له تقريرا عن الموقف ، فاجتمع في الحال اعضاء هيئة المخابرات الامريكية وهي تضم أهم رؤساء جهاز المخابرات المركزى علاوة على رؤساء مختلف اجهزة الاستعلامات التابعين لوذارة البوليس الفيدوالي ،

وقد حسب هؤلاء السئولون حسابهم ، وبناء على تقريرهم وبعد أن اجتمع مجلس الامن القومى الامريكي ـ وهو الجهار الاعلى المختص بأمن ١٨٠ مليونا من الامريكيين ـ اتخذ الرئيس قراره ،

وفى هذه الالناء أى فى منتصف الليل كانت الحملة الفرنسية البريطانية المقرد انزالها الى البر وقت الفجر فى بور سعيد ثمر آمام عوامة ترشد الى ملخل الفتاة • ومنذ هذه اللحظة سيراعى عدد الموامات بعناية الواحدة تلو الاخرى حتى الساعة الرابعة والنصف ، وهو الميماد اللى انقسمت فيه الحملة ، فكانت الطوابي البريطانية تنتشر غربا عل طول ساحل بور سعيد في حين كانت الطوابي المرسسية تنتشر شرقا أمام بور فؤاد • كانت الحرب قد بعات بالنسسية للحملة ، وكانت بليتها سيئة ، لان المياه كانت فى هذا الصباح مضطربة والطقس ملبدا بالغيوم والامواج مرتفعة تقذف الرجال قدفا ، ولم يكن كثير من هؤلاء يحب مثل هسدا الطقس الردى • •

# الفضال لشادش عشر

## الخسوف

في الوقت الذي انتشر فيه الخوف في واشنطن وتلدن وبادرس وتل أبيب ( وحتى في برن حيث الخترص الحكومة السويسرية عقد مؤتمر قمة بسرعة لانقاذ السلام العالى ، وهذا صادر من شعور دقيق ولكنه نابع من تحليل سيى ، ) بحيث اصاب جميع الاجهزة واربك الوزراء ورؤساء الحرب، وان خنق في المهد حربا عالمية جديئة ، نعم في هذا الوقت كانت الحملة الفرنسية البريطانية قد بدأت الحرب التي طال انتظارها ، وهي حرب إعدها هؤلاء الذين أهملوا مع ذلك حراسة حدودهم مع الشرق ٠

وكانت هيئات أركان الحرب تامل من وجهة التغطيط الميكائيكي أن تصل قواتها في ٨ نوفهبر الى الاسماعيلية وفي ١٧ الى السويس ، وان تعتقل بالنصر حين وصولها الى القاهرة يوم ١٤ نوفهبر ٠٠

كانوا يقتربون في هذه اللحظة من بور سعيد ومن بور فؤاد ، وهنا يصابون باول خيبة امل ، ففي بور فؤاد نفسها يتضح أن جميع استعداداتهم الرائعة لا فائدة من ورائها، ففي الليلة السابقة سلمتالمدينة في الساعة الخامسة الا الربع التوقيت المحلى الى الكولونيل فوسى فرانسوا الذي هبط من الجو بالظلة بعد ظهر اليوم السابق على رأس السريتين التابعتين للكتيبة الثانية مظلات ، وقد ابلغ هذا الاخير ذلك الى هيئة اركان اخرب التى انتابها القلق . يجب أن تبدأ قذاتف البحرية ضربها في السادسة صباحا، وهى قد تصيباذن رجال المظالات الفرنسيين، وقد المدينة كما أشير بسرعة الى رجال المظالات بالتقهق تحو المدينة كما أشير الى رجال البحرية بعدم الضرب ، ويؤكدون أن الرسائل وصلت فى الوقت الملائم فتجنبوا بذلك وقوع كادئة ، ومع ذلك أصيب رجال المظالات الفرنسيين بقدائف القنابل وجاروا بالشكوى من ذلك ، وقد علل الجنرال بوفر هذه الشكوى بانها نتيجة القنابل الانجليزية البعيدة المدى التى اطلقت من بور سعيد وانها ربما كانت أيضا نتيجة اطلاق فنابل مصرية ، ومع ذلك وبعد أن قدم رجال المظلات احتجاجاتهم بوقت قليل توقف الانجليز عن الفرب البعيد المدى والتى المصريون قنابلهم وأحصى دجال المظلات خسائرهم : قتيلان وبضع عشرات من الجرحى ،

وربما كانت مدافع الانجليز لا تصوب الى مدى بعيد ، ولكن قدائفها كانت قوية وشديدة • وقد صدرت اليهم الاوامر بعدم اطلاق القنابل من البحر على الاحياء الآهلة بالسكان ، ولكن السئولين الانجليز كانوا يعتقدون باخلاص أنهم لا يستطيعون ارسال رجالهم للنران دون أن يهدوا للهجوم بالدفعية • وقد ظلت الغارات بالقنابل محفورة اما قلائف الساعدة من الدفعية فلا بمكن حظرها • ولذلك فبعد ضرب شديد من المدافع الرشاشة من الجو لمدة عشر دقائق على مساحة أدبعة كيلو مترات ونصف من الشاطيء الذي ستنزل علية الحملة الآتية من البحر أمطرت البحرية الشاطئ علمة اربعين دقيقة، وكذلك امطرت جزءا من الحي الاوروبي المجاور بقدائف مساعدة من المدفعية • وقد أصابت بعض القنابل الحي العربي في الغرب حيث أحدثت دمارا شنيدا وحرائق كبرة • وفي الساعة السادسة والدقيقة العاشرة توقفت البحرية عن اطلاق قنابلها ، وبدأت جهنم جوية للدة ثلاث دقائق . وفي هذه الاثناء وفي حين كانت الطائرات الاخرة تمطر بقنابلها الشاطيء ، كان اسطول انزال الجنود قد وصل الى الساحل ونزلت معظم القوات على سيارات برمائية أخلت تسير فوق ما تبقى من أكشاك الاستعمام ، ووصلت إلى مشارف المنازل الاولى حاملة رجال كتيبتي الكوماندوز ٤٠ و ٤٢ وكانت الساعة حيثتا السادسة والدقيقة الثالثة عشرة بالتوقيت المعلى ٠

وفى جنوبى الدينة عانى رجال المظلات الذين يقودهم شاتو جوبر فترة عصيبة • ففى آخر الليل تعرضوا فجاة لهجوم عدد كبير من المدافع المحمولة على السيارات • وحينما تبين شاتو جوبير المصاعب التى يواجهها وجه نداء الى طائرات كورسير الرابضة على حاملات الطائرات • وفد اقبلت فى الحال وهاجمت هده المنافع بصواريخها • وقد صرح شاتو جوبير فيما بعد للاميرال بارجو قائلا: بنون طائرات كورسير لم آكن لاستطيع الصعود !

وامام بود فؤاد تأخر انزال الجنود الفرنسيين ، والسبب في ذلك يرجع الى الطرادة جودج ليج والسفن الحربية المرافقة لها التى يهمها مضايفة القافلة والرود امامها لكى تذهب وتتخسل موافعها للضرب ، واخيرا حددت السساعة السابعة الا الربع لانزال القوات ، وكانت اول موجة من الفرنسيين تشمل الكتيبة الاولى مظالات من الفرقة الإجنبية وكوماندوز البحرية ، وآلاى السيارات الخفيفة وهيئة اركان حرب اللواء العاشر مظالات ، وانزلت معظم القوات تترقى بور سعيد في الاثن نقط من الساحل سميت الشاطىء الإبيض ، والشاطىء الاجفر ، والشاطىء الاجفر ، والشاطىء الاجفر ، والشاطىء الاجفر المحمود وعلى الشاطىء الابيض نزلت ثلاث تتائب من كوماندوز البحرية وكانت نولت الكتيبة الاولى الاجنبية مظلات وهيئة اركان الحرب وكانت مهمتهما احتلال وفي جهة الشرق نزلت باقى الكتيبة الثانية مظلات التى انزلت جوا فى الليلة السابقة، وفي جهة الشرق نزلت باقى الكتيبة الاولى الاجنبية مظلات وكانت مهمتها تدمير البطاريات الساحلية عياد ١٥ واحتلال ضواحى بود فؤاد الشرقية والشريط المؤدى الى المريش ،

#### البعث عن هدنة:

فى نحو الساعة السابعة صباحا استدعى قنصل ايطاليا « ماريرى » وهو عميد السلك القنصل فى بور سعيد زملاء واقترح عليهم التدخل للمفاوضة بشأن وقف اطلاق النار لتجنيب المدينة وبلات الدمار · وكانت هذه أيضا فكرة المعافظ معمود رياض ، فقل تذكر كلمات بتلر وشاتو جوبير التى قالاها فى الليلة السابقة « يمكن أن تؤدى غادات صباح الفد بالقنابل الى قتل عشرة آلاف نسمة » وحتى اذا أخذنا فى اعتبارنا الخدعة أو المبالفة فان القرار الذى اتخذ باطلاق قنابل الاسطول على الشاطىء والشوارع المجاورة لها مدة أربعين دقيقة والهجمات الجوية والمعارك التى تدور منذ ساعة يجعلنا نمتقد أن هذا الرقم قد نصل اليه فى آخر الامر •

وفى الساعة السابعة والنصف اخطر قنصل الولايات المتعنة زميله الايطائى انه تلقى من السلطات المصرية طلبا للتوسط فى اجراء المفاوضسات ، وبما أنه لا يريد أن يتصل شخصيا بالبريطانيين ففسلا عن أنه لا يستطيع ذلك ـ لان المعركة لم تصل اليه بعد ـ فانه يأمل أن يقوم القنصل الايطائي بعملية التنخل .

ولم يكن « ماريرى » يعرف مع من يمكن أن يتحدث ، فقد فكر في أن يتصل بالفرنسيين في بور فؤاد حيث كان يبدو أن المركة قد توقفت توقفا تاما ، 
وكان السنترال التليفوني في بور فؤاد تم احتلاله في الثامنة والربع ، فحولت 
مكالة القنصل الايطالي بعد قليل الى الكولونيل الفرنسي « بروتييه » الذي يقود 
الكتيبة الاولى الاجنبية مقالات ، وكان ذلك في الساعة التاسعة الا عشر دقائق أي 
في الوقت الذي كانت فيه السفينة الصغيرة التي تنقل هيئة أركان الحرب الفرقة 
في الوقت الذي كانت فيه السفينة المعنية المناء ، وقد اخطر الجنرال ماسسو في 
العاشرة مقالات تلقي مرساها في مقدمة الميناء ، وقد اخطر الجنرال ماسسو في 
اللحظة نفسها التي وطئت فيها قدماه الارض المعرية بطلب الدخول في مفاوضات 
مع المدو • وتبودلت الاتصالات التليفونية حيثلا، وكان الفرنسيون في بور فؤاه 
أكثر تساهلا • انهم يرغبون في منح شرف الحرب الي هذا العدو الذي يتحمل وقف 
القتال ولكن على شرط أن يكون التسليم كاملا ومباشرا •

وكان القنصل الانطال قد نجع في هذه الاثناء في الاتصال بالقائدالبريطاني بطريقة جديدة مبتكرة ، كانت دبابة انجليزية تتبع بعض الجنود فاخترفت حائط حديقته ، وقد استفل ماريرى الأرصة لنقل هذه الرسالة الى القائد البريطاني عن طريق راديو الدبابة ، وحددت الساعة الحادية عشرة موعد للمقابلة في مبنى الشركة العالمية لقناة السويس على شاطئ، القناة ،

## النزول الى جهنم:

وفي الوقت نفسه شوهد منظر غريب على شاطيء القناة من ناحية الشمال قليلا بجانب تمثال ديلسيس • سلسلة من طائرات الهليكوبتر عندها ٢٢ قادمة من البحر تنزل على ارض منبسطة أمام الكاذينو • وقد انزلت بعض الرجالوبعض المدات الحربية الخاصة بكتيبة الكوماندوز رقم ٥٥ وقد حدد مكان نزول الطائرات على الارض بواسطة شرائط من القماش الابيض رتبت على شكل صليب وهبط من الطائرات خلال ٩٠ دقيقة فقط ١٠٠ رجل و ٢٣ طنا من المعدات الحربية ٠ وهذه العلامة كانت ضرورية جدا لان اول طائرة هليكوبتر جات لاستكشاف المكان تعمل رئيس الكتيبة الكوماندوز رقم ٤٥ الكولونيل تيليور وقد ضلله الضباب فنزل الى الارض وسط ملعب كرة قدم يتحصن فيه الصريون • واضطرت الطائرة الى الضعود ثانية تحت وابل من المافع الرشاشة والعودة الى حاملة الطائرات « تيزو » وكانت الطائرة عبارة عن مصفاة من فرط طلقات الرصاص التي اخترقتها • وكان تيليور سييء الخظ في هذا اليوم ، فقد نزل بعد ذلك بقليل على راس رجاله وجمعهم ثم وزعهم على طول الشاطىء ، وكانت مهمته هي تطهير الحي الاوروبي بين فكي الكماشة التي تتألف من كتيبتي الكوماندوز 27 و 20 واذا بطائرات بريطانية تظهر وتنقض عليهم ظنا منها أن الكوماندوز الفرنسيين ليسوا سوى جماعة من الصرين ففتحت عليهم النيران بجميع أسلحتها وتركت ١٦ فرنسيا بين قتيل وجريح ، وكان الكولونيل تيليود من بين الجرحي .

وكان على الكتيبـة الكوماندوز ٤٢ أن تشــطر الحى الاوروبي نصفين من الشمال الى الجنوب، وتتقدم على طول شارع محمد على • وكانت القنابل اليلوية تنزل كالمطر من شرفات المنازل والجنود البريطانيون يردون على ذلك باسلحتهم الفردية في حين راحت الدبابات التي ترافقهم تهاجيم العدو بالسدادة للطائرات التي تحولت الى مدافع مضادة للدبابات و ولم يتم ذلك بدون خسائر ، بل توقف الزحف خطة نظرا للتهديد الذي كان يواجهه البريطانيون من المبنى الذي تحصن فيه ٥٠٠ مصريا والذي استطاعت الطائرات وحسدها أن تدمره ومسلت الكتيبة الكوماندوز ٤٢ الطريق ، وبين حين وحين كانت جماعات من المصريين تقطع الشارع المحظور السير فيه فتتجه للى الفرب وتحتمي في منطقة الحي العربي المقدس ، واخيرا اخترقت الكتيبة الكوماندوز ٤٢ المدينة باسرها ووصلت الى حدود ملعب الجولف ،

وفى هذه الاثناء طهرت الكتيبة الكوماندوز ٤٠ ثسواطى، القناة على الساحل الافريقى وأمكن السيطرة على الجزء الشمالي من الميناء ، وساعد هذا على الزال باقى دبابات الكتيبة السادسة الملكية ٠

وقد أرسل آلاى من الدبابات فورا لماونة كتيبة الكوماندوز ٤٥ فى حين التجهت كتيبة أخرى جنوبا على طول الارصفة وتجاوزت نقاط المقاومة التي جعلت الكتيبة الكوماندوز ٤٠ تلهث ، واتجهت نحو الجسر الذى احتله رجال المظللات الفرنسيون التابعون لشاتو جوسر في الليلة ألسابقة •

ومما زاد المعارك تعقيدا أن عددا كبيرا من الجنود المصريين خلعوا ملابسهم الرسمية واحتفظوا بسلاحهم واخفوه تعت « الجلابية » بحيث اصبح من الصعب التمييز بين المدنيين المسلحين وغير المسلحين، واخلت الكتيبة كوماندوز دقم ٤٠ تواصل تطهير شاع السلطان حسين ، وكانت تقلف أبواب العصادات بالقنابل البدوية للقضاء على مراكز المقاومة في المنازل ٠

وفى مواجهة ذلك على الشاطى، الآسيوى للقناة اخد رجال مظلات الكتيبة الاولى الاجنبية وضباط هيئة اركان حرب الكتيبة العاشرة مظلات يتتبعون سير المسركة ، وكانوا ينظرون بعين الحسسة الى مجموعة طائرات الهليكوبتر

البريطانية • وكان ماسو يقف متحسرا فوق سيارته الجيب في حين كان زميله الانجليزي الجنرال بتلر يقفز بدون توقف من نقطة الى اخرى على ظهر الهليكوبتر الخاصة به ، فقسد تركت الحملة الفرنسية طائرات الهليكوبتر الخاصة به في الجزائر • والاسوا من ذلك ان الجنرال ماسو لم يسكن معه حتى دبابات، فقسد الجزائر • والاسوا من ذلك ان الجنرال ماسو لم يسكن معه حتى دبابات، فقسد النولت على الفضفة المقابلة للقناة على زعم أن الاعمال التي تجرى في الملاحات قد قطمت الطريق الشرقي ( وجسر المراكب ، هل نسيته الحملة ايضا ؟ ) والنتيجة أن ستوكويل وضع يده على الدبابات الفرنسية بدعوى استخدامها في حراسة مركز قيادته العسام ، ولكن ديما كان هدفه ايضا من ذلك الا يعمد الجنرال ماسو او هيئة اركان حربه المتحبسة من رجال الكتيبة العاشرة مقالات الى الزحف قبل الموعد المقرر في اتجاه الاسماعيلية •

وفى جبهة الغرب غقت دبابات سنتوريون البريطانية برجال مظلات شاتو جوبر ، واتخلت مركزا لها رصيف القناة حيث كان المقسرد ان تبسدا من هناك اهم عمليات الزحف ، ولكن هذه الدبابات كان ينبغى ان تقل فى اماكنها فى انتظار وصسول كتيبة الكوماندوز البريطانية التى كانت مشغولة طوال اليوم بتطهير أخى الاوروبي فى بور سميد ، وهكذا كانت مجموعة الشباط الحبرا، فى الشئون المربية التى تحيط بستوكويل عن قرب يستطيعون التاكد بانفسهم من أن الاولمر التى اصدرها انطونى هيد وذير الحربية شفويا لن تخالف ، والمروف أن هذه الاولمر كانت تقضى ببدل كل جهد مكن لعدم اداقة دماء السكان المدنين وتحاشى ضرب المناطق الإهلة بالسكان بالقنسايل ،

## باليه صغر للقواد:

حمل ستوكويل مرة آخرى شروط التسليم تعت أبطه ، تلك الشروط التي لم يقبلها أحد في الليلة السابقة ، لقد جمع من حوله مساعده الفرنسي الجسرال بوفر ثم الاميرال دانفورد سلاتر وماريشال الجو بارنيت ثم بعض النجوم الاقل درجة ، واحتشد كل هذا الجمع من كبار الضباط في سفينة صغيرة في السساعة

الحادية عشرة تجاه مبنى الشركة العالمية • والانسف كان البني لا يؤال في ايدى المصريين ومنه حاولوا اصابة سفينة الضباط العظام ، ولكن هذه استدارت برشاقة وانزلت دكابها شمالا بجواد الكازينو • وذهب الجنرالات الى مركز قيادة الألاى الثالث حيث كان هناك مركز القيادة العامة للقوات البرية الانجليزية حيث علموا أن الاجتماع سيتم في القنصلية الإيطالية • وقد ذهب الكثرون منهم من بينهم بوفر سيرا على الاقدام الى مبنى القنصلية الجاور حيث وجدوها تحولت ال شبه كرنفال غريب • كان نصف الجالية الإيطالية مكدسا في ممرات وحجرات القنصلية، وكان يمكن ان تحدث قنبلة واحدة مجزرة في هذا المكان، ويبدو أن قنصل ايطاليا لم يدرك مدى المستولية الخطرة التي يتعرض لها ، وراح يعمل كأنه هـو وحده هيئة للصليب الاحمر ، ومن هنا اتصل الجنرالات بالقائد المصرى اللواء الموجى نفسه الذي يبدو أنه فهم أن أهم عمسل في حرب بور سميه هو أن يعرض أمر التسليم في كل مكان • ووجد الجنرالات انفسهم أمام نفس الخطة التي اتبعت معهم في اليوم السابق لكسب الوقت ، فقد طلب اللواء الموجى هدئة لسكى يستطيع مشاورة القاهرة فاعطى مهلة لمدة ساعة واحدة • وحين تبين لهم أن هذا الرجل لم يعد يمثل الا نفسه وانه ليس له اية سلطة في بور سعيد ، تقرر عدم الأنتظار أكثر من ذلك وذهبوا لتناول الغذاء •

وفى فترة الفسداء من هسدا اليسوم استقبل جي موليه ضيفا عظيما هسو المستشار الالمسانى اديناور الذي كان في ذلك الوقت اعظم مسسديق سيساسي « والرجل الاساسي » لفوستر دالاس ، وسيقبسل الرجلان بعضهما بعضا وهما يبكيان ، فقد ابلغ دالاس صديقه كونراد أديناور أنه مقفى عليه لا محالة وأنه سيموت خلال بضعة اسسابيع بسبب مرضه • وكانت الاحسدات قسد ازدادت سسوءا منذ الزيادة الليلية التي قام بهسا السسفير الامريكي دوجلاس ديلون لحي موليه •

والواقع أن الجميع كانوا يعلمون أن زيارة ديلون لم تسكن تنطبوى على التهديد ، فقد كان يريد فقط احاطة الحكومة الفرنسيسة علمها بموقف الولايات المتحدة التى تطالب بوقف اطلاق الثار « باسرع ما يمكن » وبعدم موافقة الحكومة الامريكية على التدخل الفرنسي البريطاني في مصر •

## اندار نهائی :

وفى هذه الاثناء اجتمع جهاز مغابرات الولايات المتحدة وبعث الموقف العام وموقف الولايات المتحدة بغاصة ، وقدر عملية توازن القوى القائمة، وملى المغاطر وابلغ النتائج التي انتهى اليها الى الرئيس ايزنهاود • ونحن لانزال نجهل تفاصيل هذه النتائج ولكن آثارها كم تلبث أن عرفت •

لقد تسلموا في باريس الرد الامريكي على طلب حماية شمال الاطلاعلى ، وهو الطلب الذي ارسل مساء الليلة السابقة • وكان هداء الرد مؤدبا ومتسزلا ويؤكد أن الولايات المتحدة ستحترم الالتزامات المتبثقة عن الحلف • ولكن هداه الالتزامات أن كانت تنطبق في حالة الهجوم الروسي على اودوبا فهي لا تنطبق على مصر الا إذا كان ناصر قد بدأ الهجوم على سفن وطائرات الحلفاء ، أي أنها لا تنطبق بأي حال من الاحوال على هده الحرب لا ننا لحن الذين بدأنا بضرب التار!

ولم يكن هذا كل شيء فقد أضافت واشنطن الى هذه المذكرة الدبلوماسية رسالة من الرئيس ايزنهاور تشكل انذارا نهائيا حقيقيا و وبرغم أن الرسسالة لا تقع الا في عشرة سطور فانها كانت متفجرة وقد ذكر ايزنهاور فيها كلية « عدوان » وحدد مهلة من الزمن لوقف اطلاق النار في مصر قسدر باثنتي عشرة ساعة ، وهي المهلة نفسها التي حددتها في اليوم السابق الدول الافريقيسة والاسيوية والسوفييت ، وإذا أضلنا ١٢ ساعة على توجيبه الرسالة بـ حدوائي المنامية من مساء يوم ١ توفهبر ، وهي الساعة التي سيعددها ايمن لوقف اطلاق النار البريطاني ، بعجرد استسلامه رسالة ايزنهاور ، ودون أن يبلغ جي موليه بذلك ، واستولي الجنون على الجميع، قان هذا قد يحنث بين أعداء ، ولكن هل يجوز للحلفاء أن يرسساوا الى بعضهم معضا انذارات نهائية ؟

حين احيط ابزنهاور علما في الليلة السابقة برسالة بولجانين لم يجد ثمة ما يدعوه الى اظهار مشاعر عنيفة ضد حلفاته • الما الذي غير وجهسة نظره فهي « التقسيرات » التي نقلوها اليه ، وكانت رسالته المحمومة التي بعث بها الى حلفائه صادرة من رجل يشعر كانه امام هوة سحيقة ، وذلك للمخاطر التي تتعرض لها سلامة الولايات المتحدة بسبب السياسة الكريهة التي يتبعها حلفاؤه والتي لم يكن لديه الشجاعة الكافية – مثلما كان لدالاس – لمعارضتها بوضوح وبشسكل علني • ومن هنا كانت هذه اللهجة ، التي جرحت الحلفاء والتي اعتبرها الرئيس كوتي رئيس الجمهورية الفرنسية « غير مقبولة » •

# قلق في الغرب:

لقد انتقلت الماساة الى لندن حين كانت جميع الكدلال تشير الى قرب انهياد الجنيه الاسترليني ونظام المبادلات القائم على هذه العملة في مجموعه ، وقد وجه ماكميلان نداء حزينا ، ان الساعة مبكرة في لندن ، ولكن واشنطن كانت لا تزال في منتصف الليل ، وكان رجال المال لا يزالون نائمين ، في حين كان ماكميلان يحتاج فورا الى ملياد من الدولارات، وعقدت الحكومة البريطانية اجتماعا في ساعة مبكرة ، وبعد ان وجه ايزنهاور دسالته الموجزة الى ايدن طلبه تليفونيا وقال له بصوت متهدج « لا استطيع الانتظار بعد الان م كما لو كان هو ايضا واقعا تحت تهديد او تحت انذار نهائي ، وحين طلب منه ايدن مهلة أخرى أجاب ايزنهاور انه لا يمكن تأجيل وقف اطلاق الناز بعد يوم ٦ توفمبر ،

والحقيقة أنه لم يكن أمام ايزنهاور فرصة للاختيار ، فقد انكشف الموقف المسكرى في أوروبا بسبب انسحاب الجيوش الفرنسية والبريطانية التي هجرت مراكزها على الجبهة الامامية – وهي الجبهة الالمانية – للسمى وراء خيالات وأوهام في الشرق ، ووقعت في « فخ السويس » •

فاذا لم يقم بالضغط على حلفائه فسيقع التدخل الروسي في الشرق ، وسيتم 
بدون الم وبضمان قرارات الأمم المتحدة المتعددة التي صدرت ـ وباللتناقض ـ
بناء على طلب الولايات المتحدة الامريكية ، وسيكون التدخل الروسي في الشرق 
هو الاقتحام العظيم الذي حلم به كثير من القياصرة ، كما أنه سيؤدي ـ وفي ليلة 
واحدة ـ الى انهيساد امبراطورية البترول الامريكية في الشرق الأوسط ، لأن 
الروس اذا انتصروا فانهم لن يقسلموا همايا ، وسيسلكر حينئذ الفرنسيسون 
والاسرائيليون ما انخذته الامم المتحدة من قرارات ،

وفى موسكو نشرت وكالة « تاس » بيانا مهدئا يقول ان تدخيل الاتحساد السوفييتى لن يتم الا بناء على احترام قرارات الامم المتحدة ، وهذه واضحةوضوحا تاما ، وفى لندن لم يصادف النداء المتسم بالقلق الذى وجهه ماكميلان الىواشنطن للمطالبة بملياد دولار سوى الوعد بالرد فى خلال بضع ساعات ، وقد وصل هذا الرد فى نهاية فترة الصباح الى لندن حين كان مجلس الوزراء مجتمعا منذ عشر ساعات ، سنجمع هذا اللياد بالطريقة الآتية : ١٠٥ مليونا ونصف مليون من صندوق النقد الدول ، ١٠٠ مليون تخصم من الفوائد المستحقة على بريطانيا فى نهاية درسموبر على بعض القروض الامريكية ، باقى المبلغ المطلوب سينظر فى عقاد قروض بشانه ، ولكن على شرط ان يعلى وقف اطلاق الناد فى المساء نفسه ، قال المترول ــ وهذه مشكلة آخرى تثير القلق ــ فسترتب هذا الامر ، ولكن بناء على الشرط نفسه ،

وفى باريس الدواد الضغط على جى موليه • لقد تسلم نداء من صديقه سباك رجل الدولة البلجيكي الذي كان يزور موسكو ، وقد اداد تنبيهه الى أن الروس لا يتخادعون ولا يهوشئون في هذه المرة • وقام المستشار اديناور ايضا بالضغط على موليه اثناء تناول الغداء لدرجة أن وذير خارجيته فون برنتانو استطاع أن يحرح يوم ٧ نوفمبر في البرلمان الالماني بقوله « كان لسفر المستشار اديناور الى باديس اهمهة عظيمة قيما يتعلق باعلان وقف اطلاق النار في منطقة السويس » •

وفى واشنطن وصلت رسالة من شارل بوهان السغير الامريكى فى موسكو يندل فيها قائلا : احدروا ، فالروس مصممون ! وفى لتنن تلقى ايدن رسسالة اخرى ، وكانت رسالة مؤلة ، انها من نهرو الذى طلب منه وقف اطلاق النار فورا والا قان الهند ستنفصل عن الكومنولث وستتبعها فى ذلك سيلان على ما يبدو ، واستمر الجنيه الاسترليتى فى الانهيار ، وفى داخل احكومة البريطانية نفسها كانت الثورة تزداد استفعالا وأظهرت مجموعة من الوزراء سيقال أن عددهم ثمانية سعم موافقتها على التدخل، وانقسم حزب المحافظينعلى نفسه وكان هناك نحو ، ٤ نائبا محافظا من أعضاء البرلمان لا يقررون بصراحة سياسسة التسدخل العسكرى في مصر ،

وهناك بصفة خاصة الضغط الامريكي الذي قال عنه كريستيان بينو انه كان فظيما • كان كل شيء ينهاد من حول السير أنطوني ايدن ، واذا كان يريد أن يعادب بعد أن نجح في شطر الكوفنولث شطرين وفي شطر حزب المحافظين تنظرين آخرين وفي شطر التحالف الانجليزي الامريكي شطرين كذلك ، فان سياسته قد تؤدي به الى نهاية لا يمكن تصور وقوعها في بريطانيا ، وهي ثورة سالكي الذي قد يضطر الى اقالة رئيس الوزراء •

واتغذ اينن قراره ، واصدر امره بوقف اطلاق الناد ، وطلب باديس لليونيا ليحيط جي موليه علما بالقرارات التي اتخلها مجلس الوزراء البريطاني بدون استشارة الحليف الفرنسي و وقد حاول موليه أن يناقش ويشرح وان يقنع ايمن بأنها مساله ساعات وأن القوات الفرنسية البريطانية قد احتلت كل القناة نقريبا ( كانت الاخبار التي لدى الحكومة الفرنسية غير صحيحة ، كما أن الراى الما الفرنسي لم يكن يعرف ما يحدث لدرجة أننا نرى جريدة جادة مثل «لوموند» تتكلم في هذا اليوم على امور بعيدة عن الحقيقة ) لم يكن ايدن يستطيع أن يستمر آكثر من ذلك ، وكل ما سيحاول أن يفعله هو تاخير مهلة وقف اطلاق النار لكي يعطى للقوات المتحافلة مزيدا من الوقت لتتقدم الى أبعد ما يمكن على طول القناة ،

اما عن باقى الامور فقد اتغذ بشانها قرارا اعتزم تنفيذه مهما تكن الظروف ، كما قال فيما بعد، اى مهما تكن الاعتراضات التى يكن ان يثيرها الفرنسيون والواقع أن البرقية المفصلة التى ارسلت من لندن فى الثانية مساء كانت تفرض عل الجنرال كيتل الاستعداد لتلقى امر وقف اطلاق النار فى الساعة الحامسة مساء ، وتنصحه بكسب اكبر مساحة ممكنة من الارض حتى هذه الساعة ، وقد أخطر كيتل أيضا بحتمال التدخل الروسى ، ولم يتم نقل هذه الرسائل الى الجنرال سستوكويل بعورة جيسدة ، اذ وصلت الرسالة من قبرص فى السساعة الحامسة والمدقيقة فى حين أنها ارسلت فى الساعة الخامسة والمدقيقة فى حين أنها ارسلت فى الساعة الثانية والمعشى بتوقيت جرينتش وكانت تقول : من المحتمل صدور امر وقف اطلاق النار فى أى وقت ابتداء من الساعة الخامسة من المحتمل صدور امر وقف اطلاق النار فى أى وقت ابتداء من الساعة الخامسة بور سعيد حتى هذه الساعة ، ونقار الما لذلك من اهمية وصفة عاجلة فقد نقلت بور سعيد حتى هذه المساعة ، ونقارا لما لذلك من اهمية وصفة عاجلة فقد نقلت هذه الرسالة الغامضة بطريقة واضحة ال ستوكويل الذى كان مع قواته على البر، يقول الجنرال كيتل انه من الهم جلا أن تتموا العمل اللى تقومون به ، فصاح ستوكويل فرحا : براؤو ! لانه لم يتلق فى أية خلاة أمرا بالتمجيل بالعمليات ،

اما الجنرال بوفر فقد ذهب في جولة تفتيشية على القوات الفرنسية ثم عاد ومعه الجنرال ماسو \_ اللئي احيط بمظاهر التكريم \_ وذهبا الى مركز قيادة شاتو جويير في الفيلا التي كان مدير « وابور » المياة يشغلها • وفي هذا المكان وصل الجنرال بتلر على طائرة هليكوبتر أمام انظار ضباط المظائت الفرنسيين المماوءة حقدا لأنهم كانوا يتوقون ايضا الى أن تكون في حوزتهم طائرات هليكوبتر ، وقد رسمت هنا الخطط الخاصة بزحف الدبابات على طول القناة • وقور الجنرال بوفر الصافة الكتيبة ١٧ صاعقة الى الدبابات من طراز سنتوريون البريطانية في حين كانت الكتيبة الكوماندوز ٤٦ ترابط على أدض الجولف التي لا تبعد كثيرا عن عدا الملفو المناث وفي الساعة الثالثة بعد المظهر تقدمت الدبابات سنتوريون حتى بلغت الكيلو متر ١٧ عند راس الواش ، تتبعها الكتيبة الاولى مظلات من الفرقة الاجنبية وسريتان بريطانيتان ، ولكن هذه القوات كانت تنتقر المعدات التي لم

يمكن انزائها من البحر ، فقد كان الميناء مزدحما بعدد كبير من العوائق ، واذا كان ضفادع الجيش الفرنسي قد استطاعوا شق ممر وسط هذه العوائق فان الطريق الذي فتح لم يكن يسمح الا أرور أصغر المراكب والمستادل ، ثم اتسعت همة الفتحة في آخر النهار لتسمح بمرور المراكب المتوسطة الحجم ، أما السفن الكبيرة فقد استمرت في انزال حمولتها بهشقة كبيرة في مدخل الميناء ، وقد أدى كلذلك الى حدوث اضطراب كبير في النظام وتاخير عن المواعيد القررة ،

## الخطر الكبير:

كان هناك لفز غامض ساهم فى زيادة الفوضى • كانت جميع الرسائل الصادرة من أوثق المسادر المتحالفة تشير ـ فى أثناء فترة ما بعد الظهر ـ الى قرب وقوع هجوم روسى موجه ضد الحملة ، ولكن الاجراءات التى اتخذتها هيئة أركان الحرب المتحالفة بهذه المناسبة تستحق أن تلقى فى طى النسيان • كان ثمة كلام عن حدوث فوضى مصحوبة برعب • فقد اسرع الاميرال بارجو مثلا الى سحب سفنه حيث أعاد القرادة « جأن بار » الى قبرص ، وكان المراسلون الحربيون يستخدمون هذه السفينة لنقل رسائلهم باللاسلكى الى فرنسا ، كما سحب الى عرض البحر سفينة القيادة العامه جوستاف زيديه دون أن يخطر بذلك حتى عرض البحر سفينة القيادة العامه جوستاف زيديه دون أن يخطر بذلك حتى الجنرال بوفر قائد القوة ( أ ) الذي وجد نفسه وحيدا على البر بعيدا عن مركز غواصات روسية فى كل مكان وطيادات روسية فى جميع اركان السماء ، ولسم يكن من شان التحديرات الواردة من لئمن الا زيادة الفوضى لانها اضافت نوعا من عرتكن من شان التحديرات الواردة من لئمن الا زيادة الفوضى لانها اضافت نوعا من التكيد على مفزى الانباء المفزعة الواردة من كل مكان و

وفى الساعة الرابعة والدقيقة الرابعة والثلاثين بعد الظهر صدرت من لندن البرقية النهائية التى تحمل أمر وقف اطلاق النساد فى السساعة الحسادية عشرة والدقيقة التاسعة والحمسين من هذا المساء نفسسه ـ اى دقيقـة قبـل هنتصف الليل ـ وهكذا صدر أمر وقف اطلاق الثار قبل الساعة الخامسة مساء ـ بتوقيت

جرينتش \_ اى فى خلال اثنتى عشرة ساعة ، وفقا لما حده الرئيس أيزنهاور . وعلى كل حال فقد اتصل الرئيس الامريكي بايدن تليفونيا ـ قبل انقضاء المهلة المحددة بقليل \_ فى الساعة الرابعة واللقيقة الخامسة والشلائين بتوقيت جرينتش × فابلغه ايدن أنه أصدر الامر بوقف اطلاق الثار فرد عليه أيزنهاور على الفور بأنه مسرور جدا لذلك ، وقد شعر الرئيس الامريكي كان حملا تقيلا قد أزيح عنه ، وكان يعتبر ذلك عدعاة حقا « للسرور العظيم » .

وكانت هناك موجة من السرور شملت أيضا قبرص ، اذ لم تكد رسالة وقف اطلاق النار تمسل الى هناك حتى اختفت جميع الانباء التى كانت تشير الى قرب وقوع الهجوم الروسى • ولم يعد احد هناك يتحدث عن غواصات سرية غريبة أو أشباح طائرات ، واختفت مظاهر الفزع بشكل سحرى كما ظهرت من قبل بشكل سحوى •

اما البرقية التى صدرت من لندن فى الساعة الثانية مسساء والتى كانت 
تتضمن احتمال وقف اطلاق النار فى الساعة الخامسة مساء ونصح الجنرال كيتل 
بالاسميلاء على اوسع مساحه ممكنة من الارض ، فانها لم تكن قسل بلفت حتى 
انقضاء هذه المهلة للقيادة العامة للقوة ( أ ) على ظهر الطرادة الفرنسية جوستاف 
زيديه ، وذلك لسبب اساسى هو أن الفرنسيين يعتبرون أن وقف اطلاق الناد 
لا يعنى الا البريطانيين وأن أولوية القيادة بين الحلفاء تزول بمجرد صدور أوامر 
وقف القتال أى بمجرد انتهاء التحالف ،

#### المناقشية الأخرة:

اما في باريس فلم يكن احد يعبد وقف المركة ، فقد جمع جي موليه من حوله بينو وبورجي مونودي - الوزيرين الرئيسيين المختصين بهماده السمالة -علاوة على رئيس هيئة اركان الحرب العامة الجنرال ايل ، واخد الرجال الاربعة

<sup>×</sup> أي دقيقة بالضبط قبل ارسال البرقية التي تأمر بوقف اطالق النار ·

يقلبون جميع أوجه المسكلة • وكان بينو وبورجى مينورى يعارضان بشدة وقف القتال ، أما موليه فلم يكن يريد القيام بأى عمل بدون بريطانيا العظمى • وكان يرى ان فرنسا قد تتعرض لمغاطر كثيرة اذا عملت وحسدها ، فى حين كان بينو وبورجى مينورى يعتبرانانها لن تفقد الشيء الكثير لأن سقوط ناصر قد يغير كثيرا من الامور • وكان الجنرال ايل يتمنى الاستمراد فى القتال ، ولكنه تبين له ان المنطق وقاعدة الهجوم واهم دكائز الحملة لا تزال فى أيدى البريطانيين اللين الحلوا علاوة على ذلك ستارا من الدبابات زنة ه٤ طنا لإغلاق طريق المعاهدة لمنع الفرنسيين من الزحف ، فاذا كان الفرنسيين يريدون التقدم فعليهم أن يحصلوا اولا على موافقة البريطانيين والا فيجب عليهم أن يخوضسوا معركة ضسد حلفها، الاهس .

واخيرا قرر موليه اتخاذ موقف الانجليز نفسه ، وحين طلبه ايدن تليفونيا ليبلغه انه سيعلن وقف اطلاق الناد امام مجلس المموم وسساله عصا اذا كان يستطيع ان يعلن ذلك باسم الحكومتين وافق جي موليه ، وارسلت برقية للانهيرال بارجو فحولها الى الطرادة جوستاف زيديه بعد ساعة ونصف ساعة من صدور الامر البريطاني المائل ، وفي هذه اللحظة كان يبدو انه لا يمكن الاتصال بالجنرال بوفر ، وعلى كل حال لم يتسلم احد من القيادة العامة للجنرال ماسو هذه البرقية،

وفى حين كانت مظاهرات الاحتجاج تتجمع في موسكو المام سفارات بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، كانت بريطانيا تطالب منذ فترة ما بعدد الظهر من يوم ٦ نوفمبر بجلاء اسرائيل عن سيناء ، ان هذا لم يكن خيانة لاسرائيل بل مناورة وقد قام كريستيان بينو بعمل مماثل في اليوم التاتي ، ولكن بطريقة خطية الى حد ما ، ففي كندن كان الانجليز مصرين على اقامة انفسهم حكاما بين اسرائيل والعرب ،

وفى بود سعيد خيم الليل على المدينة حيث كان جنود البحرية المصرية لا يزالون يقاومون فى مبنى قيسادة البحرية ، واستسدعيت الدبابات والطائرات للقضاء على هذه المقاومة • وبعد قليل توقفت كل معركة منتظمة ، ولكن في أثناء الليل استمر اطلاق الرصاص بصورة متقطعة ، وكان المراسلون الحربيون الفرنسيون اللذين أسكرتهم صفحات المجد والبطولة التي سطروها وقد اعتادوا أن يجلسوا الى صحناديق مقلوبة بدلا من المكاتب ـ قد ذهبوا بخطاباتهم لوضعها في صندوق الخطابات المشهور حيث يحملها زورق بخارى ولا الطراحة جان بار ، ولكن يا للأسف لم يكن هناك صندوق خطابات ولا زورق بخارى ولا الطراحة جان بار ، وفي القاهرة حيث الخيال المصرى شديد الخصوبة ، فسر المصريون حادث اختفاء جان بار على هواهم ، واخلوا يهتفون قائلين ان البحرية المصرية قد اغرقتها ، وربما وزعوا الاوسمة على الذين قاموا بهذا العمل العسكرى الباهر!

وربما كان أسوأ الناس حظا بين جميع الذين نزلوا على أرض مصر يوم ٦ نوفمير هو قائد القوة ( 1 ) الجنرال بوفر ، فحين هيوط الليل صعد فوق قاديه للحاق بمركز قيادته العائم الطرادة جوستاف زيديه ، ولكن الطرادة كانت قلم اختفت ، لم يخطر أحد قائد القوة (1) بأن السفينة قد أرسلت الى عرض البحر في اثناء فترة الرعب الكبر التي حدلت بعد الظهر • ولم يستطع بوفر الاتصال بمركز قيادته لأن الطرادة لم تكن تريد أن تعلن عن مكان وجودها خوفا من أن تلعب معها أية غواصة روسيه لعبة سخيفة وأخذ قائد القوة ( أ ) يبعث في الظلام الذي ساد المنطقة عن مركز قيادته اللعر • وأخيرا وجده في نحو الساعة السابعة مسماء فسلمت اليه في الحال رسالة الاميرال بارجو التي أرسلت في الساعة الرابعة والدقيقة الثامنة مساء بتوقيت جرينتش \_ السادسة والدقيقة الثامنة بالتوقيت المحل .. وقد تسلمها في الساعة السادسة والدقيقة ٤٢ بالتوقيت المحل ، وكانت الرسالة تبلغه أن أمر وقف اطلاق النار سيصدر في الساعة السابعية مساء بالتوقيت الحل ( الخامسة مساء بتوقيت جريئتش ) ولم يدهش بوفر واعتبر أن المسالة تعنى وقف اطلاق النار الشهير الذي أضاع نصف النهار في التفاوض بشيأنه • وقد اعلنت محطة الاذاعة البريطانية بعد ذلك بساعة واحدة أن الحكومتين البريطانية والغرنسية قد أصدرتا امرا بوقف اطلاق الناد في الساعة ٢٤ بتوقيت جرينتش ، أي في الثانية من صباح يوم ٧ نوفمبر بالتوقيت الحل •

وقد كلف الجنرال بوفر هيئة اركان حربه فودا بتوجيه رسالة الى طليعة القوات الفرنسية للتعجيل بالاستيلاء على أداض جديدة • ولكنه اصطدم برسالة وصلته من الجنرال ستوكويل يشير فيها الى أن الهدف القصود بلوغه فى الساعة ٢٤ بتوقيت جريئتش هو بلدة الكاب التى كانت دبابات سنتوريون البريطانية قربة حدا منها •

#### وقف اطلاق النار:

حين وصل أمر الجنرال بوفر الى القيادة العامة للكتيبة العاشرة مظلات التى يشرف عليها شاتو جوبير كان وقعه كالقنبلة • وقد استشاط الضباط المحيطون بالجنرال ماسو غضبا ، وكان هؤلاء هم أكثر الضباط اهتماها بالسياسة فى الجيش الفرنسى ، وقد حاولوا اقناع اللدين يسدون الطريق أمامهم الى القاهرة • ونجح الفرنسيون فى اقناع رجال الدبابات البريطانيين بالزحف الى الاسماعيلية دون انتظار قائدهم الجنرال بتلر ، ولم يكد الطابور يتحرك حتى وصل من الجنرال ستوكويل أمر فى الساعه الحادية عشرة والدقيقة ٢٣ مساء يحظر فيه الزحف نحو الجنوب •

لقد وصل فى الساعة ١٣٠٠ مساء بالتوقيت المحلى ـ ١٩٣٠ مساء بتوقيت جرينتش ـ الامر الرسمى بوقف اطلاق النار الذى حدد الساعة ٢٤ ـ بتوقيت جرينتش ـ لوقف القتال وأخد البريطانيون يخرجون زجاجات الجن من مخابئها فى كل مكان ، فى حين آخد ضباط سلاح الطيران الملكى فى قبرص يحتفلون بوقف فى كل مكان ، فى حين آخد ضباط سلاح الطيران الملكى فى قبرص يحتفلون بوقف اطلاق النساء الشامبانيا ، وفى الساعة ١٥٠٤ بالتوقيت المحل ـ ١٥٠١ بتوقيت جرينتش ـ اى نعو ساعتين قبل الوقت الرسمى لاطلاق النار، توفف كل عمل عسكرى، وقد تقدمت الدبابات البريطانية التى كادت تسد الطريق منذ الساعة الخامسة عشرة والنصف ـ بتوقيت جرينتش ـ مسافة ١٣ كيلو مترا فى نصف يوم دون أن تصادف أدنى مقاومة ، وكان يشارك الجنود البريطانيين فى شعودهم بالارتباح معظم الشعب البريطاني ولم يكن يعدل سرور عدد كبير

منهم سوى السرور الذى عم مجلس العموم الذى صاح حين اعلن ايدن أمامه قرار وقف اطلاق الناد ، وقد شارك النواب العمال النواب المحافظين فى التصفيق لرئيس الوزراء .

ومهما يكن من أمر فقد نظر المحافظون رسميا الى وقف اطلاق النسار كانه انتصار ، وهذا هو على الاقل ما أظهرته في اليوم التالي صحف المحافظين لقرائها • وكان عنوان صحيفة الديل ميل « سستكون القناة ملكنا » كمما اعلنت الديل اكسبريس بحروف كبيرة « الاستيلاء على الاسماعيلية » ثم كتبت بحروف صغيرة « وقف اطلاق النار » أما الديل سكتش فقد اظهرت مزيدا من الجراة وكان عنوانها بساطة وبوضوح « انتصار ايدن • • »

كان الموقف في الواقع مضللا ان الفرنسيين والبريطانيين كان لديهم ميزة يستطيعون المساومة بها • فهم يحتلون احد مدخل القناة ولا يمكن أن تعمل القناة الا اذا ارادوا ذلك أي حينما تقبل القاهرة ما يفرضون من مطالب • ولكن هذه الميزة كانت من جهة أخرى بهثابة حق فيتو على القناة لانهم لا يشرفون على الطرف الآخر ولا على الجزء الاكبر من القناة • ولكي تسمير الملاحة في القناة ، يجب الاعتماد اما على حسن نية المصرين التي لا يمكن الإعتماد عليها ما دام الفرنسيون والبريطانيون في بور سعيد ـ واما استثناف العمليات العسكرية والاستيلاء التام على القناة •

وفى مساء يوم ٦ نوفهبر ارسل أيزنهاور برقية الى ايدن • وكانت اللهجة ودية كما كان الحديث التليفونى الذي أبلغ ايدن خلاله أيزنهاور أنه يوافق على وجهة النظر الامريكية وديا • ولكن جوهر البرقية كان أكثر تعطفًا ، لانها اعدت بواسطة أجهزة وزارة الحارجية الامريكية التي لا تتمتع بالتفكير السريع الكريم الدي يتمتع به الرئيس الامريكي • وكانت البرقية تعلن قيام معركة الاجراءات ( وهدو مالم يتبينه ايدن في هده اللحظة ) وكانت تشدير بصفة خاصة الى أن الولايات المتحدة لا تتنازل عن ضغطها وأنها بعد أن فرضت اطلاق النسار

ستعمل على تعقيق الجلاء وكان معنى هذا النص واضعا ، ولكن كان من أثر السرور الذي غمر ايدن لعودة الصداقة الانجليزية الامريكية ( وقد أبرق الى جي موليه بدلك ) أنه لم يدرك أن هذه تعليمات حقيقية جديدة تختفي تحت ستار الكلمات المهدبة المنمقة ، وقد أشار أيزنهاور الى أن أنشاء قو دولية كلامم المتحدة يجب أن يتم بسرعة لتحول دون حدوث تطورات في مصر قد تكون بالقة الخطورة ، وعلاوة على ذلك فإن أنشاء هذه القوة أن يعطى للاتحاد السوفييتي أية حجة للعمل، وقد أوصى الرئيس الامريكي بشدة بالموافقة على الا يدخل في تكوين الوصدات الدولية ، التي مستشكل هذه القوة ، أية وحدات عسكرية تقدمها الدول العظمى، وواضح أن هذا التعبير كان أكثر الوسائل الرقيقة الممكنة لطلب عودة القوات الفرنسية البريطانية ، أذ أنه لن يمكنها الاستراك في القوة الدولية أو الاندماج فيها بأي حال ،

ودرست الحسكومة البريطانية هذا الاقتراح الامريكي ثم رأت أن الهسدف المبشر الذي يجب أن تضمه نصب عينيها هو اعادة العلاقات الطبية مع الولايات المتحدة بقدر الامكان بحيث تدفعها الى الاعتراف بالمخاطر الحقيقية التي يمكن أن تنجم عن أي تسلل سوفييتي جديد، وقد كلفت الحكومة ايدن بايجاد الوسيلة التي تؤدي الى دعم هذه السياسة ، فوجد ايدن أنه من الافضل اجراء عشاورات مباشرة بينه وبين ايزنهاور وجي موليه ، وكانت الفكرة على جانب كبير من البراعة ، لانها ستؤدي الى اظهاد التضامن الاطلنطي من جديد بشكل واضح ،

#### معركة دبلوماسية:

واذا كان وقف اطلاق النار قد اسكت الاسلحة فانه لم يوقف المسركة ، أو استؤنفت المسركة بعد قليل ولكن على شكل دبلوماسي في اروقة الامم المتحدة ، وقد أجابت فرنسا وبريطانيا على الرسالة التي وجهها اليهما السكرتير العام للامم المتحدة بتاريخ ه نوفمبر ، والتي يبلغهما فيها بالقراد الذي أصدرته الجمعية العامة بقولهما انهما قررتا الاذعان لارادة غالبية الاممالمتحدة وانهما قد اصدرتا المرقواتهما

التى نزلت فى مصر آمرا بوقف اطلاق الناد • وقد آثاد هذا الخفسوع الفرنسى البريطاني فودا دد فعل من جانب مجموعة اللول الافريقية الآسيوية التى قدمت مشروع قراد يطالب اسرائيل بالعودة الى خط هدنة عام ١٩٤٩ ، ويطالب فرنسا وبريطانيا بسحب جيوشهما من مصر • كما قدم السكرتير العام للأمم المتحدة من جانبه تقريره الثاتى بشأن الخطة المقترحة لإنشاء قوة دولية على وجه السرعة •

ولم تقتصر المعركة الدبلوماسية على الوقة الاممالتحدة، فقد كان رد اسرائيل على طلب بريطانيا العظمى لها بالجلاء عن شبه جزيرة سيناء انها تعتبر غزة منطقة معرمة على المراقبين العسكريين للامم المتحدة ، ان جميع مساحات الارض المحتلة بما فيها صحراء سيناء خارجه عن اختصاصات لجنة مراقبة الهدنة التابعة للامم المتحدة ومن ثم لا تخضع لحكمها .

وقد أعلن رئيس هذه اللجنة الجنرال بيرنز آنه يضع فى تقديره هذا القراد العاشر من طرف واحد ، واصدر الى مراقبى الامم المتحدة الخمسة أمرا بالبقاء فى مراكزهم ، فاخطرت اسرائيسل هؤلاء المراقبين بأنه لن يسمح لهم بالعودة الى المنطقة المسار اليها اذا تركوها •

وفى ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ وقعت بعض الاحسان الاخرى التى تستعق أن نذكرها ، اذ قطعت المملكة العربية السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا العظمى وفرنسا ، التى لم ترفع صوتها منذ مدة طويلة • ثم أن فوستر دالاس استانف اشرافه المعلى على وزارة الخارجية الأمريكية وهو راقد فوق سريره فى المستشفى • واخبرا أعيد انتخاب دوايت ايزنهاور رئيسا للولايات المتعدة الامريكية •

# الفصل السّابع عشرُ الكاسب

وفى صباح يوم ٧ نوفمبر تقدمت من مدخل بور سعيد سفينتان تقلان كبار ضباط اركان حرب القوات البريطانية والفرنسسية ، وهاتان السسفينتان هما تبن وجوستاف زيديه ، ونزل هؤلاء الضباط فى المناطق التى سبق ان احتلتها قواتهم فى بور سعيد وبور فدؤاد ، كل فى مكانه الخساص به ، ثم اسستانفت السفينة جوستاف ذيديه سيرهابرغم أن الاميرال بارجو كان لا يزال يخشى وجود غواصات سوفييتية ، ومن ثم وجعت القيادة الفرنسية نفسها على الساحل من غواصات تكون هناك الماكن تاويها ، وبلا خطوط قوية تربطها بقاعدتها فى قبرص ،

على أن الشكلة الهامة التي برزت أمام القيادتين كانت وقف سيل المؤن والمسدات والرجال الذي أعلن قرب وصلوله ، لتعلق تفريغ السلف في هذه الظروف والواقع أن هذه المملية كان ينبغيأن تستمر لمدة خمسةعشر يوما وعلى عدة مراحل • ولكن هذه المعدات الهامة لم يكن من المكن الانتفاع بها والحال تلك فضلا عن ضيق رقعة الارض المحتلة •

وبدى، فى تقسيم المناطق للحتلة ، فاحتل الفرنسيون بور فؤاد وقطعة الرض صغيرة على الضفة الفربية للقناة من ناحية السكاب ، أما البريطانيون فقد 200

احتلوا ما تبقى ، أى بور سعيد والجميس والمواقع الامامية الواقعة جنوبى رأس الجسر على ضفة القناة • وقد أخلوا المعدات وبعثروا السيارات هنا وهناك خوفا من وقوع هجوم جوى طارى ، وارسلت قيادة القوة ( أ ) تطلب مدافع مضادة للطائرات من فرنسا فقوبل طلبها بالرفض •

واتخلت : لترتيبات بعد ذلك بحيث يتم الاحتفاظ على الساحل بالحد الادنى من الوحدات • أما عملية الشحن فقد نفلت طبقا لخطة موضوعة ، وأرسلت السفن الى ممر على وجه السرعة • وكانت هذه الخطة تقفى بانزال العربات المصفحة الى الساحل ، ولكن جنودها ظلو في الباخرة « باستير » التي أقلعت من فرنسا الى المخزائر • وعلى العكس انزلت الفرقة للعرعة الثامنة جنودها على الساحل ومعهم عدد قليل من المصفحات ، في حين ظلت بقية مهمات الفرقة على السفن في البحر . وفي ١٠ نوفمبر أصبح للفرنسيين في البر ٨٠٠٠ جندى و ٢٢٠٠ سيارة و ٣٥٠٠ طن من المواد الفذائية •

#### عمليه حكمت المحكمة:

رات هيئة أركان الحرب أن عليها أن تكون مستعدة للرد على أى هجـوم طارى، ، لذلك عقد بعد يومن من وقف اطلاق الناد ــ ٩ نوفمبر ــ مؤتمسر في بود فؤاد لوضع الخطوط العريضة خطة هجومية ، واتضحت معالم الخطة في المؤتمر الذي عقد في قبرص يوم ١٤ نوفمبر ، واخلت شكلها النهائي يوم ١٤ نوفمبر تحت اسم عملية « حكمت المحكمة » ،

كانت الفكرة الاسماسية لهذه الخطة هى التقسدم صوب الاسماعيلية وابو صوير ثم نحو السويس مع الاحتفاظ بعد الاسماعيلية بقوة مصفحة تتجه ال القاهرة • وكانت الامدادات الفرنسية تتكون من كتيبة من جنود المظلات ومن فرقة ميكانيكية وعربات ، بالاضافة الى الاحتياطي من اللخائر والوقود • كل هذه الاحتياطات كان يقابلها في التغطيط العمل تدفق الجنود والمدات طوال الايام التي اعقبت وقف اطلاق النار • وقد اثارت هذه التحركات شكوكا في المجال الدول • واصبح الاعتقاد السائد أن الحلفاء يعدون قواتهم - تحتسستار وقف اطلاق النار - لاحتلال بقية منطقة القناة ، وكانت الظروف ملائمة جدا هذه المرت بعد أن تحسنت العلاقات الانجليزية الامريكية منذ ٧ نوفمبر •

والواقع آن الحكومة البريطانية قررت بعد ظهر يوم ٦ نوفمبر ان تبدلل قصارى جهدها لاعادة الروابط الودية مع امريكا ، وهل كان هناك لتحقيق هذا الغرض افضل من عقد اجتماع ودى على مستوى القمة ؟ ومن اجل ذلك اتصل ايمن تليفونيسا يوم ٧ نوفمبر وقت الغداء بايزنهاور واقترح عليه ان يجتمع به في واشنطن ومعه جي موليه ، فاجاب ايزنهاور : بالتاكيد ، احضر وقتما تريد ! كان ايمن يريد ان تتم المقابلة بسرعة فاقترح أن تكون في اليوم التالى ، فوافق رئيس الحكومة الامريكية وهو مذهول ، فابرق ايمن بسرعة الل جي موليه ليبلغه بهذا النبا السار ، وفي الحال صدرت الاوامر في لنسان وباديس لاعداد الطائرات لهذه الرحلة العاجلة ،

ولم يكن فينية الفرنسيين والبريطانيين أن يتركوا راس الجسر في بور سعيد من غير أن يستغلوا الكاسب التي حصلوا عليها الل اقصى حد، أى من غير الحصول على الفوائد أو الضمانات التي يريدونها • وقد صدرت من ثندن الى الجنرال كيتل تعليمات صريحة بهذا المعنى في ٩ نوفمبر •

ولكن وزارة الحارجية الامريكية كان لديها سبب آخر ... وبما أخطر ...

للاعتراض على مقابلة سابقة لاوانها بين ايدن وموليه ورئيس الحكومة الامريكية •
كانت الوزارة لا تريد أن يشاع أن الولايات المتجدة توافق على حملة السويس ،
ولكن دوبرت مورفي هو الذي أنسساع هسلا الخبر ، ولقسد كتب : « هنساك
كثيرون في الاتحاد السوفييتي وفي دول أخرى يمتقدون أن الولايات المتحدة كان
لها ضلع كبير في المفامرة العسكرية الفرنسية البريطانية ، وكانوا يتلهفون على
وصمها بالهزيمة ، •

وامام هــله الشائعـات التى يصعب تكذيبهـا ــ لوجـود وقائع رسمية كتساهل الاسطول السادس تجاه الاوامر التى اصدرتهـا لنــدن وباريس بعدم التجول فى البحر المتوسط ــ ارادت وزارة الخارجية الامريكيـة أن تتغلص باى ثمن من أى تقارب ظاهر مع المقهودين المقلوبين على أمرهم •

وبناء على تدخل وزارة اخارجية فان الرئيس الامريكي بعد أن قال لايدن « بالتاكيد ، احضر وقتما تريد » طلبه ليقول له كما ذكر ايدن : « انه يرغب في ان يوضح في هل سفرى لن يكون فقط لمناقشة القرارات التي تبحث في الوقت الخاضر في الامم المتحدة ، فاجبته بالطبع لا ، مع اني كنت أجهل مضمون هداد ألقرارات في هذا الوقت » •

ولقد سر الرئيس الامريكي لهذه الاجابة لانه كما قال لايدن : « من المؤلم أن نتناقش في هذه القرارات وأن نكون مغتلفين بشانها » •

وبعد فترة اتصل آيزنهاور بايدن تلينونيا ليبلغه بانه سيكون مشغولا في الإيام القادمة بسبب المشاورات التي ستدور مع زعماء الكونجرس ، وانه يغضل تأجيل الزيارة ـ التي لا يمانع فيها ـ الى تاريخ بعيد ٠

وفي المساء أوسل أيدن الى الرئيس الامريكى برقية يؤكد فيها أنه يتمنى مقابلته قريبا وببلغه بأن هدف المحادثات يجب أن يكون معاولة وضع سياسة مشتركة ، وقد رد عليه موافقا على أن تتم القابلة في أقرب فرصة بعيث تكون قرارات الامم المتحدة قد حازت لديه الرضا من قبل ، وقد قال ايدن : « لقد طلبت منا الولايات المتحدة أن تتخلى عن الكاسب التي حسلنا عليها قبل أن يوافقوا على أن يناقشوا معنا مسالة انتهاج سياسة مشتركة الأشرق الاوسط »

## الضغط في الامم المتحدة:

وفي الأمم المتعدة استانفت المجموعة الأفرو اسيوية هجومها وحصلتعلى ٥٠ صوت ( منها صوت الولايات المتحدة ) ضد صوت واحد ( اسرائيل ) وامتناع كثير عن التصويت ، وكانت ثمة رغبة في الخصول على قرار يتضمن الطالبة بانسحاب القوات البريطانية والفرنسية من مصر قورا ، ثم اتخذ قرارا بتكوين قوة بوليس تابعة للأمم المتحدة ، وفي هذه المرة صوتت بريطانيا وفرنسا لمسالح واتحاد جنوب افريقيا ، وبعد انتهاء الجلسة مباشرة اجتمع السكرتير المسام بالمجلس الاستشادى المكلف بتشكيل قوة البوليس الدولى ، ومع ذلك فان لندن فسرت القرار الخاص بطلب انسحاب الفرنسيين والبريطانيين بأنه ثم يحدد مهلة معينة ، اذ أن هذا القراد يطلب انسحاب القوات طبقا لقرارات الامم المتحدة ، المقدمة دون تحديد مدة ، ولذلك اعتبرت للدن أن ذلك يعنى أن على الفرنسيين والبريطانين أن على الفرنسيين والبريطانين أن على الفرنسيين والبريطانين أن على الفرنسيين والبريطانين أن يسحبوا قواتهم ولكن ليس في تاريخ معين ،

وكانت اسرائيل على علم بهذه المناقشات فبادرت الى العمل ولكن بطريقة 
غير لبقة ، وذلك حينما اعلن بن جوريون فى اليوم السابق رفض الجلاء عن سيناء 
وقد بعث الرئيس ايزنهاور برسالة لرئيس حكومة اسرائيل يطلب منه فيهسا 
انسحاب قواته عن سينساء ، وكانت غلطة بن جوريون نتيجة تحطأ فى تحليسل 
الموقف ، وهذا الخطأ اقترفه كثير من الاسرائيليين فى هذا الوقت ، لقد كان بن

جوديون مقتنعا بأن معركة سيناء قد عززت مركز اسرائيسل في المسائم وكان يتصرف تبعا لهذا الافتراض ، ويرفض أن يجد فيها ما يبرد تصويت تسعة أعشاد الامم المتحدة ضد بلده ، وكان في حاجة لان يقنع نفسه بدلك بأى ثمن وان يتعامى عن الحقائق حتى يستطيع محاولة فرض شروطه .

ولكن فيما بعد اتفسحت الامور وعرف بن جوريون أن النتيجة الاولى لحرب سيناء بالنسبة لاسرائيل هو جعل العالم كله تقريبا ضدها .

## باريس تغرج عن صمتها:

وفى باريس ناقشت الجمعية الوطنية حملة السويس فى جلسة صاخبة ، وكانت هنسك اسباب تجعل جى موليه يخشى أى انتقاد للطريقة التى عالج بها الاعـداد لهده الحملة ، وكان يغشى بصفة خاصة الهجوم الذى سـيقوم به جاك سوستيل والذى سيصعب فى هده المرة الرد عليه ، لان سوستيل كان يعلم كل خبايا المسائلة ، وقد بدأ يتحدث فعلا عن « فشل الحملة » ،

ولكن جعبة جى موليه كانتمليئة بالالاعيب، ففي حين كانت الجمعية الوطنية تستعد لتوجيه اتهامات لرئيس الوزراء وجلت نفسها أمام استنكار شديد تجاه الاتحاد السوفييتي « سفاح الشعب المجرى » ولكنه حتى ذلك الوقت لم يكن الم الفرنسيين على للجريين التمساء يتجاوز العبارات المليئة بالرثاء ، ولكن بدت مظاهرات مفاجئة في كل مكان كما لو كانت قد اعطيت لها اشارة معينة ، لقد بدات هذه المظاهرات في وقت واحد في باريس وفي مختلف مدن المقاطمات ، ولم تكن مظاهرات موجهة ضد الراكز الدبلوماسيية السوفييتية - مثلما حسك في موسكو في اليومين السابقين حين قامت مظاهرات ضد سفارات بريطانيسا وفرنسا واسرائبل - ولسكن كانت موجهة ضسد مراكز المنظمات التابعة وفرنسا واسرائبل - ولسكن كانت موجهة ضسد مراكز المنظمات التابعة للحزب الشديوعي الفرنسي م كان للتك ميزة لانها وضعت على كاهل الحزب الشديوعي الفرنسي مسئولية اجتياح الجيش السوفييتي للمجر ، ونهب المتظاهرون

مقر اخزب الشيوعى الفرنسي ووقعت حوادث في الاقاليم ، وان تكن الموادث التي وقعت في ميدان شاتودان وامام مبنى جريدة الاومانيتيه ، وقد اسفرت هذه الحوادث عن بعض القتل ، وتعرف بعض الصحفيين المطلعين الذين تتبعوا عن كتب المظاهرات على السدين تزعموها وقيهم مفتشون عموميون في المخابرات وفي تنظيم حوادث الشغب، كانوا يشغلون من قبل مناصب في الحزب الشسيوعي الفرنسي ، ثم انتقلوا الى الحركة العمالية الفرنسية اللولية ، على المجمهور سالدي كانت تفحص صوره بدقة غداة كل يوم من أيام المظاهرات ساكان يضم عددا من الاستراكيين وانصاد الحركة العمالية يوم من أيام المظاهرات ساكان يضم عددا من الاشتراكيين وانصاد الحركة العمالية مما كان يضم بصفة خاصة عددا كبيرا من جنود المظالات السابقين الذين ارتدوا ملابسهم الرسمية من أجل هذه المناسبة وثاروا من الاطانات التي خقت بهم من قبل باشعال النيران في مبنى صحيفة الاومانيتيه وفي الكتب الماركسية ، لقد لقدر انتباه رئيس الوزداء في اليوم التالى أنه اكتشف محاولات قام بها البعض لاقحام المحادبين القدماء في المؤاهرات لاسباب سياسية ، وكان هدفهم من ذلك اسقاط حكومة جي موليه ، لانه رجل يجب القضاء عليه ،

وسرعة قضى على هذه المظاهرات ، كما سسحق هجوم سوستيل وهو فى مهده ، ولكن اظهار المداء للاتعاد السوفييتى استمر ليكون وسيلة لكسب ود الولايات المتحدة ، والواقع أنه منذ ٨ نوفمبر بدات حملة فرنسية بريطانية هدفها استنكار التدخل السوفييتى فى الشرق الاوسط وذلك باعلان اكتشاف مخازن ضخمة للاسلحة فى سيناء ، وقد تطوع الاسرائيليون بعمل كشوف بهذه الاسلحة فى باريس ، وإذا كان هـولاء قد استولوا فى خلال حملة سيناء على كميات كبيرة من المعادات فإن اخيال لعب دورا كبيرا فى المقالات التى كانت تظهر فجاة ثم تغتفى فجاة فى الصحف الفرنسية متحدثة عن اكتشاف اسلحة سوفييتية غريبة وسرية مدفونة تحت الرمال الساخنة تحت حراسة جنود آميين ، كما

قالت انه اكتشفت في سيئاء مليون بطانية ومعدات خاصة بالقطب الشمال • ونشرت الصحف في صفحاتها الاولى أنباء عن الطائرات السوفييتية الرسلة الى سوريا •

وئكن هذه الأنباء المغتلفة التى تهدف الى اثارة الخواطر ضمد التدخل السوفييتى فى الشرق الاوسط ارتد اثرها الى نحور الذين اختلقوها • فقد ذكر ايدن فى مذكراته انه على اثر انتشار الشائعات بتغلفل السوفييت فى الشرق الاوسط « طالبتنا الولايات المتحدة بالاسراع فى سعب قواتنا من هناك بسرعة اكثر » • وهكذا تبخرت قصص الاسلحة السوفييتية والبطانيات المدفونة فى الرمال ، وقصص الفواصات السوفييتية التى تجوب البحر المتوسط •

## القوات الدولية:

ومن جانب آخر كانت القوة الدولية يجرى تنظيمها باشراف الجنرال الكندى بيرنز ، وفي اسرائيل أجاب بن جوريون على الرسالة التى بعث بها اليه الرئيس ايزنهاور طالبا منه فيها سعب القوات الاسرائيلية في سينا، بقوله أنه مستصد لسحب قواته بشرط أن تكون هناك تعديلات مرضية باشراف الأمم المتحدة ، ولم يعدد بن جوريون هذه التعديلات ، مما جمل ايزنهاور يمتنع عن مواصلة الكتابة له لان استمراوها يعنى أنه قبل رغبة رئيس حكومة اسرائيل في فرض شروطه ،

وفي ٩ نوفمبر وصل الجنرال بيرنز قائد القوات الدولية المالقاهرة واستقبله الرئيس جال عبد الناصر كما استقبل السفير السوفييتي كيسيليف وريوند هير سفير الولايات المتحدة • وفي السماء تكلم الرئيس عبد الناصر بالراديو عن الاحداث الاخيرة ، وامتدح ايزنهاور والماديشال بولجانين اللذين اندرا مجرمي اطرب من الفرنسيين والبريطانيين ووضعا حدا لعدوانهم •

كما وجه الشكر للأمم المتحدة التي بسطت حمايتها على الشمعب للصرى الإعزل •

وفى هذا اليوم اعلنت العراق قطع علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا ــ فقط مع فرنسا ــ والاهم من ذلك ان شركة البترول ارامكو اعلنت أنها بناء على طلب المملكة العربية السعودية ستوقف بيع البترول لبريطانيا وفرنسا الى انتنسحب جيوشهما من منطقة قناة السويس •

هل كان الروس على علم بالتعليمات التى اعطاها ايدن للجنرال كيتل يوم ٩ نوفمبر ويخطره فيها بان الفرنسيين والبريطانيين ينوون الاحتفاظ بمكاسبهم في بور سعيد ؟

هذا ما لم يعرفه آحد بعد ، ولكن الذي حدث هو أن وكالة تاس نشرت في اليوم التالي تصريحا رسميا جاء فيسه أنه : الحالم تنسحب القوات البريطانيسة والفرنسسية والاسرائيلية من الاراضى المصرية ... بنساء على قرارات هيئة الامم المتحدة ... واستمرت في الماطلة بقصد الامتناع عن تنفيسلا هذه القرارات فان السلطات السوفييتية المختمسة لن تعارض في سسفر التطوعين السوفييت الى مصر ، وفي اليوم التالي .. يوم ١١ نوفمبر ... اعلنت الصين أنها لا تمنع سسفر المتطوعين الى مصر ،

ولما لم يؤد هذا الضفط الى نتيجة اعلنت السفارة الصرية في موسكو يوم ١٢ نوفمبر أن خمسين الفا من جنسود احتياطى الجيش السوفييتي قد تقدموا بطلباتهم كمتطوعين للحسرب في مصر ، ونشرت صحف موسسكو أن المتسطوعين يتالفون من قواد الدبابات والطيارين ،

لم تكن التهديدات السوفييتية والصيئية وسيلة للفسفط على الامريكيين أو على الفرنسيين والأسرائيليين والبريطانيين فحسب ولكنها كانت تهدف أيضا لل اعطاء المصريين فرصة للمساومة في مباحثاتهم مع الامم المتحدة مقابل تنازلهم عن طلب المتطوعين المسبوفييت • وكان المصريون يتباحثون في الواقع حينتَد بشان دخول قوات الامم المتحدة اراضيهم ، وكانوا يريدون ان يكونوا سادة في بلادهم ويحددوا بانفسهم المناطق التي ستنزل فيها القوات المدولية وتاديخ جلائهم عن اراضيهم • وكان الاتحاد السوفييتي يرغب كذلك في ابداء رايه الذي يعارض مبدأ انشاء قوات تابعة للامم المتحدة ، وكان يقترع ضد هذا المبدأ كلما أتيحت له الفرصة أو يمتنع عن التصويت لان موافقته تعنى في رايه انها تضع في خدمة الراسمائية الدولية بوليسا ضد كل الحكومات الصفيرة التي ترغب في الخروج عن وصاية هذه المدولة بوليسا ضد كل الحكومات الصفيرة التي ترغب في

وفي ١٢ نوفمبر اعلن في القاهرة بيان رسمي بشان توقيع اتفاق بين مصر والامم المتحدة يتعلق بدخول قوات الامم المتحدة الاراضي للصرية ولم يتناول البيان التفصيلات ، ولكن اعلن بطريقة شبه رسمية أن قوات البوليس الدولي لن يكون لها أية مهمة في بور سسعيد أو في منطقة القناة بعد انسسحاب الوحدات الفرنسية والبريطانية التي يجب أن تجلو عن مصر بسرعة • كانت هذه هي النقطة الاساسية ، أذ أن الاحتفاظ بقوات الامم المتحدة يعني استبدال ضمانات دولية بالشمانات الفرنسية البريطانية • وكان نشاط قوات البوليس الدولي محدودا في خط الهدنة بين اسرائيل وعصر وهو الخط الذي وضع بعد حرب فلسطين ١٩٤٨ ح ١٩٤٨ وكانت موافقة مصر ضروريه بالنسسة لاختيار الدول التي سترسسل وحداتها ، كما أنه كان مفهوما أنه أذا قررت مصر سسحب موافقتها فان قوات البوليس الدولي تجلو فورا •

## تقارب أطلنطي:

في هذا الوقت بذلت واشنطن جهدا وضحا للتقرب من بريطانيا ، وقد وضع ايزنهاور الامور في نصابهافي الرسائل التي بعث بها الى ايدن يومي ٦ و ٧ نوفمبر واعرب عن المله في أن تجلو القوات الفرنسية والبريطانية عن الاراضي المصرية طبقا لقرارات الامم المتحدة • وكان الرئيس الامريكي واثقا ـ بعد المحدادات التليفونية الودية مع ايدن ـ من أن البريطانيين سميعملون على التوفيدي بين سياستهم وبين هده القرارات • ومنسلا ذلك الوقت كان من المناسب لامريكا ان تدبر امرها مع بريطانيا ، ولهذا فان سياسة امريكا في هذه الايام كانت تهدف الى التسمتر بقدر المستطاع خلف العمل الشخصي للسكرتير العام للامم المتحدة الدى كانت تدفعه للامام بقدر ما تستطيع وتسانده بعاريقة مستترة ، وكان مشروع القرار اللي تقدمت به الولايات المتحدة يوم ١٠ نوفمبر محاولة للتوفيق •

ولكن هذه المحاولة فشلت لأن مصر رفضت أن تناقش أى حل مهما يكن نوعه ما ثم تنسحب القوات الاجنبيه من الاراضى المصرية • وفى هذه الظروف ثم يكن من المكن اجراء أى تعديل ، وكانت وحدات الامم المتحدة قد أجلت سفرها مرتن إلى مصر •

ولما وصلت في ١٥ نوفمبر الى الاسماعيلية ، وضعت نفسها تحت مراقبة البوليس المسرى ٠

ومن ناحية آخرى بذلت الولايات المتعدة جهدها لصافح حلفائها • ففي ١٣ نوفمبر رد الجنرال جروينتر قائد قوات حلف شمال الاطلنطى ـ بعد ثانية آيام ـ على تهديدات بونجانين التيصدرت يوم • نوفمبر بانالاتعاد السوفييتي سيتعرض للشرب بالقنابل اللزية اذا بدا في القاء القنابل اللدية على دول الاطلنطى !

وقد بعثايز نهاور برسالة ال جي موليه يوم ١٧ نوفمبر ، كما اعلن احتجاجه يوم ١٤ نوفمبر على التهديد الرسمي بارسال متطوعين الى مصر • ولسكن هده الحركة بدلا من ان تحت الحلفاء على الجلاء جملتهم يفسرون الموقف الامريكي بأنه ضعف ظاهر ، بل فسروه بأنه يعنى الرغبة في مشاركتهم في المسئولية ، وحاولوا الاستفادة منه الى اقصى حد •

وضغط المريون من جانبهم على الولايات المتحدة ليضعوا حدا لبيساناتهم العدائية وبداوا حملة دعائية يفهم منها أن المحتلين سيتعرضون لاعمال وحشية في بور سعيد وبود فؤاد • وقد نشروا فيلما صور خصيصا حول هذا الموضوع ، ووزعوا هذا الفيلم على مراسلي الصحف الامريكيسين وعلى السكرتير العام للامم المتحدة إيضا •

ولكن في يوم ١٣ نوفمبر ابلغت بريطانيا وفرنسا واسرائيل السكرتير العام للاهم المتحدة أنها تضع شروطا لسحب قواتها ، أي أنها ترفض الخضوع لقرارات الاهم المتحدة ، وهكذا تأزمت الاهور مرة أخرى .

وفكر المسئولون فى باديس ولندن فى استئناف الحرب ، ولكنهم كانوا فى حاجة الى البترول ، وهسدا يعنى انه يجب عليهم التصرف بسرعة مستخدمين المغزون من الوقود الموجود ، واصبحت تبعية الدولتين للولايات المتحسدة تزداد يوما بعد يوم بسبب حاجتهما للوقود ،

# التهديد بالبترول:

كانت الولايات المتحدة مشغولة حيثلا بمسالة تزويد اودوبا بالبترول ، ولكن في الوقت الذي اعطت فيه ضمانات للدول الاوروبية مثل المانيا وايطاليا بالمددها بما يلزمها منه منمته عن فرنسا وبريطانيا اللتين قامت بابلاغهما سرا بانها لن ترسل اليهما الكميات الاضافية من البترول حتى يجلوا عن فناة السويس ، وقد سمى جي موليه رئيس الحكومة الفرنسية هذا بتهديد البترول .

ولقاومة هذا التهديد كان ينبغى على الدولتين أن يقنعا بما لديهما من مدخر البتول ، ولكن دوى أن تحديده في فرنسا ... بعد أن سكر الشعب بخمر الامانى ... سيؤدى الى سقوط الحكومة ، ومن ثم اتخلت اجراءات تدريجية ، ففى ٨ نوفمبر نشرت الجريدة الرسمية قرادا لمحاولة تنظيم أو تعديد « سير السسيادات » وفى المرت الخوادة عدة قرادات هدفها تقليل استهلاك المنتجات البترولية ،

وفي ١١؛ توفمبر صدر قراد بتغيير توع وقود السيارات ٠

وفی ۱۶ نوفمبر آعلن آنه رغبة فی تخفیض استهالال زیت الوقود فستوقف حرکة بعض القطادات ابتداء من ۱۹ نوفمبر وستتخذ اجراءات اخبری تزید من هذا اخد ، وقررت اخکومة آن تطبع بطاقات لتوزیع الوقود ۰

وفى بريطانيا حيث كانت الحكومة اقوى من حكومة جى موليه ، تقرر توزيع الوقود بالبطاقات من يوم ٢٠ نوفمبر ٠

## ضغط سوفييتي:

وقى ١٥ نوفمبر بعث الماديشال بولجانين برسالة الى جى موليه كانت بهثابة ضغط جديد للجلاء عن مصر ٠ وقد أوضع فى رسسالته أن اخكومة السوفييتية تقبلت بالرضاء نبأ وقف اطلاق الناد فى مصر ، ولكنها تصر على ضرورة انسحاب القوات الفرنسية والإنجليزية والاسرائيلية من الاراضي المصرية من غير أى تأخر

ومن ناحية اخرى اعلن الماريشال بولجانينان مصر قد تعرضت سائر جسيمة من جراء التدخل السياسى ، وأنه يجب منحها تعويضات مناسبة ، وأخيرا أعلن رئيس الحكومة السوفييتية أنه يجب الا تبقى القوات الدولية في منطقة القنساة لان ذلك يتعارض مع اتفاقية القسطنطينية ،

وفي اليوم نفسه بعث الماريشال بولجانين برسالة مماثلة الى ايمن ٠

كذلك اعلنت مصر تنازلها عن التسطوعين السوفييت لانها لم تعد في حاجة اليهم على أساس أن الامم التحدة قبلت وجهة نظرها ، وهو عدم احلال ضمان دولي بدلا من الضمان البريطاني الفرنسي •

ولكن الاتحاد السوفييتي استمر في ضغطه حتى أنه في ١٧ نوفمبر استنكر خروشوف خلال حفل اقيم بقياعة سان جورج بالكريملين احتفى الا بالزعمساء البولنديين عملية النهب التى قام بها البريطانيون والفرنسيون فى مصر ، وقد غادر سفراء مجموعة دول حلف شمال الاطلنطى القاعة بعد انتهاء خطاب خروشوف وفى اليوم التالى استانف خروشوف خالال الحفل اللى اقامته سسفارة بولنسدا هجومه من جديد على اللول الفربية ، وغادر سفراء دول حلف شسمال الاطلنطى الحفل ايضا ، وكان هذا هو كل تضامن أعضاء هذا الحلف •

ومن ناحية آخرى تلقى بن جوديون من بولجائين طلبا بتعويض مصر ، ودد عليه دئيس وزداء اسرائيل يوم ١٨ نوفمبر ، فقد كان يستطيع التمهل فى الرد اكثر مما فعل الفرنسيون والبريطانيون لانه يعلم أن المشكلات القائمة بين مصر واسرائيل لن تتحسن فى حين أن اللولتين الاخريين مضطرتان الى التفسكيد فى اليوم الذى ينبغى أن تمر فيه سفنهما فى القناة عن جديد ، ويجب عليهما اذن أن تستعدا لتعويض مصر ، وكان دد بن جوديون على ولجانين أن من دأيه أناسرائيل هى التى يجب أن تتلقى تعويضا من المصرين وليس العكس ،

وفى التاريخ نفسه بعثت احدى عشرة دولة برسالة الى السكرتير العام للامم المتحدة تطلب منه فيها انسحاب القوات الاسرائيلية وراء خط الهدنة الاسرائيل المصرى فورا ، كما استنكرت الإعمال الوحشسية التى يتعرض لها اللاجئون العرب فى منطقة غزة على إيدى الاشرائيليين •

## زيارة لواشنطن:

اذا كانت الولايات المتحدة قد تصورت يوما ما أن الحكومة الانجليزية كانت ترغب في أن تنظم سياستها في الشرق الاوسط وفق سياستها فان هذا الوهم ما لبث أن تبدد خلال زيادة سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية لواشنطن ، وذلك في منتصف نوفمبر وقد قال ايدن أن لويد كلف بأن يشرح الامريكيين أن وجود بور صعيد في أيدى الفرنسيين والبريطانيين وسيناء في إيدى الامرائيليين ضمان هام يسمح لهم بالتفاوض مع مصر ، وأن الجلاء عن بور سسعيد وسسيناء

مستحيل • ( ماذا ؟ أهو تواطؤ ؟ ) قبل أن تتحقق من ازالة الرمال والعقبات التي القيت في القناة وقبل البد، في تنظيم عام لشكلات هذه المنطقة •

وقد كلف لويد أيضا بان يلفت نظر الامريكيين الى مشروعات السسوفييت بشمال التغلغل في الشرق الاوسط ٠

وقال ایدن ان لوید لم یحصل من الامریکین علی ای رد فی صافت ، وکانت اجاباتهم کلها تنطوی علی استنکاد عملیاتنا فی مصر والتساکید بان ایة محاولة للتفاهم مستحیلة قبل انسحاب قواتنا ، ورفض السئولون الامریکیسون التعاون معنا فی ای مجال من المجالات .

بل ذهب الامريكيون الى أبعد من ذلك ، فعقب المحادثات الخاصة التى جرت مع قويد فى نيويودك رفضوا استقباله رسميا فى واشنطن كوزير للخسارجية ، كما اجل الرئيس ايزنهاور لاجل غير مسمى اجتماعه بايدن وموليه ، وردفست واشنطن أيضا أن تستقبل رسميا وزيرا رسميا يحمل رسسالة من رئيس وزراء استرائيا ، ورفضت الحكومة الامريكية بكل تصميم بصفة خاصة أن تمد فرنسا وربطانيا بالبترول قبل الجلاء عن مصر ،

## الفرصة الاخرة :

اثرت هذه الاخبار تاثيرا سيئا على أنصاد أسلوب استعمال القوة مع مصر، واصبح من المحتوم عليهم أن يخضعوا للضغط الاقتصادى ، مسدركين أن الزمن يلعب دوره ضدهم •

وكانت فرصتهم الوحيدة هى الزحف من جديد الى الامام فى هجوم خاطف يتيح لهم \_ كما كانوا يأملون \_ اسقاط عبد الناصر قبل أن يتاح الوقت الكافى للاتعاد السوفييتي أو الولايات المتحدة للتدخل •

#### ولكن هل كان في امكان هاتين الدولتين القيام بذلك ؟

لقد تغير الموقف منذ يوم ٧ نوفمبر بعنه أن أعلن الاتحصاد السوفييتى أنه سيتخل بارسال متطوعين ، وآكد الرئيس أيزنهاور أنه سيعارض هذا التدخل . لذلك فقد كان المتوقع أن يؤدى ذلك الهجسوم الخاطف في ميسدان مصر المقفل ال تصادم الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة • وكان من المحتم على أيزنهاور سلوحدث هذا الهجوم ساما أن يتراجع في الموقفة واما أن يعارض تدخل الاتحساد السوفييتي ، أي أن يقف في صف الفرنسيين والبريطانيين والاسرائيليين •

والواقع أنه حدث فيما بين ١٥ و ١٨ نوفمبر غليان شديد جديد في باريس ولندن ، وطارت الاوامر من لندن الى قبرص حيث ابلغ الجنرال استكويل انه قد يتلقى تعليمات في خلال فترة قصيرة حوالى يوم ٢٤ نوفمبر بأن يستانف الهجوم على مصر ، وبعد ذلك ببضعة ايام عاد الجنرال جازان رئيس هيئة اركان حرب الجنرال بارجو الى باريس حيث تلقى تعليمات مشابهة ، وقد ارسلت عده الاوامر الى بور سعيد وبور فؤاد حيث تلقاها الفرنسيون بسرور بالغ ، واعدت الترتيبات لمعركة مصر في حماس ،

وكانت الخطة التى أعدت تقفى بأن تقوم بالهجوم المبدئى خمسون دبابة بريطانية تساندها كتيبة وخمسون دبابة فرنسية واربع فرق من جنود المفلات ، ولكن لن يتم الزحف الى بعد أن تصل للبريطانيين الـكتيبة المسائرة المدرعة الوجودة فى ليبيا • فبوصولها تصبح لدى القوات المهاجمة الوسائل اللازمة التى تتيح لها فرصة التقدم نحو القاهرة • ومع ذلك فان هـله الخطـة لم تتضمن ترتيبات صريحة للهجوم على القاهرة • واذا كانت قد خصصت مائة دبابة لمواجهة الماصمة المصرية المدرية المدرعة ا

وكان المتوقع هبوط كتيبة مظلات فرنسية فى منطقة السويس ، فى حين كانت خطة توريادور الاولى تهدف الى الهجوم على السويس بواسطة كتيبة فرنسية تاتى من منغشقر وتنزل فى بور توفيق .

كان كل شى، قد أعد من قبل : مواقع انزال الجنود فى القناة ، وهيكل الجسر الذى بدى، فى تركيبه ، حتى مناطق الاحتلال حددت ، وتم الاتفاق على أن يحتل الفرنسيون بود فؤاد والقنطرة والاسماعيلية وأن يحتل البريطانيون بور سعيد وأبو صوير وفايد والسويس .

ولكن البعض فى لندن وجد أن السالة قد تجاوزت الحدود ، وكان هـؤلاء هم انفسهم اللين ساهموا فى الراد وقف اطلاق الناد من جانبايدن، فقد لاحظوا أن ثمة ادلة واضحة على أن صحة دئيس الوزراء تعانى ادهاقا شـديدا ، وكان الدكتور ايفانز طبيب رئيس الوزراء مقتنما بذلك ، وفى اليوم التالى حينما شعر ايدن بنشاط لمواجهة استثناف العمليات الحربية اتخذ قراره ولـكن فى صعوبة وابلغهم بانه مضطر للتخلى عن مهامه مؤقتا ، وبعث برسالة الى موليـه لينبئه بلكك وتولى ريتشارد بتار أعمال رئيس الوزراء نيابة عنه ،

ان كلمة « نبابة » لم تعد ملائمة ، لأن حكومة المتعافظين التى اصبح بتسلر يتولى ششونها نيابة عن ايدن لم تكتف بانجاز المسائل المادية وانما وجدت نفسها مضطرة لانتهاج سياسة مضادة لسياسة دئيس الوزراء الاصلى • وبدأت تتغلى عن سياسة القوة وفكرة الاحتفاظ بالكاسب التى حصلت عليها ، وذلك رضوخا لأوامر الامم المتحدة • لقد كانت باختصار حكومة تصفية !

ولم يكن من المكن اتخاذ قرار سريع في مثل هذه السالة • وهكذا بدات فترة الوساطة ما بين ٢٢ نوفمبر و ٣ ديسمبر الذي صدر فيه الامر بالجلاء النهائي وفي خلال هذه الفترة كانت السياسة البريطانية الفرنسسية تهدف الى القسام 

#### مناورات دبلوماسية:

وهكذا حين اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة في اليوم نفسه لمساقشة تقريرين مقدمين من السكرتير العام العاقد من مصر واحدهما يتناول تشكيل القوة اللولية والآخر تطهير قنساة السويس كانت فصول السرحية قد تمت • وكان اللولية والآخر تطهير قنساة السويس كانت فصول السرحية قد تمت • وكان الفرنسيون والبريطانيون قد قرروا الانسحاب محاولين في الوقت نفسه الاحتفاظ بكرامتهم على قدر الامكان وعدم الظهور بمظهر المغلوبين • وانما تظاهروا بانهم اعضاء مخلصون للامم المتحدة ويحترمون قراد الاغلبية • وهذا يتضح من المذكرة التي قدمتها فرنسا ويريطانيا للسكرتير العام للامم المتحدة ردا على ما زعمتاه أن ثبة مذكرة ارسلها هو اليهما • والواقع أنه ثم تكن هناك مذكرة بل انذار يلزمهما ببدء عملية الجلاء في الوقت نفسه الذي تصل فيه جنود القوات الدولية الى مصر • الما اللص الثالث وهو اسرائيل فقد بعثت أيضا بمذكرة الى السكرتير العام للامم المتحدة ، ولكنها كانت تراوغ ، اذ أوضحت أن القوات الامرائيلية بدات تنسحب وستواصل انسحابها ، ولكن بشرط الوصول الى اتفاقيات مع الامم المتحدة تؤمن سلامة اسرائيل •

واستمر الوقعة الاسرائيلي يثير احمدى النقاط التي كان بن جوريون قد عرض لها في ٤ نوفمبر وهي : هل تعتبر مصر نفسها في حالة سسلام أو حرب مع اسرائيل ؟ وهذا السؤال فيه كثير من الخبث ، لانه اذا اعترف عبد الناصر بانه في حالة سلام مع اسرائيل فانه سيواجه سخط العرب ، واذا اعتبر نفسه في حالة حرب فان يكون من حقه ظلب الجلاء عن بلادة عن طريق قرار دولي ،

وقد أوضحت اسرائيل في النهاية .. في خطاب أرسلته ألى السكرتير المام المتحدة يوم ٢١ نوفمبر .. الشروط والتعديلات التي تريدها • فقد طلبت الخصاد التعمد الدين اللازمة التي تكفيل حمايتها برا وبحرا وجوا من الاعمسال المعاوانيه • لكن اهتمام الامم المتحدة باسرائيل في هذه الفترة كان أقل نسبيا ، لان اللول المعارضة للتدخل البريطاني الفرنسي الاسرائيل كانت تعلم جيدا أنه بعد جلاء القوات البريطانية والفرنسية ستصبح اسرائيل منعزلة ، ولن تستطيع ان تصمد طويلا في سيناء • لللك فان اللول الافرواسيوية ركزت جهودها حول مشكلة الجلاء واقترعت لصالح قرار ينص على انشاء بوليس دولي مع التصريح للسكرتير العام بالاستمرار في مباحثاته ( مع مصر ) في هذا الموضوع . واعترضت الدول الشيوعية وحدها على هذا القرر الذي وافق عليه ١٥ صوتا ضد تسسعة أصوات •

ولكن بعد هذه التنازلات الشكلية من جانب دول الفسرب عرضت الدول الغرو أسيوية على الجمعية العامة مشروع قرار يتضمن مناشدة الامم المتحدة من جديد العمل على تحقيق الجلاء عن مصر ، وأن يتم هذا الجلاء فورا • وحينتا قدم سباك وزير خارجية بلجيكا تعديلا يهدف الى استبعاد ضرورة الجلاء العساجل ، وذلك يعنى الانحياز للبريطانيين والفرنسيين الذين كانوا يؤملون عدم الرحيل عن قناة السويس والاستمرار في المفاوضات •

لكن التمديل الذي تقدم به سباك رفض ، وقد تحاشت الولايات المتحدة ظاهريا تاييده ، وكانت نتيجة الاقتراع ٣٧ صوتا بالرفض مقسابل ٢٣ بالوافقة وامتناع ١٨ صوتا منها صوت الولايات المتحدة ،

واخيرا اقترع على الجلاء العاجل، فنال ٦٣ صوتاً ضد تحسد أصوات وامتناع ١٠ عن التصويت، ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واسرائيل وبعض الدول الفربية أعلنت أنها تفسر كلمة « فورا » التي جات في قرار الامم المتحدة بانها تعنى « عند وصول البوليس الدول للمنطقة » • وقد وافقت الجمعية العامة على تقريرى السكرتير العام ، وصرحت له بالاستمراد في الباحثات من أجل تطهير قناة السويس واعادة فتحها للملاحه •

وبعد الاقتراع الذي أجرى في الامم المتحدة تحول مجرى الامور ، فقد تخلى الجميع ـ فيما عدا مجموعة قليلة من العسكريين الفرنسيين المحيطين بالجنسوال جاذان ـ عن فكرة استئناف المفامرة العسكرية • لكن المركة استمرت على شكل انسحاب سياسي منتظم ، وذلك في مجالين هما انشاء القوة الدولية ، وتطهير القناة •

وفى اليوم التالى للاقتراع اللى اجرى فى الامم المتحدة وصل الجنرال بيرنز دنيس القوة الدولية الى بود سعيد حيث تباحث فورا مع الجنرال سستوكويل و ولكن وصول بيرنز لهيقابل بعماس ، فقد لقى عداء مستترا من جانب البريطانيين وعداء صريحا من جانب الفرنسيين .

## في حيز مغلق:

كان لرد اللعل هذا تفسيم ، فغى بور سعيد كان ضباط ادكان الحرب يعشون فى عزلة ، ولم تكن تصلهم اية أخباد من وطنهم الا عن طريق النشرات الاذاعية والجرائد واخطابات التى تصل متاخرة وباحاديث الدين يصلون من لندن وباديس والاوامر التى يتلقونها والتى لم تخل منالتناقض . لقد ذهب البريطانيون ال الحرب – على أية حال غالبية ضباطهم – بعقلية المالك الذى يدخل بيته ويلاحظ أن سكان المنزل قد نالوا بعض الحريات فى غيابه ، وكان كثيرون منهم قد تركوا أن سكان المنزل قد نالوا بعض الحريات فى غيابه ، وكان كثيرون منهم قد تركوا الضباط يتمنون أن ينتهى كل شيء فى الوقت المناسب حتى يتمكنوا من آكل ديك الضباط يتمنون أن ينتهى كل شيء فى الوقت المناسب حتى يتمكنوا من آكل ديك رومى فى عيد الميلاد فى بيوتهم ، أما الفرنسيون – الذين كانوا يعيشون منغصلين ولا يتقابلون مع البريطانين الا خلال المباحثات المستركة أو الدعوات الجماعية أو

الفردية - فكان الجو بينهم مختلفا ، تقد اشتركوا في الحرب بعقلية التهييج مما جعلهم يسيئون فهم أمر وقف العمليات الحربية في الوقت الذي كانوا يعتقدون فيه أن القاهرة أصبحت في قبضة يدهم ، وكان احتمال استئناف الحرب طبقا لما أعلنه الجنرال جازان عقب عودته من بادرس قد أثار فيهم الحماس ، لكن الاخبار السيئة التي جاء بها الاميرال بارجو بعد ذلك ببضعة أيام جعلتهم يدركون أن العواصف أصبحت تهب عن الجنوب وليس من الشمال ، وهو مثل بحرى يعني أن الموقف قد انقلب رأسا على عقب وأن الرياح تجرى بما لا تشتهى السفن ، فلا عجب اذا كانوا قد أصبحوا فريسه للقلق والسخط من جديد ،

ولم يهتم الاميرال بارجو بهذه التفاصيل ، فقد كانت تثير لديه الملل ، أما المدى كان يشير اعتمامه حقسا في ذلك الوقت فهو فكرة انشاء قاعدة فرنسية بحرية ضغفة في جيبوتي بارتبريا ، وكان بارجو يرى أن السلطات المسكرية الفرنسية أخطأت بوضع جيبوتي تحت اشراف السلاح الجوى الفرنسي ومن رأيه أن الاصوب وضعها تحت اشراف الومي الطبيعي عليها ، وهو سلاح البحرية ، وكان يردد دائما أن لابروس ــ وهو قائد وحدة بحرية صفيرة في جيبوتي ــ قام باعمال ضغمة وغير عادية في حملة السويس ، وحقق نتائج لم يكن يتوقعها أحد ،

ولكن جيبوتى والبحر الاحمر لم يكونا سوى مشكلتين بسيطتين بالنسبة للاميال بارجو (وكانوا يسمونه باياد في غيابه) • فقد علم وهو في باديس بنبا شراء الامريكيين لجانب من اسهم شركة قناة السويس • لللك بدا مؤكدا جدا أن مستقبل القنساة سياخل شكلا استفلاليا من جانب شركة دولية تحجز •٥٪ من الانصبة للولايات المتحدة الامريكية ، وتترك معظم الباقي للمصرين •

ومن قبرس أرسلت مذكرة الى باريس ــ لا يمكن التأكيــ بأن الاميرال بارجو نفسه هو الذى أرسلها ــ تلخص جميع المحادثات التى دارت فى هــدا الوقت مع الضباط المحيطين به وقد استهلت بعرض جرى، عن قناة السويس بحيث وصفت بانها منجم ذهب حقيقي كان يشر دائما اهتمام الشركات الامريكية الكبرى كما اثارها من قبل بترول العربية السعودية ، ولذلك فمن الجائز ان الولايات للتحدة ترغب في أن تتول بنفسها الاشراف على القناة .

وهده الشكوك كانت لها دلائل ومبررات هى معارضة دالاس لنظام ادارة فرنسا وبريطانيا للقناة وتحريك الائم المتحدة والاندار بالجلاء عن مصر قبسل الدخول فى أية معادلات مع واشنطن ، والواقع أن القيادة الفرنسين ادداك بواعث اخفاء استيائها من وصاية واشنطن ، ولكن كان ينقص الفرنسين ادداك بواعث السياسة الامريكية ، فقد كانت الولايات المتحدة تنتهج بتصميم سياسسة تعررية تبعاء الدول التى تعانى من الاستعمار ( وقد كان بعض افراد الطبقة الحاكمة فى فرنسا يسخرون من هذه السياسة ويقولون أن الامريكيين اطفال وأنهم لايفهمون وأنها السداجة الامريكية ، ألى أشياء أخرى من هذا القبيل ) ومن ناحية أخرى فان القيادة الفرنسية لم تدرك أهمية الدور الذى لعب الحوف فى ناحية ما كانت الولايات للتعدة تغشى النتائج السيئة التى يمكن أن تترب على مغامرة السويس ،

وكان الاميرال بارجو يفكر في اشياء آخرى وهو في الطائرة التي اقلته من باديس الى قبرص وبود سعيد ليؤدي زيادة الوداع ، فقد كان يستمرض مشروعات الرسوم الاولى لصود وابطال البحرية السابقين التي طلب من أصد دسامي الاسطول الفرنسي رسمها ليزين بها مكتبه الجديد في طولون ، وقد آخذ يستمرض صود سوفرين ودي جراس وديجاي ثودان وتورفيل وديكين والفارس بول وكل منهم كان له ماض حربي نجيد • وكان في كل مرة تعرض عليه الخطوط الاولى للصود يعدل في خطوط استدارة البطن قائلا: ان كبار البحادين كانت لهم دائما بطون ي

وجدير بالذكر أن الاميرال بارجو نفسه كان له بطن كبر .

وفى يوم ٣٣ نوفمبر اعلن الجنرال البريطانى كيتلى ان قرار الجلاء عن مصر قد اتخذ بصفة مبدئية ، وفى ٢٤ نوفمبر طلب الجنرال ستوكويل من الفرنسيين بيانا عن الاستعادات التى اتخلوها تههيدا لاحتمال الانسحاب من مصر ٠

#### الماطلة:

لوحظ أن هناك تراخيا من جانب الفرنسيين بشأن خطف الجلاء ، وكانت باديس تشجع كلا من بادجو وجائبان عل ذلك ، أما البريطانيون فانهم عل المكس من ذلك استعموا للرحيل وهم راضون ، أذ لم تكد الكتيبة النرويجية التابعة للامم المتحدة تصل من أبى صوير ألى بور سعيد بالقطار يوم ٢٧ نوفمبر حتى أمر الجنراك كيتل ـ قبل أن يبلغ الفرنسيين يوم ٢٣ نوفمبر قرار المودة الى الوطن ـ بترحيل احدى الكتائب الانجليزية ،

وفى ٢٥ نوفمبر استقبل الجنرال برنز قائد قوة الامم المتحدة فيبود سعيد وقد قال أحد الشمهود ان هذا الجنرال دخل بود سعيد فى تواضع وقلق ، ثم عقد اجتماعات شرح فيه خطته للفرنسيين والبريطانيين • فقال انه ينوى وضع كتيبة في بود سعيد ووحدتين فى بود فؤاد وكتيبة تعسكر بين اخلفاء والمصريين عند الكاب ، وفى نهاية الاجتماع انتحى الاميرال بادجو \_ وكانت هذه آخر ذيادة له لبود سعيد \_ بالجنرال بوفر جانبا وابلغه بالاتفاق مع باديس التعليمات التى تتعادض جزئيا مع ما قبلوه ، واوضح بصفة خاصة انه « يجب علينا ان نتمسك بمكاسبنا لاطول فترة ممكنة » •

وابلغ المنزال ستوكويل ذلك الى قبسرس ، وتلقى يوم ٢٦ نوفمبر ددا يتضمن تعليمات تشير الى اتباع الخطة التى اتفق عليها مع الجنرال بهرنز ، وهى الجلاء تدريجيا بمجرد وصول قوات الامم المتحسسة ، وابلغ الامر الى القسوات البريطانية يوم ٢٧ نوفمبر ، فاخلت تركب السفن ابتداء من يوم ٨٨ نوفمبر ، وفى ٢٩ نوفمبر عقد اجتماع بين اخلفاء لمحاولة تنفيذ خطة مستركة للجلاء وكانت اخطية تفترض مهلة مدتها خمسة عشر يوما يضاف اليها ٢٤ سياعة للإعلان ٠

وفى اليوم نفسه اعلن الجنرال بيرنز الذى اتخذ الاحتياطات الملازمة .. فنقل القوة اليوغوسلافية التابعة للامم المتحدة الى بور سعيد يوم ٢٥ نوفمبر ... انه من الآن فصاعدا سيعمل هو مع القوات الدولية على المحافظة على النظام فى بور سعيد بالتعاون مع السلطات المصرية ٠

لكن بوفر دفض الرضوخ ، وحتى آخر يوم كانت القوات الفرنسية هى التى تقوم باقراد النظام فى بور فؤاد • وكان ستوكويل غاضبا ولكن لم يكن فى وسعه الا الاذعان ، فمنذ اليوم التائى نفذ فى بور سعيد أوامر الجنرال بيرنز وجم قواته فى دائرة اخلت تنكمش يوما بعد يوم •

وفي غير حماس أخدت القيادات المسكرية تضع خطة الانسحاب التي سميت خطة هاديدان ، وكانت للرحلة الاولى فيها تبدأ يوم ٢ ديسمبر ، وأصحبح من المتوقع البد في العمليات يوم ٤ ديسمبر وانها الرحلة الاولى يوم ١٠ من ذلك الشهر • وتقرر أن تتم عملية الانسحاب بمعدل ثلاثة أفواج في ٩ و ١٣ و ١٧ ديسمبر ، على الا يبقى في بور سعيد بعد يوم ١٧ من ديسمبر غير عدد قليسل يبحر في آخر خطقة • ولكن حدثت أخطاء ومناورات أدت الى تغيير المواعيسد • وقي مساء يوم ٢ ديسمبر أبلغ الجنرالات حكوماتهم أنهم على استعداد للرحيل حين تلقى الاوامر • وترددت لندن في اصدار هذه الاوامر ، وكانت باديس لا ترغب في اصدارها أبدا ، لكن الضغط الامريكي على الحكومتين لم يفتر مطلقا •

في باريس كان هذا الفسقط يتلخص فيما سماه جي موليه بالتهديد بالبترول ، اي منع تزويد فرنسا بالبترول ما دامت قواتها مرابطة في بور فؤاد وكان هذا التهديد فعالا حقا ، لأن الجانب الاكبر من نشساط القوة المستاعية الفرنسية كان يعتمد على حسن العلاقات مع الشركات الرأمسمالية الامريكية • وكاث جي موليه يريد أن يتحاشى ما يمكن أن يسببه فشل حملة السويس من رد فعل سبيء لدى الشعب الفرنسي . ولكن رئيس الوزراء الفرنسي كان يملك أيضا سلاحاً فعالا يستطيع أن يهده به الامريكيين ، وهذا السلاح هو اخزب الشيوعي الفرنسية ، وأنه السلاح يفتقر اليه البريطانيون ولم يستطيعوا التنبؤ به من قبل • وكان البريطانيون في الواقع مجردين من كل حول وقوة أمام سطوة رجال المال الامريكيين • أما جي موليه ، فكان يملك في فرنسا هذا الصندوق السرى • ومع أن القبضة الامريكية كانت من حديد فقد كان يسموها غطاء من القطيفة •

وكان موليه يعرف جيدا التاثير الذي يمكن أن يحدثه النداء الذي وجهه يوم 

77 نوفمبر لل اصحاب السيادات بشان توزيع البنزين بالبطاقات ، ولما أصبح 

توزيع الكيروسين بالبطاقات آمرا ضروريا اعلن في مدينة جانات في 70 نوفمبر 

ان غالبية الرأى العام تؤيد توزيع الوقود بالبطاقات ولم يكن تصرف جي 

موليه ناتجا عن خبث أو دهاء ، فقد كانت فكرة توزيع الوقود بالبطاقات يؤيدها 

معظم افراد الشمع الذين كانوا يعتقدون أن نظام التوزيع يكفل المدالة وللساواة 

ويقضى على تزاحم الناس حول محطات البنزين بسبب قلة الوقود و ولكن التوزيع 

بالبطاقات وقلة الوقود والسوق السوداء ، ادت كلها الى فقدان جي موليه حب 

الشمع له ٠

وقى ٧٧ نوفهبر بعث ايزنهاور برسالة الى جى موليه كانت بمثابة ضغط چديد ، وفى اليوم التالى اجتمع جى موليه بلجنة توجيه اطرب الاشستراكى واستعرض أمامها حالة فرنسا ، وفى نهاية الاجتماع اذاعت اللجنة بيانا غير عادى تقول فيه أن الفرنسيين لا يريدون أن يكونوا تابعين لاحد ، وهم قاددون على أن يحرموا انفسهم من الاجازة الاسبوعية مفضلين ذلك على استجداء البترول، واذا كان فى الراى الخاص برفض استجداء البترول شىء من الجرأة ، فان الراى الخاص برفض التبعية لاحد كان له على العكس صدى غريب عنسد الذين اشتركوا بكل قواهم ـ وعلى راسهم السكرتير العام للعزب الاشتراكى الفرنسى ـ فى المؤامرة المفتوحة جَعل فرنسا دولة تابعة على اساس مشروع الدفاع الاودوبي المشترك ، وكانت التسمية حقيقية فيما يتعلق بالجزائر وان تكن غير ذلك فيما عداها ،

لكن النفية الوطنية التي ظهرت في تصريح الحزب الاشستراكي لم تدخل الحوف في قلب دالاس وقد كتب ايزنهاور رسالة ال حي موليه يوم ٢٧ نوفمبر الناعتها اللجنة يوم ٢٨ ، واعلن فوستر دالاس في اليوم نفسه انه ينوى زيارة باديس في بداية شهر ديسمبر خضور الاجتماع العادى لوزراء حلف شسمال الاطلنطي •

وكان في هذا القول نوع من التصويه اذ أن دالاس لم يقل سساذهب الى باريس ولكنه قال اننى انوى الذهاب لباريس ، أي « اننى ساذهب اذا كان كل شيء على ما يرام ، أما أذا لم تسر الامور كما أديد فاننى ساغير هذه النية » وكان هذا بمثابة ضفط جديد على باريس .

## النافسة على الاسترليني:

ولكن اذا لم يكن لدى باريس غير التمريحات التى تتسلى بها ، فان الموقف فى لندن أصبح حرجاً للقاية بعد أن اخذ الضغط يزداد على الاسترليني يوما بعد يوم •

لقد حاولت الحكومة البريطانية مواجهة هذا الموقف مع الاحتفاظ فيالوقت نفسه بمواقعها في السويس ، فرفعت من سعر البترول ، واتنطات ترتيبسات يفهم منها انها تنوى زيادة ضريبة الدخل وزيادة سعر الفائدة ، واتجهت ايضا نيتها الى رهن ما تملكه من السندات البحرية بالدولارات ــ وكانت تملك منها ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار ــ وفكرت في طلب قروض من النظمة النقدية الدولية تبلغ قيمتها ٦٥٠ مليون دولار وان تطبق في نهاية السنة شرط الحماية الخاص بالقرض الامريكي تمام ١٩٥٤ والقرض الكندي ، لكن هذه النقطة الاخيرة خلقت مشكلات جديدة ٠

في هذا الوقت هبط احتياطي اللهب في منطقمة الاسسترليني الي ١٩٦٥ مليون دولار بخسارة تبلغ ٤٤٠ مليونا منذ شهر يوليو ، وذلك على الرغم منهيع بترول ترينداد للامريكين بعبلغ ١٦٧ مليون دولار .

ولما كان شهر ديسمبر سيئا مثل شهر نوامبر فان احتياطى النطقة قد هيط عن مستوى سبتمبر عام ١٩٤٩ بعقداد ١٧٠٠ مليون دولار مما جعل خفض قيمة الجنيه الاسترليني اجراء لا يمكن تجنبه ٠

ولكن له كان يبدو أن الانجليز يريدون دائما القاومة والتشبث بسياسة التمسك بمكاسبهم في القناة ، فقد وجدت واشنطن نفسهما مضطرة لان تضع التقاط فوق الحروف - وكان تكليف همفري وزير المالية الامريكية بهذه المهمة له مغزاه ، وقال ايدن في مذكراته : « أن همغرى انصل تليغونيا بمستر باتلر وقال له أن الولايات المتحدة لن تقدم أية مساعدة أو مسائدة لبريطانينا ما لم تقدم بيانا واضحا بالنسبة لعملية سحب القوات البريطانية والفرنسية من السويس»

وق الوقت الذى كان فيه الضغط المال مستمرا على لندن ، كانوا في باديس يتظاهرون بمقاومة الضغط البترولى ، واعدت لجنة الحزب الاشتراكى التى تضم يوجين مونتيل وجاك ببيت وجان شارلو مشروعا لقانون يهدف الى تاميم شركات البترول وكان ذلك بمثابة تهديد يصعب على الحكومة تنفيله ، اذ كيف تُجبد الفالية التى تؤيدها ؟ فضلا عن آنه كان يعبر على أى حال عن موجة الاستيساء السائدة .

وقد الأعنت اسرائيل \_ التى تحتاج لل السبائدة الامريكية اكشر من شريكتيها \_ للضغط المال الامريكي الشديد ، فاعلنت حكومتها في اول ديسمبر الها ستبدأ في سحب قواتها من سبناء ، وبعد ايام قليلة انسحب الاسرائيليون الى مسافة ، ه كيلو مترا من الحدود ،

وفى لندن عاود وزير المالية الامريكي ضغطه على الحكومة البريطانية ، موضحا لها أنه يجب عليها في دايه أن تعدد تاريخ سحب قواتها في اقرب وقت .

ويقول ايدن أن ذلك لم يكن مقبولا ، ومع ذلك كان لا مناص من قبوله ، ومن ثم لم يتاخر التنفيذ طويلا ، فبعد ثلاثة آيام في ٣ ديسمبر اصدر كريستيان بينو وسلوين لويد \_ بعد أن تدارسا المسكلة \_ بيانا فرنسيا بريطانيا جاء فيه « أن قوة دولية ترابط الآن في بور سعيد » وهكذا فإن الجلاء عن مصر قد أصبح ممكنا ، وأوضح البيان « أنه نظرا لهذه الظروف ، فقد اصدرت الاوامر لقائد القائد لتحالفة لكي ينظم الجنرال برنز عملية الجلاء » .

كان هناك حلد في اتخاذ اخطوات ، فلم يقولوا انهم سيرحلون وانما قالوا سينظمون عملية الجلاء ، وكان هذا يتيح بقاءهم عدة ايام اخرى ، ولكنه لم يكن ليغير من النتيجة النهائية شيئا ،

ولم يلبث أن صفا الجو فجاة وتفير كل شيء ، وانتهت عملية الفسيفظ والتهديد ، فمنذ اليوم التاتى ٤ ديسمبر نشرت الحكومة الامريكية بيانا اوضيحت فيه انها ستدرس بعطف الطلب البريطاني بوقف ارباح دين عام ١٩٤٦ .

وهكذا اعيد تضامن حلف شمال الاطلنطي .

# الفضل الثامز عشر

#### التصفيسة

لم تكن المودة الى حظيرة حلف شمال الاطلنطى التى تمثلت فى البيسان الفرنسى البريطاني الذى صساد يوم ٣ ديسمبر تخلو من التحفيظ والحيطية • والواقع أن البيان كان يحوى نقطتين : الاولى تتعلق بالسحاب القوات من مصر ، والثانية تتعلق بنظام القناة فى المستقبل •

وفيما يختص بالنقطة الاولى تعهدت الدولتان بسحب قواتهما ، واعترفتا بمسئولية السكرتير العام كلامم المتحدة في تظهير القناة في اقرب وقت ، واشارت الى ضرورة حرية الملاحة ومطالبة السكير العام باجراء مباحثات في اقرب وقت بشان نظام القناة في الستقبل ، على اساس المبادى الستة التي تضمنها قراد مجلس الامن بتاريخ ١٣ اكتوبر ،

واما النقطة الثانية فكانت اكثر افساحا ، فقد تضمنت تذكير الحكومات بانه زيادة على البادى، السنة التى وردت فى قرار مجلس الامن السادر يوم ١٣ اكتوبر فانه من المناسب ايفسا مراعاة اقتراحات الدول الثماني عشرة التى اوصت الحكومات بان يقرها مجلس الامن ، وكذلك المحسادات التى دارت بين وزراء خارجية مصر وفرنسا وبريطانيا ، واخيرا رسالة السكرتير العام الامم المتعدة الى وزير خارجية مصر بتاريخ ٢٤ اكتوبر ، وهى الرسالة التى قبلها الوزير الممرى ،

وكانت الاشارة الى الرسائل المتبادلة بين السكرتير العام والوزير المصرى تنظوى على أهمية كبيرة ، لان هذه الرسائل تضمنت تلخيصا للمحادثات التي تمت بين المصريين والفرنسيين والبريطانيين بعد تصويت مجلس الامن يوم ١٣ اكتوبر • وكانت تهدف الى أن تقول لناصر : هذه هي النقاط التي اتفق عليها الدبلوماسيين • فهل توافق مصر على الالتزام بها ؟ وكان مجرد قبول عبد الناصر سيجعل من هذه الاقتراحات اتفاقا يربط بين مصر وفرنسا وبريطانيا •

ومن المحتمل أن يكون هذا الموقف الدقيق قد لعب دوره في مماطلة ايدن ، اذ أنه طلب من المسكريين في اليوم التالي الوافقة مصر مهلة مدتها ٢٤ ساعة • ولكن لم يكن هناك مجال للاختيار ، وأخد كل شيء يسير كما لو كانت هناك مصدة قد أغلقت •

سادت الامود في طريق آخر ، وانتهت بوعد صريح بالجلاء عن بورسعيد من غير تاخير • وكان يبدو من سلوك الانجليز أنهم يريدون الظهور بمظهر المخلصين في وعدهم ، وأنهم ما داموا قد خسروا اللعبة فالافضل أن يتركوا السسالة فللدلوماسيين لانهانها • ولكن لا يمكن القول بذلك بالنسبة للجانب الفرنسي ،

لأن الواقع أن الزعماء العسكريين الفرنسيين استابوا من القرار السياسي الخاص بالجلاء و ولم يعارضوا لانهم لم يكونوا يستطيعون ذلك ولسكنهم كانوا يعملون جاهدين تقاومة تنفيله و وتحقيقا لهذا الهدف ارسلوا الجنرال مارتان في مهمة سرية الى بور فؤاد حيث قابل الجنرال بوفر يوم ٥ ديسمبر وابلغه تعليمسات شفوية بالماطلة والتسويف في الانسحاب مهما تكن الاوامر الرسمية التي تصدر اليه و وكان بوفر في موقف حرج ، فقد شرح لمارتان أنه من الصعب عليسه ان يؤجل الانسحاب لانه يرابط في منطقة يسيطر عليها البريطانيون ، واتفق بأجنرالان حينتلا على أن يتعلل بوفر بصعوبات النقل ويطلبهن باريسارسال سفن، وما على باريس الا ان تماطل في ارسالها و ولكن هذه الحيلة لم تفلح ، فحينما أبلغ بوفر في اليوم التالي ستوكويل أنه يفتقر الى السفن وأن هذا سيترتب عليه تأخير الجلاء عن مصر ، بادر زميله الانجليزي فظمانه قائلا : اتطلب سفنا ؟ انني الذن ساوفر لك كل ما تحتاج اليسه ! واضلا سستوكويل في البحث عن بواخر، بريطانية تمكن قوات الحملة الفرنسية من الانسحاب في اقرب وقت ،

يا للتعاسة !

وق ٨ ديسمبر أبلغت باريس رئيس القوة ( أ ) أنه قد تحدد تاريخ الجلاء بيوم ٢٢ ديسمبر ، وأبلغ بوفر النبسا للانجليسز الذين لم يسكونوا قد تلقوا أية تعليمات في هذا الشان من حكومتهم حتى هـذا الوقت ، ونظرا لانهسم كانوا ياملون أن يقضوا عيد الميلاد في وطنهم ، فقد كانوا يتوقعون أن يتم الجالاء عن مصر يوم ١٨ ديسمبر ،

وفى ١١ ديسمبر تعققت لندن من الموعد الذى حدده لها بوفر يوم ٨ ديسمبر وهو أن يتم الانسحاب يوم ٢٢ ديسمبر ، فشعر الجنود الانجليز بحزن شسديد وخيبة أمل كبيرة ، لان هذا يمنى تاخير وصولهم الى بلادهم ، ولكنهم كعسادتهم حينما يتلقون الاوامر ـ لم يحاولوا منافشتها .

وفي هذا الوقت اخذ الجنرال برنز \_ قائد قوات الامم المتحدة \_ يعمل على احباط خطة الفرنسيين لتأخير موعد الجلاء ، وذهب الى بود سحيد حيث ابدى دهشته لان الجلاء لم يحدد تاديخه يوم ١٤ ، وبهده المتاسبة ابلغ بيرنز ضسباط الركان الحرب الفرنسيين نبا لم يبلغ اليهم ، وظل خافيا عليهم ، وهو أن قوات الامم المتحدة ستجلو عن بور سعيد في اليوم التالي لرحيل الفرنسيين والبريطانيين وبالنسبة للفرنسيين كان هذا النبا بهشابة ضربة جديدة لهم اودت بالمالهم واوهامهم ، فقد كانوا يعتقدون أن وجود قوات الامم المتحدة في بورسعيد سيتيح لهم فرصة الاحتفاظ بمكاسبهم ، وذلك باحلال القوات الدولية محل القسوات الفرنسية والبريطانية ، وأن القناة ستظل مغلقة حتى يدعن عبد الناصر لادادة

## تقرير ماسو:

فى ذلك الوقت كان الضباط الفرنسيون يشسعرون بغيبسة الامل ومرادة الياس ، وفى هذه الرقعة الضيقة من الارض التي يعيشون فيها محصودين بين بور سعيد وبود فؤاد كانوا ينفسون عن ضيقهم بالهياج على حلفائهم وزائريهم ،

واخيرا كانوا يتشاجرون فيما بينهم • ولما تلقى الجنرال بوفر فى نهاية نوفمبر تقريرا عن عمليات كتيبة المظلات العاشرة الفرنسية لم يصدق عينيه ، اذ وجد خمس عشرة صفحة تعوى نقدا الاذعا وتنديدا عنيفا واتهامات قاسية لتصرفات القيادة التى يتولاها • وحكم بوفر على التقرير بانه خليط من الشرثرة والنقد غير المفاع المتدرين اللدين كان وزير الدفاع الفرنسي ينظر الى أفكارهم نظرة طيبة •

واخذ القلق يساور الجنرال بوفر ، وفكر فى تغطية نفسه تجاه باديس ثم اعد رسالة ثهدا الغرض • ولكن مساعديه اسدوا اليه نصيحة قائلين : ان النقد اللذى يحويه ذلك التقرير كلام شائع يتداوله الضباط بصفة عامة وكبار الضباط بصفة خاصة ، ويشاركهم فى ذلك غيرهم من الناس • وعل اى حال فان هسله هى طبيعة الجنرال ماسو ، فهو يحب الثرثرة من غير توقف • ولكنه حين يرى أحدا أقوى منه ، فانه يخشاه ، وما عليك الا أن تستدعيه وتعنفه تعنيفا شديدا وحينثد سترى أنه انكمش وتنائل عن كبريائه !

لقد تردد بوفر وتسائل قائلا: واذا لم يتنسازل ماسو عن كبرياته فصا الممسل ؟ أن هسلا قد يؤدى الى حدوث خيلاف تتدخيل فيسه حيكومة باديس وستجد الدوائر الوثيقة الصلة بالوزير في هذا الخلاف فرصة للصيد في الساء العكر و وحينئذ قرر بوفر في اليوم التال أن يستدعى ماسو القابلته ووجه اليه لوما شديدا فتلعثم الجنرال واخذ يعتذر وزعم أنه وقع على التقرير الوقح من غير أن يقراه و وقال أن المسئول عن ذلك هو رئيس اركان حربه الكولونيل جودادد ، ثم وعد الجنرال بوفر بانه سميزق التقرير ويستبلل به تقريرا آخر أدق لهجة ،

# وساوس الجنرال:

كانت خاوف الجنرال بوفر تتجاوز نطاق رسائل الانتقادات التي يعفها مرموسوه ، فمنذ وقف اطلاق النار لم يكف عن التساؤل ، في البداية كان اقصى همه اعطاء مبرد قانوني لوجود قوات الاحتلال الفرنسسية ، وكان من دايه أن تصدر قيادة الخلفاء بيانا في هذا الشان تستند فيه الى اتفاقيات جنيف التي عقدت عام ١٩٤٨، وقد بعث الجانب الفرنسي هذه المسألة مع الانجليز منذ عدة أسابيع ولكن ذلك لم يؤد الى نتيجة ، وجاء وقف اطلاق النار قبل اصدار هـذا البيسان ، وحينئذ تدخلت وزارة الخارجيسة البريطانيسة موضعة انه بالنظر الى الظروف التي تقرر فيها وقف اطلاق النار فانه من المستحسن التخل عن هـذا البيان الذي قد يحدث رد فعل دوليا ، والاكتفاء بالبقاء في مصر من غير الزعم بوجود مبردات قانونية تعطى للحلفاء الحق في ذلك ،

ومع هذا فان علم وجود قاعدة قانونية كان يضايق الجنسوال بوفر قائد القوة ( ا ) ولكن كانت لديه مشاغل اخرى استحوذت على اهتمامه .

فقد كان الجنرال ستوكويل قد تلقى مجموعة من التقادير تفيد أن القوات الفرنسية قامت بأعمال النهب والسلب ، ولما أجرى تحقيق فى هذا الشان تبين أن جانبا من هذا التقرير كان خاطئا أو مبالغا فيه ، وأن أعمال السلب قامت بها وحدات تضم فرنسيين وجنودا من المستعمرات ، وقد سببت هذه التقادير الما شديدا للجنرال بوفر ،

وكانت هناك مسالة اخرى تضايق الجنسوال بوفر ، فقد كان يخشى ان يتحمل المسكريون نتائج الاخطاء التى وقع فيها المدنيون وان تلقى باريس مسئولية فشل الحملة على المسكريين ، مع أن هذا الفشيسل يرجع الى اسبباب سياسية قبل كل شيء •

كان الجنسرال بوفر هـو وحساء الذي يتعرض لذلك ، أما الفســـباط الأخرون فكانوا يجتون عن اسم الآخرون فكانوا يجتون عن اسم يطلقونه على الحملة الفاشلة فكانوا يقترحون مثلا تسميتها «حرب الثلاثين ساعة ه أو « الحملة الاستعمارية الاخيرة » ، وكان الشعور بالفسيق والفسجر يســـاور الجميع حتى في خلال السهرات التي كانوا يقيمونها ولا يختمونها بشرب الخمر ،

وحينئذ كانت الاحاديث تتحول الى ثرثرة تافهة • وفى احدى هذه السهرات الحذ الجنرال دَارلنج يقادن بين انواع الويسسكي ، وأمفى الجنسرال بوفر والجنسرال البريطاني دانفودد سلاتر ثلاث ساعات يتناقشان حول صيد الاسماك •

وكانت الايام الاخيرة في مصر تعيد الى الضباط ذكرى انتها، العام الدراسي حيثما يودع الطلبة بعضهم بعضا ، او يبداون في التغيب ، واخذ كبار الضباط يتغيبون ، وكلما سال احد عن ضابط كبير كانت الاجابة : انه لم يعد يعضر !

وتوجه الاميرال بادجو ال قبرص يوم ٣٠ نوفمبر ليودع اصدقاء ، وقد خقه هناك الجنوال بوفر ليقدم اليه تحيته ، واسندت الى الاميرال بادجو قيادة جديدة ٠

ولكن قبل أن يترك بارجو قواته في مصر أبدى اهتمامه بمسالة تطهسير القناة •

## تطهر القناة:

لقد درست مقدما مسالة تطهير القناة في باريس ولندن حق قبل بعد تنفيد الهجوم عل بور سعيد ، وقد عقدت اجتماعات في باريس في اول سبتمبر لحاولة انشاء هيئة مؤقتة أطلق عليها اسم وكالة اعمال قناة السويس ، ولكن هساء الهيئة لم يكن لها وضع قانوني واضح ، كما أن البيان الشترك الذي كان ينبغي ان تصدر لندن وباريس في هذا الشان لم ير التور قط ، ومع ذلك فقيد تم التوسل الى نوع من الاتفاق حينما كلفت باريس الاميرال شامبيون يوم ٣١ أكتوبر بمسالة تطهير القناة ويضع موضع التنفيذ الاتفاقية للعقودة مع لندن حول توزيع مهام هذه العملية ، وشكلت « القوة ٣٣٠ » التي تضم الجماعات التي عهد اليها برفع الاتربة من القناة ، وكلفت البحرية البريطانية بتعويم السفن الفارقة ، في حين كلف الفرنسيون بالقيام باعمال الهندسة الدنية ، وهكذا اطلق على الاميرال مناهيون المعرون المحرى مساعد انجليزي هو السكابتن البحري ، ودجير ،

وكانت عملية تعويم السغن في مناطق بور سعيد والاسماعيلية والسويس تغضم لاوامر شامبيون •

ودلت تقارير المضابرات التى قدمت قبل نزول القوات الفرنسسية والبريطانية في منطقة بور سعيد على أن العقبات التى تسد القناة اكبر مما كان متوقعا وقد تقرر في خلال زيادة انطوني هيد وزير الدفاع البريطاني لقبرص الاسراع في ادسال وحدات الانقاذ التى كلفت برفع هذه العقبات ، وبخاصة وحدة الاميرال شامبيون وقد أضاع شامبيون بعض الوقت بعجة أنه في حاجة الى عدد أضافي من الفنيين ، وأن سفينة القيادة لم تصل حلى يبدأ العمل الى عدد أضافي من الفنيين ، وأن سفينة القيادة لم تصل المه بعد ، ولكن هذه المعاطلة لم تكن موضع رضى البحرية الملكية البريطانية التى اعلنت أنها ستوفر جميع المعدات الملازمة ما دام الفرنسيون لا يريدون الاستعداد الاميرال دانفورد سلاتيريوم ١٣ نوفمبر الى أن يتولى عمليات تطهير القناة ووصل شامبيون الى بور سعيد يوم ١٠ نوفمبر من غير سفينة القيادة الفرورية ، وكان شنا المكن توجيه اللوم اليه والى مساعده الفرنسي الكابتن البحري هيبه و كما الن من المكن التساؤل عما اذا كان هذا التباطؤ الغاهر في انجسال العمال المعل عن المكن التساؤل عما اذا كان هذا التباطؤ الغاهر في انجسال العمال الشعارية التى كانت تصدر في خلال العمل و الشعليات تصدر في خلال العمل و الشعليات تصدر في خلال العمل و

وبرر الاميرال البريطاني دانفورد سلاتير توليه شئون قيادة عمليات تطهير القناة بأن الموقف بعد وقف اطلاق النار .. يختلف عن الموقف الذي كان متوقعا وقت انشاء وكالة اعمال قناة السويس ، وان وسائل التعويم البريطانية موجودة ومهدا الايضاح ومهمة تطهير القناة يجب أن تسلم بعد قليل للنظمة الامم المتحدة ، وهذا الايضاح الاخير كان له مغزى ، لانه في ١٣ نوفمبر لم يكن هناك شي، يسمح بالقول بان مهمة تطهير القناة يجب أن تعطى للنظمة الامم المتحدة ، لا شيء مطلقها سيسوى المعلومات الخاصة بالامرائية أو ربما سياسته الخاصة ،

وفي حين بدا البريطانيون العمل في تطهير القناة من الرمال ــ منذ يوم ٨ نوفمبر ــ لم تبدأ المعلت الفرنسية الخاصة بالتعويم عملها الا يوم ٢٨ نوفمبر ٠

وفي الواقع كانت أعمال التطهير قد اتضحت اهميتها حينتد اكثر مما كان متوقعا حين بحثت هذه المسألة في قبرص يوم ٤ نوفمبر ، فقد كان هناك احمد عشر عائقا تسد القناة ، ثم تبين للقوات البحرية يوم ٦ نوفمبر أن هنسك عنسد بور سعيد عشرين سغينة محطمة تشكل مجموعتين احداهما تتكون من ثمانية عوائق تسد المدخل الشمالي للميناء ، في حين كان يوجد الي الجنوب قليلا الاثنا عشر عائقا تسد القناة ، وقد منع حظام السفن الثماني الموجودة عند المدخل الشمالي للقناة مرود ناقلات البترول المشحونة الي الاحواض الداخلية ، وقد المكن منذ اليوم الاول لبد العمل تطهير مجرى القناة بما يسسمح بمرود المسئادل الصغيرة ، وكان الغضل في القيام بهذه الاعمال التمهيدية يرجع للي مجموعة من الكوماندوز البحرية والقاطرات البحرية ،

لكن المباحثات التى دادت بين السكرتير العام للاهم المتحدة والرئيس ناصر انتهت باصرار الاخبير على آلا يقبوم باعمال تطهير القنساة باى حال من الاحوال هؤلاء الدين يعتبرهم هو مسئولين عن سدها ، وكان ذلك أحد المطالب الاساسية لمصر ،

وتمخصت المباحثات عن اتفاقية صدقت عليها الامم المتحدة ، وأصبيحت مازمة لفرنسا وبريطانيا • وأرسلت الامم المتحدة الى بور سعيد بعشة للاشراف على تطهر القناة يراسها الجنرال هويلر •

وصل هويلر الى بور سعيد يوم ١١ ديسمبر ، واعلن فور وصوله أنه يعتبر نفسه قادماً بدعوة من الحكومة المصرية وانه لا يريد اية سفيئة من سفن الحلفساء ولا آية مهمات منها ، ومع ذلك فانه عندما تبين ضخامة المهمة الملقاة على عاتقــه قبل من الفرنسيين والبريطانيين بعض الساعدات ، مثل السفن ذات الاوناش والكبارى المتحركة ، وقد عقد اتفاق في هذا الشان بين الجنرال هويلر والاميرال دانفوردسلاتر \*

وفى ١٨ ديسقبر دخلت القناة ١٦ وحدة بحرية فرنسية وبريطانية بامر من الخرال هويلر وأصبح بحارتها يعملون في ظل قوانين الام المتحدة •

ولكن هذا كله كان جهدا ضائعا لانه منذ تاريخ رحيسل البريطانيسين والفرنسيين يوم ٢٢ ديسمبر أوقفت أعمال التطهير بامر من الحكومة المصرية ، لأنها دفضت السماح بالاستمراد في عمليات تطهير القنساة ما دامت بعض الاراضي المصرية تحتلها قوات اسرائيلية •

#### عقوبات مصرية:

ان الاوامر التي اصدرتها الحكومة المصرية بالامتناع مؤقتا عن تطهير القناة لم تكن وسيلة للضفط فحسب من جانبها ، انما كانت تحدوها ايضا رغبة في الانتقام بعد وقف اطلاق الناد من الجاليات الفرنسية والبريطانية واليهود الاجانب المقيمين في مصر •

ان الجاليات الفرنسية والبريطانية والاسرائيلية لم يتلها أى أذى طيلة الفترة التي أعلنت فيها الحكومة المعرية أنها تستطيع أن تصل الى أهدافها عن طريق المفاوضات ، كما أنه لم يتلها أذى فى خلال العمليات العسكرية فى الوقت اللى كانت فيه مصر تحت التهديد المباشر للقوات الفرنسية والبريطانية .

ولما تقرر الجلاء وانتهى التهديد الباشر تغير الحال ، وبدات عمليسة طرد الا جانب منذ يوم ٩ ديسمبر ، وقد بلغت من الفسخامة درجة اصبحت معها حدثا دوليا ، ففي هذا اليوم طرد ١٤٥٠ انجليزيا وفرنسيا من مصر واعتقال ١٢٠ يهوديا ، وكانت هناك رغبة لدى الحكومتين الفرنسسية والبريطانية ـ اللتين

كانت جيوشهما لا تزال تحتل الاراضي المصرية .. في القيام بعمل مضاد • ولم يكن من الصعب على هذه الجيوش غزو القاهرة ، ولكن لم يكن في وسع لنهان وباديس غير الاذعان والاستسلام بسبب الضغط المالي والبترولي الذي تعرضتا له من جانب أمريكا • ومن سخرية التاريخ أنه بعد ثلاثة شهور من العمليات العسكرية لم تستطيعها سولي الشكوى الى الامم المتحدة في مذكرة بتهاريخ ١٠ ديستمبر ٬ وقي ١٢ منه التجات فرنسا وبريطانيا الى الجمعيسة العسامة للأمم المتحدة ، وفي الثائث عشر أوضح مندوب أسرائيل في رسالة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة أعمال الاضطهاد التي يتعرض لها اليهود في مصر • وقد خلقت هذه الرسالة موقفا شاتكا لانه اذا أظهرت الامم التحدة عدم مبالاة فيما يتعلق بنجدة الرعايا التابعين للدول الاستعمارية ، فانها مع ذلك لن تتردد في ادانة مصر بالاجماع اذ ثبت أن اضطهاد اليهود المتقلين في مصر يقوم على أسساس التفرقة العنصرية • والواقع أن مصر وضعت نفسها في مازق ، وكادت برغبتها في الانتقام أن تفقد كل مكاسب نصرها السياسي • لكن الزعماء المصريين أدركوا ذلك بسرعة ، ومن ثم تراجعوا • وفي خلال المناقشة التي دارت في الجمعية العامة للامم يوم ١٨ ديسمبر لدراسة هذه الشكلة أوضح المثلوب المرى أن ما حدث لم يكن سوى اجراءات فردية لا تتناول طائفة اجتماعية معينة •

وقد كفت الحكومة المصرية بعد زمن قصير عن طرد الاجانب من مصر .

## الحرب الثورية :

لقد غير وجود الاعداء في رأس الجسر « بور سعيد ... بور فؤاد » من طابع المعركة التي أصبحت حربا ثورية حقيقية • كان اهتمام المعرين الاول سلبيا ، هو العمل على منع اى اتصال ودى بين الشعب وقوات الاحتلال • وقد بدأوا بالزام المؤسسات الموجودة في بور سعيد وبور فؤاد بدفع أجر شهر مقدما لعماله وموظفيها عشية يوم الهجوم ذاته ، وبعد ذلك طلب من الشعب القيام باضراب شامل ورفض أداء أى عمل لقوات الاحتلال •

ولكن بعض المصريين وجدوا ... بعد أن تقاضوا أجر شهر من المؤسسات المصرية ... أنه من المفيد أن يتقاضوا شهرا ثانيا من فرنسا وبريطانيا ، وقد عوقب بعض هؤلاء فكانوا عظة تفيرهم • وافادت هذه الخطوة حقا ، واصبح المسئولون المصريون يفرضون على الشعب سيطرتهم السياسية كاملة ، على الاقل في مدينة بور سعيد • في حين اختلف الامر في بور فؤاد لاأن القيادة الفرنسية اتخدلت بعفى الاجراءات التحفظية ، فقام الفرنسيون بتفتيش جميع المناؤل وتعرفوا على كل فرد في المدينة ، وكانت مهمتهم في بور فؤاد أسهل منها في بور سعيد بغاصة أنه لم يكن تعت اشرافهم غير ١٦٠٠٠ شخص ، أما في بور سعيد فعلى العكس كانت هناك جماعير حاشدة من بينهم كثيرون من المتدمرين ومثيري الاضطرابات .

في بود فؤاد ... حينما كانت القيادة الفرنسية تحس ببوادر الفتنة .. كانت تقبض على كل من تشك فيهم ، ولكنها لم تستطع أن تلزم المصريين بالعمال لحسابهم بعد اغتيال هؤلاء الذين تعاونوا مع المحتلين .

واما البريطانيون فقد كانوا يفضلون طرقهم المعتادة على الاشراف الادارى المباشر الذي يتبعه الاستعماد الفرنسي • والطرق البريطانية تتلغص في اختياد بعض الوطنيين الذين يثقون في قدرتهم على السيطرة على الشحب خسما بهم • وكانت حساء الطرق تنجج اذا لم تكن هناك مقاومة سسلبية محلية ، ولكنها تفسل اذا ما تفست حساء المقاومة • ولما أعلن الجسلاء ظهر المصريون في بور سعيد كانهم اتباع صالحون لماوتني تونج (حين يتقهقر العدو نحن نتقدم) فقد صادرت السلطات البريطانية يوم ٧ ديسمبر كميات حسائلة من الاسسلحة وصلت الى بور سعيد عن طريق بحيرة المنزلة • وفي اليوم نفسه تظاهر عدة آلاف من سكان المدينة للاحتجاج على وجهود الانجليز • وفي ٩ ديسمبر حدث هجوم في الشوادع • وفي اليوم التبالى اعتساعي على دورية بريطانية ، وفي ١٨ ديسسمبر قرد وفي ١٨ ديسسمبر قرد وفي ١٨ ديسسمبر قرد وفي ١٨ ديسسمبر قرد الجنرال ستوكويل العمل ونظم حملة تفتيشية في أحياء كثيرة كمحاولة للعثود

على الضابط المفقود • وقد استمر التفتيش الى اليوم التسالى فى حين تعرضت القوات البريطانية فى خلال تلك الايام لنحو مائة هجوم مزعج من جانب المصريين، وفى ١٦ ديسمبر رأى جنود بريطانيون كانوا يستقلون عربة مصفحة قائدهم يسقط قتيلا أمام أعينهم فأخلوا يطلقون النسار على العمارة التى انطلقت منها الرصاصات وأودت بحياة قائدهم • وقد احتج المصريون واستمرت المصفحات البريطانية فى اطلاق انذار ، واستفر ذلك عن ٢١ قتيلا مصريا وخمسين جريحا و ٧٠٠ قبض عليهم وقد ظل منهم ٢٥٠ شخصا معتقلين •

واصبح ستوكويل واثقا بعد ذلك من أن الدينة ستصبح هادنة ، ولـكن الهدو، كان يرجع في الواقع الى أن البريطانيين بداوا ينسـحبون من المدينـــة بالتدريج ويعسكرون عند الشريط الساحل وعند القناة ، وكان هذا الحل مرضيا للجميع لانه حقق للبريطانيين هدو، البال كما اتاح للمصرين الفرصة لـكتابة عدة صفحات مجيدة عن تحرير بور سعيد بواسطة جيش الشعب .

هل كان عبد الناصر حيثت متاثرا ببعض المناصر المتطرفة ؟ وهل ساعد البريطانيون سرا عسله الثورة ؟ هل اجراءات القمع التي لوحظت في القساهرة كانت لها علاقة بحوادث بور سعيد ؟ كل هذه اسئلة ليس من السهل الرد عليها بصفة مؤكدة ، أما المؤكد فهو أن اطلاق النار الذي حدث يوم ١٦ ديسمبر كان آخر اشتباك بين المصرين وقوات الخلفاء التي رحلت كتائبها بعد ستة ايام ،

اجل ، كان ذلك آخر اشتباك ولكنه لم يكن آخر حادث فقد كان مقردا أن يتم يوم ١٩ ديسمبر .. بغضل وساطة الامم المتحدة .. تبادل الصريين الاسرى في ايدى البريطانيين مقابل المدنيين البريطانيين الدين كانوا مكلفين بحراسة المخاذن البريطانية في منطقة القناة ، وتكن المصريين دفضوا تسليم المدنيين البريطانيين ما لم يتم الافراج في نفس الوقت عن جميع الاسرى المصريين .. اى جميع الاسرى لدى البريطانيين ــ وكذلك المائة والثــالائين مصريا الاسرى لدى الفرنســيين • واضطر الفرنســيون الى قبرص ، واضطر الفرنســيون الى قبرص ، وأعادوا من باديس الفبياط المصريين الذين كانوا قد اوسلوهم اليها بالطائرات ، واخيرا تم التبادل يوم ٢١ ديســمبر بعد أن دفض الفرنســيون فى بداية الامر تسليم الاسرى من غير مقابل •

#### الرحيال:

مر اليوم الاخير هكذا: في الساعة الحادية عشرة صبياحا رفع علم الامم المتحدة على مدينة بور فؤاد في حضور القوات الفرنسية والنرويجية الكولومبية، وعلى مسافة أبعد قليلا قدم في المدينة عرض عسكري لبعض الوحدات الفرنسية •

وفي الساعة الرابعة عشرة تم الجلاء نهائيا عن بود فؤاد • وقبل ان يصعد أ الجنرال بوفر الى السفيئة الحربية كلود برنار توجه لتحيية الجنرال سيتوكويل والاميرال دانفوردسلايتر والماريشال الجوى بادنت على ظهر السفيئة الحربية البريطانية تين ، وقامت فرقة موسيقية في زيها الرسمي بعزف تحية التكريم • كان الوداع وديا ومؤثرا ، ففي هذه اللحظة تلاشت الخيلافات التي حدثت في الاسابيع الاخيرة ، وحلت معلها المشاعر العاطفية وذكرى العمل المسترك •

ولما أسدل الليل ستاره استعدت السفينة كلود برنار للابعدار وبدأت بور سعيد ـ التى بدت هادئة طول أليوم ـ تنتعش ، وفى هدو، ابتعدت السغن عن الميناء وكلها مضاءة ، ولما تحركت السفينة كلود برنار اكتشف الضباط الذين التفوا حول الجنرال بوفر منظر استحوذ عل قلوبهم ، فحينما حاذت هذه السفينة المدمرة الانجليزية جورج ليج اشىء الجسرة ، الخلفى من المدمرة وعزفت الموسيقى الانجليزية مقطوعة السامير والميز الفرنسية ، في حين رفع الاميرال لانسلو يده بالتحية ووقف حوله جنود البحرية يؤدون معه التحية .

#### لوبستر:

وقد جرت احتفالات مشابهة لدى البريطانيين الذين اهتموا أيضا بتمثال فرديتساند ديلسبس القائم عنسه مدخل القنساة في القطباع البريطاني ، وقسد لفوا العلم البريطياني على احدى ذراعي ديلسبس ونفوا العلم الفرنسي على ذراعه الاخرى • وأقيم خلف التمثال صار يعمل علم صاحبة الجلالة ، وتسسلقه ضابطان شابان يحملان قدوما ومسامر ووعاء به شحم وثبتوا فوقه العلم البريطاني • وكلما هبطوا قليلا أخذوا يدهنون الخسب بالشسحم بوفرة حتى لا يستطيع أن يتسلقه أحد من بعدهم • لقد بقى كبار الضباط على رصيف الميناء حتى آخر خطة وكلهم أمل في رؤية اللازم مور هاوس ولكن دون جدوى • وانتهت عملية صعود الجنود فوق السفن وأخلت مكبرات الصوت في مختلف السفن تذیع کلمة واحسدة « لوبستر » ای جمیری کیسر ، اشسارة تعنی آن کل شیء قد تم ، وكانت المدرة دوشس آخر سفيئة تفادر بور سمعيد ، وقعد رفعت مدافعها • ومن البر انطلقت نيران البنادق والمدافع الرشاشة من كل مكان، ولكنها تحاشبت الاقتراب من السفن التي أخلت في الابتعاد عن الشماطي، • وغاصت الحملة في ظلام الليل في حين انطلقت في اللدينة الصواريخ الفسيئة ، وتقدم الجيش الصرى تحت انظار جنود الامم المتحدة الذين كانوا يتطلعون بغر مبالاة ، لكي يدخل بور سعيد ، بعد أن أصبح أخرا وحده في البدان ، وأصبح أيضا وحده المنتصر

## تعرير سيناء:

ومع ذلك فلم تكن هلم هى آخر مُهمة يقوم بها هلا الجيش ، فقد بقى عليه ان يحرر سينا، • واذا كانت اسرائيل قد سحبت قواتها الى مسافة • أ كيلو مترا من حدودها فانها ظلت تسيطر على جزء غير صغير من الاداضي المصرية • وكانت حكومة القاهرة لا ترغب في محاولة استرداد هذا الجزء من اداضيها بالقوة ، اذ انها لم يفتها أن الازمة الدبلوماسية تكون في صاحبها أكثر من الازمة المسكرية ٠

ولم يكن الاسرائيليون يفكرون في البقاء طويلا في شبه جزيرة سسيناء ، ولكنهم كانوا يبغون الحصول على ضمانات دولية تضع نهاية لهجمات الفدائيين القادمن من غزة وتضمن حرية الملاحة في مضيق تيران بخليج العقبة ،

وفى ٢١ ديسمبر اعلن السكرتير العام اللامم المتحدة أن اسرائيل ستسحب قواتها شرقى العربش ، وأن تقل تحتل سوى ممر غزة وشريط ضيق من الارض على طول الحدود مضافا الى ذلك شرم الشيخ وجزد المضيق المجاود •

وقى ٢٧ ديسمبر وافقت اخكومة الاسرائيلية على تبادل الاسرى ، ولكن جرت اذ ذاك أحداث في بور سعيد أثرت على الموقف في سينا، • ففي اليوم التسائل لرحيل البريطانيين بادر الجيش المصرى الى انزال تمثال ديلسبس عن قاعدته ، وفي اليوم التائل ٢٤ ديسمبر امر السكرتير العام للامم المتحدة القوات الدولية بالبنه في الجلاء وتسليم الاراضي المصرية الاصحابها الشرعيين • لكن هذه القوات لم تبحر ، وانما تراجعت نحو الحدود الاسرائيلية لتشكل حاجزا بين القسوات الاسرائيلية والقوات الممرية • وفي اليوم نفسه أرسل همرشوئد مندوبين الى القاهرة للتمجيل باعمال تطهير القناة ، وقد توصل المندوبان يوم ٢٦ ديسمبر الى اتفاق مع الحكومة المصرية في هذا الشان •

وبانتهاء العام انتهت سلطة القوات الدولية في مصر ، ولسكن أذا كان احتلال الفرنسيين والبريطانيين والقوات الدولية فلاراضي المصرية قد انتهى ، فقد بقيت مشكلة تسوية مصر قطعة الارض المصرية التي تتمسك بهسا اسرائيل . كضمان ،

وفى ٢٥ يناير ١٩٥٧ طالبت خمس وعشرون دولة افرو أسيوية الجمعية العامة للامم المتحدة بالعمل على تعقيق انستحاب القوات الاسرائيلية الموجودة في الاداخى المصرية وذلك في خلال خمسة ايام ٠

وجدير بالذكر أن اسرائيل التي كانت مستمرة في السحابها لم تعد تحتل حيث شوى مهر غزة وساحل الفيق .

وفى يوم ٢ فبراير وافقت الامم المتحدة على قرارين : اولهما يطالب بانسحاب اسرائيل بسرعة ، اما ثانيهما فهو يوصى بأن يعقب هذا الانسحاب بذل الجهود اللازمة لتوفير ظروف السلام في المنطقة .

وفي اليوم التاتي تلقى بن جوديون رسالة من ايزنهاور اعرب له فيها عن سروره لان الجمعية العامة قد وعدت باللهى قدما في توفير ظروف السلام ، واضاف أنه ينبغى مقابل ذلك أن تنسحب القوات الاسرائيلية في اسرع وقت وقبل إية مناقشته •

وقد رد بن جوريون على ايزنهاور يوم ٨ فبراير وافهمه انه اذا اطاعت اسرائيل الامم المتحدة فورا فسيتضائل املها في منحها اية ضمانات فيما بعد ٠

وأوضع بن جوريون الشروط التي وضعها لسحب القوات قائلا :

« اثنا مستعدون لسعب قواتنا على الفور من شرم الشيخ اذا حصلنا على ضمانات تتبح لنا حرية الرور في المضيق ، ونعن أيضا مستعدون لسمعب قواتنا من غزة والا نترك فيها سوى الادارة المدنية والبوليس طبقا لطلب الامم المتعدة » •

وقد ذكر رئيس اخكومة الاسرائيلية ايزنهاور ـ الذى هدده فى رسسالته باجراءات الاهم المتحدة المحتملة ضد بلده ـ بأن مصر لم يتخف ضدها أى اجراء

حينما كانت تخالف قرارات مجلس الامن وقرارات الجمعية العامة ولم تكف عن مخالفتها منذ ثماني سنوات ، كلما كانت اسرائيل طرفا فيها •

وقد شارك جانب كبر من الرأى العام الامريكي اسرائيل في وجهة نظرها ، وحث الحكومة الامريكية على الاعتراف بأن الضمانات التي تطلبها اسرائيل ليس مبالغا فيها ، بل انها على المكس ستساعد على اقرار السلام في الشرق الادني . واذا كانت الحكومة الامريكية لم تغير رايها بين يوم وليلة فان كل شيخص كان يشعر بأن ربحا جديدة بدأت تهب حينها أذاع دالاس يوم ١١ فبراير بالاتفاق مع الرئيس أيزنهاور « مذكرة » تتناول أهم الطالب الاسرائيلية ، وتعهد عسائدتها بعد انتهاء احتسلال اسرائيل للأراضي المصرية • وكان المعتقبد أن اسرائسال ستستجيب ، ولكنها لم تفعل ، بل طلب بن جوريون توضيحا لمذكرة دالاس في حين استمرت دول الكتلتين الغربية الآسيوية والسوفييتية تطالب بتطبيق العقوبات على اسرائيل • وقد ذهب بن جوريون الى ابعد من ذلك ووجه يوم ١٨ فبراير نداء الى دالاسطالبا منه فيه تأجيل مناقشات الامم المتعدة حق تتمكن لجنة غير منحازة من زيارة منطقة الشرق الاوسط ، ولكن ذالاس لم يرد عليه ومع ذلك وصلت بعد ذلك بيومين رسالة من أيزنهاور الى بن جوريون يبلغه فيها انه بناء على ظلبه فان المندوب الامريكي أيد اقتراح تاجيل المناقشات ، ولكن الرئيس الامريكي يأمل أن تقبل اسرائيل سنعب قواتها في أسرع وقت ممكن وفي اليوم نفسه - ٢٠ فبراير - استعرض ايزنهاور هذه الشكلات في حديث اذيع بالراديو والتليازيون ليبين علنا التزامات الولايات المتحدة وليجلب الراى العام الى جانب الحكومة الامريكية •

حاولت اسرائيل تاجيل المناقشة مرة اخرى ، وكلفت ابا ايبان مندوبها في الامم المتحدة بالعمل على تعويق الوصول الى اتفاق بالنسبة الشكلات العقبة وغزة ، لقد رغبت اسرائيل في تسبوية مشكلة العقبة مع المالطة في مناقشة مشكلة عزة ،

وفي هذه الرة رأى المسئولون في نيويورك وواشنطن أن اسرائيل تجاوزت الحدود ، ومالت الحكومة الامريكية من جديد ناحية العرب ، وقد قدم اقتراحان للجمعية العامة أولهما تقدمت به الدول العربية وطالبت فيه بغرض عقوبات سياسية وعسكرية واقتصادية ضهد اسرائيل ، وثانيهما تقدمت به الولايات المتحدة الامريكية وهو شبه اندار لاسرائيل ، بالجلاء عن الاراضي المصرية في مدى مدة تتراوح بين ثلاثة ايام وخيسة ، وقد تبع هذا الانداد اقتراح أمريكي بوقف المناقشات حتى يمكن اجراء محادثات مع حكومة اسرائيل ، وهنا كان الضغط مباشرا ، فقد أمسكت واشنطن بزمام الامور في يديها ، ووجدت اسرائيل نفسها من جديد أمام تحالف عام لام العالم ، فيما عدا بريطانيا وفرنسا وبعض الدول الصديقة ،

وحينئذ قدمت بريطانيا وفرنسا مساعدتهما لحليفتهما ، وكانت مساعدة فرنسا علنيسة في حين كانت مساعدة بريطانيا عن طريق كندا ، وقد اقترحت الدولتان أن تكون الضميانات الممنوحة لاسرائيسل لا عن طريق الامم المتحدة بسبب عسداء الدول العربيسة والشيوعيسة به ولسكن من داخل الامم المتحدة ، بحيث تقدمها مجموعة من الدول ذات النفوذ ، ومن الافضل أن تكون من الدول البحرية ، وتقدم هذه الدول ألى الجمعية العسامة تصريحين : اولهما يضمن حرية المرود للسفن الاسرائيلية في مضيق تيران مع حفظ حق اسرائيس في الدفاع عن نفسها ضد أي عدوان عليها في هذا القطاع ، والثساني يتناول موضوع غزة ويؤكد أن قوات الامم المتحدة الدولية ستبقى في منطقة غزة الى نستقر السلام ،

وقد تم الاتفاق على هذه الاسس في أول مارس ١٩٥٧ ، وفي اليوم نفسه أعلن وزير خارجية اسرائيل ـ متحدثا باسم حكومته ـ في الجمعية العامة أن القوات الاسرائيلية ستنسحب من متطقة غزة وشرم الشسيخ ، لـكن اسرائيـل استمرت فى وضع شروطها • فغيما يتعلق بغزة طلب الاسرائيليسون أن تشرف القوات الدولية وحدها على المنطقة بعد رحيل الاسرائيليين وأن تبقى علم القوات في غزة الى أن يعقد الصلح •

وفيما يتعلق بشرم الشيخ اعلنت اسرائيل آنها تضع في اعتبادها أن حرية الملاحة في مضيق تيران ستكون مكفولة وأن القبوات الدولية سستبقى في شرم الشيغ وتعتفظ بعقها فيه وفي قطاع غزة للتدخيل عسكريا اذا ما حدثت اضطرابات وقد اعلن المندوب الامريكي هنري كابوت لودج أنه أحيط علمسا بالبيان الاسرائيلي ، وأنه يرى أن مضمونه يتمشى مع موقف الرئيس ايزنهاود وموقف السكرتي العام للامم المتحدة • لكن المندوب الامريكي صرح كذلك بأن انسحاب القسوات الاسرائيلية لا يمكن أن يكون مشروطا بأى شرط وأن مصر منطقة غزة يجب أن يسوى في اطاد اتفاقيات الهدئة مع أمله في بقاء ادادة الامراكين للتنازعين •

اما فيما يتعلق بالعقبة فان الولايات المتحدة قد أيدت حرية الملاحة فيها ، وضمت صوتها الى دول اخرى على أساس الاعتراف دوليا بهذه اخرية ·

وقد ذعر الاسرائيليون لاستناد كابوت لودج الى شروط الهدنة ، ولـكن بن جويون تلقى فى اليوم التائى دسالة من أيزنهاور ينبئه فيها بالقراد الذى اتخذ ويقفى بسحب قواته خلف خطوط الهدنة ، واكد له أن الولايات المتحسدة ستعمل على تعقسق الآمال التى ساورت النفس فى الايام الاخيرة بشسأن تهيئة الظروف التى تكفل الهدو، والاستقراد فى الشرق الاوسط .

#### استقالة ايدن:

لقد وضع الجلاء عن سيناء نهاية للطيش المسكرى الذى وقع فى نوفمبر ، وغادرت القوات المتحافلة ارض مصر نهائيا ، فطويت صفحة من التاريخ ، ولكنها طويت بحسرة ومن غير ادادة من جانب اسرائيل ، قابلها بطء وتسليم من جانب فرنسا وسرعة وبعض الحماس من جانب بريطانيا و والواقع ان الاتجاه السياسى فى لندن كان قدد انحرف بسرعة جعلت انطونى ايدن يدك يوم ١٤ ديسمبر - وبعد ثلاثة اسابيع من الاستجمام قضاها فى جمامايكا - ان الموقف تغير ان لم يكن قد أصبح مناقضا لما كان عليه قبل سفره وقد أصاب التغيير طريقة التفكي نفسها ، فعين حضر دئيس الوزواء امام مجلس العموم يوم ٢٠ ديسمبر استقبل بعاصفة من السخرية من جانب خصومه العمال ولم يؤثر فيه ذلك كثيرا ، لكن الذى الار فيه شعورا عميقا من الاسى هو الفتور الواضح والتحفظ الذى ينم عن عدم الرضاء الذى قابله به اصدقاؤه السياسيون من اعضاء حزب المحافظين ٠

كان هذا التعفظ بالنسبة له ابلغ من الاستنكار الذي لقيه من هؤلاء الناس الدين صفقوا لتصريحاته العسكرية في الاسابيع الماضية • كانت هذه علامة بأنه لم يعد يملك تاييدا سياسيا كافيا ، وأن الوقت قد حان لكي يتغلى عن الحكم •

كان رئيس الوزراء وقتئد مريفسا فقد كان يشكو من أن للرادة لا تعمل كما ينبغى ، وكان الوقت الذي يكرسه للعناية بصحته اكثس من الوقت الذي يكرسه للدولة ٠

وفي ٤ً/ يناير سنة ١٩٥٧ أي بعد شمهر من عودته من جزر الانتيل قسام استقالته للملكة واعتزل الحياة السياسية •

## مصير القناة:

لكن مسائلى ترك ايدن للحكم والجلاء عن سيناء لمتكونا .. برغم أهميتهما .. سوى جزء من كل ، فقد كانتا مجرد بعض تصفية للعملية بعد التصريح الفرنسى البريطاني يوم ٣ ديسمبر ١٩٥٦، وبقيت بعد ذلك تسوية الشكلة الاساسية ، وهي ملكية القتاة وتعويضات الشركة ، كما بقي اتخاذ الاجراءات التي يمكن أن

تسمح فى المدى البعيد باستثناف العلاقات الدبلوماسية ، وفى هذا الوقت حدثت تعقيدات جديدة ، اذ أن مصر ارسلت يوم ٢٤ ديسمبر الى الامم المتحددة تطلب تعويضات عن الحسائر التى أصابتها بسبب هجوم اكتوبر ... نوفمبر ،

وماذا كان الموقف فيما يتعلق بالقناة ذاتها ؟

كان النص الاساسى تتضمنه اتفاقية القسطنطينية ، ولم تحقق المحاولات · الدبلوماسية التى آجريت في التريف الدبلوماسية التى آجريت في التريف اية حلول ، وعند استثناف الملاحة لم تكن هناك آية لائحة لتشفيل القناة معترف بها دوليا ،

ان ما كانت تريده مصر هو ان تعترف دول القسطنطينية بقرار التاميم الذي اتخدته في شهر يوليو ، وكانت الولايات المتحدة تريد الوصول الى حل من غبي عقد اجتماع لهذه الدول ، اذ ان الولايات المتحدة كانت تخشى ان تكون هــــــــ سابقة تؤدى الى الارة مشكلة قناة بناما ، لأن حقوق الامريكيين فيها ليست اكثر ثباتا من حقوق الفرنسيين والبريطانيين في قناة السويس ،

لقد انتهت الاتصالات الدبلوماسية التى حدثت فى الصيف الى القرار الذى اتخذه مجلس الامن يوم ١٣ أكتوبر وتبودل تفسير نصوصه بين همرشولد ومحمود فوذى فى رسالتين بتاريخ ٢٤ أكتوبر و ٢ نوفمبر ٠

وكانت هذه النصبوص هى التى اتخذتها فرنسا وبريطانيا اساسا لمحادثاتهما يوم ٣ ديسمبر ، كما كانت اساسا آخر بنت عليه الشركة العالمية لقناة السويس وجهة نظرها الجديدة •

لكن قراد اكتوبر لم يوضح نظام القناة فى الستقبل • لقد قيل أن عملية تشغيلها ستكون مستقلة عن سياسة جميع الدول ، ولكن لم يذكر احد من الذي سيقوم بتشفيلها ومن الذي سيتول اعمال الصيانة فيها • فهل تقوم بتشفيلها

هيئة المنتفعين بالقناة ؟ لم يكن احد يعلم شيئا عصا سوف يحدث • ان الجنزاء الثانى من القوار يعين الدول الإعضاء في هيئة المنتفعين كمديرين مؤقتين للقناة ، كن هذا الجزء القاء الهيتو السوفييتي • ورسالة السكرتير العام للامم المتحدة يوم ٢٤ آكتوبر التى تلخص محادثات همرشـولد قوزى ، كانت تشــير الى تحقيق التعاون بين هيئـة مصرية \_ هي هيئـة قناة السوس \_ وهيئـة الدول المنتفعة بالقناة ، وقد قبلت الحكومة المعرية الشروط التي وردت بالرسالة في الثاني من نوفمبر • ولكن حدث عقب ذلك الهجـوم على بور صحيد ، فاعتبرت حكومة القاهرة هذا العمل المسكري حادثا جديدا يترتب عليه الفاء الموافقة التي اعظتها من قبل • وقد وضعت الحكومة المعرية في تقديرها أنها لا ترتبط الا ترتبط الا برتبط الا ترتبط الا وميتبرها إيضا مسئولة عن تشغيلها وصيانتها •

ووجهة النظر هذه شاركتها فيها الدول الافر آسيوية والدول الشيوعية ، كما شاركت فيها الحكومة الامريكية ولكن بعماس أقل •

وكان هناك منفذ واحد أمام الشركة العالمية لقناة السويس ، وهو المطالبة بتعويض طبقا للمادة ٢ من القراد الصادر يوم ١٧ أكتوبر ، لهذا توجه المدير العام للشركة العالمية يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥٦ الى السكرتير العام للامم المتحدة في ليبلغه وجهة نظر الشركة ، وذكره بالنصوص التى وافقت عليها الامم المتحدة في اكتوبر ، واعتبر النقطة السادسة من القراد العسادر يوم ١٣ أكتوبر – والذي واقق عليه مجلس الامن – غير واضحة وفي حاجة الى ايضاح قبل أن تستخدم كاساس لاتفاق دولى ٠

وما الايضاحات التي تريدها الشركة ؟

انها تريد أن تقتصر نتائج التأميم على أراضي مصر وحدها ، وفيما عدا ذلك تتولى لجنة تعكيم دولية تعديد مبالغ التعويضات ، وأخيرا .. وهنا نقطة الخلاف... ترغب الشركة في وضع أحكام مناسبة لدفع البالغ الستحقة للشركة ، وذلك بموجب امتياز يعطى للشركة حق الحصول عليها من ايرادات القنساة مستقبلا أو تخصيص مبالغ لحسابها يتم تحصيلها في نطاق عملية مالية ذات طابع دولى •

اذن فالشركة لم تتنازل عن تحصيل نسبة معينة على رسم المرور في القناة ، في حبن أن الحكومة الصرية لا توافق مطلقا على منح الشركة هذا الحق •

ولم يؤد التجاء الشركة الى السكرتير العام اللامم المتحدة الى نتيجة ، فقد كان الشغل الشاغل للجميع في هذا الوقت هو مسالة تطهير قناة السدويس وتحقيق جلاء الاسرائيليين عن سيناء ،

وفي منتصف فبراير كانت عمليات تطهير القناة قد تقدمت بحيث اصبح متوقعا اعادة تشغيلها في شهر ابريل • لذلك استانفت الشركة هجومهسسا الدبلوماسي ، وكتب مديرها رسائل ال حكومات الدول الفربية التي لها مصالح بحرية • وفيما عد، حالة واحدة فانه لم يتلق اجابات سوى علم الوصول • ارسلت السويد ردها توصى بطريقة ودية باجراء تحكيم دوئي ، وتحدثت عن التعويضات العادلة •

وفى ٦ فبراير اتبعه جاك جورج بيكو المدير العام للشركة من جديد الى همرشولد ليذكره بعقوق الشركة فيما يتعلق بعباية الرسوم ٠ وقد اعتبر هدا الطلب في غير معله ، حتى أن السكرتير العام لم يهتم بالرد على الرسالة ،

ولكن قبل ذلك ببضعة ايام اتخد للدير العام للشركة قرارا آخر ، فقه اتجه الى مدير البنك الدول للانشاء والتعمير ، هذا البنك العالى الشهم الذى بعث من قبل مسالة القرض الخاص بانشاء السد العالى .

ان ما كان يطلبه جاك جورج بيكو هو تدخل البنك الدولي بوصفه هيئة دولية لتحصيل دسوم القناة ، هل كانت هذه فكرة شمخصية لمدير الشركة او

كانت ــ وهذا هو الاكثر احتمالا ــ مشروعا درس فى الخفاه واوحى به بلشركة ؟ ومع ذلك فان يوجين بلاك مدير البنك الدول دد على جاك جودج بيــكو يوم ١٢ فبراير بأن البنك الدول لم يتلق بعد أى افتراح يتعلق بتعصيل دسوم المرود فى المقالة ، ولكنه أخذ علما بوجهة نظر الشركة فى هذا الموضوع • وبقيت المسالة معلقة •

#### المذكرة المصرية:

اقترب موعد اعادة فتح قناة السويس، واصبح من الفرورى وضع لاتعة قانونية لتشغيلها • ومما كان يقوى من موقف الحكومة المصرية الحسائر التى خفت بها من الهجوم الذي تعرضت له في اكتوبر به نوفمبر ومسائدة الدول الافرو اسيوية والدول الشيوعية لها • وكانت الحكومة المصرية مصممة على ان تتعقفك وحدها بحق الاشراف على القناة مع احترام لائحتها الدولية • لذلك كان من الطبيعي أن تؤكد الحكومة المصرية من جانبها عي فقط وجهة نظرها ، لأن وجهة النظر هذه لا يمكن أن تقبلها عن طيب خاطر كل الدول وبخاصة فرنسما وبهة النظر هذه لا يمكن أن تقبلها عن طيب خاطر كل الدول وبخاصة فرنسما لل الامم المتحدة يوم ١٨ مارس ١٩٥٧ تتعهد فيهما باحترام روح انفساقية القسطنطينية ونصوصها •

وفي هذه المذكرة حددت مصر موقفها تجاه مسالة رسوم للرود التي ستبقى على ما هي عليه من غير تفيير ، أي طبقا للاتفاق الاخير الذي عقد بين الحاكومة للصرية وشركة قناة السويس المؤممة ، وقد قررت مصر أن يتم دفع جميع رسوم المرور \_ مقدما \_ لهيئة قناة السويس التي منحتها يوم ٣٦ يوليو ١٩٥٦ سلطات ومسئوليات الشركة العالمية ، وقد تناولت المذكرة موضوع التعويضات : « أن مشكلة التعويضات والمطالبات التي نتجت عن تأميم القناة ستكون موضع تسوية مباشرة أو تعكيم » ،

وكانت التسوية المباشرة مستحيلة ، لأن الشركة العالمية تمسكت بحقوقها السابقية على التساميم وطالبت بنصيب من الرسيوم على المرود ، بينما كانت الحكومة المصرية تطلب الاعتراف بالتاميم قبيل فتح باب المعادثات مع اصحباب شركة القناة السابقين •

واذ اتجهت النيسة الى التحكيم ، روعى أن يسكون ثمة حسكم يوافق عليسه الجانبان ، ومن ثم انحصر اختياره بين السكرتير العسام للامم المتحدة والحسكومة الامريكية وهيئة دولية من الامم المتحدة تتمتع بنفوذ كاف يمكنها من ابداء وجهة نظرها من غير أن يظهر ذلك رسميا ، على أن تظفر مثل هذه الهيئة بثقة مصر . ولم يكن يعلى كل هذه الشروط سوى البنك الدولى ومديره يوجين بلاك .

#### الورقة الأخرة :

على أن الاتجاه الى التحكيم أو المساطة لم يحقق آية نتيجة ، بل بالمكس فان الشركة المالية حين أحست بانها تلعب بالخر ورقة بين يديها اخلت تشن حملة هوجاء ، وقد كتب مديرها الى سفير الولايات المتحدة في باديس والى القائم بالاعمال المستر يوست والى السكرتير المام الأمم المتحدة يؤكد لـكل منهم أن الشركة لن تتناذل عن أى حق من حقوقها وخصوصا حقها في تحصيل رسوم المرود بالقناة ، وفي الرسالة التي أدسلت الى القائم بالاعمال الامريكي قال مدير الشركة أنه يود أن ينبه حكومة الولايات المتحدة الامريكية الى خطورة مثل هذا القراد ، وكان يعنى بلكك دفع رسوم المرور إلى الحكومة المصرية ،

وقد أخطرت الشركة أيضًا بوجهة نظرها في هذا الشان دوجلاس ديللون، ا السفير السابق للولايات المتحدة في باديس الذي أصبح مساعدا لوزير اكارجية الامريكية ، وقد رد مساعد وزير خارجية الولايات المتحدة يوم ٢ مايو بان حكومتسه مهتمة بعقوق الشركة وأنها ستواصل البحث داخل الامم المتحدة وخارجها عن تسوية دولية مرضية ، وذلك لتشغيل القناة بما يطابق البادى السستة التي وافق عليها مجلس الامن يوم ١٣ اكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وأضاف دوجلاس ديللون قائلا أن الولايات المتحدة طلبت عقد جلسة خاصة لمجلس الامن لدراسة البيان للصمري اللدي صدر يوم ٢٤ أبريل ١٩٥٧ ، وكان من رأى المندوب الامريكي في المجلس أن هذا البيان لا يتفق في صورته الحالية مع نص القرار الذي وافق عليه مجلس الامن ، وأن اعادة الثقة تتوقف على الطريقة التي تنفذ بها التمهدات التي تضمنها تصريح آخر ابريل ، وأنه ريثما تقدم مصر الدليل على ذلك فأن السفن تضمنها تصريح آخر ابريل ، وأنه ريثما تقدم مصر الدليل على ذلك فأن السفن

وهكذا فان الولايات للتحدة كانت على راس الدول الغربيسة التي قررت دفع رسوم المرور الى مصر مباشرة ، وان كانت قد اشترطت تحفظات لتتاكد في خلال فترة من الوقت ان الحكومة للصرية تنوى احترام تعهداتها .

وتلت امريكا جبيع حكومات العالم الحر الواحدة بعد الاخرى ، فقد قروت كلها دفع رسوم المرور ال مصر ، وهكذا تبدد لدى شركة قناة السويس آخر وهم كبير لها ، وكانت مزية مديريها أنهم ادركوا حينتُذ أنه ينبغى عليهم الباددة ال إنقاذ ما يمكن انقاذه من الإلاث قبل أن تلتهم النار كل المتزل القديم !

# تأميم شركة القناة :

تم تامیم الشرکة ، بمعنی آن اعضاءها تغلوا عن جمیع مطالبهم باعتباد شرکتهم شرکة دولیة ـ او من باب اول شرکة مصریة کما کانت تسمی من قبل حین بدو آن ذلك من صالحها ـ لمجرد آنها آزادت لنفسها آن تکون فرنسیة عن طریق القانون الصادر فی اول یونیه سنة ۱۹۷۷ ، ولم تکن هذه اختلاق مجرد اجراء شکل و وادًا کان هذا القانون لم یصدر قبل ذلك ، فذلك یرجع الی آن

الشركة كانت تريد أن تحتفظ بطابها الدولى لتبرد مطلبها في نصيب من رسم للرود في القناة ، أذ لم تكن أية هيئة لتقبل دفع المرود لشركة فرنسية محضة • لكن منذ أليوم الذي أنكرت فيه كل الحكومات ... التي احترمت التعليمات المعرية ... مطالب الشركة لم تعد لها مصلحة في التمسك بصفة الدولية التي أنكرتها عليها جميع الدول تقريبا ، وعلي العكس فأنها حين أصبحت شركة فرنسية بنات تطالب بممتلكاتها الثابتة والمنقولة التي لها خارج مصر تؤيدها في ذلك الدبلوماسية الفرنسية والدبلوماسية البريطانية أذا أمكن • ولم تترك الاحتمالات التحكم أو التسوية سوى المتلكات الموجودة في مصر والتي فقدت الامل في استعادتها •

وغائبية ممتلكاتها خارج مصر موجودة فى ادبع دول غربيسة هى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وسويسرا ، وكانت الشركة تعتمد بالطبع على مسائدة فرنسا وبريطانيا ، ولكى تضمن مساعدة الولايات المتحدة وسويسرا اخلات تلمب بودقة الدفاع عن الراسمائية ، وهو المدهب الذى ترتبط به هاتان المولتسان ، فالولايات المتحدة ترتبط به كمبدا وسويسرا ترتبط به من أجل المال ،

وكان اللعب بهذه الورقة عليدا - ولكن الامر اقتفى عقد جلسة للاهم المتحدة ، وتدخل من نواح كثيرة ، ورحلة ليوجين بلاك مدير البنك الدول الانشاء والتعمير الى القاهرة في اكتوبر ۱۹۵۷ ، ورحلة للسكرتير العام للاهم المتحدة الى القاهرة أيضا في ديسمبر ۱۹۵۷ ، وذلك كله لكى تجرى في روها في المتحدة الى بين ٩ و ٣٣ فبراير ۱۹۵۸ معادثات مباشرة بين مهشل الشركة والمندوبين المصريين تحت اشراف البنك الدولى • ثم جرت معادثات اخصرى في روها فيصا بين ٣١ مارس و ٤ أبريل ۱۹۵۸ وانتهت باتضاقي من حيث المسئا اقتضى عددة شسهور لتنفيذه ، وأخيرا تم اتفاق نهائي قي روها بتاريخ ١٣ يوليو ۱۹۵۸ •

وبناء على هذا الاتفاق اعترفت مصر بملكية الشركة العللية لجميع ممتلكاتها فى الحادج ، وتعهدت بان تدفع لها مقابل ممتلكاتها فى مصر مبلغ ٠٠٠٠٠٠٣٠٨ خ. جنيه مصرى يدفع منها مبلغ مبدتى ويقسط الباقى على ست سنوات من غير فائلة

لقد قضمت الحكومات فترة اطول من الوقت لكى تستعيد علاقاتها القديمة ، الا ان هذه قصسة الحرى لعبت الجزائر والعراق واليمن وبطبيعسة الحال البترول دورها فيها ، انها قصة تغرج عن نطاق هذه الدراسة •

ولا يبقى فى نهاية المثاف سوى عمل الحساب الختامى ، لان ذلك يسماعد عادة على معرفة كيف سارت الامور ، كما أنه يساعد على معرفة من الذى خسر ، ومن الذى كسب وهل كان هذا كله يساوى الجهد الذى انفق فيه !

# الفصل التاسع عشر

# حساب الأرباح والخسائر

هَذا فصل الانتصارات، واذا كان وجيزا فلان الانتصارات لا تحب الانتظار، على أنه لا غنى عنه ، لان كل واحد من أبطال الرواية يطالب بنصيبه في هذه الانتصارات ولا يقبل الاعتراف بغشله بأي حال ،

ان عبد الناصر يتيه فرحا وبهجة لانه يعتقد انه كسب على طول اقسط • ولعل انتصاره الحقيقي هو أنه حافظ على سلطته من غير أن يخسر في سسبيلها المزايا التي استطاعت بلاده أن تحصل عليها مؤقتا ، بلغضل جراته واندفاعه •

وموسكو تشسعر بالرضى والسرور ، لأن الحكومة السوفييتية تعتقد أن البرقية التي أرسلها بولجائين الى الفرنسيين والبريطانيين والاسرائيليين مهددا فيها بالويل والثبور وعظائم الامور تعتبر مفتاح حل الازمة والمامل الحاسم الذي قلب سر الامور راسا على عقب •

اما أيزنهاور فقد كان يعتقد أن المسالة انتهت على خير ما ينبغى ويريد ، وانه يستطيع أن يتسلق بهدو- - كما قال للسفير الفرنسي في واشنطن - السلم الذي يتيح له المثول أمام الله ويداه نظيفتان وضميره مستريح وقلبسه غير مثقل بالدنوب • ودالاس كان قرير العين مرتاح الفؤاد، لانه استطاع مهما يكن الثمن ، أن يفرض سياسته التي رسمها ، ثم أن أصحاب ناقلات البترول لم يخسروا شيئا في نهاية المطاف ، ولم تكن لديهم أسباب تبعث على الشكوى ، لانهم اسستطاعوا على أي حال آن يحتفظوا بعقودهم وكذلك بادرباحهم ،

ولعل من القرابة بمكان أن المسكر المعارض لم يكن أقل بهجة وحبورا ، فبن جوديون برغم قرادات الامم المتحدة لم يكن أقل نشسوة بغمر النصر ، فقد كان يعتقد أن وسائله المدوانية هي التي حققت لاسرائيل أسباب الامن والسلامة ،

وفي اللذكرات التي كتبها انطوني اينن على عجل يتفسح لنسا أن رئيس الوزراء البريطاني الاسبق كان يحس بالرضي لسلامة أحكامه وصواب قراراته •

وفي فرنسا نجد بورجى مونودى يعلن أن تدخل الجيش اللمرنسي في مصر وفر على العالم كوارث كبرى • أما جي موليه فانه يشرح الامر بطريقة اكشر غموضا ، فيقول أن التفسيرات الحقيقية لحملة السويس أن تظهر الا فيما بعد • وجدا القول لا يخلو من جراة لفظية كبيرة : ولمل المنتصر الحقيقي في فرنسا كان كريستيان بينو وذير الخارجية ، فهو يتحدث عن النتائج للحصلة ويقول في كريستيان بينو وذير الخارجية ، فهو يتحدث عن النتائج للحصلة ويقول في التهاج انها حققت النصر في العقبة وفي غزة ويضيف : « أن العملية بالنسسية لاسرائيل كانت مربحة ومجزية ، وأن معدل هذا الربح لا يقل عن ثلاثين ملياد فرنك » •

ولعل مما يثير الدهشة سواء فيما يتعلق بجى موليه او بورجى مونورى او كريستيان بينو او غيرهم من الوزراء الفرنسيون الاقلاهية حثل اليير جازييه شدة اهتمامهم بسلامة اسرائيل وحزنهم على ما ارتكبته من أخطاء وابتهاجهم بما حققته من انتصارات وليس في وسع المرء الا أن يتسال : الم يكن نصف هذا الحماس والولاء لاسرائيل كافياً لتغيير مجرى كثير من الاحداث لو انه وجه المسالح فرنسا ؟ ان مصالح اسرائيل عمهما تكن قيمتها - لاعلاقة لها على اى حال بمصالح فرنسا ، انتا اذا دفعنا النقاش الل مدى بعيد نستطيع ان تقول ان اسرائيل لم تكن سوى علد او مخلب قط ، لا اكثر ولا أقل ،

## الأرباح والخسائر:

وهكذا كان جميع الناس مسرورين ، ولكن الارقام والوقائع والحقائق قلما نحس بمشاعر البهجة التي تغمر النغوس •

ماذا خسرت مصر ؟

لا شيء تقريبا ، فيما عدا القليل من جيشها ٠

وماذا كسبت ؟

السيطرة على قناة السويس ، والحصول على قدر أكبر من الحرية في توجيه اقتصادها ، آما عبد الناصر فقد أصبح في نظر الشموب الافريقيسة والاسسيوية « البطل الذي يقاوم الاستعمار » •

وفينظر اسرائيل كان حسابالارباح والحسائر ايجابيا ، فهي ترىأنها حققت حرية الملاحة في مضيق تبران وبذلك اصبح ميناء ايلات قادرا على الاتصال بجنوب اسرائيل وفتح أمام اسرائيل منفذا يصلها بالطرق البحرية التجارية • وترتب على « تحييد » منطقة غزة ووجود قوات الامم المتحدة كصاحِز بين الجيسوش المصرية والإسرائيلية ضمان أمن اسرائيل وسلامتها

ولكننا اذا دققنا النظر نجد أن هذم الارباح ليست واضعة وضوحا تاما • فميناء ايلات ليس سوى بضعة أحجار غارقة في الياه في طرف الصحراء ، وليس الرئة الاقتصادية التي تسمج لاسرائيل بتفادي الاختناق • ثم ان وجود قوات الامم المتحدة عند غزة ليس هو الذي يمنع غارات الفدائيين ، فهذه الغارات يمكن أن التحدد في أي وقت •

أوفهُ الله عن ذلك كله فان الهجوم الذي قامت به اسرائيل في نهاية شسمهر أكتوبر ٥٩ ومد مصر ، والطريقة التي تم بها اعداده ، والاخطار التي كان يكن أن يتعرض لها السلام العالى بسببه ٠٠ كل هذا خلق عن اسرائيل فكرة سيئة ، وأصبحت الدول الكبرى تخشى التصرفات التسمة بقصر النظر التى تقوم بهسا الدول الصفيرة القابلة للانفجار ، مثل اسرائيل . كما أصبحت الدول الافرو أسبوية تنظر الى اسرائيل على أنها أداة يستخدمها الاستعصار البريطاني والفرنسي في كفاحه اليائس لوقف الحركة التعررية في دول العالم الثالث ٠

وفي فرنسا كان الحساب عسيرا والنتائج لا تسر الحكام المتغاللين • فعقب حملة السويس صودرت ممتلكات الفرنسيين الخاصة في مصر وطرد الفرنسيين الماسية في مصر وطرد الفرنسييون من البلاد أو اعتقلوا أو سجنوا أو وضعوا تحت المراقبة أو تعرضوا للفقر والإملاق بعد أن فقدوا وظائفهم من غير أن يحصلوا على تعويض • وكان القرار الذي اتخدته الحكومة المصرية بوضع الحراسة على الممتلكات الفرنسية وقطع العلاقات التجارية وغيرها مع العدو بمثابة صربة قاضية للنشاط الفرنسي في مصر في المجالات الثقافية والتجارية والصناعية • وقد تأثر بهذه التدابير في المجال الثقافي ستون الفي تدرسون في المدارس والمساهد الفرنسية وكذلك المعلمون الفرنسيون الدين كانوا يعملون في المدارس الثانوية والمعاهد العليسا ورجال الاترار والعلماء الفرنسيون •

وقدر مجموع الخسائر الفرنسية في القطاع الصناعي والتجاري نحو ٤٠٠ مليار فرنك قديم ، اى نحو ادبعة مليارات فرنك جديد ، فقد وضعت الحكومة المصرية تحت الحراسة ادبعة بنوك فرنسية كبرى هي بنك السكريدي ليونيسه ، والكونتواد ناسيونال دى بادى والبنك العثماني والسكريدي دوريان ، كذلك شركة الرهونات للمرية ، وتسع شركات فرنسية للتامين وفروعها والمصالح الفرنسية في ثلاث مؤسسات للائتمان العقادي ، والشركة العامة لتكرير السكر ومعامل تكرير البترول ، والشركة المصانع تعتمد على شركة الغاز السائل وغرها ،

وتشمل الخسائر أيضا العقود الصناعية التى فقدها الفرنسيون وهده العقود تضمنها الاتفاق الذى وقعته مصر وفرنسيا فى مارس ١٩٥٤ وتشمل نكليفشركة كهرباء فرنسا القيام ببعوث عامة لانتاج واستخدام الطاقة الكهربائية فى مصر ، وإنشاء مصنع للاسماء الازوتية فى أسوان وانشاء شبكة كهربائية فى ألقاهرة وقيمة هذا العقد ١٠٠٠ مليون فرنك وانشاء معطة تتقية المياه فى المنصورة وقيمة هذا العقد ١٠٠٠ مليون فرنك ، وانشاء معطة لتنقية المياه فى المنصورة وقيمة هذا العقد ١٠٠٠ الف من العبوادض الخسبية وقيمة هذا العقد ١٠٠٠ الف من العبوادض الخسبية اللائمة للاشفال البعرية وقيمة هذا العقد ٣٠٠٠ الف من العبوادض الخسبية خرانات للبترول سعة كل منها عصرة الاف متر مكعب فى مدينة الإسكندرية ، وخمسة خزانات للبترول سعة كل منها عصرة الاف متر مكعب فى مدينة الإسكندرية ، وانشاء عشرين قاطرة سكة حديد طراز باسيفيك تحط القاهرة الإسكندرية الغ٠٠٠

ومهما يكن من شان هذه اخسائر الفادحة فانها لا تشمل غير ناحية واحدة من القصة كلها • وقد بذلت جهود قوية فيما بعد للتخفيف من آثارها اسفرت عن عقد اتفاقية في زيوريخ يوم ٢٢ اغسطس ١٩٥٨ لاعادة العلاقات الثقسافية والاقتصادية والمالية بين فرنسا ومعمر الي حالتها الطبيعية ، ولكن ذلك بعد مفي شهر من عقد نسوية بين اخكومة المعرية وبين الشركة العالمية القناة السسويس ، وبعد مفي شهر أيضا تقريبا من تولي حكومة جديدة شئون الحكم في فرنسا • وقد نصت اتفاقية زيوريخ بصفة خاصة على انهاء التدايير الخاصة التي اتخلت ضد الرعايا الفرنسيين في مصر ، ورفع الحراسة عن ممتلكاتهم واعادتها اليهسم أو حدة قيمنها لهم •

وقد عملت الحكومة البريطانية بدورها على اعادة علاقاتها التجارية مع مصر الى حالتها الطبيعية في أسرع وقت ممكن ·

وفي شهر ديسمبر ١٩٥٨ قامت لندن بجس نبض حكومة القاهرة بشان استثناف الملاقات الدبلوماسية بين البلدين ، ولكن عبد الناصر أخذ يماطل مدة عام كامل ، ولم يتم استئناف هذه العلاقات الا فى شهر ديسمبر ١٩٥٩ ، وفيما يتعلق بفرنسا فان هذه الخطوة لم تتم بمثل هذه السرعة فاستمراد النزاع الجزائرى الفرنسى والتضامن الذى كان يبديه عبد الناصر تجاه المتمردين الجزائريين جعل مسالة استئناف العلاقات الدبلوماسية بين فرنسا ومصر سابقة لأوانها • ولكن اعلن استقلال الجزائر ازال آخر العقبات التى كانت تعترض تحقيل هله الحطوة •

وهكذا عادت الملاقات بين مصر وكل من بريطانيا وفرنسا الى حالتهما الطبيعية • وقال عبد الناصر : م نحن نصفح ، ولكننا لا ننسي قط » •

### فشل حلف شيمال الأطلنطي:

ينبغى أن يوضع فى الاعتبار أن تسدوية الازمة التى هددت كل هدد الصالح وعرضت للخطر أدواح عدد كبير من النساس لا يمكن أن تتم بمجرد استثناف العلاقات الدبلوماسية بين الخصوم القدماء ، فقد تركت هده الازمدة إيضا آثارا لا تمحى فى المجال الدول .

وكان أوضح مثال على ذلك الفربة التى وجهت الى حلف شمال الاطلنطى، وليس معنى هذا أن الولايات المتحدة أخلت بتعهداتها تجاه هذا أخلف • فقد أحترمت حرفية معاهدة حلف شمال الاطلنطى ، ولكنها لم تطبق سوى النصوص المتى تتفق مع مصالحها • فلماذا أذن صدمت بريطانيا وفرنسا صدمة شديدة من تصرف الولايات المتحدة ؟ أن سبب ذلك هو الاوهام التى كانت تستحوذ على جماعة من الطبقة أغاكمة في هاتين الدولتين منذ نهاية أخرب العالمية الشانية ، وهي أوهام جعلتهم يعتقدون أن المم سام سيحميهم بعصاء السحرية تحتتهديد الشيوعية من غير أن يناقشهم في ذلك أقل مناقشة أو يحاسبهم أقل حساب ، ولكن الدرس الامريكي كان قاسيا وكان بمثابة نهاية ثقلة أوروبا في أمريكا • وهذا ما صرح به كبار رجال البنوك في سويسرا !

وقد كان هذا راى فرنسا أيضا على الاقل ، لان بريطانيا ظلت تجرى وراء أوهامها برغم الدرس القاسى ، وبلغ من قوة نفوذ المصالح الامريكية أن استطاعت آمريكا أن تفرض على الانجليز رئيس حكومة يمثل في نظر الامريكيين فكرة الملاقة الخاصة التى تربط بين الدولتين ، وهو هارولد ماكميلان الذى كان بمثابة عبد أفريقى في امبراطورية الامريكيين ، أجل استطاعت الدوائر الامريكية أن تفرض ادادتها في هذا المجال برغم أنف دوائر الاعمال البريطانية التى كانت تعارض هذا الاتحاد ،

ومع هذا فقد ظل البريطانيون محتفظين بقدرتهم على للناورة ، واستطاعوا التاثر على واشنطن وافناعها بالتدخل لانقاذ الجنيه الاسترليني •

اما في القارة الاوروبية فقد كان الامر مغتلفا ولا سبما في فرنسا حيث نبتت بدرة كراهية الامريكيين التي ساهمت أزمة السويس في نموها وازدهادها، وقد روج لهذه الكراهية عدد من الاشتراكيين الفرنسيين الدين كانوا يتظاهرون بانهم من المحافظين ، وينادون بعوة صيانة الوطن • وانتهت دعوتهم بالمساداة للمعافظة على المستعمرات ، واستغلوا لهذا الفرض وطنية الجماهي •

# الروس والأمريكيون:

يعتقد كثير عن الناس أن أزمة السويس حققت للسوفييت قدرا كبيرا من النجاح جعلهم يسيطرون على المسرح السياسي في الشرق الاوسط • ولكن هؤلاء اللهين يرقبون التطور السياسي في هذه المنطقة لم يفتهم ملاحظة أن معظم الدول المربية اظهرت حدار شديدا في مسائدة الرئيس عبد الساصر في الوقت الذي كانت فيه مثل هذه المسائدة يمكن أن تجر عليهم عواقب وخيمة • وكان من داى بعضى الناس أن هذا كان دئيلا كافيا على أن النفوذ الغربي في الشرق الاوسط لا يزال أقوى مما قد يبدو لاول وهلة ، وقد اثبتت السنوات التالية أن «التغلظل» الروسي المزعوم في هذه المنطقة من العالم قد جر عليهم المتاعب وملا نفوسهم المرادة •

وكانت الدولة التى انتصرت على طول الخط فى هذه المنطقة هى الولايات المتحدة ، فما أهدافها السياسية فى الشرق الاوسط ؟ اليست المحافظة على مراكزها الاستراتيجية وحماية مصافها البترولية وتاييد حركة مناهفسة الاستعماد الشاملة للدول المختلفة التى لا تزال تقع تحت نفوذ الدول الاستعمارية القديمة ؟ أن الولايات المتحدة استطاعتان تصل الى هذه الاهداف كلها ، واذا كانالسوفييت قد ظهروا فى خلال أزمة السويس بعظهر الظافرين مؤقتا فان المتصرين الحقيقين والوحيدين هم الامريكيون ، ولا أحد غيهم ،

#### قناة السويس تنتعش من جديد :

لقد اتضح أن المخاوف التي كانت تساور الفربيين فيصا يتعلق باحتمال عجز الصريين عن ادارة قناة السويس لم يكن لها نصيب من الصحة •

اذ ارتفع مجموع حمولة السفن التى تعبر القناة يوميا من ٣٩٣٥٠٠٠ طن عام ١٩٦٧ ، وهــذا الرقم يزداد ارتفاعا كل يوم مند ذلك التــاريخ • والايرادات الســنوية التى بلغت ٣١ مليــونا و ١٠٠ الفجنيه استرليني عام ١٩٥٥ وصلت الل ٥٠ مليونا و ٤٠٠ الفجنيه استرليني عام ١٩٥٥ وصلت الل ٥٠ مليونا و ٤٠٠ الفجنيه استرليني عام ١٩٥٥ وذلك من غير ان تضاف آية زيادة على رسوم المرور في القناة •

واجريت في قناة السويس تصبيئات ضغهة، ورفعهن المجرى ما حجمه مائة ملين متر مكعب من الرمال، ونتج عن ذلك أنه بعد أن كانت تمر في القناة سفن لا يزيد عمق غاطسها على عشرة امتار وواحد وخمسين سنتيمترا أصبحت تمر فيها مسغن يبلغ عمق غاطسها ١٩٦٧ مترا ثم ١٩٦٧ مترا ، كما اتسمع القناة حتى وصل عرضه الى ١٠٠٠ متر، وهذا الرقم في ازدياد مطرد وقد تمت كل هذه الإعمال بواسطة قروض حصلت عليها مصر من البنك الدول، والمريون يفخرون بان التحسينات التي اجريت على القناة في خلال الإعوام الستة التي اعقبت التاميم تبلغ ثلاثة أمثال التحسينات التي قامت بهنا الشركة المتالية لقناة السويس في خلال سبعين عاما ،

# السلام 00 في الطريق:

ولم تبق بعد ذلك كله سوى مشكلة واحدة لم تحل بعد ، الا وهى الملاقات الاسرائيلية المصرية ألتى لا يمكن قصلها عن المسكلة الاوسع نطاقا ، ونعنى المعلاقات بين اسرائيل وبين الدول العربية كلها ، ويبدو أن حل هالمسكله لا ينتظر أن يتم فى المستقبل القريب • ولكن أذا كان الشرق الاوسط يضم بلاد المكايات العجبية ، فهو أيضا منطقة المفاجئات المعشمة •

لقد افاق عبد الناصر من بعض الصدمات الشديدة التي اصابته واظهر انه رجل دولة بمعنى الكلمة •

ان الحرب الباردة قد ابتعدت عن منطقة الشرق الاوسط • حقا انها قد تعود يوما ما ، ولكنها اذا لم تغط ، فلا شيء يمكن ان يمنع ان تحل محل اشباح الماضي الملمون \_ فهذه المنطقة التي عمتها الاضطرابات والقتن \_ تباشير السعادة والهدو، في كلمة السلام •

#### اللحقيات

لما كان من الفرورى أن نفع تحت اعين القارئ بعض الوثائق الرسمية التي لم يطلع عليها سوى نفر قليل من المتخصصين وكانت هذه الوثائق تشكل مستقبل القناة تحت الادارة المصرية ومطالب الدول الاجنبية في هذا المضماد ، فقد سبقنا فيما يلي نصوص قراد مجلس الامن في ١٣٠ اكتوبر واقطابات الموجهة من المسيو داج همرشولد الى الدكتور محمود فوزى بتاريخ ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٥٧ ، ٢٤ ابريل سنة ١٩٥٧ ثم التصريح البريطاني الفرسي بتاديخ ٣ ديسمبر سنة ١٩٥١ والمدكرتين المصريتين المؤرختين في ١٨ ، ٢٤ مارس سنة

وقد استبعدنا الوثائق التي تعتبر من التاريخ الماضي كالاتفاق بين الحكومة المصرية وشركة قناة السويس •

### ملحـق ١

قرار مجلس الامن يوم ١٣ آكتوبر سنة ١٩٥٦ ( الجزء الذي ووفق عليه باجاع الاصوات )

#### مجلس الأمن:

بعد الاطلاع على التصريحات التى تم النطق بها أمامه وعلى محاضر المحادثات الاستكشافية عن موضوع السويس والمقدمة من السكرتير العام للائم التحدة ومن وزراء خارجية مصر وبريطانيا وفرنسا ، قرر أن آية تسوية الوضوع السويس يجب أن تحقق المطالب الآتى بيانها :

- ١ يكون الرور عبر القناة حرا ومفتوحا لجميع الدول بدون تمييز
  - ٢ \_ تحترم سيادة مصر على القناة •
  - ٣ \_ تعزل ادارة اثقناة عن سياسة آية دولة •
- ٤ \_ تحدد الرسوم بالاتفاق بين مصر والدول التي تستخدم القناة .
  - ه \_ يخصص نصيب عادل من الرسوم لتحسين القناة •
- آ ـ في حالة وقوع أى نزاع أو ظهور مشاكل لا يمكن حلها بين شركة
   القناة واخترمة الصرية ، يساوى هاذا النزاع بالتحاكيم بشروط.
   معقولة وبطرق مناسبة لدفع الاموال التي يثبت استحقاقها .

# الجزء من القرار الذي ووفق عليه بتسعة أصوات ضد صوتين (الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا) والذي استعمل الاتحاد السوفييتي بشانه حق الفيتو

يرى المجلس أن مقترحات الدول الثماني عشرة تتفق والالتزامات المبيئة فيما تقدم وتؤدى الى الوصول الى تسوية الوضوع قناة السويس بوسائل سلمية ومتفقة مع العدالة ،

وقد احيط الجلس علما بأن الحكومة المعربة على الرغم من انها ابنت في المحادثات الاستطلاعية استعدادها لأن تقبل مبدأ تعاون منظم بين سلطة معرية وبين المنتفعين ، فانها لم تتقدم حتى الآن بمقترحات محددة تحديدا كافيا للاستجابة الى المطالب المسروحة اعلاه .

ويدعو المجلس حكومات مصر وفرنسا والملكة المتحدة لل مواصلة تبادل وجهات النقلر ، كما يدعو في هـذا الشائن الحسكومة المصرية لأن تقدم بسرعة للقترحات الخاصة بارساء نظام يتمشى مع المطالب الشار اليها ، ويقدم للمنتفعين ضمائات ذات فاعلية عن تلك التي تحققها مقترحات الدول الثمانية عشر •

ويقرر المجلس انه انتظارا لابرام اتفاق منظم لعملية القناة بصفة نهائية على أساس المطالب السائف بيانها يجب على جمعية المنتفعين بقناة السويس التي اعطيت لها سلطة تحصيل الرسوم المدفوعة من السغن المملوكة للمشتركين في هذه الجمعية وعلى السلطات المصرية المختصة أن تتعاون الضمان تشغيل القناة بصورة مرضية والمرود الحر والمفتوح بالقناة طبقا لاتفاقية عام ١٨٨٨٠

### ملحق ٢

الخطاب الموجه من سكرتير عام الأمم المتحدة الى وزير خارجية مصر حول تفسير مواد قرار مجلس الأمن المؤرخ في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٥٦

يتشرف السكرتير العام بالاشارة الى الموضوع المدون بـ « الموقف الناشيء عن الاجراء من جانب واحد اللى اتخذته حكومة مصر بانهاء نظام الادارة الدولية لقناة السويس أى النظام المؤيد والمستكمل بمعاهدة قناة السويس عام ١٨٨٨ » وهو الموضوع الذى عرض على مجلس الامن • وقد اشير في نهاية مداولات المجلس يوم ١٣ اكتوبر ١٩٥٦ بانه يجوز للسكرتير العام أن يواصل تقديم خدماته الطيبة

وفي خلال الاسبوع اللاحق لبحث هذا الموضوع بمعرفة مجلس الامن وحتى يوم سفر وزير خارجية مصر السيد محمود فوزى في ١٩ اكتوبر قام السكرتير العام باجراء عدة أحاديث معه بغرض الاستطلاع وتعديد الإمكانيات القائمة لايجاد حل لمشكلة القناة يتفق مع المطالب التي حددها مجلس الامن ، ثم وجه السكرتير العام في ٢٤ اكتسوبر خطابا لوزير خارجية مصر سعى فيه الى شرح الاستئتاجات التي استطلها عن الملاحظات التي أبديت أثناء سلسلة محادثات خاصة تمت حتى ١٩ اكتوبر ، وقد أبلغ السكرتير العام هذا الاجراء الى وذيرى خارجية بريطانيا وفرنسا ،

وقد تلقى السكرتير العام اجابة عن خطابه المؤرخ فى ٢٤ اكتوبر ، ولما كان هذا انخطاب بالاضافة الى كتاب السكرتير العام يقدم ـ فى داى السسكرتير العام ـ عنصرا جديدا عاما فى الموضوع وفقا لما أداده مجلس الامن فقد داى السكرتير العام وجوب نشر هذين الخطابين على أعضاء المجلس ٠

# رسالة سكرتير عام الأمم المتعدة

#### في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٦

#### عزيزي الدكتور فوزي:

لا شك انكم تذكرون أنه عقب اختتام المحادثات التى دارت حول موضوع السويس قد شرعت في أن الخص طبقا لوجهة نظرى ما تبين في من هذه المحادثات، وتناولت ليس فقط المطالب التى أقرها مجلس الامن بل أيضسا ـ في صودة موجزة \_ الترتيبات التى تعرض لها البحث كوسائل لتحقيق هذه المطالب عير أنه بسبب ضيق الوقت لم يكن في الامكان دراسة هذه الترتيبات بعسودة م

وقبل مفادرتكم نيويورك فتعت موضوع تعديد التاريخ والكان الذي يمكن ان تستانف فيه هذه المحادثات الاستطلاعية في حالة ما اذا رات الحكومات الثلاث الممنية بالامر انه من المفيد استئنافها • والحاقا لهذه الملاحظات التي لم اتلق عنها حتى الآن اجابة لا من سيادتكم ولا من سلوين لويد أو بينو أود فيما يتعلق بي أن أشرح كتابة الموقف الواجب دراسته \_ وفقا لوجهة نظرى \_ في حالة استئناف المحادثات الاستطلاعية •

وهنا ایضا فان ما اعمله لیس التقدم بمقترحات خاصة من عندی او صیاغة ایة مقترحات مقدمة منكم او من ای من المستركین فی البحث بل فقط ـ كما فعلت عقب اختتام المحادثات الخاصة فی نیویورك ـ اود ان اشرح فی عباراتی اخاصة النتائج التی استخاصتها من الملاحظات التی قدمت اثناء المحادثات الخساصة \_ وهذا الملاحظات لا تربط احد ـ مع اضافة بعض توضیحات من عندی عزیمض

النقط بحسب تفسيرى الشخصى لمفزى هذه المحسددات حيث لم تتم معاجة الموضوع بالكامل و وسواء وافقتم سيادتكم على هده العبارات أم لا توافقون عليها فانه قد يكون من المفيد أن أعلم منكم ما أذا كنت قد فسرت النتائج الخاصة بالتبادل الاول لوجهات النظر تفسيرا صحيحا ، حيث أن وجهات النظر هذه قد تصلح اطارا لمباحثات استطلاعية آخرى :

- ١ فقد فهمت من سير المباحثات أنه لا صعوبة هناك في تكرار التأكيد القانوني للالتزامات الناشئة من اتفاق القسطنطينية ، وأن هذه نقطة شكلية فقط وليست موضوعية ، كما استخلصت أيضا أنه من المستطاع دون مشقة توسيع نطاق الالتزامات المنصوص عنها في هذا الاتفاق لتصبح مطبقة على الشئون الآتية : الحد الاقمى للرسوم ... الصيانة والتحسين ... الرجوع للى الأمم المتحدة ...
- ٣ كذلك بحسب تفسيرى للمناقشة لا عقبات هناك بشان موضوع قانون استعمال القناة ولائحته من الناحية الموضوعية حيث ان الموقف بشان هذه النقط بقدر ما فهمته هو أنه لا يوجد أى اتجاه ، وإن أية تعديلات على قانون استعمال القناة ولائحته من شائه أن يسفر عنها وضع قواعد تكون أقل قبولا عن القواعد القائمة كما فهمت \_ فوق ذلك \_ أن هذه التعديلات ستكون موضع مشاورة •
- ٣ ـ كذلك بحسب ما وضح لى لا تقوم أيضا أية عقبات بشان موضوع وسوم القناة ومصروفاتها ، حيث أنه وفقا لما بدا من المناقشات سيكون موضوع تحديد الرسوم والمصروفات مرتبطا بوضع اتفاق وكذلك موضوع تخصيص شطر من المتحصلات لتحسين القناة •
- ٤ ـ أما مبدأ قيام تعاون منظم بين السلطات المصرية والمنتفعين فلا يترك مجالا
   في نظرى لقيام أي خلاف ، بل أن الواضح أن تنشأ هناك سسلطة تدرس

بعناية الإجراءات الواجب اتخاذها ، فتكون منفذة للمطالب الشالالة الاولى التى قررها مجلس الامن • والنقط الآتى بيانها ــ وفقا لتفسدي لمفزى المنافشات ــ تعالج النواحى الخاصة بايجاد تعاون منظم :

- (۱) يستوچب هذا التعاون بطبيعة الحال وجود هيئة من الجانب للصرى
   ر سلطة ادارة قناة السويس) وهيئة ممثلة للمنتفعين تعتمدها هيئة
   القناة (والحكومة الصرية) ومخولة بسلطة التعدث باسمهم •
- (ب) يجب تعديد عقد اجتماعات مشتركة بين الهيئة المصرية والهيئة
   المشلة للمنتفعين في النطاق اللازم الذي يحقق هذا التعاون
- (ج) يكون للهيئة المثلة للمنتلفين ـ في اطار هـا التعاون ـ حق استعراض جميع الوسائل التعلقة بالرسوم وبمصالح المنتفين ، التكون محلا للمناقشة والتشاور وكذا تقديم الشكاوى على أنه من الجانب الآخر يجب على الجانب المشل للمنتفعين في مزاولة ، «تصاصاته الا يعمل بصورة تعيق سير الشئون الادارية للهيئة القائمة بادارة القناة •
- (د) ان التعاون الواجب قيامه على اساس النقاط أ ، ب ، ج السالف 
  يبانها أن يفى بالمطالب الثلاثة التى اشترطها مجلس الامن الا اذا
  كان منظما بالاحكام الملائمة لللك فى النواحى الآتية : التحقيقات ــ
  التصالح ــ التسويات القضائية، وذلك بخطة مناسبة ، وكذا ما يطرآ
  من خلافات والضمانات القصائية للخلافات .
  التصالح أو التسويات القضائية للخلافات .

- (a) ١ فيما يتعلق بالتحقيقات يمكن ادماج نص يجعل للطرف المختص
   الحق في الاشراف بصورة مباشرة على الوقائع الخاصة بالموضوع
   أو ايجاد جهاز دائم مشترك يميش فيه الطرفان تمثيلا ملائما
  - ٢ \_ يجوز ايضا ايجاد جهاز دائم شرعى للتصالح ٠
- ٣ ـ في حالة ما اذا لم يتيسر ففي الخلافات حول الشئون العملية أو غيرها من المسائل المتعلقة بالعملية عن طريق الوسائل السابق أشرحها فانه يجوز الرجوع \_ بحسب الحالة \_ اما الى جهال تعكيم آخر قد يكون الرجوع اليه ضروريا بالنسبة لطبيعة الموضوع محل الخلاف أم لمحكمة العمل الدولية ( التي سيكون في هذه الخالة اختصاصها حتميا ) واما لمجلس الامن ( أو لأية هيئة أخرى للامم المتعدة يمكن تشكيلها وفقا لميثاقها ) •

وانى على يقين من أن ما ستقدمونه سيادتكم لى من ملاحظات على التفسيرات التى أوضحتها ستكون ذات قيمة عندى فى اتصالاتى مع الاطراف الاخرى ــ وانى فى حاجة للوقوف على ما تحدثه عدم التفسيرات من آثار ــ وهى قد تمهد الطريق لل تحقيق تقدم يتجاوز المرحلة التى وصلت اليها المحادثات الخاصة ؟

السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة داج همرشولد

## ملحق (3)

# تصريح الحكومتين البويطانية والفرنسية الى السكرتير العام للامم التحدة في 3 ديسمبر سنة ١٩٥٦

#### ١ - التصريح الخاص بانسحاب القوات :

تأخل الحكومتان البريطانية والفرنسية علما عا ياتي :

- أ ) تصل قوة دولية قوية منوطة بتنفيذ قرارات الجمعية العامة للامم
   المتحدة الصادرة في ٢ ، ٧ نوفمبر الى مصر ٠
- (ب) يكلف سكرتي عام المنظمة بمسئولية مباشرة تطهير قناة السويس
   في اسرع وقت ممكن ٠
- (ج) طبقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة تعود حرية الملاحة وتأمينها في
   القناة الى ما كانت عليه بمجرد تطهرها •
- ( د ) يقوم السكرتير العام بالشروع في اقرب وقت في الفاوضات حيول النظام المستقبل للقناة على أساس المبادئ، السنة التي وضعها نجلس الامن في ١٣ اكتوبر ٠
- (ه) تؤكد الحكومتان البريطانية والفرنسية قرارهما بمواصلة سحب قواتها بدون ابطاء من منطقة بور سعيد ٠

#### ٢ - تصريح خاص عستقبل القناة :

فيما يتعلق بالمفاوضات المتعلقة بالنظام القسادم للقنسساة ترى الحكومتان البريطانية والفرنسية انه بالإضافة الى المسادىء الستة الواددة فى قراد مجلس الامن المسسادد فى ١٣ آكتوبر يمسح ان يؤخذ فى الاعتبار ما ياتى:

- ( ) مشروع القراد المقدم الى مجلس الامن من المملكة المتحدة وفرنسا بالتوصية بقبول مقترحات الدول الثماني عشرة أو ما يعادلها وهي في نظر الحكومتين تتضمن احسين حل للهشبكلة •
- (ب) المباحثات التي دارت بين وزراء خارجية مصر وفرنسا وبريطانيا •
- (ج) خطاب السكرتير العسسام للأمم المتحسسة المؤرخ في ٢٤ أكتوبر الى
   وزير خارجية مصر لما جاء بهذا الخطاب .

## مذكرة من الحكومة الصرية

#### بتاریخ ۱۸ مایو سنة ۱۹۵۷

منة تولت مصر ينفسها شئون قناة السويس آكلت عزمها على التزام سياستها القاضية باحترام اتفاقية القسطنطينية التي عقنت سنة ١٨٨٨ وتبكنت من البات مقدرتها على ادارة الملاحة رغم الصعاب الجمة التي اقيمت في سبيلها حتى تسبب العلوان على مصر في غلق القناة ٠

وبمناسبة استئناف الملاحة في قناة السويس ، فان الحُسكومة المعرية تعلن ما يلي :

- أ ـ أن مصر ما ذالت مصممة على احترام الفاقية القسطنطينية المقودة
   سنة ۱۸۸۸ دما وروحا •
- ٧ ـ سيظل نظام فرض فثات الرور بالقناة كما هو طبقا للاتفاق الاخير بين
   ١ الحكومة الصرية وشركة قناة السويس •
- ٣ ـ ان موضوع التعويضات والمطالب الناتجة عن التأميم يحل اما بالاتفاق
   المباشر واما بالتحكيم ٠
- ٤ ــ تنفع رسوم مرور السفن مقدما باسم هيئة ادارة قناة السويس في
   مصر أو في الجهة التي تعينها الهيئة •
- م ـ سبوف تغصص هیئة ادارة قنساة السویس اعتمادا خاصا لبرامج
   التحمین او ایة برامج اخری یقصید بها مواجهة التزاید فی حرکة

اللاحه بالقناة ، على أن يرصد لتمويل هملا الاعتماد جانب معين من رسوم المرور لا يقل عن متوسسط النسبة التي كانت شركة القنباة السابقة تخصصها من رسوم المرور كثل هذه البرامج •

٦ ... ستصدر الحكومة المرية قريبا بيانا تفصيليا عن كل ما تقلم ٠

وان هذا العزم من جانب الحكومة المصرية ليدل على انها بالرغم مما تعرضت له من تضحيات مريرة نتيجة العنوان عليها ، فانها ما ذالت صادقة النية في التعاون مع المجتمع الدولي لتقوم بدورها في تحقيق ما تصبوا اليه الانسانية من سلام ورخاء ٠

وان الحكومة المصرية ترجو أن تعود القناة كما كانت صلة خير وسسلام بين شعوب العالم جميعا ٠

# رسالة من وزير خارجية مصر الى السكرتير العام اللام المتحدة بتاويغ ٢٤ ابريل سنة ١٩٥٧

#### يا صاحب السيادة :

يسر اخكومة المعرية أن تعلن أن قناة السويس أصبحت الآن مفتوحة للملاحة المعادة ، وبهذا تصبح مرة ثانية حلّقة للاتصال بين شعوب ألعالم في خسمة قضية السلام والرفاهية -

وتود الحكومة المعرية أن تعرب عن تقديرها وامتنانها للجهود التي بذلتها دول العالم وشعوبه التي ساهمت في اعادة فتح القناة للملاحة المعادة ، وكذلك وللامم المتحدة التي أمكن بفضل جهودها تطهير القناة بسلام وفي وقت قصير ،

وقد حددت الحكومة المصربة في ملكرة لها بتاريخ ١٦ مارس سيئة ١٩٥٧ القواعد الاساسية بشان قناة السويس والترتيبات الخاصة بتشتقيلها ، ونمست المذكرة على اصدار بيان مفصل آخر عن هذا الموضوع ٠

وتحقيقا لما سلف أتشرف بأن أرفق مع هذا صورة من البيان الذي أصدرته الحكومة المصرية اليوم بمقتفى اشتراكها فى اتفاقية القسطنطينية لمسام ١٨٨٨ وفهمها لقرار مجلس الامن المسادر فى ١٣ اكتوبر سنسنة ١٩٥٧ وما يتلق مع البيانات التى القتها فى هذا الشان أمام المجلس ٠

واتشرف بان استرعى انتباه سيادتكم الى الفقرة الأخرة مزالبيان التي تنص على الماعه وتسجيله لدى سكرتارية الأموالمتحدة، وانالبيان با يتضمنهمزالتز امات، ، يؤلف وثيقة دولية ، والحكومة المعرية ترجو ان تتسلموه وتسجلوه بهذا الوضع .

واننى لانتهز هذه الفرصة لاجدد لسيادتكم فاثق التقدير •

الغلص لكم ( محمود فوزي ) وزير خارجية مصر تعلن الحكومة الصرية ايضاحا للمبادئ، التى ضمنتها مذكرتها بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٥٧ وحسب اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ وميثاق الامم المتحدة البيان التالى حول قناة السويس ونظام ادارتها ٠

#### ١ ... تأكيد الإتفاقية :

تقلل سياسة حكومة مصر الثابتة وهدفها الاكيد احترام نص وروح اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ وما ينشأ عن هــدا من حقوق والتزامات ، وستواصل الحكومة المصرية احترامها ومراعاتها وتنفيذها .

#### ٢ - مراعاة الاتفاقية وميثاق الامم المتحدة:

الحكومة المصرية اذ تؤكد عزمها على احترام نمى وروح اتفاقية القسطنطينية لعام ۱۸۸۸ والتزامها بميثاق ومبادى، وأهداف الامم المتحدة الموقفة بأن بقية الوقعين على الاتفاقيه المذكورة وجميع الآخرين المعنيين بالامر ستحدوهم نفس هذا الروح .

### ٣ \_ حرية الملاحة • الرسوم • تحسين القناة :

والحكومة المصرية مصممة بوجه خاص على:

( أ ) ايجاد ملاحة حرة مستقرة والاحتفاظ بها لجميع الامم في حدود اتفاقية القسطنطينية لعام ١٩٨٨ ووفقا لاحكامها ٠

- (ب) أن يظل دفع رسوم المرور طبقاً لآخر اتفاقية ، وهى التى ابرمت فى ٢٨ أبريل ١٩٣٦ بين الحكومة المصرية وشركة قناة السويس البحرية واذا حدثت زيادة فى الرسوم خلال اثنى عشر شهرا فلن تتجاوز هذه الزيادة ١٪ ، أما أية زيادة آكثر من هذا الحد فتتم بطريق المفاوضات، واذا تعدر الوصول الى اتفاق بهذه الطريقة فيلجا الى التحكيم كما هو موضح فى الفقرة السابعة (ب) .
- (ج) أن تصان القناة وتنظور طبقا القنضيات الملاحة الحديثة وسيتضمن برنامج صيانة القناة وتطويرها البرنامج الثامن والتاسع لشركة قناة السويس البحرية وما يدخل عليهما من تحسينات يرى ضرورتها

#### ٤ \_ التشغيل والادارة:

ستقوم الهيئة المستقلة لقناة السويس التي انشاتها الحكومة المعرية في 27 يوليو ١٩٥٦ بادارة وتشغيل القناة • وتنظر الحكومة المصرية في ثقة ال مزيد من تعاون دول العالم لجعل قناة السويس اكثر فائدة • ولتتحقيق هذا الفرض ترحب الحكومة المصرية وتشجع التعاون بين هيئة قناة السويس وممثل الملاحة والتجادة•

#### ه ـ النظام المالي :

- (1) تدفع الرسوم مقدما خساب هيئة قناة السويس في أي بنك تغتاده الهيئة لهذا الغرض ، وقد فوضت الهيئة البنك الأهل المرىللقيام بهذه المهمة وتجرى الان مباحثات بين الهيئة وبنك النسويات الدولية بشان قبوله الرسوم خسابها •
- (ب) تقوم هيئة قباة السويس بدفع ٥٪ من جملة الايرادات للحكومة
   المحرية كرسم امتياز ٠

(ج) تقوم هيئة قناة السويس بانشاء صندوق رأس مال القناة وتحسينها يدفع فيه ٢٥٪ من جملة الايرادات وسيضمن هذا الصندوق أن يكون تعت تصرف هيئة قناة السويس موارد كافية الواجهة حاجات التحسين والمصروفات التي تحتاج اليها الهيئة للاضطلاع بالمسئوليات التي اخذتها على عاتقها واعتزمت القيام بها على احسن وجه •

#### ٦ \_ لائحة القناة:

ان القواعد التى تعمل القناة وقفا لها جمعت كلها فى لائحة القناة التى هى فى الواقع قانون القناة • وستخطر الجهات المعنية بلى تغيير يحدث فى هذه اللائحة وسيعائج أى تغيير يؤثر بنى شكل فى البادئ، أو الالتزامات التى يتضمنها هذا البيان ويكون موضوع اعتراض أو شكوى لهذا السبب ، حسب الاجراء المنصوص عليه فى الفقرة السابقة (ب) •

#### ٧ - التفرقة في المعاملة والشكاوي المتعلقة بلائحة القناة :

- ( ) عملا بالمبادئ، التى نصت عليها اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ ،

  لا تستطيع هيئة قناة السويس باية حال أن تمنح لاية سفينة أو
  شركة أو طرف من الاطراف أى امتياز أو رعاية لا تمنح للسفن أو
  الشركات أو الإطراف الاخرى في ظروف مشابهة .
- (ب) فى حالة وجود شكوى حول التفرقة فى المعاملة أو خرق للائحة القناة، يرجع الطرف المتقدم بالشكوى ألى هيئة قناة السويس التى تنظر فيها وقى حالة عدم الوصول ال حل للشكوى باتباع هده الطريقة يمكن عرض السالة حسبرغية الطرف المتقدم بالشكوى أو هيئة قناة السويس الى محكمة تحكيم تتكون من عضبو يرشحه الطرف الشاكى وعضو ترشحه الهيئة وعضو ثالث يختاره النان وفى حالة عدم الاتفاق على العضو الثالث يقوم رئيس محكمة العدل الدولية باختيار هذا العضو بطلب من احد الطرفين المذكورين .

- (ج) تصدر قرارات محكمة التحكيم حسب رأى أغلبية أعضائها ، وتكون القرارات مازمة للاطراف عندما تصدر ويجب تنفيدها بحسن نية .
- (د) تدرس اخكومة المعرية ما يتبع من اجراءات مناسبة لموفة الوقائع وللتشاور وكذلك للتحكيم في الشكاوي اخاصة بالأعدة القناة •

#### ٨ - التعويضات والطالب:

ان مسالة التعويضات والطالب التصلة بتاميم شركة قناة السويس البحرية سوف تعرض للتحكيم طبقا للمران اللولي القائم ·

#### ٩ \_ المنازعات والخلافات الناشئة عن الاتفاقية وهذا البيان:

- (1) ستسوى المنازعات والخلافات الناشئة عن اتفاقية القسطنطينية لمسام ١٩٨٨ أو هذا البيان طبقا ليثاق الامم المتحدة ٠
- (ب) ستحال الخلافات التاشئة بين الاطراف حول تفسير أو تطبيق نصوص اتفاقية سئة ١٠٨٨٨ الى محكمة العدل الدولية اذا لم تعل • وسوف تتخذ اخكومة الصرية الخطوات اللازمة لقبول حسكم محسكمة العسدل الدولية الملزم طبقا لاحكام المادة ٣٣ من لائحة هذه المحكمة •

#### ١٠ ــ الوضع القانوني لهذا البيان :

تصدر الحكومة المصرية هذا البيان الذى يؤكد من جديد اتفاقية القسطنطينية ٨٨٨٨ كما يطايقها نصا وروحا كتعبير عن رغبتها وعزمها على أن تجعل من قناة السويس ممرا مائيا صاخا ووافيا يربط نسعوب العالم ويغدم قضية السسلام والرفاهية ٠

وهذا البيان بها يحوى من التزامات يكون وثيقة دولية ٠. وسوف يودع ويسجل لدى سكرتارية الامم المتحدة ٠

# رسالة السكرتير العام لهيئة الأمم المتعدة

#### الى وزير خارجية مصر

نیویورک فی ۲۶ ابریل ۱۹۵۷

نشرفت بتلقى خطاب سيادتكم الأورخ فى ٢٤ ابريل اللنى ارفقتم معه النص الاصل لتصريح صادر فى ٢٤ ابريل ١٩٥٧ فى موضوع قناة السويس والترتيبات الخاصة بادارتها وذلك بغرض ايناعه للنى الهيئة •

ووفقا لطلب سيادتكم تم ايداع هذا التصريح في محفوظات الامم المتحدة •

وقد احطت علما بان هذا التمريح قد أبلغ أيضا بغرض توثيقه ، وانى أستنتج بان الحكومة المصرية تعتبر هذا التصريح ادتباطا ذا صبغة دولية مما يقع تحت احكام المادة ١٠٠٦ من الميثاق ، وقد تم توثيقه طبقا للمادة الاولى من اللائعة الحاصة بتطبيق المادة السمالف بيانها ، وسترسل الى سيادتكم شهادة بهذا التوثيق في وقت لاحق ،

وسينشر خطاب سيادتكم والتصريح المرفق به كوثيقة من وثائق الجمعية العامة ومجلس الأمن ·

السكرتير العام داج همرشيك

# الفهسرس

19-	11	•	*	*	•	•	•	•	•	معدمه المؤلف
										الفصل الأول:
٤٠-	17	٠	٠	٠	٠	٠	الم	الع	في	أجمل حفرة
		ل الى تأخير ٣ _	مسوا ورة أ مالم ا	۔ الو ۔ منار فی الا	۲۹ . ۳۱ . حفرة	ــاب دخل اجل	الاكتة ي يتا ٣ _ "	۲ _ نجلیز سل ۱۵ ۳۷	، ۱۲ ، الا والام	تزاوج العناصر ٢٣ ـ الالتجاء الى الشعب طلاح ٢٠ ـ الاسطول العمل ٣٣ ـ الفرع الفرع الفند المستواء ٣٩ ـ الانة
									:	الفصل الثاني

معارك أخرى من أجل القناة ٠٠٠ ١١ -٦٤

على حافة الافسلاس 21 \_ متاعب الخسديو 27 \_ مخلب القطل 25 \_ فكرة اعسادة شراء اسسهم الخديوى 20 \_ في آل ووتشلد 20 \_ علاج الخزالة المعربة ٥٠ \_ شركة فرنسية الخيارية ٥١ \_ الالمركة على التساخل 20 \_ الشركة في خطر ٥٥ \_ معاهدة القسطنطينية ٥٧ \_ تحسين القناة ٥٨ \_ مشكلات ما بعد الخرب ٥٩ \_ سيدة عجوز واسعة الشراء ٣٣

مقدمة المراجع

## الفصل الثالث:

رحلة في طريق نهاية العبودية ٥٠٠ ٥٠ –٨٤

وعود متناقضـة ٧٧ ـ الهجرة اليهودية ٢٨ ـ اسستقلال مصر ٧٠ ـ سسنوات ما بسد الحرب ٧٣ ـ متساعب في فلسطين ٧٤ ـ اقتراح سوفيتي ٧٥ ـ حرب فلسطين ٧٧ ـ اضطراب الحالة في مصر ٧٩ ـ نظام يحتضر ٨٣

# القصل الرابع :

من الحياد الى عدم الانحياز ٠ ٠ ٠ ٥٠ -١٠٦-

الأطراف الشالائة ٨٧ ـ أيزنهاور يظهر على المسرح ٨٩ ـ متاعب داخلية ٩٠ ـ المقاوضات الانجليزية المصرية ٩٣ ـ مصاعب في الطريق ٥٥ ـ الخطر الاسرائيل ٩٦ ـ ضغط جديد ٨٨ ـ ميثاق بغداد ٩٩ ـ سيد الموقف ١٠١ ـ روسيا تقوم بهجوم مضاد ٣٠ ـ باندونج ١٠٤

### الفصل الخامس:

الحرب الباردة وقطع الشطرنج ١٣٩-١٠٧ د١٣٩

الفاية والوسيلة ١٠٨ \_ الحياد العربي ١٠٩ \_ المساعدات السوفييتية ١٠٠ \_ تحسن للوقف ١١٣ \_ عودة التوتر ١٠٤ \_ الاردن هي الهيدف ١١٥ \_ تنسيق انجلو أمريكي ١١٩ \_ فرنسا تطالب ١٠٠ \_ المستنة في الاردن ١٢٤ \_ المنتنة في الاردن ١٢٤ \_ المنتنة في الاردن ١٢٤ \_ المنتنة في رحلات يدن ١٢٠ \_ المنتنة في رحلات يدن ١٢٠ \_ فراد وشركة رحلات يدن ١٢٠ \_ ناصر وشركة المنتاة ١٣١ \_ وعود براقة ١٣٣ \_ لب المسكلة ١٣٤ \_ مبعوث البنك الدولي ١٣٠ \_ مؤامرة واشنطن ١٣٨ ـ

### الفصل السادس:

الأزمة ٠٠٠٠٠١١١٠٠١

الخطاب ١٤٢ ـ رد الفعل ١٤٤ ـ الجمعة ٢٧ يوليو ١٤٧ ـ السبت ٨٦ يوليو ١٥٥ ـ ق ركن من غابة بولونيا ١٥٥ ـ الاحد ٢٩ يوليو ١٦٥ ـ الثلاثاء ٣١ يوليو ١٦٥ ـ الثلاثاء ٣١ يوليو ١٦٥ ـ الثلاثاء ٣١ يوليو ١٦٥

# الفصل السابع:

المواجهة ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٢٠٢-٢٦٧

وجهة نظر الفرنسيين ١٦٨ - علاقات خاصة جدا ١٧٠ - سياسة الفموض ١٧١ - استرداد ما أضاده ناصر ١٧٥ - البيان المسترك ١٧٧ - ايمن في نجلس العموم ١٧٧ - ما يدور في باريس ١٧٩ - نداء الى الدول ١٨٦ - سينتصر الأنشا الاقوى ١٨٣ - دالاس يتكر ١٨٦ - الاتهاود في حيرة ١٨٨ - العالم العربي يسترق السمع ١٩٠ - نحو حل سلمي ١٩٦ - العالم العربي يسترق السمع ١٩٠ - نحو حل سلمي ١٩١ - ناصر يتدير أموره ١٩٩

# الفصل الثامن:

استعداد امریکی ۲۰۶ ـ اتفاق فرنسا وبریطانیا ۲۰۷ ـ الشرکة تبدی استیادها ۲۰۹ ـ الثنتیک المضاد للفرپ ۲۱۰ ـ الرای الأمریکی ۲۱۳ ـ تحدیرات سوفییتیة ۲۱۶ ـ تحدیرات افرو اسیویة ۲۱۷ ـ انتهساء المؤقر ۲۱۷ ـ انتهساء ۲۱۶ ـ انتهساء ۲۲۷ ـ انتهساء ۲۲۷ ـ انتهساء ۲۲۷ ـ انتهساء ۲۲۷ ـ انتهساء ۲۲۰ ـ انتهساء ۲۰ ـ

# الفصل التاسع:

الوحه الآخر للأمور ٢٤٢-٢٢٣ ٠ ٠ ٠

قيادة بريطانية ٣٢٤ \_ مشروع السسلطاء ٢٧٧ \_ العملية ٢٧٠ ٣٧٨ \_ الجيش المصرى ٣٢٩ \_ خلافات فرنسية بريطانيسة ٣٣٧ \_ باريس غير موافقسة ٣٣٤ \_ ضغوط القصادية ٣٤٠

#### الفصل العاشر:

الأعذار والحجج ٠٠٠٠٠ ٣٧٣-٣٧٣

الاستغزازات ۲۶۰ \_ مخاوف الشركة ۲۶۷ \_ مضاجرة او موقف ۲۶۹ \_ مثلب في الثاء او موقف ۲۶۹ \_ مثل بن الثاء لذا ۲۰۸ \_ مثلا بن ۲۹۸ \_ دلك ۲۰۹ \_ التفاهم الودى ۲۳۰ \_ مسالة المرشدين ۲۳۸ \_ بدون امريكا ۲۳۷ \_ الخطف « موسكيتير المعدلة » ۲۳۸ \_ در اللعل الأمريكي ۲۷۰ \_

# الفصل الحادي عشر:

الماطلة ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٢٩٨-٢٢٥

آخر ورقة في يد الشركة ٢٧٥ ـ مؤقر لندن الثناني ٢٧٧ ـ معالة معلم الأمن ٢٨٠ ـ مسالة المريشال بولجانين ٢٨٦ ـ مسالة البترول في الأروقة ٢٨٤ ـ كيس الأمن مرة اخرى ٢٨٦ ـ عواصف في الأردن ٢٩٠ ـ الحيلة العسكرية ٢٩٤ ـ المقدة التي لهن لها حل ٢٩٧ ـ التقدة التي يسى لها حل ٢٩٧

# الفصل الثاني عشر:

> الضيفط الأمريكي ٣٠١ \_ ناصر ينتظر ٣٠٣ \_ الشعور بالقلق في باريس ٣٠٣ \_ الى الهجوم ٣٠٧ \_ حان وقت العمل ٣٠٨ \_ طائرات كاميرا ٢٠١ \_ الخطة «أوميليت» ٣١٤ \_ القرار ٣١٥ \_ الفزع في واشنطون ٣١٣ \_

### الفصل الثالث عشر:

الشرارة ۰ ۰ ۰ ۰ ۰ ۰ ۹۱۳–۳۶۹

الخطة ٣٣٧ ـ اجتماع بحلس الوزراء في القاهرة ٣٣٥ ـ ضربة واسمنطون ٣٣٧ ـ في صباح ٣٠ اكتوبر ٣٣٩ ـ الاندار النهائي ٣٣٠ ـ عراك في القماهرة ٣٣٣ ـ عراك في الأمم المتحدد ٣٣٥ ـ دهول في القماهرة ٣٣٣ ـ صباح يوم ٣١ الكتوبر ٣٣٨ ـ في هذا اليوم ، في قبرص ٣٤٣ ـ قنابل على القاهرة ٣٤٥ ـ ذعر في العالم ٣٤٦ ـ كشف الحساب القمارائيل ٣٤٨ ـ تشف الحساب الاسرائيل ٣٤٨ ـ الاسرائيل ٣٤٨ ـ الاسرائيل ٣٤٨ ـ الاسرائيل ٣٤٨ ـ التعديد ٣٤٨ ـ الاسرائيل ٣٤٨ ـ التعديد ٣٤٨ ـ التعديد ١٩٤٨ ـ التعديد ٣٤٨ ـ التعديد ٣٤٨ ـ التعديد ٣٤٨ ـ التعديد ١٩٤٨ ـ التعديد

# الفصل الرابع عشر:

# الاشتباكات ٠٠٠٠٠٠ ١٥٣-٣٨٨

الحرب الجوية ٢٥٣ \_ انستحاب في سينساء ٣٥٣ \_ المركة غير المتكافئة ٢٥٣ \_ خالافات في قبرص ٧٥٧ \_ غضب في المدوم ٢٥٩ \_ الأمم غير المتحدة ٣٦٠ \_ السيطرة على الجو ٢٣٠ \_ السيطرة على الجو ٢٣٠ \_ الاقتراح ١٤٠ \_ الاقتراح ٢٣٠ \_ القامن عربي ٣٣٠ \_ تباطؤ في قبرص ٣٧٧ \_ الكيلو٢١ ٣٧٤ \_ الكيلو٢١ ٣٧٤ \_ الكيلو٢١ ٣٧٤ \_ عدف آخر ٣٧٧ \_ الاستعدادات الاخيرة المحادل الأخيرة في سيناء ٣٧٠ \_ في جبهة الأمم المتحدة ٢٨١ \_ المارك الأخيرة في سيناء ٣٧٠ \_ في جبهة الأمم المتحدة ٢٨١ \_ المارك الأخيرة في سيناء ٣٨٠ \_ في جبهة الأمم المتحدة ٣٨١ \_ ٣٨١ \_ المارك الأخيرة في سيناء ٣٨٠ \_ في جبهة الأمم المتحدة ٣٨١ \_ شيناء ٣٨٠ \_ في جبهة الأمم المتحدة ٣٨١ \_ شيناء ٣٨٠ \_ في جبهة الأمم المتحدة ٣٨١ \_ شيناء ٣٨٠ \_ في جبهة الأمم المتحدة ٢٨١ \_ شيناء ٣٨٠ \_ في جبهة الأمم المتحدة ٢٨١ \_ في حبهة الأمم المتحدة ٢٨١ \_ في جبهة الأمم المتحدة ٢١١ \_ في جبهة الأمم المتحدة ٢٨١ \_ في جبهة المتحدة ٢٨١ \_ في جبهة الأمم المتحدة ٢٨١ \_ في جبهة المتحدة ٢٨١ \_ في جبهة المتحدة ٢٨١ \_ في حددة ٢٨١ \_ في حددة ١٩١٨ \_ في المتحدة ٢٨١ \_ في المتحدة ١١٨١ \_ في المتحدة ٢٨١ \_ في المتحدة ٢٨١ \_ في المتحدة ٢٨١ \_ في المتحدة ٢٨١ \_ في المتحدة ١٨١ \_ في المتحدة ٢٨١ \_ في المتحدة ٢٨١

# الفصل الخامس عشر:

جلد الدب ۰ ۰ ۰ ۰ ۰ ۹۸۳–۲۱۶

استراتيجية الصحراء ٣٩٧ ـ معركة الكواليس ٣٩٩ ـ الأمم المتحدة غاضبة ٤٠١ ـ الحرب السيكلوجية ٤٠٣ ـ رسائل من موسكو ٤٠٦ ـ فزع في واشنطون ٤١١

## الفصل السادس عشر:

الحوف ۲۱۳۰۰۰۰۰ ۱۳۳-۲۳۳

البحث عن هدفة 210 ـ النزول الى جهتم 210 ـ بالسه صغير للقواد 210 ـ اندار نهائى 271 ـ قلق في الغرب 277 ـ المطر الكبير 277 ـ المناقشسة الأخيرة 270 ـ وقف اطلاق النار 270 ـ معركة ديلوماسية 277

## الفصل السابع عشر:

الكاسب ٠٠٠٠٠٠ ١٠٠٠ ٢٦٣٠

عملية حكمت المحكمة ٣٣٠ ـ الضغط في الامم المتحدة ٣٣٩ ـ بارس تغرج عن صمتها ٤٤٠ ـ القوات الدوليـة ٣٤٥ ـ تقاب الملتفى ٤٤٤ ـ القيمت الموليـة ٤٤٤ ـ ضغط سوفييتي ٤٤٧ ـ زيارة لواشـنطون ٤٤٨ ـ الفرصــة الاخرة ٤٤٩ ـ مناورات دبلوماســية ٤٥٠ ـ في حيز مغلق ٤٥٤ ـ الماطلة ٤٥٠ ـ المنافسةعلى الاسترليني ٤٦٠ .

# الفصل الثامن عشر:

التصفية ، ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٩٣٠- ١٤٩٣

تقرير ماســو ٢٦٨ \_ وسـاوس الجنرال ٢٦٩ \_ تقهير القناة ٢٧٩ \_ عقوبات مصرية ٤٧٤ \_ الحرب الثورية ٤٧٠ \_ الرحيل ٢٧٨ \_ لوسيست ٤٧٩ \_ تحرير سيناء ٤٧٩ \_ استقالة المدن ٨٤٨ \_ مصير القناة ٨٤ \_ اللاكرة المصرية ٨٩٩ \_ الودفة الأخيرة ٤٩٠ \_ تاميم شركة القناة ٤٩١ \_ ٤٩١

# الفصل التاسع عشر:

حساب الأرباح والخسائر ٢٠٠٠ ١٩٥٠-٥٠٣

الأرباح والخسائر ٤٩٧ ـ فشلحلف شمال الأطلنطى ٥٠٠ ـ الروس والأمريكيون ٥٠١ ـ قنساة السسويس تنتعش من جديد ٥٠٢ ـ السسلام في الطريق ٥٠٣

الملحقات ٠٠٠٠٠٠٠ الملحقات

ملحق ( ۱ ) ٥٠٦ ـ الجزء من القرار الذي ووفق عليه بتسمعة أصدات ٥٠٧

ملحق ( ۲ ) ۰۰۸ ـ رسالة سكرتبر عام الأمم المتعدة ۰۰۹ ملحق ( ۳ ) ۰۱۳ ـ مـذكرة من أفـكومة المصرية ۰۱۰ ـ رسـالة من وزير خارجية مصر الى السكرتبر العـام ۷۷۰ ـ بيان ۰۱۸ ـ رسالة السكرتبر العام لوزير خارجية مصر ۷۲





الثمن + ٧ قرشا